

تأثير الأزمة السورية على التوازنات الإستراتيجية

الشرق أوسطية (2011-2020)

The Impact of Syrian Crisis on the Strategic
Balances in the Middle East (2011-2020)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العلوم السياسية

تخصص: دراسات إقليمية

تحت إشراف الدكتور:

د. بولالوة ياسين

إعداد الطالبة الباحثة:

بوجلال مروة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. ربيع علي	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	رئيساً
د. بولالوة ياسين	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	مشرفاً ومقرراً
د. لوراري علي	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	ممتحناً
د. اوشرين ابتسام	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	ممتحناً
د. حطاب عبد المالك	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 3	ممتحناً
د. تلغيش خالد	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	ممتحناً

السنة الجامعية: 2022/2021

تأثير الأزمة السورية على التوازنات الإستراتيجية
الشرق أوسطية (2011-2020)

The Impact of Syrian Crisis on the Strategic
Balances in the Middle East (2011-2020)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العلوم السياسية
تخصص: دراسات إقليمية

تحت إشراف الأستاذ:
د. بولالوة ياسين

إعداد الطالبة الباحثة:
بوجلال مروة

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة العلمية	الإسم واللقب
رئيساً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية		
مشرفاً ومقرراً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	أستاذ محاضر أ	د. بولالوة ياسين
ممتحناً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية		
ممتحناً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية		
ممتحناً			
ممتحناً			

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وعرافان

إنه لمن قبيل الإيمان والتواضع إسداء بالغ المحبة والشكر والتقدير لمن كانا أول وأقرب الواقفين على عتبة هذا البحث إشرافاً وتعديلاً وإخراجاً وتأصيلاً الدكتور المحترم "ياسين بولالوة" والأستاذ الدكتور "حمود صالح" فلهما منا كل عبارات الامتنان والمحبة والاعتراف.

وقد لا نقشي سرا إن اعترفنا بأنه لم يكن بمقدورنا فيما مضى البتة- أن نعي جيدا معنى أن ينهي المرء معركة ختاماً تماماً كهاته المعركة.. وكما كل الأبحاث والدراسات، هناك مسارات صعبة وشاقة، بيد ان الله قد يحدث بعد ذلك امرا. فقد كان مسار هذا البحث حافلا بالكثير من الأمزجة والأحداث.. حالات مرض وغضب.. وقائع تقهقر وانتصار وأحيانا جبن ويأس.. ومع ذلك، فقد حظينا في مواقف عديدة منها حتى لحظة كتابة هاته الأسطر بفريق رائع من الأصدقاء والأساتذة والباحثين داخل الوطن وخارجه. فشكري البالغ موصول إلى أسرتي العلمية بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية بداية برئيسها الأستاذ الدكتور "مصطفى صايح"، كما أخص هنا بالذكر الدكتور المحترم "علي ربيع" على مساعدته واهتمامه البالغين، وتقديرا وعرافانا خالصا للأستاذ الدكتور "صادق بنجوش"، والدكتور "سليم قلالة" والشكر موصول أيضا للأستاذ الدكتور "عصام الدباع" -جامعة عمان- الأردن، لقاء احتفائه بالعمل ومساعدته لنا ما أمكن، فقد حصل لنا الشرف مقابلته بمكتبه الخاص بكلية العلوم الاجتماعية، خلال فترة التبرص سنة 2019، كما أتقدم بجزيل شكري وعرفاني لرفيقي ورافع معنوياتي الدكتور المحترم "رفيق مساعي" من قسم العلوم الاقتصادية بجامعة أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة- وفي الأخير كل المحبة والاحترام لكل من كانت له يد في إعداد هذا العمل كتابة وطباعة وإخراجاً.

إهداء

إلى الوالدين الكرمين...أدام الله ظلهما
أخي وإخوتي الأعزاء...
إلى العزيزة الغالية "شادية"
الأهل والأقرباء...
أصدقائي وصديقاتي...
إلى كل هؤلاء...
...أهدي ثمرة هذا الجهد...

بوجلال مروة*
خريف 2020 - الجزائر -

*البريد الإلكتروني: boudjelal.maroua@enssp.dz

ملخص:

تأتي هذه الأطروحة على خلفية زخم هائل من الدراسات والأبحاث الأكاديمية المتخصصة الأكثر اهتماما بمنطقة الشرق الأوسط، فبتحليل تأثيرات الأزمة السورية، وطبيعة التحالفات والصراعات بين القوى الفاعلة في الإقليم، هناك العديد من التحولات الدراماتيكية التي ظهرت في منطقة الشرق الأوسط منذ أواخر عام 2011، والتي جعلت من الصعب ملاحقة وتقدير تداعياتها -بدرجة كبيرة من الثقة- على حالة التوازن الإستراتيجي القائم بالمنطقة. فهذه التحولات الناتجة عن تأثير التغيرات التي تشهدها المنطقة جراء الأزمة السورية، أثارت تساؤلات حول أهم القوى الفاعلة في المنطقة في الوقت الراهن، سواء من القوى الإقليمية العربية أو غير العربية أو من القوى الدولية، فهناك تشابك على مستوى العلاقات بين الفاعلين الدوليين والإقليميين بالمنطقة، بما يثير التساؤل حول طبيعة التحالفات المستقبلية بين هذه القوى وكيف تنعكس على حالة التوازن الإقليمي الإستراتيجي. وفي دراستنا المقدمة يتم مناقشة هذه التغيرات المحورية في موازين القوى للنظام الإقليمي الشرق أوسطي.

تدعي هذه الدراسة أن فهم وتحليل معادلة التوازن الإستراتيجي الحالي لإقليم الشرق الأوسط ودراسة أهم اختلالاته، يعود بالأساس إلى ما تفرضه تطورات الأزمة السورية على خيارات وتوجهات استراتيجيات القوى الفاعلة بالمنطقة. ولذلك تمثل الأزمة السورية أحد أبرز وأهم مفاتيح فهم اللوحة التصورية للتوازن الإستراتيجي الشرق أوسطي. بحيث ان التغير الأخير للتوازن بالمنطقة بدأ مع التدخل الروسي المباشر في سورية منذ عام 2015، وقد يكون مستقبله أيضا محددا بما ستؤول إليه الأوضاع في الداخل السوري، فهناك مخاض لولادات جديدة، وردود فعل وانتكاسات. فالشرق الأوسط لن يعود كما كان سابقاً، على الأقل من منظور توزيع القوى التي تؤثر في هيكل وطبيعة النظام الإقليمي.

كما تفترض الدراسة أن دول العالم العربي ستستمر في مرحلة اللأدور في المنطقة، إذ ان ما قد ستؤول إليه التغيرات في الداخل السوري أو في الدول العربية الأخرى-التي شهدت ثورات وحروب- عموماً، ستؤدي إلى حالة من الانكفاء على الذات سواء كانت النتائج إيجابية، حيث سيكون التركيز على إعادة بناء الدولة والاقتصاد والتنمية والحريات... أو كانت سلبية، حيث سيكون همّ الأنظمة التركيز على البقاء والمحافظة على الحكم، أي أنه وفي الحالتين سيضعف الاهتمام العربي بقضايا التوازن الإقليمي والإستراتيجي، نتيجة للفراغ في تحقيق تلك التوازنات، مما سيعطي فرصة كبرى لبعض الدول الطامحة للسيطرة على المنطقة خصوصاً إيران، تركيا، و(اسرائيل) وهذا هو محور دراستنا والذي تعتبر فيه التحولات السياسية الناتجة عن الأزمة السورية، هي العامل الأهم في تحديد التوازن الإقليمي ورسم الخريطة الاستراتيجية للمنطقة. فدراسة واقع ونتائج وتوقعات ما بعد الأزمة سيضعف أكثر دور الدول العربية، لتبقى في حالة استقبال مباشر لمشاريع القوى الإقليمية الثلاث المذكورة، والتي سيزيد نفوذها بالمنطقة، مع تغير نوعي في إستراتيجية الولايات المتحدة واستجاباتها للتحولات الجديدة، في مقابل ترسيخ وتثبيت مكانة القوة الروسية في المنطقة وتوازناتها.

تجادل هذه الدراسة مفهوم توازن القوى التقليدي وفق المقاربة الواقعية في العلاقات الدولية، والذي اعتمدت عليه الإدارة الأمريكية في ضمان مصالحها بالمنطقة، فقد أصبح مفهوماً تجاوزه الزمن، وذلك بالنظر إلى الواقع الحالي والحقائق السائدة في الشرق الأوسط. فالتنافس بين القوى الإقليمية الفاعلة مثل تركيا وإيران والسعودية ليس له طابع المواجهة المباشرة بل يحدث من خلال المشاركة بالوكالة في دول متأزمة من الحروب (كسورية، اليمن والبحرين..)، فالرابحون والخاسرون في المنافسة يتحددون من خلال القدرات التحالفية والاقتصادية والقدرات الحربية الهجينة، أكثر مما يتحددون من خلال مؤشرات القوة العسكرية التقليدية وفق نظرية توازن القوى. كما ان شكل التهديدات والحروب تغيرت، فأصبحت هناك خطط وتقنيات حرب جديدة تتجاوز أيضا القوة العسكرية التقليدية، فالحروب اللامتكافئة يعجز ميزان القوى التقليدي على قياس وتحديد حجم نجاح أو خسارة القوى المتصارعة. (مثالنا في ذلك الحروب السيريانية الإيرانية-الأمريكية) تحولات استراتيجيتها الإقليمية والدولية، وتعمل القوة الأمريكية على تصحيحها في استراتيجيتها الجديدة التي تسعى إلى تثبيتها بإقامة تحالفات إستراتيجية تؤمن بقاءها وتحافظ على مصالحها بالمنطقة.

ومن خلال هذا المدخل الجديد للتوازن، قد يكون هناك أمل في استعادة التوازن المطلوب للمنطقة، وذلك بعد نجاح ما يسمى بالثورات العربية وبعد خروج سوريا والعراق من الحروب والصراعات وخروج مصر من الفوضى السياسية التي تعيشها. حيث أن حسن استغلال القوة الكامنة لتلك الدول وما سيثبت في مخرجاتها على مستوى السياسة الخارجية وإقامة تحالفات استراتيجية ببنية صلبة، قد يوفر خيراً كبيراً في البنية الإقليمية، ما قد يشكل قوة رادعة لسلوك الفاعلين المؤثرين في النظام الإقليمي العربي. فكل المعطيات السابقة تؤكد أنه لا مجال لإعادة التوازن، إلا من خلال استرجاع التحالف العربي-التحالف المفقود في معادلة توازن القوى الإقليمي- وبالتالي تفعيل الدور العربي المغيب في المنطقة.

Abstract :

This thesis comes on the back of an enormous impetus of specialized academic researches and studies, that is most interested in the Middle East region, by analysing impacts of Syrian crisis, and the nature of alliances and conflicts between actors in the region, of several dramatic shifts that have emerged in the Middle East since late 2011. This had made it difficult to track and assess its ramifications - with a high degree of confidence - on the status of the existing strategic balance in the region. Such transformations, resulting from the impact of the changes in the region, as a result of the Syrian crisis, raised questions about the most important regional powers at the moment, whether from Arab or non-Arab regional or international powers. There is an entanglement in ties between regional and international actors in the region. Which raises the question about the nature of the future alliances between these powers and how it reflects on the strategic regional balance status. In our study, these pivotal changes in the power balances of the Middle Eastern regional system are discussed.

This study claims that the understanding and analysis of the current strategic balance equation for the Middle East region and the study of its most important imbalances are mainly due to the fact that developments in the Syrian crisis are affecting the options and directions of the strategies of the actors in the region. The Syrian crisis is therefore one of the most visible and important keys to understanding the conceptual palette of Middle Eastern strategic balance. Since the recent change of balance in the region began with the direct Russian intervention in Syria since 2015, and its future may also be determined by what the situation in Syria will lead to. There is a risk of new births, reactions and setbacks. The Middle East will no longer be the same, at least from the perspective of the distribution of powers affecting the structure and nature of the regional order.

The study also assumes that the Arab countries will continue to have no role in the region, as changes in the Syrian interior or in other Arab States - which have experienced revolutions and wars - in general will lead to self-recovery, whether the results are positive, where the focus will be on rebuilding the state, economy, development and freedoms..., or negative, where the regimes will be focused on staying and maintaining governance, that is, in both cases, Arab interest in regional and strategic balance issues will be weakened as a result of the vacuum in achieving those balances, which will give some aspiring countries a great chance to control the region, especially Iran, Turkey and (Israel). This is the focus of our study, in which political shifts resulting from the Syrian crisis are the most important factor in determining regional balance and charting the strategic map of the region. The study of the post-crisis realities, results and prospects will further weaken the role of the Arab States, so that they will remain in direct reception of the projects of the three regional Powers mentioned, which will increase their influence in the region, with a qualitative change in the strategy of the United States and its responses to new transformations, in exchange for the consolidation and stabilization of the Russian Power's position in the region and its balances.

This study argues that the traditional concept of balance of power, based on a realistic approach to international relations, on which the United States Administration has relied to safeguard its interests in the region, has become an outdated concept, given the current realities and realities in the Middle East. Competition between regional actors, such as Turkey, Iran and Saudi Arabia, is not directly confrontational in nature, but rather through proxy participation in war - ridden countries (as Syria, Yemen and Bahrain). Competition winners and losers are determined more by allied, economic and hybrid war capabilities than by conventional military power indicators based on the balance of power theory. The form of threats and wars has changed. There are new war plans and techniques that also go beyond conventional military power. Unequal wars fail to measure and quantify the success or loss of conflicting forces. (For example, the Iranian - American cyber wars) turning brought about by regional and international powers, The United States is working to correct them in its new strategy, which seeks to stabilize them by establishing strategic alliances that will ensure their survival and safeguard their interests in the region.

Through this new approach to balance, there may be hope that the necessary balance will be restored to the region, after the so - called Arab revolutions have survived and after Syria and Iraq have emerged from wars, conflicts, and Egypt has emerged from its political chaos. as the proper use of the potential power of those States and what will be demonstrated in their foreign policy output and through the establishment of solid strategic alliances may provide a great deal of good in the regional structure, This could be a deterrent power to the behaviour of influential actors in the Arab regional system. All previous data confirm that there can be no rebalancing, except through the restoration of the Arab alliance - the one lost in the regional balance of power equation - and thus the activation of the Arab role in the region.

مقدمة

الفصل الأول:

مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى الإقليمية الفاعلة في توازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي

المبحث الأول: دور الاستراتيجية الإيرانية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الإيرانية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي الإيراني في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي الإيراني في سوريا والشرق الأوسط

المبحث الثاني: دور الاستراتيجية التركية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية التركية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي لتركيا في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي لتركيا في سوريا والشرق الأوسط

المبحث الثالث: دور الاستراتيجية السعودية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية السعودية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي السعودي في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي السعودي في سوريا والشرق الأوسط

المبحث الرابع: دور الاستراتيجية الإسرائيلية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الإسرائيلية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي لإسرائيل في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي لإسرائيل في سوريا والشرق الأوسط

المبحث الخامس: دور الاستراتيجية المصرية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية المصرية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي المصري في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي المصري في سوريا والشرق الأوسط

استنتاجات

الفصل الثاني

مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى الدولية في التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي

المبحث الأول: دور استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الأمريكية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي الأمريكي في سوريا والشرق الأوسط

المبحث الثاني: دور استراتيجية روسيا الاتحادية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الروسية

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي الروسي في سوريا والشرق الأوسط

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي لروسيا في سوريا والشرق الأوسط

استنتاجات

الفصل الثالث

تأثير الازمة السورية على واقع ومستقبل التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي

المبحث الأول: أثر الأزمة السورية على التحولات الجيوسياسية والمتغيرات الإقليمية الشرق أوسطية

المطلب الأول: التهديدات الأمنية على مستوى دول منطقة الشرق الأوسط

المطلب الثاني: فوضى التحالفات والصراعات بين القوى الإقليمية والدولية

المبحث الثاني: تداعيات الأزمة السورية على تحول بيئة وأنماط التحالفات والتفاعلات الجيوستراتيجية في

الشرق الأوسط

المطلب الأول: تراتبية التحالفات وخارطة التفاعلات والتوازنات الاستراتيجية لما بعد 2011

المطلب الثاني: تحولات خريطة التوازنات الاستراتيجية الإقليمية والدولية بعد 2011

المطلب الثالث: الاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة للمشكلة للتحولات الجيوستراتيجية الشرق أوسطية

الجديدة

المطلب الرابع: تطبيقات استراتيجيات القوى الدولية لتحقيق التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط

المبحث الثالث: الأزمة السورية ومستقبل الشرق الأوسط في الميزان الاستراتيجي الجديد

المطلب الأول: مستقبل التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي من حيث الفواعل المشكلة له

المطلب الثاني: الاحتمالات المستقبلية للتوازن الاستراتيجي من حيث التفاعلات الإقليمية فيه

خاتمة

"لماذا ينبغي أن يكون إقليم الشرق الأوسط المضطرب مختلفاً عن باقي العالم؟" بهذا التساؤل نبدأ دراستنا، وبهذا السؤال أنهى "ستيفن والت" الكاتب الأمريكي الشهير أحدث كتاباته والتي كانت بعنوان "جعل الشرق الأوسط أسوأ: نمط ترامب"¹، ويغض النظر عن مدى الاتفاق مع المضمون الوارد في هذا المقال، فقد كان "الت" على صواب بشأن تميز إقليم الشرق الأوسط عن بقية المناطق الإقليمية في العالم، فهو يتميز بأهميته الاستراتيجية للقوى الكبرى في مختلف الحقب التاريخية وبصراعهم على النفوذ فيه، الأمر الذي جعله مضطرباً في أغلب الفترات. والوضع الراهن يؤكد هذه الحقيقة أكثر من أي فترة ماضية، وما تشهده المنطقة من تفاعلات وتغيرات وصراعات منذ عام 2011 تؤكد أن الشرق الأوسط في مرحلة إعادة تشكيل لتوازنات القوى فيه. ولعله ليس من المبالغة القول، إن عملية إعادة تشكيل النظام الدولي كله تمتد وفقاً لما سيستقر عليه الوضع في الشرق الأوسط. وعلى قائمة هذه التفاعلات والصراعات "القضية السورية"، فقد أصبحت سوريا نقطة اشتباك إقليمي ودولي، وتُشكل نموذجاً للتداخل بين المستويين الإقليمي والدولي.

إذن تعتبر الأزمة السورية التي اندلعت أحداثها عام 2011، نقطة تحوّل استراتيجية فاصلة في تاريخ الشرق الأوسط في العصر الحديث، بما حملته من تغيرات وتحولات كبرى مازالت تتداعى أحداثها ووقائعها على الصعيدين الدولي والإقليمي حتى الآن. ولما كانت ولا تزال مسألة التوازن من الأمور المهمة والحيوية في دراسة العلاقات الدولية. علاقات شهدت ولمددٍ مختلفة هيمنة قوة معينة على شكل التفاعلات الدولية، إلا أن تلك الحالة (الهيمنة) لم تدم طويلاً، وإن استمرت لمدة ليست بالقليلة، إذ كانت الدول تلجأ دوماً لمسألة التوازن سبيلاً لإيجاد التكافؤ في طبيعة العلاقات فيما بينها، وهذا ما يفسر لنا عملياً حالة الصراع والتوازن على مر الزمان.

وفي خضم تطور طبيعة العلاقات الدولية وقوة الدولة، فقد شهد مفهوم "التوازن" أيضاً تطوراً مطرداً مع ذلك، حيث كان العنصر العسكري هو المحدد الوحيد للتوازن بين الدول، الأمر الذي تغير مع تطور طبيعة قوة الدولة، لتضاف إلى ذلك مقومات أخرى تحدّد مفهوم القوة الشاملة للدولة، وهو الأمر الذي أدخل مفهوم التوازن في مرحلة جديدة. ومع بداية تراجع القوة الأمريكية كقوة دولية مهيمنة على النظام العالمي، ببزوغ قوى دولية منافسة لها تسعى لتعديل النظام بفرض صورة عالم متعدد الأقطاب، فقد تخلّلت ذلك المشهد أحداث ساعدت على قلب الموازين، وكشفت ضعف استجابة القوة العالمية التقليدية الأمريكية

¹ Stephen M. Walt, *Making the Middle East Worse , Trump-Style*, foreign policy, june 9,2017.

أكثر من ذي قبل، ومن بين أبرز تلك الأحداث الأزمة السورية، التي أضحت ساحة عرضٍ للتنافس من أجل الهيمنة والنفوذ بين الولايات المتحدة التي كانت الأبرز عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، وبين روسيا الاتحادية التي تدخلت بقوتها العسكرية في المنطقة، وباستراتيجية التعاون مع حلفاء لها، محليين وإقليميين ودوليين، فقد أثر ذلك فعلاً ليس في شؤون تفاعلات المنطقة فحسب بل على عموم التفاعلات الدولية.

فالتدخل الروسي في سورية عام 2015 سبب إرباكاً سياسياً وأمناً وعسكرياً على مستوى الإقليم ككل، كما أثر بدوره أيضاً على شبكة العلاقات الإقليمية القائمة. ونتيجة لما سبق أصبح مصير الأزمة السورية والتفاعلات الإقليمية الشرق أوسطية انعكاساً لطبيعة علاقات واستراتيجيات القوى الدولية، التي تمثل الفواعل (الرئيسية)، إضافة إلى الفواعل الإقليمية (المؤثرة) في المنطقة وهي القوى الخمس (إيران، تركيا، السعودية، مصر، وإسرائيل)، والتي تشارك في رسم خريطة التوازنات الاستراتيجية لإقليم الشرق الأوسط. إذن فإن الأزمة السورية خلقت بيئة إقليمية جديدة عكست طبيعة التفاعلات بين القوى الدولية والإقليمية وأعطت الأداة العسكرية أولوية كبيرة في تحقيقها، فضلاً عن الأداة الدبلوماسية المساهمة في ربط علاقات التعاون والتحالف المؤثرة هي الأخرى على التوازن بالمنطقة.

وتكمن أهمية دراستنا في اعتبارات عدة لعل أبرزها ما يلي:

- يكتسب موضوع الدراسة أهميته من جوانب كثيرة حيث تناول المنطقة بقواها الفاعلة والمؤثرة وفق ما تمتلكه من قدرات وإمكانيات وخيارات استراتيجية في دراسة واحدة تعالج جدلية التفاعلات المعقدة فيما بينها، وذلك بتتبع مسارات تأثير الأزمة السورية في جزء معين فيها على عموم المنطقة أو أجزاء واسعة منها.
- تتناول الدراسة فهم وتحليل التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ظل أزمة سورية تشهد فيها تدخلات قوى دولية، أحدثت خلا خطيراً في توازنات القوى الإقليمية القائمة في المنطقة، وفي توازنات المنطقة، حيث تغيب فاعلية القوى العربية التي همّشت بفعل ما تعانيه معظمها من ثورات وحروب وصراعات تبقىها في تبعية حتمية للصورة المقترحة للتوازن من قبل القوى الدولية والإقليمية الأخرى غير العربية منها (تركيا وإيران).
- محاولة الكشف عن أهم المعضلات التي تواجه دول المنطقة من خلال إعادة تشخيص وإبراز بعض القضايا الخلافية العالقة التي تمثل محور مجمل الصراعات الدائرة فيها، سيما تلك المؤثرة على طبيعة وواقع الصيغ التوازنية القائمة منها والمحتملة.

- كما تبرز أهمية دراستنا أيضاً، كونها موضوعاً قليل الطرح على صعيد الدراسات الإقليمية والاستراتيجية، من خلال قلة من بحث في موضوع التوازنات الاستراتيجية في الشرق الأوسط وأبعاده المستقبلية، في ضوء أزمة سورية لم تنته بعد. إذ إن غالبية الدراسات السابقة قد أخذت بموضوع التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط من جانب قوة إقليمية واحدة، في حين أن هذه الدراسة قد بحثت في أهم الدول الممثلة للإقليم وإظهار أهم توجهاتها وميزان القوة والخلل الاستراتيجي الحاصل فيها بعد ظهور الأزمة السورية، أي بعد عام 2011 وصولاً إلى مستقبل هذه الدول في التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي، والدور الذي يمكن أن تمارسه فيها.

إشكالية الدراسة:

يتطلب تحقيق مكانة دولية مرموقة أن تكون الدولة فاعلة في الإطار الجغرافي-الإقليمي المحيط بها، الذي يمثل المجال الحيوي لحركتها أو ما يمثل فعالية أدائها الاستراتيجي فيه، ولن يتأتى لها ذلك إلا من خلال امتلاكها على قدرة تتيح لها ذلك، فضلاً عن مدركات القيادة السياسية بشأن الدور الذي تضطلع به الدولة/الدول.

واستناداً إلى هذه المتغيرات تملك الدولة/الدول القدرة على التأثير في التفاعلات الإقليمية المحيطة بها، بمعنى التأثير في سير الأوضاع الإقليمية، أو المساهمة في ترتيب تلك الأوضاع بصورة تدعم قدرتها على تحقيق مصالحها وضمان أمنها.

قد يكون تجاوزاً منا القفز على بعض الاعتبارات والمفاهيم المذكورة مسبقاً، بيد أن الرغبة (الدافع وراء هذه الدراسة) هي في تقصي ومعالجة حل لموضوع بحث محوره الأساسي تأثير الأزمة السورية على التوازنات الاستراتيجية الشرق أوسطية، فالحالة المدروسة هنا هي دولة أصبحت تفنقر لمقومات الدولة القادرة على التحكم في توازن القوى في المنطقة، لكن سورية وبموقعها الجيوستراتيجي وبدعم حلفائها الاستراتيجيين - والذين بدورهم يتنافسون عليها ولمصالحهم فيها- فقد جعلت الوضع مغايراً وأكثر تعقيداً، بالشكل الذي تكون في ذاتها مؤثرة بقدر كبير على الخيارات الاستراتيجية للدول الإقليمية والدولية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط. وبتطورات الأحداث فيها فقد غيرت من توجهات وأولويات تلك الدول. وفق الاعتبارات الجيوسياسية، من خلال طبيعة تفاعل النسق الدولي في الأزمات الدولية التي ترتبط باعتبارات متداخلة. فقد مثلت سوريا ومازالت، محل تنافس فعّال بين القوى المختلفة، لما تمتلكه من أهمية جيوبوليتيكية مؤثرة

على طبيعة التداخلات في الشرق الأوسط. وهنا نتساءل كيف تنعكس تطورات الأزمة السورية على توازنات وتحالفات القوى الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط؟

للإجابة على هذا التساؤل يقتضي الأمر الإجابة على مجموعة من التساؤلات المهمة:

1. ماهي مقومات الأداء الاستراتيجي للقوى الإقليمية والدولية الفاعلة في التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي؟

2. كيف تؤثر الأزمة السورية على أولويات وتوجهات القوى الإقليمية والدولية الفاعلة في الإقليم؟

3. كيف أصبح شكل وطبيعة التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي في ظل تطورات الأزمة السورية؟

4. ما هي الاحتمالات المستقبلية للتوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي؟ وهل يمكن أن تشارك سورية والدول العربية بفاعلية في التفاعلات الدولية أو حتى أن تعيد صياغة مستقبلها في مواجهة ما يصاغ لها من القوى الأخرى؟

منهج الدراسة وفرضياتها:

لدراسة الإشكالية السابقة تم اعتماد **المنهج النظمي**²، وفرضيتنا في ذلك أن الإمكانيات الجغرافية والسكانية والاقتصادية والعسكرية، للقوى الإقليمية والدولية في نظام إقليم شرق_أوسط "متعدد الاقطاب"، تؤسس لمستوى معين من العلاقات الفاعلة. ولا يمكن لأية قوة أن تحصل على فاعلية سياسية أعلى من المستوى المحدد إلا عبر تعديل الواقع المادي للعلاقات بين القوى - وهذا يقتضي إيجاد أنواع من التوافقات بين العناصر الداخلة في هذه العلاقات من مصالح وسياسات قائمة أو عبر إقامة واقع مادي جديد-. ولا يختلف الحال كثيراً في علاقات التوازن الإقليمي الاستراتيجي لإقليم الشرق الأوسط، فالقوة هي محور مهم في العلاقات الدولية جراء غياب مجتمع دولي حقيقي. فالقوى الإقليمية والدولية فيه تتصرف بناء على ما يتوفر لها من إمكانيات مادية-عسكرية، وليس وفق مبادئ قانونية أو قيم أخلاقية. فإزاء إمكانيات القوة التي تمتلكها تعدد القوى إلى تصريف علاقاتها البينية، في الغالب، وفقاً لمفهوم توازن القوى.

ومن خلال **المنهج الواقعي**: يمكننا تفسير أن عدم الاستقرار الذي يعانيه النظام الإقليمي الشرق الأوسطي عامة، وسوريا خاصة، هو نتيجة لعدم توافق قواه المختلفة في الإمكانيات والأدوار والأهداف التي تحفظ هذه القوى لإعادة صياغة التوازنات فيه، بحيث تصل إلى مستوى تعادل القوى النسبي، وذلك عبر الاعتماد على تنمية قدراتها الذاتية، وتصحيح علاقاتها البينية من كونها علاقات توازن للقوى عربي-

² غازي فيصل حسين، منهجيات وطرق البحث في العلوم السياسية، دار الراية للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2014، ص18.

عربي إلى علاقات للتعاون عربي-عربي غير تنافسي، يعتمد بالمصلحة إلى تحقيق توازن عربي-إقليمي. كما أنه وحسب منظورنا فإن القدرة العسكرية وتكنولوجيا الصواريخ النووية تعدّ المرجع الأول في حسم الصراعات، والمحدّد الرئيسي في شكل التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي.

منهج التحليل الجيوبوليتيكي: حيث يمكن الاستفادة من التحليل الجيوبوليتيكي لأغراض عسكرية وسياسية، فهو يساعد القادة السياسيين والعسكريين على اتخاذ قراراتهم بشأن إقحام القوة أو التراجع عنه بالانسحاب، كما يسهل هذا التحليل على تقدير المناطق التي يحتمل جدا أن يحدث فيها تصادم المصالح الدولية، وفي ضوء التحليل الجيوبوليتيكي أيضا يمكن إعداد السياسات والخطط والمناهج الذي ينطوي عليها السوق الأكبر أو الاستراتيجية العليا. وكما هو معروف، تختص النظرية الجيوبوليتيكية بدراسة الدولة من وجهة النظر السياسية في إطار واقعها الجغرافي، وترى أن تطور الدولة ونموها وارتقائها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الجغرافية، مضافا إليها فتراتها المادية والمعنوية، والمهم هنا أن الدراسات الجيوبوليتيكية - حسب أوتومول- تهتم بالدولة لا على أساس مفهوم جامد، بل باعتبارها كائنا حيا ينمو ويتحرك، ولا ينبغي أن تكون هذه الحركة عشوائية، أو تفتقر إلى وضوح الرؤية والهدف، إنما ترتبط هذه الحركة بأهداف ومقاصد سياسية معلومة ومحددة، وتأتي في مقدمة هذه الأهداف ما يعرف بالمجال الحيوي، والمجال الحيوي وفق التصور الجيوبوليتيكي، هو الإطار المكاني أو الحيز الجغرافي الذي تعتقد الدولة أن التحرك باتجاهه يعد ضروريا لتحقيق أهداف سياستها العليا.

ومن خلال هذا المنهج التحليلي تُبنى فرضيتنا على أساس أن كل من القوى التالية: روسيا الاتحادية، تركيا وإيران، تتحرك في ديناميكية مستمرة حتى تحقق لنفسها متطلبات وجودها في منطقة الشرق الأوسط، فهي تعمل بمنطق جيوبوليتيكي في سياستها الخارجية، والتي ترى كل منها انها تستثمر قوتها في إطار مجالها الحيوي الطبيعي . أو ما يطلق عليه أيضا بالعمق الاستراتيجي، وذلك في تطبيق استراتيجياتها وأهدافها المستقبلية بالمنطقة. وهذا ما نوه إليه الكثير من الباحثين في دراساتهم الأخيرة بعودة الجغرافيا أو انتقام الجغرافيا. وتعتمد فرضيتنا على طروحات كل من نظرية العمق الاستراتيجي لـ"أحمد داوود أوغلو"، والتي تعتبر أن قيمة الدولة في العلاقات الدولية تتحدد بشكل رئيسي من موقعها الجيوستراتيجي. كما وتفسّر كيفية توظيف الدولة للموروث الجغرافي في سياستها الخارجية. ونظرية "ألكسندر دوغين" الجيوبوليتيكا المعاصرة، والتي تساعدنا في تفسير الأسس النظرية لمستقبل الاستراتيجية الروسية بالمنطقة.

كما واعتمدنا على منهج تحليل المضمون، في تفسير وقراءة ما جاء في أحدث التقارير التي قدمتها جهات رسمية سواء كانت دولية او جهوية، تابعة لوزارات الخارجية ووزارات الدفاع الوطنية، وغيرها من المنظمات والمراكز الأكاديمية..

واستعنا في جزء من الدراسة على المنهج الاستشرافي(الاحتمالي): أو ما يعرف أيضا بمنهج الدراسات المستقبلية، المشروط الذي لا غنى عنه في الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية. بحيث ساعدنا في وضع احتمالات وسيناريوهات مستقبلية، لشكل التوازن الاستراتيجي المقبل. وفرضيتنا في ذلك، ان الازمة السورية منذ بدايتها عام 2011 إلى يومنا هذا وما نتج عنها من اختلال كبير في التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط، أصبح مطلوباً إعادة تشكيل التوازنات الإقليمية في المنطقة بصيغ وأشكال جديدة للوصول إلى قاعدة صلبة تجسد المصالح الإقليمية والدولية المشتركة، وتحقق امن واستقرار نسبي حقيقي في المنطقة. هي فرضيات تطلبت منا الاعتماد على نظريات محكمة لتأطيرها وفق أسس علمية مضبوطة، ولبرهنة مدى صحتها.

التأصيل النظري للموضوع: تطلبت منا الدراسة المبحوثة فرش نظري مبدئي لتسهيل تفسير الظاهرة المدروسة، ويمكن تقديمها على النحو التالي:

اعتمدت الدراسة على البراديغم الواقعي في شرح سلوكيات القوى الإقليمية والدولية في ظل الحركية والتغيرات التي تمس منطقة الشرق الاوسط إثر تداعيات الأزمة السورية. فحسب تفسيرات النظرية الواقعية في العلاقات الدولية، بشقيها الهجومية والدفاعية، فإن المفكر "جون ميرشايمر" John J. Mearsheimer وفي كتابه الشهير "مأساة سياسة القوى العظمى" The Tragedy of Great Power Politics, 2001، يرى "ان كل القوى العظمى ترغب في الهيمنة على العالم، لكن لا أحد منها يمكن أن يمتلك القدرة العسكرية ليصبح دولة مهيمنة عالمية، ولذلك يقتصر الهدف النهائي للقوى العظمى في إنجاز الهيمنة الإقليمية ومنع ظهور منافسين أنداد في المناطق البعيدة من الكرة الأرضية. والدول التي تحقق الهيمنة الإقليمية تعمل عادة -حسب نظرية التوازن خارج المجال- كفارض للتوازن من وراء البحار **Offshore Balancers**، في المناطق الأخرى. ورغم ذلك تفضل تلك الدول المهيمنة البعيدة عادة أن تترك القوى العظمى الإقليمية تكبح الدولة المهيمنة الطموحة، فيما تراقب هي من بعيد.

وفي هذه النظرية جواب لسؤال هام يدور حوله الموضوع، والذي يبحث عن الاستراتيجيات التي تتبعها الدول لزيادة القوة أو الحفاظ عليها حين تهدد قوة عظمى أخرى بتغيير توازن القوة. والحل يكمن في ان

الحرب والتهديد بالحرب هما الاستراتيجيتان الرئيسيتان اللتان توظفهما الدول لزيادة قوتها، وفرض التوازن وتميرير المسؤولية إلى الآخرين هما الاستراتيجيتان الرئيسيتان اللتان تستخدمهما القوى العظمى للحفاظ على توزيع القوة حين تواجه منافسا خطراً، في حالة فرض التوازن تتحمل الدولة المهذدة عبء ردع خصمها وتخصيص موارد كبيرة لإنجاز ذلك الهدف، وفي حالة تميرير المسؤولية إلى الآخرين تحاول القوة العظمى المهذدة أن تحمّل دولة أو دول أخرى عبء ردع الدولة/الدول المهذدة أو هزيمتها.

وهذا ما عملت به الولايات المتحدة الامريكية، حيث تنظر لـ"توازن القوى" كضمانة رئيسية للأمن في إقليم الشرق الاوسط، لذا ميّزت سياسة فارض التوازن من وراء البحار، المقاربة الامريكية منذ الانسحاب البريطاني، وذلك بهدف حماية مصالحها من النفط، أمن (إسرائيل) والدفاع عن دول الخليج. عبر استراتيجية الموازنة، الاحتواء، أو الردع. لكن استراتيجية تميرير المسؤولية إلى الآخرين -**Buck-Passing** من هذا النوع، لا تكون عملية أحياناً، ولذلك تضطر الدولة المهيمنة البعيدة لأن تتدخل وتفرض التوازن على القوة الصاعدة.

وحسب النماذج التي وضعها كل من "والترز وميرشايمر"، فإن النظام الدولي -ومنه النظام الإقليمي- ، بنظرهما ناشئ عن عوامل مادية تفرض ضغوطاً بنيوية على الدول كي تسعى لتحقيق استراتيجيات التوازن، ولذلك يهدفان تحديداً لصياغة فهم لتوازن القوى من دون الالتفاف إلى المجتمع الدولي، وفي أثناء ذلك، يؤكد والترز على تأثير القطبية، كما يُبرز "ميرشايمر" أهمية العوامل الجغرافية، ويعتبر كلاهما القطبية والجغرافيا قوتين ماديتين مؤثرتين على طريقة تصرف رجال السياسة.

ورغم قيود مقاربة "ميرشايمر"، فإنها تتيح له أيضا أن يدرس توازن القوى من زاوية السياسة الخارجية وان يشرح مثلا لماذا يسهل على بعض الدول (وخصوصا الدول الجزر) أن تترك مهمة التوازن مع قوى طامحة للهيمنة في طرف آخر. وهنا يفسح مجالا لإدخال البعد الإقليمي إلى تحليله لتوازن القوى. حيث يعطي أهمية للأقاليم ويعتبر التوازنات الإقليمية هي المحدد الأساسي للتوازن القوى العالمي وهو عكس "بول" في ذلك. والذي يفسر أن التوازنات الإقليمية هي بلا شك خاضعة لتوازن القوى العالمي.

وتشرح نظرية "والترز" Waltz في توازن القوى أسباب كون نظام الثنائية القطبية أكثر استقراراً من التعددية القطبية. كما ويرى أنه وفي ظل الظروف البنوية والمادية، لا تلجأ الدول إلى التوازن الداخلي فحسب، بل إنها أيضا تسعى للتوازن الخارجي فتشكّل الأحلاف فيما بينها. لكنه يرى انه حتى مع قلة عدد الدول التي

تشكّل تحالفات، يسهل كثيرا البناء على حسابات خاطئة، ونتيجة لذلك هناك خطر دائم بعدم حدوث التوازن. غير أن "والترز" يؤكد أنه رغم كون البنية أقل استقرارا مما هي عليه في ظل الثنائية القطبية، فهي مرنة لدرجة إعادة إنتاج الفوضى.

وعليه حسب "والترز" في كتابه نظرية عامة للسياسة الدولية، تنطبق أيضاً على الدول الصغرى التي تتفاعل وتؤثر طالما تفاعلاتها تجري بمعزل عن تدخل القوى العظمى في النظام، لذا ينظر إلى وضع النظام الحالي (ومثالنا في الشرق الاوسط) كنظام متعدد القوى.

ووفقا لذلك تنتبأ نظرية توازن القوى بأنه عندما تزيد قوة كبرى مقدرات قوتها فإن القوى الكبرى الاخرى تتصرف حيال هذا الامر، فتقوم أولا بالموازنة الداخلية عبر جهود داخلية لتعزيز قوتها، لكن في المقام الثاني تلجأ إلى التحالفات لتحسين موقع قوتها. غير أنّ توازن القوى ليس مرتبط فقط بفكرة التحالفات المضادة للسيطرة فحسب، فهي مرتبطة أيضا بفكرة أن الدول معتادة على محاولة الحفاظ على أمنها وتعزيز مصالحها من خلال تضافر الجهود فيما بينها، فإذا تحالفت مجموعة من الدول لتعزيز مصالحها المشتركة، فإن فرضية توازن القوى تقتضي ضمنا أن دولا أخرى تراقب هذا التطور، وتخشى أن تكون ضحية هذا التحالف، سوف تتحد وتشكّل تحالفاً مضاداً، وفي هذه الحالة وبدلاً من تأسيس تحالف في وجه الطامح للسيطرة، سيكون هناك تحالفان متنافسان يقيمان توازنا للقوى. (ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية، 2009).

كما تعتمد الدراسة على أسس مفهوم الحرب اللاتناظرية "Asymmetric Warfare"، أو كيفية استغلال نقاط القوة الذاتية، ضد خصم لديه تفوق عددي أو تقني أو عسكري، والقدرة على الانتشار أسرع وأشمل، ورسم حدود دعاية أوسع انتشاراً، وتدشين خطوط دفاع خلفية قادرة على الحسم دون اللجوء للمواجهة المباشرة مع العدو. فالحرب غير متكافئة، تضم استراتيجيات وتكتيكات غير تقليدية، تتبناها إحدى القوى عندما تكون قدراتها العسكرية غير متكافئة مع أعدائها، والحرب اللاتناظرية لها أشكال كثيرة، منها حروب العصابات التي تتدلع بين الثوار المدججين بالسلاح والجيوش التقليدية، فيلجأ الأضعف إلى تكتيكات من نوع مختلف مثل الخطف والتفجيرات الانتحارية والحروب السيبرانية. إلا ان الرائج من استخدام هذه النظريات في الوقت الحالي، يسمى بالتهديدات اللاتماثلية، وهو مصطلح يشير إلى توازن غير متكافئ بين القوى التي تعادي بعضها، ويمكن القول ان إيران السيد المتوج في استخدام هذه التكتيكات بالشرق

الأوسط، خصوصاً مع الولايات المتحدة. والدول الخليج اليوم تسعى لاكتساب الخبرة من روسيا في مجال الحروب غير المتناظرة. فالسعودية تبحث عن هذا السلاح الاستراتيجي لمدّ أجهزة الدول الخليجية به.

ومكّننا الاعتماد أيضاً على الخلاصة النظرية التي قدّمها المفكر السياسي "ألكسندر فاندت" في النظرية البنوية في العلاقات الدولية، من تفسّير ظاهرة الفوضى التي تشهدها المنطقة. على الرغم من عدم اتسام اقليم الشرق الأوسط بالفوضى المطلقة، إلا أن سمته التوتر وانعدام الاستقرار، وهو ما ولد سباق تسلّح إقليمي أدى إلى ظهور مخاطر وتهديدات عديدة ومتنوعة زادت من حدة التوترات الإقليمية الموجودة سلفاً. فهذا النظام يعيش مرحلة التفكك والتفتت وغياب الثقة واللاتناسق في سياسات أطرافه. نظام تظهر عليه وفيه الصراعات المختلفة، وتكون الاستجابات-وأحيانا الدعوات- للتدخل الأجنبي فيه عالية. نظام يتآكل تدريجياً من الداخل، وتستهلك موارده دون عائد حقيقي يذكر، ويضيع فيه كلاً من الأمن القومي والقطري.

وحسب نظرية السياسة الخارجية، والتي تقوم بتحليل السياسة الخارجية وفق أسس علمية محددة، تجعل الدبلوماسية الشق التنفيذي للتخطيط النظري للدور لذلك ستعتمد الدراسة إلى ما جاء في "نظرية السلعتين" Tow-Good Theory للباحثين "جلين بالمر" و"كليفتون مورجان"، ويقارب كتاب "نظرية السياسة الخارجية" بأن الدول لها "هدفين" تسعى لتحقيقهما "سلعتين" من خلال سياساتها الخارجية أسماهما "التغيير" الذي يتضمن الجهد الهادف لتغيير الوضع القائم، و"الحفاظ" الذي يتضمن الجهود الهادفة لمنع التغيير في الوضع القائم. هذا التجريد يتيح الأخذ في الاعتبار بـ"التوازنات"، وهو نموذج مبسط يمكن التعامل معه. كما تدرس كفاءات توظيف الأزمات الدولية لخدمة أجنداث أكبر في العلاقات الدولية. ومن ثم قراءة القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية على إعطاء فهم أكثر تماسكا من ناحية نظرية للسلوك الخارجي للقوى الإقليمية والدولية في المنطقة. (Glenn Palmer & T. Clifton Morgan, A Theory of Foreign Policy, 2006.)

كما تبحث الدراسة في الدبلوماسية التي تعتبر الخطوة التنفيذية لتخطيط السياسة الخارجية، كما تكشف في دراستنا المرحلة الحاسمة في التحول بين العقلانية السياسية وخيار الحرب، وستفيد العملية البحثية في الاقتراب من الحل الأمثل لحل النزاع السوري، بعد الالتزام بمبادئ التفاوض الدولي الكفيل بالحروب.

تعتمد الدراسة على نظريات الجغرافيا السياسية، والتي تدرس كيان الدولة كما هو في الواقع وتركز على مقومات قوة الدولة من حيث بنيتها الطبيعية والبشرية، ومن بينها نظرية "رودلف كيلين" Rudolf Kjellen،

والذي يفسر دراسة الدولة من مختلف الجوانب والتعرف على مصادر القوة والضعف وعلاقة التأثير والتأثر، يتحدد من منظور الجغرافيا السياسية ويحصر قوة الدولة في العناصر الخمس التالية: الجيوبوليتيكا Geopolitics أي جيوساسية الدولة، الديموبوليتيكا Demopolitika أي السكان والدولة، الإيكوبوليتيكا Ecopolitika أي الموارد الاقتصادية والدولة، السوسيوبوليتيكا Sociopolitika أي التركيب الاجتماعي والدولة، الكراتوبوليتيكا Kratopolitika أي حكومة الدولة. (محمود امين عبد الله، دراسات في الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر، 1968)، وهذا ما اخذنا به من محاور في دراسة مقومات قوة القوى الإقليمية والدولية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط. كما اخذنا بنظرية الجغرافيا السياسية كنظرية مركزية في بناء فرضيتنا المتعلقة، بتفسير ما يحدث من تحولات الخريطة الجيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط، والتي بدأت منذ احتلال العراق وتغيرت أكثر مع الأزمة السورية منذ عام 2011.

وتأخذ الدراسة بالرؤية الاستراتيجية الدولية لمنطقة الشرق الأوسط، والقائمة على مثلث الهيمنة الاستراتيجي (الموقع الاستراتيجي، الثروة النفطية، القوة التحالفية)، والذي يمثل مقياساً لموازن القوى الاستراتيجية. وفرضيتنا في ذلك كالتالي، تتحدد سلوك القوى الفاعلة في الإقليم من خلال الرؤية الاستراتيجية الدولية التي تتبناها، والتي تظهر في خيارات وتوجهات سلوكها الخارجي، وتتأثر بالقوة والقرب الجغرافي وإجمالي القدرات والإمكانيات، والنوايا التي يملكها الفاعلون الدوليون. ولعدم تساوي كفتي ميزان القوى الدولية، اختل ميزان القوى فيه وشاع التهديد الإقليمي التحالفي، لتكون النوايا الدولية العدوانية أكثر ظهوراً من النوايا الدولية السلمية في التعاطي مع قضايا الإقليم.

حدود الدراسة:

كما يبدو من خلال عنوان الأطروحة: "تأثير الأزمة السورية على التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي" فإن حدود الدراسة تقع بين اطارين عامين يمثلان سلماً زمكانياً ضابطاً للمساحة البحثية هما:

1- الإطار المكاني للبحث: والدراسة هنا تم حصرها ضمن بعدين مكانيين هما كل من البعد الافتراضي لعلاقة التأثير على التوازن الاستراتيجي بين "سورية- ومنطقة الشرق الأوسط"، وهنا نكون معنيين بدراسة التأثير السوري على عناصر التوازن المادية واللامادية أي تأثيرها على جيوسياسية المنطقة وتفاعلات قواها، وعن التوجهات الخارجية لتلك القوى الفاعلة فيها.

2- الإطار الزمني للبحث: وقد تم حصر المرحلة الزمنية للبحث بصورة ضمنية بين مرحلة بداية الأزمة عام 2011 إلى غاية عام 2020 وما سيؤول إليه وضع التوازن الاستراتيجي مستقبلاً،

على اعتبار أن الأزمة السورية لم تنته بعد. وأيضاً على أساس اعتماد المنهج الاستشراقي للاستطلاع عن مستقبل المنطقة.

أسباب اختيار الموضوع:

إلى حد ما، شكّلت تلك الاهتمامات البالغة من قبل عديد منظمات ومراكز البحث العالمية منها والإقليمية وكذا المراكز المتخصصة (مثل: المنظمة البحثية غير الربحية RAND Cooperation، ومعهد Washington Institute، والمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية The International Institute for Strategic Studies (IISS)، ومعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI)، ومركز كارنيغي للشرق الأوسط Carnegie Middle East Center، والمتخصص بدراسات وقضايا تخص استراتيجيات القوى الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط والعديد من المراكز العربية والأوروبية والإيرانية والتركية التي اهتمت بذلك أيضاً)، دافعاً قوياً لبحث ودراسة الموضوع. كما قد خلقت لدينا مستوى من الوعي بأهميته الأكاديمية، ومع ذلك هناك جملة من الأسباب الأخرى ذاتية وموضوعية تمثلت في:

الأسباب الذاتية:

1_ توافر نزوع بحثي شخصي نحو دراسة المواضيع ذات الطابع الاستراتيجي ودراسة التحولات الجيوسياسية المستجدة بإقليم الشرق الأوسط، وذلك توافقاً مع التخصص العلمي للباحث.

2_ نظرة الباحث المختلفة للأزمة السورية **كمُتغير مستقل**، حيث كان لها الأثر الكبير في تغيير استراتيجيات وتوجهات السياسات الخارجية للدول كما لها الأثر في قلب الموازين الإقليمية والدولية أيضاً، وذلك على عكس ما تصوّره بعض الدراسات على أنه متغير تابع، وعلى أساس ذلك -كما نعتقد- تتغير بوصلة فهم موضوع الدراسة.

3_ عام 2015 كان التسجيل الأول في الدكتوراه وكان عام التدخل الروسي في سوريا، والذي به تبلورت لنا فكرة التوازن الاستراتيجي بمنطقة الشرق الأوسط وربطها بالأزمة السورية، كان موضوعاً جديداً ولّد لي الرغبة في دراسة حيثياته.

الأسباب الموضوعية:

1_ كون الباحث جزء من الوطن العربي، وانتماؤه الجغرافي يحتمّ عليه كمتخصص في الدراسات الإقليمية تبني تحليل ما يجري في المحيط القريب دون إغفال البعد الدولي للموضوع، خاصة مسألة تأثير التنافس والصراع الدولي في المنطقة باعتبارها ملتقى لتلاقي مصالحهم.

2_ طول عمر الأزمة واستمرارية الوضع القائم (خلل التوازن الاستراتيجي) مع ما تشهده المنطقة من تغيرات دراماتيكية (مأساوية) متواصلة، جعل من ذلك سببا موضوعيا لدراسة الموضوع ومعرفة مستجداته.

مبررات خطة الدراسة:

لمعالجة الإشكالية المطروحة آنفاً تبيننا خطة عمل من ثلاثة فصول رئيسية، بحيث كتب الفصل الأول تحت عنوان: "مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى الإقليمية الفاعلة في التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي"، تفاصيله تُثري القارئ بمعلومات حول الدول الخمس التي تحتفظ بلقب "قوة إقليمية"، والتي تعد قوى فاعلة ومساهمة في رسم خريطة التوازنات الاستراتيجية في المنطقة، وتتمثل في: إيران، تركيا، السعودية، (إسرائيل)، ومصر. إذن قُسم الفصل إلى خمس مباحث، وكل مبحث إلى ثلاثة مطالب تطرقنا في المطلب الأول من كل مبحث إلى: التفصيل في مقومات القوة والتي شملت (المقوم الجيوبوليتيكي، السكاني، الاقتصادي، والعسكري) والتي من خلالها تتوضح لنا نقاط قوة وضعف تلك القوى، أما المطلب الثاني من كل مبحث فقد خصص لـ: الأداء الاستراتيجي (لكل قوة) في سوريا والشرق الأوسط بعد 2011، أي بعد تأثيرات الأزمة السورية على الاستراتيجيات المشكّلة لكل قوة على حده، قسمنا المطلب إلى ثلاثة نقاط أساسية وفي تفاصيلها تم التطرق إلى (أولاً: محددات الاستراتيجية-للقوة- بين الاتجاهات والأولويات في الازمة السورية، حللنا فيها: 1_ (كل قوة) في بحثها عن دور القيادة الإقليمية، 2_ التكيف الاستراتيجي لكل قوة مع التحولات الإقليمية الجديدة لما بعد 2011، ثانياً: آليات توظيف (كل قوة) لتفعيل استراتيجيتها في سورية والشرق الأوسط: 1_ المسار الدبلوماسي، 2_ المسار العسكري)، اما المطلب الثالث: فقد خصصناه لـ: تقييم الأداء الاستراتيجي (لكل قوة) في سوريا والشرق الأوسط.

وناقش الفصل الثاني والموسوم بـ: "مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى الدولية في التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي"، والذي ارتأينا ان نضمّنه بمبحثين مهمين على أنه من الضروري التطرق للقوى الدولية الأكثر نشاطا في الشرق الأوسط، لمعرفة مدى تأثير الأزمة السورية على توجهاتها ورسم استراتيجياتها التي تعد الأساس في فهم التوازن الاستراتيجي الحاصل بالمنطقة، ولذلك فقد كان عنوان المبحث الأول حول: دور استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011، والمبحث الثاني حول: دور استراتيجية روسيا الاتحادية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011، وفي كليهما تم تقسيم المبحثين إلى ثلاث مطالب، مثلها مثل الفصل الأول في التقسيم، إلا ان هناك اختلاف بسيط في النقاط التفصيلية عن المباحث المدروسة سابقا، وذلك لتغير مستوى القوى المدروسة في هذا الفصل.

مع ذلك لم يكن الموضوع قد بلغ مرحلة الإسقاط النظري والتحليل على أساس الإخراج الانتقائي للمشاهد الأكثر وضوحاً والأشد ضبابية والأكبر وزناً بالنسبة لطبيعة إشكالية البحث، ولم نعي بعد مسألة تأثير الأزمة على التوازن الاستراتيجي، ما تطلب فصلاً جديداً ثالثاً يتألف من ثلاثة مباحث رئيسية، والذي يرد تحت عنوان: تأثير الأزمة السورية على واقع ومستقبل التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي، وقد تضمن ثلاث مباحث مهمة، تناولنا في المبحث الأول والذي عنوانه بـ: أثر الأزمة السورية على التحولات والمتغيرات الإقليمية الشرق أوسطية، حيث كان من الضروري معرفة تداعيات الأزمة على الواقع الراهن للتوازن الاستراتيجي، وعلى هذا الأساس قسمناه لمطّبين درسنا في الأول: التهديدات الأمنية على مستوى دول منطقة الشرق الأوسط، وجاء الثاني لدراسة فوضى التحالفات والصراعات بين القوى الإقليمية والدولية، لنلحق ذلك التحليل بمبحث ثانٍ حول: تداعيات الأزمة السورية على تحول بيئة وأنماط التحالفات والتفاعلات الجيوستراتيجية في المنطقة، وتضمن ثلاثة مطالب، قدمنا في أولها: تراتبية التحالفات وخارطة التفاعلات والتوازنات الاستراتيجية لما بعد 2011، والمطلب الثاني: لتحولات التوازنات الاستراتيجية الإقليمية والدولية، أما الثالث فقد خُصص لدراسة: الاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة المشكّلة للتحولات الجيوستراتيجية الشرق أوسطية الجديدة، ورابعها فقد كان حول: تطبيقات استراتيجيات القوى الدولية لتحقيق التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط. وانطلاقاً من بعض التحليلات والرؤى والقناعات السائدة، حاولنا ضبط مسار "التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي" مستقبلاً، استناداً على حجم تأثيرات الأزمة السورية واستراتيجيات القوى الدولية المتوقعة في ذلك، وقد عنواننا هذا المبحث بـ: الأزمة السورية ومستقبل الشرق الأوسط في الميزان الاستراتيجي الجديد، تضمّن المطلب الأول: مستقبل التوازن

الاستراتيجي للمنطقة من حيث الفواعل المشكلة له، وفيه النقطة الأولى منه تناولنا فيها: مستقبل التوازن المستند إلى دور الدولة المحورية، (في إسقاط للنظرية النيوليبرالية الأمريكية، وما يقابلها في النقطة المالية التي درسنا فيها مستقبل التوازن الاستراتيجي المتعدد الأطراف، وذلك بالرجوع للنظرية الجيوبوليتيكا الأوراسية الروسية).

أما المطلب الثاني والأخير، فقد حاولنا وضع صيغ الاحتمالات المستقبلية للتوازن الاستراتيجي من حيث التفاعلات الإقليمية فيه، درسناه في نقطتين، تضمن الاحتمال الأول: استمرارية الوضع القائم (اختلال التوازن)، أما الاحتمال الثاني فكان تعديل الموازين وتحقيق التوازن الاستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط. الأديبات السابقة:

بما أن من مناهج الدراسة المتبعة هو منهج تحليل المضمون فقد اعتمدنا على العديد من التقارير كمادة أولية في كتابة نصنا، كما وجدنا موضوع تأثير الأزمة السورية على التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي، مشتتاً وموزعاً عبر الكثير من الأبحاث والدراسات وأوراق العمل والتقارير خاصة الغربية منها، بما في ذلك بعض الأعمال التي دفعت أهميتها الدارسين إلى الإسراع في ترجمتها وإخراجها إلى المتلقين على اختلاف اهتماماتهم، بيد أن أغلب تلك الاهتمامات البحثية والدراسات السابقة لم تتبنى المنهج النظري والاستشراقي في تحليل التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي، فضلاً عن أن معظم تلك الدراسات الغربية تركز دوماً على العلاقة بين القوى الدولية مع القوى المؤثرة في الإقليم، والتحالفات القائمة فيما بينها، غير أنها لا تهتم وتهمل الدور العربي، وجانب توازن واستقرار منطقتهم. مع ذلك فقد بحثت بعض الدراسات المتخصصة - بصورة محدودة- أثر الأزمة السورية على شكل تحالفات وتفاعلات القوى الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط. ومن أهم تلك الدراسات:

- (كتاب) جديد لمجموعة مؤلفين، بعنوان: **الاقتراب الكبير: روسيا في الشرق الأوسط، 2020**، في هذا الكتاب: أشار المؤلفون إلى رؤية ومسار السياسة الروسية في الاقتراب الكبير من منطقة الصراع بالشرق الأوسط والدخول إليها عبر بوابات متعددة، كان أهمها البوابة السورية، وصياغة التحالفات الحالية والمستقبلية عبرها، ليكون إضافة جديدة ومفيدة للمعلومات عن السياسة الروسية ورؤيتها للنظام الدولي ومكانة الشرق الأوسط في الاستراتيجية الروسية المعاصرة.

- **Regional Powers in the Middle East : New Constellations after the Arab Revolts, 2019**، وهو مجلد يعالج لغز سبب عدم إنتاج الشرق الأوسط لأي قوة إقليمية مهيمنة ومعترف بها، وقد درس الكتاب مجموعة القوى الإقليمية

المتنافسة: مصر، المملكة العربية السعودية، إيران، (إسرائيل)، وتركيا، وتناولت فصول الدراسة الفجوة النظرية في المناقشة الأكاديمية الدولية حول دور القوى الإقليمية الجديدة في السياسة العالمية، وتقدم الدراسة رؤية "فورتينغ" في الشرق الأوسط كمنطقة فريدة من نوعها، بهياكل القوة المتناثرة والمراكز المتنافسة، ومجموعات القوى الجديدة المحتملة.

- (Essay) Editors: Julien Barnes-Dacey, Ellie Geranmayeh, Hugh Lovatt, **The Middle East's: New Battle Line**, May 2018. دراسة ركزت على التحالفان المتعارضان في الشرق الأوسط، ويفسرون ذلك بالتنافس الشديد على الهيمنة بين القوتين الإقليميتين الإيرانية والسعودية والذي يهدد بتمزيق المنطقة، ويحللون ذلك بأن المواجهة أصبحت بين شبكة إيران من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية، والجبهة المضادة للحلفاء الغربيين التقليديين - المتمركزة في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وإسرائيل - خط المعركة المركزي في المنطقة.
- (كتاب) للدكتور هادي زعرور بعنوان: توازن الرعب: القوى العسكرية العالمية: أمريكا، روسيا، إيران، الكيان الصهيوني، حزب الله، وكوريا الشمالية، أسرار عسكرية تكشف للمرة الأولى وسيناريوهات دقيقة تروي الحروب المستقبلية، 2013، دراسة تتوضح فيها تفاصيل القوة العسكرية لدى كل من القوى الدولية والإقليمية بالأرقام والصور لتعداد ونوع الأسلحة المتوفرة لدى كل دولة مسماة في عنوان الكتاب المذكور اعلاه.
- (ورقة عمل) للباحثة أنا بورشيفكايا، باحثة في معهد واشنطن بعنوان: Russia in the Middle East Motives, Consequences, Prospectis **روسيا في الشرق الأوسط: الدوافع-الآثار-الآمال، 2016**، وهي دراسة جد قيمة تحمل إضافة مهمة لموضوع العودة الروسية إلى الشرق الأوسط، بالإضافة إلى بحث محددات واهداف السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة، مع وضع جملة نتائج وتوصيات هامة لصالح الولايات المتحدة في مواجهة روسيا خاصة في سوريا بالتحديد. لتضيف دراسة اخرى بعنوان: Anna Borshchevskaya , **The Tactical Side of Russia's Arms Sales to the Middle East**, 2017
- بالإضافة لدراسة معمقة في نفس الموضوع للباحثة الروسية: "إكاترينا ستيبانونفا" بمعهد واشنطن، بعنوان: Ekaterina Stepanova: **Russia in The Middle East back to a "Grand Strategy" or enforcing Multilateralism?**, 2017
- كما اعتمدنا في كتابة احصائيات الإمكانيات العسكرية للقوى الإقليمية والدولية المدروسة، على مجموعة من الكتب الأجنبية الحديثة الإصدار من المراكز العالمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية منها IISS و CIA و SIPRI، وموقع البيانات العالمية GFP:

- **The Military Balance 2020**, by The International Institute for Strategic Studies (IISS).
- **The CIA World Factbook 2020-2021**, June 2, 2020, by Central Intelligence Agency.
- **SIPRI Yearbook 2020 : Armaments, Disarmament and International Security** (SIPRI Yearbook Series), by Stockholm International Peace Research Institute.
- **Global FirePower 2020, World Military Strength Rankings**; (GFP) strength in Numbers.

صعوبات الدراسة:

- 1- صادفتنا صعوبة إيجاد الألفاظ المناسبة باللغة العربية والمرادفة لبعض المصطلحات باللغة الأجنبية، بما يضمن المعنى الحقيقي لتلك الألفاظ، وذلك رغم ثراء اللغة العربية باعتبارها لغة البحث الأساسية، ويتعلق الأمر هنا بمسألة صعوبة تعريبها أو ترجمتها، ما زاد من صعوبة الفهم الحقيقي لمادة النص الأصلي.
- 2- اختلاف زاوية بحث الموضوع مقارنة بمواضيع أخرى، وكنتيجة لذلك كان من الصعب الوقوف على عملية ضبط نقاط التي تخص فقط بتأثير الأزمة على التوازن الاستراتيجي والقوى المشكلة له، وتحليل ذلك ضمن خارطة عمل تقنية تسمح لنا نسبيًا باستبعاد بعض الاهتمامات البحثية الأخرى خارج نطاق المآخذ المعتمد للتحليل. (موضوع الدراسة)
- 3- صعوبة ضبط الحالات الدراسية لمنطقة الشرق الأوسط، أو المنطقة العربية، اعتبارًا لعدد المفاهيم وعدد الأقاليم التي على أساسها تم تقسيم المنطقة (منطقة الشرق الأوسط، المنطقة العربية، الخليج العربي، الشرق الأوسط الكبير، منطقة حوض النيل، المشرق العربي، المغرب العربي...).
- 4- اختلاف الأرقام والإحصائيات المعتمدة من مؤسسة لأخرى ومن معهد لآخر، وعدم تصريح بعض الدول والمؤسسات بالأرقام الحقيقية، إما برفعها أحيانًا أو خفضها أو وضع أرقام تقريبية فقط في سياسة منهم للحفاظ عن معلومات قد تمس بأمن دولهم أو في سياسة تشهيرية لتهريب الطرف الآخر، أو الإبقاء على الوضع القائم، وغيرها من الاحتمالات، ما صعب علينا اختيار أصدقها وفهم وضع مستقبل تلك القوى في إطار توازنها الاستراتيجية بالمنطقة.
- 5- صعوبة وضع الاحتمالات المستقبلية لموضوع الدراسة، في ظل أزمة لا تزال قائمة حتى الآن. وفي ظل تعقيدات الوضع القائم وتشابك ملفاته.

الفصل الأول

مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى
الإقليمية الفاعلة في التوازن الاستراتيجي
الشرق أوسطي

الدول بشكل عام والكبرى منها على وجه الخصوص في مسعى دائم لتعزيز مكانتها الدولية، وتعظيم قوتها ونفوذها وحماية مصالحها، وما يميّز دول عن أخرى وتفوقها، ما قد تتوافر عليه من مقومات إقتصادية، عسكرية، سياسية وتكنولوجية... ومن حيث قدرتها على توظيف تلك الإمكانيات بالشكل الجيد، بما يتوافق مع أهدافها وأولوياتها وبما يتلاءم وقدراتها الفعلية. وعليه تمثل قوة الدولة الحجر الزاوية في تحديد أبعاد الدور الذي تؤديه على مسرح الحياة السياسية الدولية. وحينما تسعى الدولة للحفاظ على وجودها وأمنها ومكانتها الدولية من خلال عملية الصراع على اكتساب القوة، فإن رائدها في ذلك هو تحقيق توازن القوى، وهو في الوقت ذاته سلاح في تنظيم استخدام القوة والسيطرة عليها.

ولتوازن القوى العديد من الصور والأشكال، رغم أنّ فكرته الجوهرية هي توزيع القوة بين الأطراف الدولية، لكن من خلال دراستنا المحددة والدقيقة، سوف نقتصر فقط على محتوى التوازن الاستراتيجي الإقليمي، أو ما يسمى بالتوازن الفرعي، وهو شكل من أشكال التوازنات، يتكون داخل أطر جغرافية محدودة تجمع عدداً من الدول التي تدخل فيما بينها في علاقات تنتم بالصراع على السلطان والنفوذ في هذا الإطار الجغرافي المحدود. وكمحصلة لهذا الصراع فإن دولا محدودة تصل إلى مرحلة متعادلة أو شبه متعادلة من القوة مما يؤدي إلى قيام توازن قوى محلية يتحكم في سلوك الدول وضبط علاقات بعضها ببعض، فيجري التنافس بين أقطابه أيضاً بالأساليب السلمية، وقد ينتهي بالحروب مثله في ذلك توازن القوى العالمية، فقد يخضع للقواعد نفسها ويتسم بخصائص متشابهة ويؤدي إلى نتائج عينا تقريبا، ذلك على المستوى الإقليمي، ولكنه يؤدي دوراً مركباً، إذ أنه يؤثر تأثيراً مباشراً في الصراع العالمي ويؤدي إلى حسمه أحياناً. فالخلاصة التي تتمحور حول ما ذكرناه سابقاً، هي ان التوازن الإقليمي لا يعمل بمعزل عن التوازن الدولي الرئيس، الذي يعتمد في استقراره وتغييره على الصراعات والتوازنات الإقليمية، فضلا عن أن القوى الكبرى غالباً ما تستثمر التوازن الإقليمي لدعم ورفد عناصر قدرتها وتأثيرها ونفوذها في النظام الدولي واستقرارها على نحو متزايد، وإن أي خلل يصيب التوازنات الإقليمية بفعل حدوث متغيرات إقليمية مفاجئة لا بدّ وأن ينعكس تأثيره سلباً أو إيجاباً على التوازنات الدولية المرتبطة به، وهذا التأثير يتحدّد في ضوء إقتراب أو ابتعاد مصالح القوى العظمى العالمية وخصائص الوضع الاستراتيجي لتلك القوى الإقليمية من حيث مفهومها لأمنها القومي ومصالحها، فتوازن القوى قانون تاريخي، سواء تعلق الأمر بالتوازن الإقليمي أم الدولي.¹

¹ يونس مؤيد يونس، أدوار القوى الآسيوية الكبرى في التوازن الاستراتيجي في آسيا بعد الحرب الباردة وآفاقها المستقبلية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 51.

ووفقاً لمفهوم التوازن الاستراتيجي في أدبيات العلوم السياسية، يعرف بأنه "الحالة التي تتعادل وتتكافأ عندها المقدرات البنائية والسلوكية والقيمية لدولة ما منفردة أو مجموعة من الدول المتحالفة فيما بينها، مع غيرها من الوحدات السياسية المتنافسة معها، بحيث تضمن هذه الحالة للدولة أو مجموعة الدول المتحالفة، ردع أو جبه التهديدات الموجهة ضدها من دولة أخرى أو أكثر، وبما يمكنها أيضاً من التحرك السريع وحرية العمل في جميع المجالات للعودة إلى هذه الحالة عند اختلالها لتحقيق الاستقرار".¹

ويتكون التوازن الاستراتيجي من عدة عناصر أولها القوة القومية للدولة أي العنصر الجيوبوليتيكي المعني بأن المساحة تهيء القوة والقوة تصون وتحافظ على المساحة، والعنصر الثاني القوة الاقتصادية والعنصر الثالث القوة العسكرية، والعنصر الرابع هو الإدارة السياسية، والعنصر الخامس توازن المكانة أي التوافق بين قوتها ودورها حيث يؤدي فقدان المكانة إلى إضعاف قدرة الدولة على التأثير الفعال في التفاعلات السياسية في النسق الإقليمي، والعنصر السادس توازن القوى أي توازن السياسات الفاعلة في النسق الإقليمي والنسق الدولي وهو مفهوم ظهر بعد مؤتمر وستفاليا 1648 اثر حرب الثلاثين عاما، وتكرس في مؤتمر فيينا عام 1815¹.

وبتحليل بيئة الشرق الأوسط وفقاً للعناصر السابقة نجد أنها تعاني من فقدان حالة التوازن الاستراتيجي، حيث تسود حالة من اللاتوازن بين القوى الإقليمية الخمس إيران وتركيا ومصر والسعودية و(إسرائيل)، وترغب كل واحدة منهم التوسع على حساب الآخرين والحفاظ على مكانتها، وترجع حالة انعدام التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط للأسباب التالية، الأول يتمثل في غياب الدور العربي والذي بدأ بضعف قوة العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام 2003، واكتمل بالأزمة السورية وتداعياتها على استقرار المنطقة. والثاني يعود للإنسحاب الأمريكي الظاهري من إدارة شؤون المنطقة بالتوازي مع ظهور روسيا كقوة منافسة، ما أدى إلى تغيير جذري في جيوسياسية الشرق الأوسط الإقليمية بالدرجة الأولى ثم الدولية. وقد مثلت الأزمة السورية المختبر الرئيس لهذه التغييرات الحاسمة.

لقد أحدثت الأزمة السورية تحولات متباينة على طبيعة الأداء الإستراتيجي² للقوى الإقليمية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط، وتغييراً ملموساً على نمط التفاعلات الإقليمية في المرحلة الأولى من الأزمة، ما

¹مصطفى كمال، تحولات خريطة التوازن الإستراتيجي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 15 أبريل 2018،

على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jMOHsu>

² إذا كان التخطيط الإستراتيجي يُمثل المكون المدخل "input"، بالنسبة للإستراتيجية، فإن الأداء الإستراتيجي يمثل المكون المخرج "output"، بالنسبة للإستراتيجية أيضاً، وكما تدل على ذلك لفظة الأداء لغة، ومن ثم فإن الأداء الإستراتيجي هو المحصلة التنفيذية لجلّ عمليات التخطيط والتوظيف الإستراتيجي لموارد الدولة وإمكاناتها لتحقيق أهدافها الإستراتيجية، فإذا كان التخطيط الإستراتيجي بمثابة القانون أو النظرية فإنّ الأداء الإستراتيجي سيكون الجانب التطبيقي لتلك النظرية. لمزيد من المعلومات والتدقيق أكثر في هذا الموضوع ينظر إلى: حازم طالب، من الوعي الإيديولوجي إلى الوعي الإستراتيجي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1993، ص 69.

أعاد تشكيل المشهد الاستراتيجي في المنطقة برمتها، ففي الوقت الذي إكتفى فيه الفاعلون الدوليون بموقف المشاهد المراقب المتريث، نجد أنّ هناك من القوى الإقليمية الصاعدة تشهد حالة من التفاعل والنشاط الغير مسبوق، والذي قد نتج عنه تغييرات كبرى على واقع ومستقبل الفواعل الإقليمية، سواء كانوا دولاً أو فاعلين من غير الدول. ما يُعتبر مؤشراً على إعادة صياغة التوازنات الإستراتيجية في المنطقة ومرحلة أُعيد فيها النظر في العلاقات البينية للدول التي طالما وُصفت بالعلاقات المستقرة على المستوى الإقليمي، سَما أنّ التفاعلات الإستراتيجية التي جمعت القوى الإقليمية تأثرت بشكلٍ واضحٍ بتغييرات ما سمي بالثورات العربية التي شهدتها المنطقة.

ففي حين سعت الأطراف الإقليمية لإستغلال أحداث الأزمات بالمنطقة إمّا لإحياء أدوارٍ لها أو البحث عن أدوارٍ جديدة، فإنّ الأطراف الدولية الرئيسية وبعد أن فوجئت بالثورات في محاور نفوذها، فقد سعت لإبعاد الضرر عن مصالحها بالمنطقة والحيلولة للإستفادة كذلك من التغييرات الجديدة وتوظيفها لخدمة مصالحها الإستراتيجية سواء في مجالها الإقليمي والعالمي. وبناءً على ذلك تباينت المواقف وتعارضت السياسات وتناقضت ردود الأفعال تجاه هذه الأحداث، كما وتُشكّل بدورها تأثيراً كبيراً على مستقبل التوازنات الإستراتيجية الشرق أوسطية.

المبحث الأول: دور الإستراتيجية الإيرانية في توازن الشرق الأوسط بعد الأزمة السورية 2011

شكّلت التغييرات الإقليمية الأخيرة في البلدان العربية بالشرق الأوسط خصوصاً ما بعد خريف 2011، نقطة تحوّل واختبار جدّي بالنسبة للسياسة الإيرانية المنتهجة في المنطقة¹، فقد ظهرت تغييرات في بنية منظومة الشرق الأوسط وتحولات في موازين القوى، من أبرز مسيبتها موجة الإحتجاجات التي غيّرت مساراتها فأسقطت وجرت معظم الدول العربية بالمنطقة، الأمر الذي استوجب صياغة إستراتيجية إيرانية جديدة تواكب وتتسجم مع الأحداث والمتغيرات المستجدة، كما ويفرض بناء تصوّر جديد لصياغة توجهات جديدة في الأداء الإستراتيجي الإيراني. إذ بدأ الحديث عن دور إيران الريادي ونفوذها في منطقة الشرق الأوسط يستحوذ على إهتمام كبير من قبل الكثيرين، وقد أقرّ الجميع من دول المنطقة بدورها الإقليمي البارز

¹ تدرك إيران انه من الضروري في ظل المتغيرات الإقليمية التي شهدتها المنطقة بعد عام 2011، أن تخرج من عزلتها وأن تصبح من الدول الإقليمية الفاعلة والمؤثرة، وهذا حسب ما صرح به رئيس الدولة "حسن روحاني" قائلاً: "لدى إيران الآن الفرصة لتظهر كقوة إقليمية بدلاً من مجرد العمل بدهاء على حماية استقلالها والحفاظ على نظامها، فقد أدرك الإيرانيون أن أوضاع القوى العالمية قد تغيّرت بشكل لم يتوقعه أحد، وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي فإنهم يعلمون أنه كلما أصبحت إيران في وضع هجومي/عدائي أكثر، ألزمت الولايات المتحدة نفسها التحرك عسكرياً لإحتواء إيران، ويمكن في الوقت ذاته أن تقوم أمريكا بذلك حتى ولو لم تقم إيران بأي عمل، وعلى إيران البحث عن إستراتيجية لترسخ نفوذها الإقليمي، ولتجنبها التعرض لإنتقام الولايات المتحدة الأمريكية". للمزيد أنظر إلى: فاطمة الصمادي، عرض كتاب الأمن القومي والدبلوماسية النووية، موقع مركز الجزيرة للدراسات، على

الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنت)، بتاريخ 2013/4/23، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Du7Ob1>

والفاعل فيها. ولا ينحصر هذا الدور في التأثير السياسي فحسب بل يشمل أبعاداً جيوبوليتيكية وإستراتيجية فضلاً عن الأبعاد الثقافية والدينية، وقد ساعدت عدّة عوامل على تصعيد أدائها الإستراتيجي من جانب فعاليتها وقوة تأثيره، ومن جانب ما أكسبها مكانة لا بأس بها في المنطقة منها الأزمة السورية والإنسحاب الإستراتيجي الأمريكي¹ من المنطقة، وما تركه من فراغ إستراتيجي عملت من خلاله إيران على تقوية تفاعلاتها مع دول جوارها الإقليمي، كما قدّمت مجهودات سياسية بتحريك عجلة دبلوماسية قاصد كسب مصداقية، وتحسين صورتها في علاقاتها البينية مع دول المنطقة وتثبيت موقف حلفائها منها، كما وساعدتها أيضاً، ما توصلت إليه مؤخراً من عملية تطوير قواتها العسكرية لمنع وجود أي خطر يهددها، فضلاً عن قدرتها على فرض رؤيتها على نحوٍ يحقّق مصالح القوى الكبرى ممّا أكسبها تقية لا سيّما مع الصين وروسيا الإتحادية، كما واستطاعت أن تُقدّم نفسها كعامل مؤثّر في التفاعلات الإقليمية وكقوة تعديلية في التوازن الإستراتيجي الذي يحكم المنطقة. وعليه سنتحدث في هذا المطلب عن القوة الـ14 في موازين القوى بالعالم والقوة الثالثة في الشرق الأوسط، بمؤشر قوة قدر بـ 0.2606 وذلك حسب ترتيب الموقع العالمي للإحصاء GLOBAL FIREPOWER (GFP) لعام 2019.²

المطلب الأول: مقومات القوة الإستراتيجية الإيرانية

إنّ الأداء الإستراتيجي لأيّة دولة في دائرتها الإقليمية أو الدولية لا ينشأ من فراغ ولا يعتمد على رغبات فقط، بل إنّ هذا الأداء ليكون فاعلاً ومحققاً لأهداف الدولة عليه أن يعتمد على أرضية صلبة وقاعدة متينة تؤهله لتحقيق التأثير المنتظر أو المتوقع له، وأنّ هذه القاعدة التي ينطلق منها لا تختص ببيئة معينة دون سواها، بل إنها تنطلق من تفاعل البيئتين الداخلية والخارجية لتعطي جملة من المحفزات لهذا الأداء، سواء كانت هذه المعطيات مادية أو معنوية. لذلك نجد ان صانعي القرار السياسي الخارجي حريصون على أن لا يبتعدوا في قراراتهم دون مراجعة منهم لهذه المقومات، لأنّ ذلك يسبب أزمة حقيقية أو فجوة بين الإمكانيات المتاحة ونوعية الأداء المطلوب الذي يفرض جملة من المسؤوليات والالتزامات الدولية التي يجب أن تتلاءم مع هذه الإمكانيات.

¹سعت الولايات المتحدة الأمريكية منذ 2010 لتخفيف التزاماتها، والتخلص من أعبائها في الشرق الأوسط من خلال طرحها فكرة التوجه شرقاً لتعزيز علاقاتها مع دول المحيط الهادي، بهدف خلق شراكة إستراتيجية مع هذه الدول، إذ أشار الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، إلى أنّ "الولايات المتحدة الأمريكية قوة باسيفيكية"، كما عبّرت عن هذا التوجه وزيرة الخارجية السابقة، بالقول "قرن أمريكا الباسيفيكي". وللزيد والتفصيل أكثر انظر إلى: أبو بكر الدسوقي، تحولات القوى الكبرى في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد 195، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2014، ص 8.

² IRAN Military Strength Ranking 2019", Global firepower (GFP), "2019, Accessed :26 May 2019, Available Online At: <https://bit.ly/2EZbYbL>

وتعدّ إيران أحد القوى الرئيسية في معادلة توازن القوى لمنطقة الشرق الأوسط، وبصفة خاصة للدائرة الحيوية التي تضم منطقتي "الخليج العربي وآسيا الوسطى"، إرتباطاً بما تحظى به من مقدرات القوى الشاملة¹ اي بحسابات القوة الفعلية والكامنة²، بدءاً بما يتسم به موقعها الجغرافي ومروراً بمواردها البشرية وإمكاناتها الاقتصادية، وديناميكية وفاعلية نظامها السياسي، وتمكّنها من تطوير قدراتها العسكرية في بعدها التقليدي وفوق التقليدي. وعليه لكل وحدة سياسية في النظام الدولي مظهر وسلوك تنفرد به عن غيرها بسبب موقعها الجغرافي، بالإضافة لعوامل أخرى تتعلق بالنظام السياسي والتركيبة الديمغرافية وغيرها، وهذا ما يسبب التباين الكبير بين الوحدات السياسية في مقومات القوة التي تمتلكها، ويحدّد طبيعة علاقات الوحدات الخارجية والدور الذي تؤديه كل وحدة على مسرح الحياة السياسية إقليمياً ودولياً، الأمر الذي يسبب التباين الكبير في تقسيم الدول وتصنيفهم.

أولاً: المقوم الجيوبوليتيكي

تقع إيران في الجنوب الغربي من قارة آسيا، يحدّها من الشمال كل من أرمينيا وتركمانستان وأذربيجان والتي تطل فيها على دول آسيا الوسطى بحدود برية طولها 1790 كم، أما شرقاً فتحدها كل من باكستان وأفغانستان بحدود طولها 830 كم، 850 كم على التوالي، ومن الغرب ترتبط بحدود مع كل من العراق و

القوة الشاملة للدولة: هي عبارة عن محصلة لكل المقومات المادية والمعنوية، وما يوفره التطور التقني للدولة، والتي يمكن توظيفها في إطار الإستراتيجية الشاملة لتحقيق أهدافها المختلفة، أو يمكن تعريفها بأنها قدرة الدولة على استخدام كل مواردها المدركة (المحسوسة) والغير محسوسة والمنظورة (المعنوية) بطريقة تؤثر على سلوك الدول الأخرى.

وليفرق بين القدرة والقوة: نقول ان القدرة: هي مجموع الطاقات والموارد التي تمتلكها الدولة والتي تجعلها تتحرك في المسرح السياسي بهدف تحقيق المصالح القومية لها. أما القوة: فتعني تعبئة هذه الطاقات وتحريكها من خلال الإرادة والقرار السياسي، وتبدأ التعبئة من استخدام الأداة الدبلوماسية فالأداة العسكرية... الخ، ويمكن أن يكون لدى الدولة قدرة ما، ولكن لا تستطيع أن تحولها إلى قوة لفشل القيادة السياسية أو التنظيم السياسي فيها على التعبئة والتحريك. وللمزيد أكثر ينظر في: عبد المجيد فراج، **القوى الشاملة للدولة مؤشرات وقياسات**، مركز الدراسات الإستراتيجية للأهرام، القاهرة، 1997.

القوة الفعلية والقوة الكامنة: "إن القوة الفعلية لأي دولة هي في نهاية المطاف حصيلة قوتها العسكرية وحجمها بالمقارنة مع القوة العسكرية للدول المنافسة" أي أنه يفترض أن القوة العسكرية يمكن تقريعها ووزنها ثم استخدامها لتحديد القوى الكبرى في النظام الدولي. ومن ناحية ثانية، فغن الدول عند النظر في توازن القوى، تتخذ منظوراً قصير المدى وآخر بعيد المدى. وفي المدى القصير يعكس توازن القوى في أي وقت، توزيع القوة العسكرية التي تملكها جميع القوى الكبرى. لكن في الوقت عينه هناك إقرار بأن ثمة علاقة وثيقة على المدى البعيد، بين القوة العسكرية وما يسميه Mearsheimer، "القوة الكامنة"، وهي تستند بالدرجة الأولى إلى ثروة الدولة وإجمالي حجم سكّانها". ويستتبع ذلك أنه مهما كان توزيع القوة العسكرية في أي وقت معيّن، على القوى الكبرى أن تراقب عن كثب القوة الكامنة لأنها تقرر توازن القوى في المستقبل. للتدقيق أكثر انظر في كتاب: جون ميرشايمر، **مأساة سياسات القوى الكبرى**، ترجمة مصطفى محمد قاسم، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012، ص 261.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ، تقدير "ميرشايمر" للقوة الكامنة هو ما يدفعه للتعبير عن مخاوفه بشأن صعود القوة الصينية، وهو يفترض أن توازن القوى سيميل في المستقبل لصالح الصين.

تركيا وبالتالي تعد إيران ثاني دولة من حيث عدد الدول المجاورة التي تحدّها برياً بعد روسيا. وتطلّ على بحر قزوين بحدود بحرية، أمّا جنوباً فيحدها الخليج العربي وخليج عمان بحدود بحرية طولها 1880 كم، فضلاً عن وجود المضائق، كما هو الحال بوجود مضيق هرمز ممّا أكسبها أهمية إستراتيجية كون أن المضائق تقع تحت المراقبة المستمرة في المنظور الاقتصادي والسياسي والإستراتيجي لصالح الدولة المهيمنة.¹ أما عن مساحتها فتقدر بـ1.648.165 كم²، وهي مساحة كبيرة بالمقارنة مع دول المنطقة الأخرى وذات تنوع تضاريسي ومناخي متميز، تشمل في ثلاثة أرباعها على بادية أو صحراء قاحلة ذات رمال حمراء ورقاع ملحية متحجرة وقلب تلك المساحة تمثله الهضبة الإيرانية التي ترتفع عن سطح البحر بإرتفاعات مختلفة تتراوح بين 1000-1500م.³

وطيلة الأزمنة التاريخية المختلفة، ظلّت تحتل إيران بموقعها مكانة إقليمية معتبرة، إذ تمثل حلقة وصل بين المشرق والغرب، وهي بمنزلة ممر طبيعي للتجارة العالمية بين الشرق الأقصى وحوض المتوسط، لذلك أطلق عليها لقب "مفتاح الشرق" ولذا باتت موضع إهتمام القوى الدولية.⁴

وبهذا وفرّ لها موقعها الجغرافي المتميز والعمق الإستراتيجي الجيد، مكانة وقدرة لا يستهان بها نظراً لإمتداد موقعها الحجمي والتحام شكله الخارجي وتناسب أبعاده، كما وأضفى هذا الموقع لإيران من الناحية الجيوبوليتيكية قدرة من خلال تحقيق توأمة بين الفعل السياسي والإمكانات الاقتصادية والنمو السكاني الذي أصبح ذا تأثير حتمي في حركتها والإطلالة البحرية، وبين التفاعل المكثف والمباشر مع جيرانها سيما العرب منهم، وما يحمله من إمكانية إيقاع التأثير السياسي في سلوك الدول.⁵

وبذلك يمثل الموقع الجغرافي العنصر الأهم من عناصر القوة الجيوستراتيجية الإيرانية، كما يؤدي دوراً كبيراً في تفسير سياسة إيران الخارجية وعلاقتها الإقليمية والدولية.⁶

¹ ماهر يعقوب، العلاقة الجدلية بين الموقع الجغرافي والسلوك السياسي، دورية متابعات دولية، العدد 88، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2002، ص 10.

² نبيل العتوم، الجغرافيا السياسية كإطار تحليلي لقياس قوة إيران، النهضة، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، أكتوبر، 2011، ص147.

³ منعم صاحي العمار، إيران وقابلية التكوين من جديد، مجلة دراسات إستراتيجية، العدد 17، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2001، ص 10.

⁴ طلال عتريسي، الإستدارة الأمريكية: موقع إيران ودورها الإقليمي في إستراتيجيات القوى الكبرى، السياسة الدولية، العدد 199، مركز الأهرام، القاهرة، يناير 2015، ص31.

⁵ طارق عبد الله ثابت، الإستراتيجية الإيرانية تجاه امن الخليج العربي، محطات إستراتيجية، العدد 98، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2002، ص 21.

⁶ عبد الوهاب القصاب، التأثير الجيوستراتيجي لسياسة التسلح الإيرانية، دراسات إستراتيجية، العدد 8، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2000، ص 12.

وفي مجال تأثير الوزن السياسي للدولة التي تشغلها إيران، فإن معطيات مساحة إيران قد منحتها إمكانات إقتصادية كبيرة، لكنها لم تضع الشعب الإيراني في مصاف الدول المتقدمة من حيث مستوى المعيشة، بفعل حجم السكان الكبير لإيران، هذا عدا تخصيص الدولة لنسبة كبيرة من مواردها لتعزيز قدراتها العسكرية، والتي جاءت على حساب التنمية.

وتعدّ المساحة الكبيرة لإيران من جهة أخرى، ذات مؤشر سلبي على الدول المجاورة لها، وذلك لمجاورتها بدول برية تعتبرها إيران إمتداداً لمجالها الحيوي¹ مثل: العراق، وكذلك لمجاورتها بحرياً لدول تنظر بعين الريبة والشك لنوايا إيران خاصة الإمارات العربية المتحدة، والبحرين.. هذا عدا ممارسة إيران لسلوك تدخلّي للتأثير على الأقليات الشيعية خاصة في دول الخليج العربي، لكن بالمقابل فإن الجبرية الجغرافية قد شكلت عبئاً دفاعياً كبيراً من خلال إنتشار القوات الأمريكية وقوات حلف الناتو في العراق وأفغانستان التي تشترك بحدود طويلة مع إيران، إضافة إلى كثافة إنتشار الأساطيل الغربية في مياه الخليج العربي.²

ثانياً: المقوم السكاني (الديموغرافي)

إن الأرض التي تشغلها الدولة تمثل الأساس القانوني لكيانها، ولكن وجودها لا يتحقق إلا بسكانها فقط، لذلك فإن عدد السكان وتوزيعهم الجغرافي وخصائصهم الديمغرافية من الأمور المهمة في بناء هذا الكيان.³ وبذلك فإن القوة البشرية بما تعنيه من حجم وخصائص وكيفية التوزيع الجغرافي الكبير من السكان قد لا يضمن الفاعلية الدولية، إلا أن الدول ذات الحجم السكاني الصغير هي في الغالب أقل تميز، وبهذا فإن حجم السكان يعد عنصراً من عناصر القوة، وإن كيفية تكوينهم ومدى تماسكهم الاجتماعي ومستوى تعليمهم لها أهمية كبيرة توازي الجانب الكمي أو تفوقه.⁴ وتعتبر إيران الدولة الأكثر سكاناً في المنطقة، إذ

¹ من المتعذر قياس متغيرات القوة الإيرانية الخشنة بمعزل عن الإرث التاريخي للتوجهات الإستراتيجية للدولة أو باتجاه المجال الحيوي للدولة، ويمثل المتغير الجغرافي أحد المحددات المهمة للمجال الحيوي للدولة، وبناء عليه يمكن تقسيم الأقاليم السياسية المحيطة بإيران والتي تحدد نزوعها الجيوستراتيجي إلى أربعة أقاليم، هي:

1. إقليم الهلال الخصيب (العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن).

2. إقليم القوقاز (أذربيجان وأرمينيا وجورجيا ويمكن إضافة أجزاء من الأناضول).

3. إقليم آسيا الوسطى (من شرق بحر قزوين وحتى الحدود الصينية الشمالية مضافاً لها أفغانستان).

4. إقليم الجنوب (جنوب باكستان وجنوب شرق الجزيرة العربية). لمزيد من المعلومات في الموضوع انظر: وليد عبد الحي، بنية القوة الإيرانية وآفاقها، دراسات مركز الجزيرة، أبريل، 2013.

² نبيل العتوم، مرجع سبق ذكره، ص 151.

³ عبد الكريم حميد، تقييم الوزن الجيوبوليتيكي لحجم وتركيب سكان إيران ودول الساحل الشمالي والغربي للخليج العربي، مجلة دراسات إيرانية، العدد 1-2، جامعة البصرة، مركز الدراسات الإيرانية، 2000، ص 39.

⁴ محمد السعيد إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2000، ص 87.

أنّ العدد التقديري لسكان إيران 82.801.633 مليون نسمة وهذا وفقاً لإحصائيات عام 2016.¹ ويعتبر المجتمع الإيراني متنوعاً من حيث الجماعات العرقية والإختلافات الثقافية بينها، وأغلب السكان عموماً هم من أصول فارسية، ولكن تشاركهم مجموعة من الجماعات السكانية الأخرى، وهم العرب، والأكراد، والأتراك، والبلوش، والأقليات من اليهود والأرمن و اغلب القبائل التي تعيش على الأراضي الإيرانية هي من المهاجرين الذين هاجروا من الدول الآسيوية واستقروا على أرض إيران.²



خريطة توضح التوزيع العرقي والمذهبي في إيران

المصدر: من الموقع التالي: <https://www.irangulistan.com/cartes/ethnic-iran-map.jpg>

ويكشف هذا التوزيع أن القومية الرئيسية التي تهيمن على مقاليد الحكم في إيران تزيد على نصف عدد السكان وهم (الفرس)، وهذا وضع يُعدّ في حد ذاته بالغ الحرج ليس بمعنى أن التعدد الاجتماعي يخلق عدم الاستقرار السياسي بالضرورة، بل بمعنى أنه كلما زادت درجة التعقيد الاجتماعي كلما أصبح من الصعوبة تحقيق التراضي العام، وخير دليل على ذلك، أنّ الفرس إحتلّوا وعلى مر العصور موقعاً متميزاً في إدارة شؤون إيران سواء في المواقع السياسية أو في المؤسسات العسكرية، ممّا وُلد لديهم عقدة التفوق العنصري ما جعلهم يضطهدون القوميات الأخرى، ويستحذون على مجمل الوظائف المهمة والرئيسية في إيران، فضلاً عن أنّ الوضع السابق يحقق تداخلاً بين التكوين الديمغرافي لإيران ومحيطها الإقليمي

¹ The World Factbook "IRAN", Central Intelligence Agency, Retrieved 27-1-2017.

² Janet Afary, Peter William Avery, Khosrow Mostofi (12-9-2016), "Iran - People" Britannica, Retrieved 27-1-2017.

(العربي منه وغير العربي)¹، إذ أنّ إيران تتشابهك ديمغرافياً في ثلاثة محاور أساسية هي (محور العرب، محور الأكراد، محور الشيعة)، وركن الإيرانيون إلى إستغلال ذلك لصالح فعلهم الإستراتيجي إدراكاً منهم لأهمية ذلك في تحقيق مصالح وأهداف السياسة الإيرانية الداخلية والخارجية.² وعليه يتضح أن إيران أدركت جلياً أهمية العامل البشري_عنصر قوة_من حيث تفوقها العددي، فعملت على تجسيد هذه القوة البشرية وتحويلها إلى قوة إقتصادية، وعسكرية كبيرة يُحسب لها، وهذا ما يمنحها تفوقاً بالمقارنة مع دول الجوار.

ثالثاً: المقوم الإقتصادي

يؤدّي المقوم الإقتصادي دوراً مهماً وأساسياً في توجيه سلوك صانع القرار في دولة ما وفي تحديد قوتها، ومن ثمّ في تحديد نوع سياستها الخارجية وبظهور تأثير هذا المقوم في نواحي كثيرة. ومن هنا أضحي فعل كل دولة وفي جوانب أساسية منه يتوقّف على قدرة قوّة جسدها الإقتصادي وسلامته، وتبعاً لذلك لم يعد ممكناً اليوم الفصل بين الحركة الاقتصادية والحركة السياسية الخارجية.

وبالنسبة لإيران فموقعها المهم الذي تحتله على رأس الخليج العربي قد مكّنها من التحكم في عصب إقتصاديات دول المنطقة وهو الطاقة، إذ يبلغ الإحتياطي البترولي بحدود 90 مليار برميل، ويصل معدّل الإنتاج اليومي إلى 308 مليون برميل،³ كما بلغ نمو إجمالي الناتج المحلي في عام 2016، 13.40% أي نحو 412.2 مليار دولار،⁴ بلغ إجمالي الناتج المحلي في إيران حوالي 463 مليار دولار في عام 2019-2020، ويتميز إقتصاد إيران التي يبلغ عدد سكانها 82.8 مليون نسمة، بوجود قطاع هيدروكربوني وقطاعي الزراعة والخدمات، وحضور ملحوظ للدولة في قطاعي الصناعات التحويلية والخدمات المالية.⁵

¹ طارق عبد الله ثابت، مصدر سبق ذكره، ص 16.

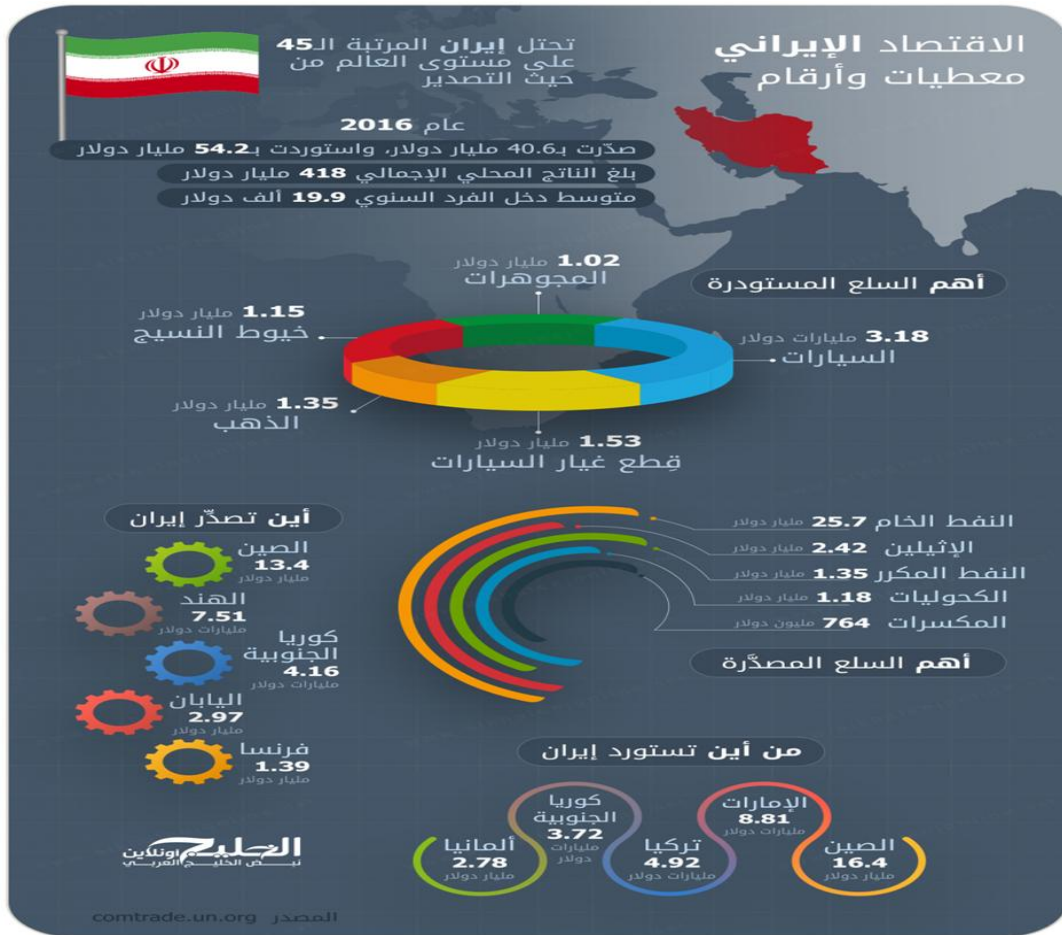
² ملخص مصالح وأهداف السياسة الإيرانية الداخلية والخارجية يكمن في النقاط التالية:

1. نشر عقيدتهم وبناء أنموذج دولتهم.
 2. حماية إقليمهم وتحريره من القيود التي تفرض عليه اقتصادياً وعسكرياً، وبناء قوة عسكرية فاعلة لا تقتصر على حماية إقليمهم الجغرافي فحسب، بل تمكنها من تنفيذ سياستها الإقليمية ونشر أيديولوجيتها وتحقيق مصالحها وأهدافها.
 3. تدعيم قوتها الاقتصادية التي تمثل نسبة العنصر البشري كيد عاملة منها 6.21% من السكان.
 4. تقوية أثر الفعل السياسي الخارجي، سيما بعد جهودهم في تجميع القوى القومية وتحييد الفوارق الطبقية لصالح توحيد الإطار الداخلي، وبما يسلب الفعل الخارجي المضاد حرية ضرب ذلك الإطار وإشغاله عن التكوين من جديد. للمزيد والتفصيل أكثر في الموضوع أنظر: منعم صاحي العمار، إيران وقابلية التكوين من جديد، مرجع سبق ذكره، ص 15-16.
- ³ عباس محمد، إقتصاد نفتي في عصر العولمة: إقتراح إستراتيجي لمنطقة الخليج الفارسي، مجلة العلاقات الإيرانية الدولية، العدد 3، معهد الدراسات السياسية والدولية، طهران، 2004، ص 96.

⁴ تقرير البنك الدولي، بيانات نمو إجمالي الناتج المحلي السنوي، إيران، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2GDaCDT>

⁵ تقرير البنك الدولي، إيران نظرة عامة، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3ibPxyx>

لتكون إيران ثاني أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم بعد روسيا، يقدر الاحتياطي لديها بحوالي 33.07 ترليون م²، لعام 2012.¹ كما وتحل إيران المركز الرابع في احتياطيات النفط الخام المثبتة.² وإلى جانب هذه الثروات المعدنية يلعب القطاع الزراعي دوراً أساسياً لتقوية القاعدة الاقتصادية، إذ وصل معدل النمو السنوي لإنتاج الحبوب في إيران إلى 6.5%، وبذلك أعطى إيران إكتفاءً ذاتياً وصل إلى 100% في البقوليات و 80% من إنتاج القمح و 65% من إنتاج الأرز. أما على الصعيد الصناعي، فقد بدأ الاهتمام بالصناعة في إيران منذ الستينات من القرن الماضي وتركزت على الصناعات الخفيفة والمتوسطة، وذلك لتتنوع مصادر الدخل القومي وتقليل الاعتماد على البترول. ولتطور القطاع الصناعي وتفعيله قامت في عام 2001 بتطوير الصناعات البتروكيمياوية وتجارتها إنشاء المنطقة الخاصة بتجارة البتروكيمياويات بالقرب من حقول البترول، لسهولة الوصول إلى إحتياطيات البترول والغاز من جهة وطرق الشحن الدولية من جهة أخرى، سيما أنها ترتبط مع تركيا وآسيا الوسطى وأوروبا بشبكة من خطوط السكة الحديدية.³



¹ IRAN Energy, The World Factbook, Central Intelligence Agency (CIA), online at : <https://bit.ly/2F2dJ8f>

² COUNTRY COMPARISON : OIL - PROVED RESERVES, The World Factbook, Central Intelligence Agency (CIA), online at : <https://bit.ly/3bDhNrm>

³ Country Profile : Iran, Library of Congress-Federal Research Division, March 2006, p 9.

إنفوغرافيك: معطيات وأرقام الاقتصاد الإيراني (للاسترداد والتصدير) حسب إحصائيات عام 2016

المصدر: إنفوغرافيك الاقتصاد الإيراني في أرقام، الخليج أونلاين، على الرابط: <https://bit.ly/2V1VNYL>

حسب معطيات الشكل أعلاه فإن لإيران مصالح إقتصادية واسعة النطاق مع الكثير من الدول المتقدمة والنامية، حيث بلغت قيمة الواردات السلعية الإيرانية نحو 54.2 مليار دولار عام 2016، منها 16.4 مليار دولار قادمة من الصين والتي تعد المورد الأول للسلع الآسيوية إلى إيران، أما من الجهة الأوروبية فأكبر وارداتها من ألمانيا بقيمة 2.78 مليار دولار، وعن دول الخليج فقيمة وارداتها من الإمارات العربية المتحدة بلغت 8.81 مليار دولار، أما عن الجار التركية فبلغت وارداتها بـ 4.92 مليار دولار من العام نفسه، ولتحتل إيران المرتبة الـ 45 على المستوى العالمي من حيث التصدير بقيمة بلغت في مجملها 40.6 مليار دولار منها موجهة نحو الصين بقيمة 13.4 مليار دولار، تليها الهند بـ 7.51 مليار دولار، وكوريا 4.16 مليار دولار، اليابان 2.97 مليار، أما عن فرنسا فقدرت بـ 1.39 مليار دولار لعام 2016. أما فيما يخص علاقات إيران الاقتصادية بدول منطقة الشرق الأوسط، فهي تمثل أحد أبرز التفاعلات الإقليمية التي تعكس بوضوح الرغبة الإيرانية في ممارسة دور إقليمي بارز من خلال إقامة شبكة من المصالح الاقتصادية مع تلك الدول والتي تدعم الدور الإيراني في المقام الأول.

إلا أن هذا لا يمنع من القول إن إيران تعاني من عدة مشكلات إقتصادية تتمثل أهمها:

-في مستواها الداخلي- في تعدد أجهزة صنع السياسات الإقتصادية والتأثير في مكوناتها، وإعتماد الإقتصاد الإيراني وبصورة أساسية على عوائد الصادرات البترولية، والإختلالات الهيكلية وعجز الميزانية والديونية الخارجية التي وصلت إلى 6.32 مليار دولار عام 2018،¹ فضلاً عن الإنفاق العسكري الضخم لتمويل مشاريع إنتاج الأسلحة المحلية وشراء الأسلحة من الخارج فضلاً عن جهود بناء المفاعلات النووية للأغراض (السلمية).

أما على المستوى الخارجي فتشكل العقوبات الإقتصادية² المتزايدة على إيران بحجة البرنامج النووي الإيراني موضع العناية الرئيسية للدبلوماسية الإيرانية، ومن المؤكد أن تأثيرات هذا الحصار تتزايد بشكل

¹ تقرير البنك الدولي، بيانات: إجمالي رصيد الدين الخارجي (الدين المستحق والمنصرف، بالأسعار الجارية للدولار الأمريكي)،

إيران، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2D1InBt>

² تاريخ العقوبات الأميركية على إيران:

فرضت الولايات المتحدة عقوبات على إيران في أعقاب الثورة الإسلامية عام 1979. في عام 1995 أصدر الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أوامر تنفيذية تمنع الشركات الأميركية من الاستثمار في النفط والغاز الإيرانيين وهذا ما فعله الكونغرس أيضاً. وفي عام 1996 أصدر الكونغرس الأمريكي قانون العقوبات على إيران وليبيا. في العام 2008 منعت الولايات المتحدة المصارف الأميركية من أن تكون وسيطاً في تحويل أموال من إيران أو إليها. واستهدف القانون الأميركي لعام 2010 إمدادات الوقود الإيراني التي تعتمد على المنتجات المكررة. وقد شددت واشنطن عام 2011 عقوباتها على الأشخاص الذين يقدمون دعماً لتطوير القطاع النفطي الإيراني.

متواصل (انخفاضًا حادًا في صادراتها النفطية، فقد تراجع حجم صادراتها النفطية من 2,4 مليون برميل يوميًا عام 2011 إلى 800 ألف برميل في شهر يوليو/تموز 2012، أي بخسارة ثلثي الصادرات (أوروبا كانت تستورد 23% من النفط الإيراني)، إلى جانب صعوبة تحصيل الأموال نتيجة القيود على المصارف والتضييق على النشاط المصرفي، تراجع قيمة الريال الإيراني بنسبة عالية، ضعف الاستثمار الخارجي.. إلخ). ورغم عدم التجاوب النسبي الروسي والصيني والتركي وبعض الدول الأخرى، إلا أن تأثيرات الحصار لا تزال متواصلة، الأمر الذي جعل الدبلوماسية الإيرانية تركز الجهود لتضييق آثار ذلك. ولعلّ الأزمة السورية زادت من المأزق الإيراني.

غير أنّ مراجعة حالات الحصار الاقتصادي¹ التي فرضت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام 2012 تشير إلى 172 حالة، كانت نسبة الفشل فيها حوالي 60%، والملاحظ أن نسبة الفشل تتزايد في الحالات التي تكون فيها بنية النظام الدولي قائمة على أساس تعدد الأقطاب أو الثنائية القطبية، وهو أمر بدأت ملامحه تتشكل مع تنامي الدور الروسي والصيني بشكل واضح، مما يعزّز من فرص إيران في

وجمّدت في كانون الثاني 2012 أرصدة مؤسسات مالية أجنبية تقيم علاقات تجارية مع البنك المركزي الإيراني. ومع أخذ المفاوضات شكلاً أكثر جدية في العام 2013 بدأت الإدارة الأميركية تترتب في تطبيق عقوبات جديدة ضد طهران. وتم توقيع الاتفاقية النووية الإيرانية في العام 2015، والتي رفعت العديد من العقوبات الاقتصادية المفروضة على طهران في مقابل فرض قيود على برنامجها النووي. وبتاريخ 8 أيار 2018 أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب انسحابه من الاتفاق النووي مع إيران والمعروف باتفاق (1+5).¹ يُنتين جلياً أن العقوبات الأميركية على إيران كانت فردية أحادية منذ نجاح الثورة الإسلامية في إيران، تهدف جميعها ظاهرياً إلى كبح جماحها في اكتساب التكنولوجيا النووية، لكن في حقيقة الأمر أن هذه العقوبات استهدفت ولا تزال الذراع الأقوى في إيران، وهو قطاع الطاقة، قد يتساءل سائل كيف ذلك؟، فيكون الجواب بتعداد أسماء سياسية شغلت مناصب رفيعة في الإدارات الأميركية المتعاقبة، والتي كان لها دوراً في الملف النووي الإيراني:

- ديك تشيني (نائب رئيس سابق) مستشار شركة HALLIBURTON

- كوندوليزا رايس (مستشارة الأمن القومي سابقاً ووزيرة خارجية سابقاً) مستشارة شركة CHEVRON.

- زلماي خليل زاد (مبعوث الرئاسة الأميركية لأفغانستان) مستشار شركة UNICAL

- جيمس بيكر (وزير خارجية سابق) المستشار العام لشركة AIOC

- هنري كيسينجر (وزير خارجية سابق) مستشار شركة UNICAL.

- ليود بنتسين (وزير مالية سابق) مستشار لعدة شركات نفطية.

- زيبجنيو بريجينسكي (مستشار سابق للأمن القومي) مستشار شركة AMOCO.

- برنت سكوكروفت (مستشار سابق للأمن القومي) مستشار شركة PENNZOIL

- لورانس إجلبرجر (مستشار سابق للأمن القومي) مستشار لعدة شركات نفطية.

- جون سنونو (متحدث باسم البيت الأبيض سابق) مستشار لعدة شركات نفطية.

إن التذليل أعلاه لكيف لتبيان العلاقة والارتباط العضوي بين الطاقة والسياسة الخارجية الأمريكية، وبطبيعة الحال فإن الحالة الإيرانية لن تكون بعيدة عن هذه العلاقة.. للتفصيل أكثر في الموضوع ولمزيد من المعلومات أنظر في: عبد الرحمن فريجة، فهم رملي، الخصائص الاقتصادية لإيران: الاقتصاد الإيراني بين العقوبات الخارجية والمقاومة الداخلية، مجلة مدارات إيرانية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية، برلين، ألمانيا، 2019، ص 26.

التسلل من شقوق التنافس القطبي لتحسين فرصها في مقاومة الضغوط، كما أن بعض العوامل قد تزيد من قدرة إيران نسبياً.

وقد تبنت السلطات الإيرانية إستراتيجية شاملة تسعى لتطبيق إصلاحات تقوم على قوى السوق، كما يتضح في وثيقة الرؤية التي تعتمدها الحكومة وتمتد 20 عاماً، وخطة التنمية التي تمتد خمس سنوات كاملة لفترة السنوات 2017/2016 - 2021/2022. وتتألف هذه الخطة من ثلاث ركائز، هي تطوير اقتصاد قادر على التكيف، وتحقيق تقدم في العلوم والتكنولوجيا، وتعزيز التفوق الثقافي والحضاري. على الصعيد الاقتصادي، تتوخى خطة التنمية معدل نمو اقتصادي سنوي بنسبة 8% وإصلاح المؤسسات المملوكة للدولة والقطاعين المالي والمصرفي. ويُعدّ تخصيص وإدارة عائدات النفط من بين الأولويات الرئيسية للحكومة.

فبعد انكماش إجمالي الناتج المحلي بنسبة 4.7% في 2018/2019، واصل الانخفاض إلى 7.6% (سنوياً) في الأشهر التسعة الأولى من 2019/2020 بسبب انكماش قطاع النفط وضعف الطلب المحلي. فقد انكمش قطاع النفط بنسبة 14.1% في 2019/2018 بعد إعادة فرض العقوبات الأمريكية في مايو آيار 2018، مما ساهم بأكبر قدر في النمو العام السلبي. كما انخفض نشاط القطاع غير النفطي بنسبة 2.1% في 2019/2018، لكنه أظهر منذ ذلك الحين بعض علامات الانتعاش. فبين شهري أبريل (نيسان) وديسمبر (كانون الأول) 2019، نمت الصناعات الزراعية وغير النفطية بنسبة 3.2% و 2% (على أساس سنوي)، على التوالي، في حين انخفضت خدمات القيمة المضافة.¹

وتستعمل إيران الكثير من الشركات الوهمية للقيام بتعاملاتها مع الدول تفاقياً للعقوبات، كما أن هناك الكثير من البنوك الكبيرة في العالم لاتزال تتعامل مع إيران ولكن في سرية، وتعمل إيران على زيادة إنتاجها من الغاز بشكل واسع جداً مستهدفةً الأسواق الأوروبية والآسيوية التي نالت حتى الآن حصة الأسد من العقود.

وتعمل إيران اليوم على زيادة إنتاجها من النفط والغاز، عبر إنتاج عروض لبناء وتحسين المحطات الحالية والمصافي وآليات استخراج وإنتاج النفط والغاز، وقد وصلت قيمة العقود الموقعة إلى عشرات المليارات من الدولارات، كما وهناك عقود أخرى تضمن تصريف الإنتاج وهي بقيمة مئات الدولارات، وأبرزها مع الصين وتركيا، وبذلك تكون إيران قد أثبتت أهميتها الكبرى على هذا الصعيد مرة أخرى.²

¹ تقرير البنك الدولي، إيران نظرة عامة، مرجع سبق ذكره.

² هادي زعرور، توازن الرعب: القوى العسكرية العالمية: أمريكا، روسيا، إيران، الكيان الصهيوني، حزب الله، وكوريا الشمالية، أسرار عسكرية تكشف للمرة الأولى وسيناريوهات دقيقة تروي الحروب المستقبلية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ص 105.

فإيران اليوم تحاول أن تحصّن إقتصادها من السيطرة أو الإعتماد على الخارج، حيث تقوم ببناء البنى التحتية اللازمة لتحقيق الإكتفاء الذاتي، وقد نجحت في مجالات عدة حتى الآن.

كما تولي إيران أهمية للتطور العلمي، والذي قد يؤسس في المراحل القادمة لقاعدة تساهم في النهوض بشكل متسارع، إذ تدلّ البيانات المختلفة على أن إيران تحتل المرتبة الأولى عالمياً في معدل النمو في الإنتاج العلمي المنشور، ويتضاعف إنتاجها كل ثلاث سنوات، كما أن معدل نموها في الإنتاج العلمي يصل إلى 11 ضعف المعدل العالمي، فهي تحتل مرتبة متقدمة في الفروع العلمية.

وعلى ذلك تقوم الرؤية الإيرانية على أن المتغير المركزي لتحقيق المكانة الإقليمية هو "معدل النمو الاقتصادي"، ولضمان الفوز لابد أن يكون معدل النمو الإيراني اقتصادياً في حدود 8% عام 2025، وترى الخطة أن اتجاه النمو منذ 1995 إلى 2006 يشير إلى إمكانية تحقيق ذلك.

وتفترض الرؤية أن التوجه الدولي العام يسير نحو تصالح تدريجي بين قوى دولية كبرى وإيران، كما ترى ضرورة "بناء الثقة بين دول جنوب غرب آسيا".¹

إلا ان واقع الأحداث الأخيرة يأتي بعكس ذلك، مع المحاولات الجاهدة من قبل الولايات المتحدة لإجبار أكبر قدر من الدول على التوقف عن شراء النفط الإيراني.² وعليه فإن الحكومة الإيرانية تواجه صعوبة في تعويض النقص في العائدات المفقودة، فخسارة عائدات النفط سيئة بما فيه الكفاية، ولكنها تأتي في وقت سيئ للغاية، إذ ان ميزانية الحكومة الإيرانية محدودة بالفعل لدعم العمليات العسكرية في العراق

¹ وليد عبد الحي، بنية القوة الإيرانية وآفاقها، مركز الجزيرة للدراسات، 2013/04/03، على الرابط: <https://bit.ly/3hsQDDa>

² في ظل ظهور اضطرابات إقتصادية داخل إيران، وخروج محتجين ضد مظالم إدارة الحكومة الإيرانية، كان الرئيس "حسن روحاني" في أوروبا يحاول جاهداً إنقاذ الصفقة النووية الإيرانية، من خلال تشجيع فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة، على الإيفاء بالتزاماتهم التجارية والاستثمارية التي سبق التعهد بها، قائلاً: "إذا إستطاع الموقعون المتبقون ضمان فوائد إيران، فستبقى إيران في الإتفاق النووي بدون الولايات المتحدة"، الا انه نظراً للتهديدات التي وجهتها الولايات المتحدة ضد أي دولة تواصل العمل مع طهران، والرغبة التي أبدتها إدارة ترامب في فرض عقوبات إقتصادية حتى على حلفائها، فمن المستبعد جداً أن تكون أوروبا راغبة في أن تتعارض مع الولايات المتحدة، وخاصة عندما تبدأ واشنطن بالفعل حرياً تجارية مع أوروبا، وببساطة، يمكن للولايات المتحدة أن تلحق الضرر بحلفائها الاوربيين، أكثر مما يمكن لإيران أن تساعد، وما يدلل على هذا التصريح الذي أدلى به الأمين العام لحلف الشمال الأطلسي "ينس ستولتنبرغ" على هامش قمة الدول الأعضاء في حلف الشمال الأطلسي التي عقدت في بروكسل في 11 يوليو 2018، من أن برنامج إيران الصاروخي مثير للقلق، وإنه لن يتم السماح أبداً لإيران بإمتلاك الأسلحة النووية، وأضاف بأن هناك تحركاً أوروبياً ضد إيران لإرغامها على إيقاف أنشطتها الصاروخية المزعزعة للأمن والإستقرار في منطقة الشرق الأوسط والعالم، كما أن البوادر الأولى لقمة هلسنكي تشير إلى أن قمة بوتين- ترامب، تشكل بداية عملية لتحجيم دور إيران الإقليمية كمرحلة أولى، قبل أن يتم إنهائه في مراحل متلاحقة، وقد تكون سوريا واليمن الأساس لذلك، إلى جانب أن الأوضاع المتصاعدة في مناطق جنوب العراق، بدأت تشكل إرباكاً حقيقياً لقادة صنع القرار في إيران. للمزيد من المعلومات يمكن لإطلاع على مقال تحليلي ل: فراس إلياس، رؤية في قدرات إيران البحرية: تحديات غلق مضيق هرمز، مركز صنع السياسات للدراسات الإستراتيجية، 2018-07-15، متوفر على الرابط التالي:

وسوريا واليمن، كما أن الشعب الإيراني يندد باستمرار بضعف الإنفاق الحكومي على البرامج الاجتماعية والخدماتية، علاوة على ذلك، من شأن إلغاء الطلب على النفط الإيراني أن يعجل بتراجع الريال الإيراني إلى مستويات أكثر إنخفاضاً من الوضع الحالي، والذي كان السبب المباشر وراء موجة الاحتجاجات الأخيرة في طهران.

وعلى الرغم من المشكلات الاقتصادية التي تمر بها إيران يمكن القول إن إيران الكثير من المقومات الاقتصادية الداعمة في ردف بعدها إقليمياً، التي بتفاعلها مع الدور السياسي الذي تمتلكه، يمكن لها أن تؤدي دوراً إقليمياً لا يمكن إغفال النظر عنه.

رابعاً: المقوم العسكري

في عالم اليوم حيث لا تتضح لنا رؤية بواذر سلم تلوح في الأفق، ولا يوجد إتفاق بين الدول المتصارعة فيه، ولكثرة الخلافات وتضارب المصالح بين الدول، تلجأ أغلب الدول للتسلح. ويتراوح هذا التسلح من شراء العتاد والأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، وفي بعض الحالات الخاصة السلاح النووي، وإحدى هذه الدول التي تسعى لزيادة حجم رصيدها العسكري هي الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

تعدّ التوجهات الإيرانية لإملاك قدرات عسكرية متميزة، هي توجهات تاريخية نظراً لإختلاف الحضارة الفارسية عن الحضارة العربية، كما وتحاول إيران تأكيد قدرتها الذاتية، وتحقيق تفوق في التوازن الإستراتيجي على المستوى الإقليمي (على الأقل)، وقد بنت إيران عقيدتها العسكرية¹، بما يتواءم مع هذا التوجه.

¹ تتحدد أهم مرتكزات العقيدة العسكرية الإيرانية من المنظور الجيوبوليتيكي في الآتي:

. ترى إيران أنها قوة إقليمية مؤثرة، لها مصالحها في المنطقة، التي يجب أن تحافظ عليها، إلى جانب أنها دولة ثورية، لازالت تسعى إلى نشر ثورتها على مستوى المنطقة.

. امتلاك قدرة ذاتية تمكنها من مواجهة الحصار المفروض عليها من النظام العالمي، وإتخاذ الإحتياطات الأمنية لمجابهة الوجود العسكري الأجنبي الكثيف في المنطقة.

. إمتلاك أسلحة الردع المناسبة، للتصدي لإسرائيل، حيث ترى إيران أن وجود (إسرائيل) في المنطقة يمثل خطراً إستراتيجياً، وأن إبرام سلام معها ضدّ مبادئ الثورة.

. تسخير إمكانيات القدرة البشرية، في إنشاء جيش ضخم يمكنه تحقيق الأهداف الثورية الإيرانية، وذلك طبقاً لتوصية الإمام الخميني ببناء جيش العشرين مليوناً.

. إمتلاك القدرة في تحقيق الإكتفاء الذاتي من الأسلحة المتقدمة بأنواعها وإستخداماتها المختلفة، من خلال بناء قاعدة صناعات عسكرية ضخمة.

. إستثمار القوى المضافة التي تتمثل في بناء التحالفات (إيران-سوريا، إيران-حزب الله، إيران -حماس)، ذلك لتحقيق فكرة حماية النظام والدولة ودورها داخل الإقليم. للتفصيل بالموضوع راجع: تنامي الدور الإيراني، وتأثيره على الأمن القومي العربي، على الرابط

التالي: <https://bit.ly/3hZtWZS>

وعليه أصبحت إيران اليوم إحدى أقوى الدول عسكرياً في الساحة الدولية. وقد تمكّنت من تركيب منظومة دفاعية إستراتيجية تعدّ من بين الأقوى في العالم، من نواح عدّة خصوصاً على الصعيد القتالي. وقد فعلت ذلك كله بشكل سرّي، وبمساعدة محدودة من الدول بشكل عام -ولهذا يصعب على الباحث رصد أرقام دقيقة لحجم الترسانة العسكرية الإيرانية- كما يكمن جزء من قوتها الإستراتيجية في السريّة وقدرتها المتميّزة جدّاً في الحرب النفسية، من ناحية شتّى لهذا النوع من الحروب وتفاديها له أو عدم الوقوع ضحية تأثير الكاذب. وقد أثبتت ذلك مراراً على مرّ السنين، حين إستطاعت أن تصمد أمام جميع أنواع التهديدات العسكرية وغيرها من عدد كبير من الدول لها وزنها على الصعيد العسكري، فقد قامت بتفعيل قدراتها العسكرية والدفاعية وشتت حروباً نفسية مضادّة أضعفت العدو وجعلته خائفاً ومدافعاً بدلاً من أن يبقى على هجومه.¹

1. الجاهزية العسكرية الإيرانية: تعدّ القوة العسكرية الإيرانية القوة الأولى في الشرق الأوسط، ولها مركزها الإستراتيجي المؤثر على صعيد العالم من ناحية العدد والعتاد والجهوزية التامة والقدرة على التعبئة، حيث أطاحت (إسرائيل) وهيبته العسكرية وحجّمت تأثير أسلحتها من خلال إعدادها المتوازن لقدرتها العسكرية والدفاعية.

لكن القدرات العسكرية الإيرانية لا تسمح لها بدخول حرب نظامية متماثلة مع قوة كبرى، مثلاً مع القوات الأمريكية في المنطقة، وذلك نظراً لاختلال الميزان العسكري الهائل بين الجانبين، لذلك من المرجح أن تلجأ إيران إلى استخدام أذرعها عملاً بمبدأ "الحرب اللامتماثلة"، أو تكثفي بالتصعيد الخطابي فحسب. فسلح الجو الإيراني أقل من المستوى المتوسط، ولا يقارن بقوة سلاح الجو الأمريكي، خاصة وأن 90% من الطيران الإيراني تم الحصول عليه إبان حكم الشاه في السبعينيات أو أواخر الستينيات، والباقي حصلت عليه إيران من الاتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب مع العراق، ذلك أن الحظر الذي فرضته الولايات المتحدة على توريد معظم أنظمة التسليح التقليدية والرئيسية إلى إيران في يونيو 2010، سيزيد من إضعاف حالة المعدات الإيرانية، ورغم أن إيران حاولت بنجاح جزئي أن تنشّط صناعاتها العسكرية الوطنية، إلا إنها لا تزال تعتمد في هذا المجال على دول أجنبية كروسيا والصين وكوريا الشمالية، من أجل تطوير معدات ذات تقنية عالية، بما في ذلك الصواريخ المضادة للسفن، ومنصات صواريخ الدفاع الجوي. وعليه فإن "الدفاع الجوي الإيراني ليس أفضل حالاً بمنظوماته المتقدمة، إلا أنظمة "إس-300" التي تم الحصول عليها مؤخراً من روسيا مع بعض المنظومات قصيرة المدى مثل Tor-M1، في ظل الافتقار الشديد لقدرات القيادة والسيطرة والتحكم المحمول جواً الحديثة "طائرات الأواكس AWACS"،

¹ هادي زعرور، توازن الرعب، مرجع سابق، ص 103.

وكذا قدرات الحرب الإلكترونية والربط الآني والاتصالات عالية التشفير، ناهيك عن رادارات الإنذار المبكر والمسح الجوي المتطورة القادرة على رصد الأهداف الجوية الشبحية ذات البصمة الرادارية المنخفضة والمنخفضة جداً، فسيكون الوضع شديد الحرج لدى إيران في حال تعرضها لهجوم جوي أمريكي مركز.¹

ولكن هناك ميزة قوية لكل من سلاح الجو والدفاع الجوي الإيراني، وهي امتلاك أعداد كبيرة من المطارات المطلة على الخليج العربي وعلى حدود العراق، وتليها مطارات أخرى في المناطق الوسطى والشمال والجنوب بجانب مطارات للطوارئ، ما يمنح إيران عمقا استراتيجيا جيد جدا للقيام بمهام الدفاع والاعتراض الجوي، خاصة مع مساحتها الكبيرة التي تقدر بـ 1.6 مليون كم²، وتضاريسها الوعرة جداً، والتي يمكن استغلالها بشكل جيد في إرهابك الطرف المهاجم وتشتيت مجهوده الحربي في أكثر من اتجاه، فضلا عن استنزافه لاستخدام المزيد من الذخائر والطلعات الجوية المكلفة بشدة طبقا لمعادلة "تقنيات عسكرية حديثة = تكاليف تشغيل باهظة"، وتنفيذ الكمائن الجوية في المناطق الجبلية للطيران الأمريكي في حال قرر التقدم إلى العمق الإيراني، لتواجهه فيما بعد بإستراتيجية "دفاع الفسيفساء"².

وعلى نفس النهج يتبع الجانب الإيراني استراتيجية بحرية لا متماثلة ترنو للسيطرة على مضيق هرمز، وتتمثل هذه الاستراتيجية في ملء المضيق بأعداد من الزوارق الصغيرة مع استعمال أعداد كبيرة من الصواريخ المحمولة المضادة للسفن، بالتوازي مع إبتكارها عدداً من أنظمة الدفاع الصاروخي الساحلي، ومن وجهة نظرها، فإن اعتماد إيران على أساليب الحرب اللامتماثلة مرده أن قدراتها العسكرية التقليدية تواجه العديد من الإشكاليات، ومنها عدم الاهتمام بتحديث وإصلاح القوات الإيرانية البحرية، فهي تمتلك نحو 200 سفينة تعود إلى عهد الشاه "محمد رضا بهلوي"، علاوة على عدم جاهزية القوات التقليدية

¹ كيف يمكن لإيران استنزاف الجيش الأمريكي حال الدخول في حرب عسكرية نظامية في الخليج؟، روسيا اليوم RT، بتاريخ 2019/06/10، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3dwzETE>

² استراتيجية دفاع الفسيفساء: بطبيعة الحال لن تعمل القوات الأمريكية ضمن الأراضي الإيرانية في ظل أفضل الظروف، وفي الواقع تدرت قوات الحرس الثوري لفترة طويلة على خطة لشن حملة تمرد وحرب عصابات ضد القوات الغازية، وسوف تتضمن هذه الخطة التي يسميها الحرس الثوري "دفاع الفسيفساء"، جهوداً مشتركة بين الحرس الثوري والباسيج والقوات المسلحة النظامية، إذ تسمح خطة دفاع الفسيفساء لإيران بالاستفادة من عمقها الاستراتيجي والجغرافي الهائل في تنظيم حركة مسلحة ضد القوات الغازية... وكلما امتدت خطوط إمداد العدو إلى داخل إيران، فإنها ستكون عرضة للاعتراض من قبل خلايا خاصة شكلها الحرس الثوري لمضايقة عمليات العدو، وقد تدرت قوات الحرس الثوري والباسيج على وضع كمائن مدرعات وطائرات هليكوبتر العدو، وأجري الكثير من هذا التدريب في بيئة حضرية، ما يشير إلى أن إيران تعترم استدراج قوات العدو إلى المدن؛ حيث سيكونون محرومين هناك من القدرة على التنقل والحصول على الدعم الجوي، هذا إلى جانب محور المقاومة الذي أسسته إيران في منطقة الشرق الأوسط، والذي سيوظف عسكرياً في أية عمليات عسكرية ضد إيران مستقبلاً. See more : Brian Katz, **Axis Rising: Iran's Evolving Regional Strategy and Non-State Partnerships in the Middle East**, Report (CSIS), Centre For Strategic & International Studies, October 11,2018, p3.

للعمليات التي تتطلب تحركاً سريعاً، وعلى العكس من ذلك، تشير إلى إن قوات الحرس الثوري تتمتع بعدد من عناصر القوة، فهي تتبنى أساليب الحرب اللامتماثلة وتكتيكات أخرى متعددة، ما يصعب التنبؤ بتحركاتها، وفي هذا الإطار، كثيراً ما تقوم تلك القوات بفرض عدد من القيود على السفن المارة في الخليج، وممارسة مجموعة من الاستفزازات.¹

تعدّ القوات العسكرية الإيرانية وخاصة الحرس الثوري، منظمة عسكرية قادرة على تنفيذ عمليات قتالية متنوعة، ورغم أن القوات المسلحة تعاني من تواجد ترسانة أسلحة متقدمة، إلا إن ابتداء هذه القوات لتكتيكات الحرب اللامتماثلة، واستخدام تقنيات خاصة بها ذات تأثيرات قوة تعوض هذا النقص، ويعني أن إيران قادرة على فرض تحديثات على معظم عدائيات، خاصة جيرانها الضعفاء مقارنة بها، وفي نفس الوقت فإنه بمقدور إيران أن تعوض عدم قدرتها على توفير قوة ردع مؤثرة ضد قوى معادية لها تتفوق

¹ إن الإستفزازات البحرية التي تقوم بها إيران في مضيق هرمز، وخصوصاً من جانب القوات البحرية التابعة للحرس الثوري الإيراني، باعتبارها تضطلع بالمهمة الرئيسية في منطقة الخليج العربي وخليج عمان، كان لها الكثير من التداعيات الأمنية على المصالح الخليجية والدولية، ولعل هذا يأتي إستكمالاً لإستراتيجية الحرس الثوري البرية في ساحات الصراع الأخرى في الشرق الأوسط، كونه الأداة الرئيسة في إستراتيجية إيران الإقليمية. وبالترابط مع إستراتيجية الدفاع الغير متماثل التي يعتمدها الحرس الثوري في إطار الحروب البرية، فقد إستطاع أيضاً أن يطبق فرضيات الدفاع الغير متماثل في إطار إستراتيجيته البحرية، فنظراً لمحدودية القدرة الإستراتيجية للبحرية الإيرانية في الخليج العربي وخليج عمان، ذهبت إيران بإتجاه تبني إستراتيجية التعرض البحري الغير مباشر، وذلك من خلال الدفع بأعداد كبيرة من الزوارق البحرية الصغيرة، والمزودة بصواريخ محمولة على الكتف، وطرادات بحرية من طراز FFLS البريطانية الصنع، وغواصات صغيرة من طراز Yono المستوردة من كوريا الشمالية مؤخراً، والصواريخ الباليستية المضادة للسفن (ASBM) فضلاً عن تطوير أنظمة الدفاع الساحلي "كروز"، وزرع الألغام البحرية، ونصب مفاوز بحرية عشوائية، إلى جانب تسخير أسراب من الطائرات بدون طيار، والمجهزة بقنابل متفجرة، من أجل شن هجمات إنتحارية على سفن العدو، وكذلك مروحيات بحرية من طراز 3 D و AB-212 و RH-53، وطائرات F-27 الثابتة الجناحين، وعدد صغير من الحوامات البحرية، والتي تأتي جميعها من أجل فرض سيطرة غير مركزية على منطقة مضيق هرمز، والتي هي بصورة أخرى غير موازية للوجود الأمريكي هناك، حيث أن إيران قامت بوقت سابق بنقل أغلب سفنها الحربية الكبيرة إلى مناطق بحر قروين والمحيط الهندي، كونها تدخل في سياق الحروب التقليدية، وهو ما لا يتواءم مع إستراتيجية الحرس الثوري الإيراني التي تعتمد إستراتيجية الدفاع الغير متماثل، القائمة على فرضية "أضرب وأهرب"، بوصفها ركيزة أساسية في التحرك العسكري في البر والبحر، فضلاً عن أن البحرية الخاصة بالحرس الثوري نسجت علاقات قوية في الأونة الأخيرة مع العديد من مجاميع القرصنة البحرية كحركة الشباب الصومالي في باب المندب، تحت فرضية الجهاد البحري المقدس، من أجل شل حركة النقل البحري وإمدادات الطاقة السعودية والأمريكية والدولية عبر البحر الأحمر.

وفي هذا الإطار، نجد بأن البحرية الإيرانية في الخليج العربي تعتمد على شن عمليات أشبه بعمليات القرصنة البحرية، عند القيام بعمليات تفتيش السفن المارة بالخليج العربي، كما حدث في عام 2016، عندما إحتجزت البحرية الإيرانية مجموعة من البحارة الأمريكيين دخلوا المياه الإقليمية الإيرانية، أو عندما قامت بإطلاق النار على سفينة تحمل علم سنغافورة في عام 2015، قالت انها ألحقت الضرر بمنصة بحرية إيرانية، أو ما قمت به أثناء الحرب العراقية الإيرانية فيما عرف آنذاك بـ"حرب الناقلات"، إذ عادةً ماتربط عمليات إطلاق سراح الرهائن الذين يتم إلقاء القبض عليهم، مقابل مبالغ مالية أو شروط سياسية، إذ تقوم بمهام التفتيش سفن صغيرة تظهر وتختفي فجأة، بمعنى أننا لسنا أمام قوة بحرية لها من التقاليد الحربية المتعارف عليها. للمزيد ينظر في: فراس الياس، رؤية في قدرات إيران البحرية... مرجع سبق ذكره.

عليها مثل الولايات المتحدة، بسعيها نحو تطوير برامج نووية مزدوجة الاستخدام (مدني وعسكري)، وتدعي إيران أنّ عمليات تخصيب اليورانيوم التي تقوم بها هي للأغراض المدنية، ولكن بالنظر لما ثبت من شواهد عن سعيها للحصول على تصميمات أسلحة نووية، فإن ذلك يعطي دلالة على نواياها لامتلاك قدرات نووية.¹

وعليه فإن الردع النووي الإيراني الذي يركز على إزدهار برنامجها لتطوير صواريخ باليستية، سيوفر في النظرة الإيرانية قدراً كبيراً من الأمن في علاقاتها مع دولتين من أشد أعدائها وهما الولايات المتحدة و(إسرائيل)، وأيضاً حصانة أكبر في الدائرة الإقليمية. كما أن الحرب العراقية الإيرانية التي نشبت في الثمانينيات من القرن العشرين، أمدت المؤسسة العسكرية الإيرانية خبرة وقوة. والجندي الإيراني من أقوى الجنود في العالم وأفضلهم تدريباً وأحسنهم إعداداً.

وبهذه الجهوزية تعدّ إيران من الدول الأولى في العالم من ناحية القدرة على الإستعداد والتجهيز والتواجد في ساحة القتال. وقد أثبتت إيران القدرة مراراً من خلال المناورات والضربات الردعية التي اسقطت من خلالها طائرات تجسسية مقتحمة مجالها الجوي.

_ أما عن القوات المسلحة الإيرانية فهي تشمل الحرس الثوري، الجيش، القوات الجوية، والقوات البحرية. والعدد الإجمالي للقوات المسلحة الإيرانية (بدون قوات الأمن الداخلي) وفقاً لتقديرات GFP، بلغ في 2019 أكثر من 523.000 فرد. ويبلغ عدد الإحتياط 350.000 فرد.²

أما بالنسبة للأسلحة والمعدات العسكرية فجزء منها من صنع أمريكي وبريطاني وتم استيرادها قبل الثورة الإسلامية في عام 1979. وفي النصف الأول من التسعينيات، استوردت إيران من روسيا كميات كبيرة من السلاح والمعدات العسكرية. ويعتبر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، "آية الله علي خامنئي" القائد الأعلى للقوات المسلحة.

_ يملك كلّ من الجيش وفيلق حرس الثورة، قواته البرية والجوية والبحرية، يضمّ فيلق حرس الثورة بنيات عسكرية تنفّذ نشاطات الاستطلاع والتخريب الاستراتيجية- قوة "القدس" للعمليات الخاصة وقوات المقاومة "باسيج"، ومن ضمن مهام "باسيج" تدخل أعمال الدعوة والترويج وتنفيذ التدريب للسكان المدنيين، وعند اندلاع الأعمال القتالية ينخرطون في وحدات الحرس الثوري.³

¹ حسام سويلم، التحليل الإستراتيجي للقوة العسكرية الإيرانية (4-4)، البوابة نيوز، بتاريخ 2013/04/13، على الرابط: <http://bit.ly/3duoDSH>

² Global firepower (GFP), "IRAN 2019 Military Strength Ranking", 2019, Accessed ,26 May 2019, Available Online At: <https://bit.ly/2EZbYbL>

³ المصدر: تاس <https://bit.ly/353i3i1>

2. القدرات والمقومات العسكرية (القدرات التقليدية وغير التقليدية):

إن امتلاك دولة إيران للموقع الجيو-استراتيجي والإمكانات الاقتصادية والديموغرافية مكنها من امتلاك القدرات الصلبة العسكرية المتمثلة في:

أ. القدرات العسكرية الإيرانية التقليدية-النظامية: صنّف موقع GLOBAL FIREPOWER (GFP) سنة 2019، إيران من ضمن أقوى 20 دولة من حيث مقدراتها العسكرية.² هذا التصنيف الذي يأخذ بعين الاعتبار ويراعى فيه: عدد الأسلحة وتنوعها، الأسلحة النووية، والمخزونات النووية، والعوامل الجغرافية، والقوة الديمغرافية، والمرونة اللوجيستية، والموارد الطبيعية، وامتلاك السواحل البحرية، والاستقرار المالي، والقيادة السياسية والعسكرية. وتقسّم قاعدة البيانات العالمية القوات العسكرية الإيرانية في: القوة برية، وقوة جوية، وبحرية ومقدراتها الظاهرة في الشكل التالي:



¹ " IRAN 2019 Military Strength Ranking", op cit.

² يستند تقرير GFP في تقييمه إلى عشرات المعايير من بينها تنوع الأسلحة وعددها الإجمالي والإنفاق العسكري والقوة البشرية. والقوى النووية المعترف بها تحصل على نقاط إضافية، لكن مخزوناتها النووية لا تؤخذ في التقييم. وتخلص هذه المعايير مجتمعة إلى مؤشر تقييمي يسمى بالباور إيندكس (مؤشر القوة) أعلى درجاته 0.00. وهي "غير قابلة للتحقق فعليا" حسب تقرير "غلوبال فاير باور".

إنفوجرافيك: تصنيف القدرات العسكرية؛ البرية، البحرية، والجوية الإيرانية حسب قاعدة البيانات، GLOBAL FIREPOWER(GFP) لسنة 2019.

المصدر: الخليج أونلاين ' إنفو جرافيك القدرات العسكرية الإيرانية' 14ماي 2019: <https://bit.ly/3335GQg>

• **القدرات الصاروخية لإيران** : من بين أكبر قوة صاروخية في منطقة الشرق الأوسط، يتم تشغيلها بواسطة القوة الجوية في الحرس الثوري الإيراني. وتضم ترسانة إيران الصاروخية: صواريخ الشهاب (أو النيزك)، BM-2 MUSUDAN VARIAT ، صواريخ باليستية قصيرة المدى وصواريخ كروز، وصواريخ كروز مضادة للسفن، الصواريخ المضادة للدبابات، صواريخ أرض جو، رؤوس نووية.¹

• **البرنامج النووي** : تمتلك إيران حوالي 19000 جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم، ومخزون يصل إلى 400 رطل من اليورانيوم المخصب بنسبة 20%. يمكنها من صناعة رؤوس نووية تجعلها بعيدة عن أي هجوم عسكري محتمل من أعدائها خاصة الولايات المتحدة الأمريكية و(إسرائيل).² وكأداة ضغط وتأثير لتوسيع نفوذها الإقليمي في ظل العقوبات الاقتصادية والعزلة المفروضة عليها.

ب. **القدرات العسكرية الإيرانية غير النظامية**: تنقسم القوات المسلحة الإيرانية القادرة على خوض الحروب غير المتماثلة من: الحرس الثوري الإسلامي المعروف بالفارسية باسم سباح باسدان إنغلاب إسلامي The Sepah E-Pasdaran Enghelab Islami وعلى ميليشيا الباسيج وقوات القدس.³

• **الحرس الثوري الإيراني** : تأسس الحرس الثوري، عقب الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979 كميليشيات مسلحة من النخبة المسؤولة عن حماية النظام الديني - الشيعي من التهديدات الداخلية. وكقوة تضم حوالي 125000 فرد تمتد إلى ما وراء إيران، داخل النزاعات الإقليمية الكبرى في جميع أنحاء الشرق الأوسط، من خلال: سيطرتها على وحدة قوات القدس يقدر عدد أفرادها ما بين 2000-5000 المسؤولة عن عملياتها في الخارج إدارتها لقوات الباسيج الإيرانية.⁴

3. أنواع الأسلحة الإيرانية:

توجد لدى القوات المسلحة الإيرانية نماذج مختلفة من الأسلحة السوفيتية والروسية، بما في ذلك الطائرات الحربية والمروحيات والغواصات التي تعمل بالكهرباء والديزل وكذلك الدبابات والمصفحات ونظم الدفاع الجوي الصاروخية والصواريخ الجوية وذخيرة. وتنتج إيران دبابات "T-72" بترخيص من روسيا. وفي الفترة

¹ committees of congress, crs report: "Iran's Foreign And Defense Policies", U.S.A, Congressional Research Service(CRS), 11 december 2018. P.15. PDF link: <https://bit.ly/2F3zUdQ>

² Everycrsreport, "Iran'S Foreign and Defense Policies", EveryCRSreport.com, 08 May 2019. Accessed: 25 May 2019, Available online at: <https://bit.ly/358tSTV>

³ committees of congress, crs report: "Iran's Foreign And Defense Policies", USA: Congressional Research Service(CRS), 16 january 2018. P.17. Available pdf online at: <https://bit.ly/3302tkE>

⁴ DW.COM, "What Is Iran's Revolutionary Guard?", 05.04.2019, Accessed: 25 May 2019, Available, online at: <https://bit.ly/35acL4e>

2007-2000 بلغت حصة روسيا في المستوردات العسكرية الإيرانية 85 %، وفي أبريل/ نيسان 2016 سلمت روسيا للجانب الإيراني الدفعة الأولى من منظومات الدفاع الجوي الصاروخية "S-300". وتوجد في إيران سبع مجموعات صناعية تنتج الأسلحة والمعدات والذخيرة للجيش والحرس الثوري.

تتألف القوات البرية من 350 ألف شخص من ضمنهم 220 ألف من المجندين (مدة الخدمة الإلزامية 21-شهرًا) مع أكثر من 1600 دبابة بما في ذلك 480 من طراز "ت-72" و 150 من طراز "M60A1" الأمريكية وحوالي 100 من طراز شيفتن البريطانية وحوالي 540 دبابة سوفيتية ("ت-45" و"ت-55"). وتملك القوات الإيرانية حوالي 600 عربة قتالية مدرعة "ب م ب" و 640 عربة نقل جنود مصفحة "BTR" وكذلك أكثر من 8700 مدفع وراجمة صواريخ. وتملك القوات البرية كذلك أكثر من 200 طائرة هليكوبتر من مختلف الطرازات والأنواع وحوالي 180 بطارية دفاع جوي سوفيتية وصينية وروسية¹. وتضم القوة البرية لفيلق الحرس الثوري حوالي 100 ألف مقاتل. وخلال شهر يمكن تعبئة حوالي 3 ملايين شخص في قوات "باسيج".

أما القوات البحرية فتضم 18 ألف عسكري بما في ذلك 2600 من مشاة البحرية. وفيها قيد الخدمة: 29 غواصة و 69 سفينة سطح قتالية (فرقاطات وزوارق صاروخية وكاسحات ألغام وسفن إنزال) وتوجد لدى القوات البحرية مجموعة جوية.

ويخدم في القوات الجوية الإيرانية 30 ألف عسكري بما في ذلك 12 ألف في قوات الدفاع الجوي. وتضم القوات الجوية حوالي 330 طائرة حربية بما في ذلك 180 مقاتلة أمريكية وسوفيتية وبريطانية و 120 طائرة نقل عسكرية وقاذفات أمريكية وروسية وطائرات تدريب وأكثر من 30 مروحية قتالية².

المطلب الثاني: الأداء الإستراتيجي الإيراني في سوريا والشرق الأوسط

أولاً: محددات الإستراتيجية الإيرانية بين الاتجاهات والأولويات في ظل التحولات الإقليمية الجديدة جعلت تطورات الأحداث الأخيرة التي شهدتها المنطقة جزءاً من الأزمات السورية، الاستراتيجية الإيرانية في حتمية لإعادة النظر في رسم توجهاتها وترتيب أولوياتها بما يتلاءم مع المتغيرات الإقليمية لاسيما مع تصاعد مكانتها ونفوذها في الشرق الأوسط.

1: القوة الإيرانية في بحثها عن دور القيادة الإقليمية

تسعى إيران إلى لعب دور أكبر في السياسة الإقليمية بتوسيع دائرة نفوذها السياسية في المنطقة، فقد أسهم كل من احتلال العراق عام 2003 والأزمة في سوريا 2011، في تصاعد نفوذها وجعلها دولة محورية

¹المصدر: تاس <https://bit.ly/2F8CP4I>

²المصدر: تاس <https://bit.ly/353i3i1>

وقوة إقليمية في ظل بيئة إقليمية غير مستقرة، وأضحت حلقة وصل بين الشرق الأوسط وآسيا، لما تتمتع به من إمكانات عسكرية تقليدية ونفوذ ثقافي وسياسي واقتصادي متصاعد ومؤثر، كما أنها تلجأ لاستخدام "القوة الناعمة". أي القدرة على استخدام السياسة والثقافية في سعيها لتحقيق مصالحها الإستراتيجية، فضلاً عن أنها تتفوق على الغرب بامتلاكها المعرفة الدقيقة بالمنطقة، وإجادتها للغاتها وثقافتها بما تملكه من علاقات تاريخية قوية.¹

وعليه تجد إيران في نفسها أكثر من أي بلد آخر، القائد الطبيعي على جيرانها، إذ يمتلك الإيرانيون عبر الأجيال حس التفرّد بتاريخهم وعظمة حضارتهم، وقوة ما توالى على حكم بلادهم من إمبراطوريات ملأت الدنيا وشغلت فكر الشعوب..، وبالرغم من تقلص إمبراطوريتهم على مرّ القرون، وتلاشي الثقافة الفارسية بأخرى غربية أكثر إغراءً، إلا أن ذلك لم يؤثر في تقدير الذات والنظرة المبالغة إلى إيران، وإيمان الإيرانيين بوجود امتلاك بلادهم الريادة الإقليمية.² كما أن إيران وبما تمتلكه من كتلة بشرية ضخمة وموقعا جغرافيا استراتيجيا وامتدادا تاريخيا عميقا وتأثيرا معنويا متوصلا على جوارها الجغرافي، قادرة على أداء دور محوري بارز في منطقة الشرق الأوسط، باعتبارها من أكبر الدول التي لها المقومات اللازمة والتي تدفعها أيضا لأن تكون طرفا لا غنى عنه ورقما صعباً في حساب المعادلات الإقليمية.

قوتها وتأثيرها على الأوضاع أكد عليها بعض المسؤولين في خطاباتهم، منهم "حامد زهري" مسؤول حكومي سابق مصرحا: "ان إيران هي بالفعل قوة عظمى في المنطقة وأنها احتلت المكانة الصحيحة، ولا مجال للعودة للوراء".³ كما وتدرّك إيران جيدا أن دورها الإقليمي القيادي في الشرق الأوسط لا يمكن أن يتحقق إلا بمباركة قوة عالمية كالولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا الاتحادية، أي أنّ توفير الشرعية الدولية يمكنها من اكتساب الشرعية الإقليمية، خاصة وأن بعض الدوائر في واشنطن وروسيا لا ترى في دول الخليج في موازاة مع إيران.

وقد رحّبت إيران بالتغيير واعتبرت ذلك جزءا من "الصّحة الإسلامية" في العالم العربي واعتبرته وسيلة لتقوية المحور المناهض للولايات المتحدة في المنطقة.⁴ وفي نفس السياق فقد عملت إيران على ترسيخ

¹ محمد ياس خضير، أمن الخليج في ظل التحولات الإقليمية الجديدة، مجلة دراسات دولية، العدد 53، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2012، ص 138.

² رأى تقيه، إيران الخفية، ترجمة أيهم الصباغ، شركة مكتبة العبيكان للتوزيع، الرياض، 2010، ص 71.

³ محمد سعد أبو عامود، إيران ودول الخليج العربية: علاقات متوترة، مجلة السياسة الدولية، العدد 176، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، جويلية 2009، ص 197.

⁴ Marlène Laruelle، 'Iran's regional quagmire', september 2012, P2.

نفوذها من خلال احتواء الحركات العربية الجديدة لمصلحتها لتبعدها بذلك عن الولايات المتحدة وحلفائها، كما أنّ هفوات وأخطاء الولايات المتحدة والسعودية خلقت فرصاً لإيران في استغلال هذه الثروات.¹ وعليه يمكن القول أنّ نتيجة الأحداث والمتغيرات التي شهدتها المنطقة منذ بداية الازمة في سورية وحركات التغيير ومخرجاتها، غيّبت القوى الإقليمية العربية كسوريا ومصر مما أحدث فراغاً تحركت إيران لمئاته. كما وتسعى أيضاً لأن تلعب دور البديل الاستراتيجي² بالمنطقة، أو تؤدي دور "القوة التعديلية"³ في التوازن الإستراتيجي للنظام الإقليمي الشرق أوسطي.

ففي ضوء فهم الدولة لمكانتها الدولية واعتراف الدول الأخرى لها بهذه المكانة، تستطيع هذه الدولة اعتماد سياسات القوة اللازمة في النظام الدولي. والذي يضمن أقصى قدر ممكن لحماية مصالحها، وتحقيق أدوارها المرسومة. ووفقاً لذلك يمكن تفسير الرؤية المتبادلة بين الإقليمية (نظاماً وقضايا) والعالمية (قوى وقضايا)، ورغم التطور الحاصل في طبيعة العلاقات الإقليمية، وظهور قوى إقليمية تحاول أن تعدّل من الوضع القائم، يتّضح لنا مباشرة على رأس القائمة التوجّه الإيراني على الساحة الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، وبدون منازع تنافس بشراسة على تموضعها وقوتها ونفوذها بالمنطقة، معتمدة في ذلك على كل الوسائل والمقومات والمرتكزات التي تدفع بها لتكون قوة تعديلية واضحة المعالم بالمنطقة.

¹ مارك لنج، السياسة الأمريكية تجاه إيران ومتغيرات الشرق الأوسط، ترجمة، حسين شلوشي، آيات شحرور، مجلة حمورابي، العدد 1، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد، 2011، ص 170.

² ثمة وجهاً آخر يمثل حدوداً لفكرة الدور الإقليمي لإيران من خلال دورها كبديل استراتيجي، في إيران شريك للعرب بحكم الصلات التاريخية والجوار الجغرافي والتداخل السكاني فهي تطل على الخليج العربي، وباقي الدول المطلة على الخليج العربي هي دول عربية، ولما كان الخليج العربي هو أحد المنافذ البحرية لإيران والمعبر الرئيسي لنحو 80% من صادرات نفطها، فإن العلاقات العربية الإيرانية تكتسب أهمية خاصة، ونتيجة الصراع الإيراني الأمريكي بشأن البرنامج النووي الإيراني، فإن إيران لا تشكل في الوقت الراهن بديلاً استراتيجياً أساسياً للعرب فيما يتعلق بالقضايا الأمنية، وخاصة إذا كانت الإستراتيجية الغربية هي للتسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي، ولكنها بديل مهم إذا كانت تلك الإستراتيجية تدور حول المقاومة، ولذلك تظل إيران بديلاً إستراتيجياً في المدى البعيد إلى أن تحلّ الأزمة النووية. لمزيد من المعلومات انظر: عصام فاعور ملكاوي، تركيا والخيارات الإستراتيجية المتاحة، بحث مقدم في الملتقى العلمي، الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية، المنعقد في مدينة الخرطوم، الشبكة الدولية الأنترنات، بتاريخ: 3-2016/6/5، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bxcui>

³ مفهوم القوة التعديلية: أتى بفكرة القوة التعديلية المنظر والأستاذ، "جون ميرشايمر" في كتابه المعنون بـ "مأساة سياسة القوى الكبرى" The Tragedy Of Great Power، بحيث يعرفها على أنها التعديلية أو النزعة التعديلية Revisionism، نزوع لدى القوى العظمى، والدول عموماً نحو تغيير أو تعديل توازن القوة لصالحها سلماً أو حرباً. لأنّ "القوة النسبية للدولة في مقابل الدول الأخرى هي الضمانة الأولى لبقاء الدول، ولذلك تقف القوى التعديلية على طرف النقيض من قوى الوضع الراهن التي تسعى للحفاظ على توازن القوة الحالي، بالطبع لأنّه في صالحها، ويشير في كتابه أيضاً إلى ان النظام الدولي لا يضمّ دولاً من نوع قوى الوضع الراهن Power Status Qua، إلا الدولة المهيمنة الحالية التي تسعى إلى الحفاظ على مكانتها المهيمنة على المنافسين المحتملين، فالقوى العظمى لا ترضى أبداً عن التوزيع الحالي للقوة، ويسيطر عليها دائماً دافع إلى تغييره لصالحها، فدائماً ما تكون نواياها تعديلية، وتستخدم القوة لتعديل توازن القوة. للمزيد ينظر في كتاب: جون ميرشايمر، "مأساة سياسة القوى العظمى"، مرجع سابق، ص 3.

وحسب ما تبين في المبحث الأول من الدراسة، فلايران إمتداداتها التاريخية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية المعقدة. الأمر الذي ساعدها لأن تقوم بلعب أدوار إقليمية بموضوعات عديدة ومختلفة، ونستند في ذلك لما تناوله المفكرين والمختصين نحو هذا الموضوع، نذكر على سبيل المثال "والتر رازل ميد" Walter Ruselle Mead، والذي نشر مقاله في مجلة الشؤون الخارجية، بعنوان: **The Return of Geopolitics: The Revenge of the Revisionist Powers** "عودة الجغرافيا السياسية: إنتقام القوى التعديلية"¹ وهنا نفسر بأن عودة الجغرافيا السياسية ترتبط بحالات الفراغ في القوة الإقليمية أو العالمية أو ما نسميه بـ "الفراغ الإستراتيجي" الذي أوجدته المرحلة الإنتقالية في النظام الدولي، الأمر الذي يدفع بالقوى التعديلية إلى المبادرة بتبني سياسات إقليمية أو عالمية تهدف بالأساس إلى التأثير في أنماط توزيع القوة لمصلحتها. وعلى هذا الأساس يتجلى لدينا بوضوح ان إيران توفر لديها عنصر مهم من العناصر التي تؤهلها لأن تكون قوة تعديلية بالمنطقة. وفي الأخير يمكن القول، أن الأزمة السورية وبتداعياتها، قد أثرت بشكل مباشر في بنية القوة الإقليمية، وبشكل غير مباشر في بنية القوة العالمية التي تشكلت بعد نهاية الحرب الباردة.

2_ التكيف الاستراتيجي الإيراني مع التحولات الإقليمية لما بعد 2011

إن تطورات الأوضاع السريعة في الشرق الأوسط جعلت إيران مهتمة بقراءة مقتضيات وتفاصيل ما يحدث في المنطقة بقدر كبير لم تكن معنية فيه من قبل، فقد تلمست إيران حجم التأثير الكبير الذي فرضته الثورة السورية والثورات العربية الأخرى، سواء على صعيد التحولات الداخلية الجذرية التي شهدتها هذه الدول أو على صعيد توازنات القوى الإستراتيجية في الشرق الأوسط، التي تبدو مقبلة على مرحلة إعادة هيكلة جديدة لم تُحدّد ملامحها النهائية بعد، لكنّها في كل الأحوال وصلت انعكاساتها على المصالح الإيرانية وطموحاتها في الإقليم.

وعلى ذلك نسجت إيران إستراتيجية تتكيف مع الواقع الإقليمي الجديد، إستراتيجية ناتجة عن تغيير في المُدركات، ترجع بالأساس لأسباب داخلية مرّ بها النظام الإيراني بعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة، فقد كتب الرئيس الإيراني الحالي "حسن الروحاني" في مقاله الذي نشرته جريدة "الواشنطن بوست"، عن تطور مكانة ايران مصرّحاً: "إنّ ما تحاول إيران فعله اليوم، هو تحويل التهديد الذي يحيط بها من كل جانب إلى فرص، وتوظّف لأجل ذلك التنافس والتعاون في ساحات الصراع المتعددة التي باتت إيران لاعباً رئيسياً فيها، ولا تعدو الساحة السورية أن تكون رقعة شطرنج تحذو فيها إيران حذو روسيا، لتمارس استعراضاً

¹ See more: Walter Russell Mead, **The Return of Geopolitics: The Revenge of the Revisionist Powers**, Foreign Affairs, (Washington: the Council on Foreign Relations (CFR), Vol. 93, No. 3, May/June 2014), pp. 01-07.

للقوة والنفوذ، مع تحذير ناعم بتبعات تجاوزها في ترتيبات حل الأزمة¹. والملاحظ أنّ الإستراتيجية الجديدة فيها نوعاً من الإنفتاح على الغير، على عكس سابقتها إستراتيجية إيران في عهد الرئيس "أحمدي نجاد" في المنطقة.

كما أنّ الرئيس الإيراني "حسن روحاني" ابدأ استيعابه لمتطلبات المرحلة الحالية، فقدّم توجيهات جديدة تسعى من خلالها إيران إلى التكيف مع متغيرات الوضع القائم، وهو ما تأكّد بشكل خاص في أول مؤتمر صحفي له مشيراً: "من الأهداف الإستراتيجية التي سيسلكها، إنفاذ إقتصاد بلاده، والتفاهم مع الغرب عبر إحياء التواصل البنّاء وتحسين العلاقات مع دول الجوار" أما فيما يتعلق بالملف الخليجي الذي يعتبر من القضايا الشائكة في ملفات ايران الخارجية، فقد شدّد "إرساء علاقات ودّية مع كل دول الجوار، على أساس مبدأ حسن الجوار والإحترام المتبادل معتبرا ان لمنطقة الخليج أهمية إستراتيجية، وواصفاً دول المنطقة بأنها "شقيقة"، ولا سيما المملكة العربية السعودية التي ترتبط مع ايران بعلاقات ذات أبعاد ثقافية وتاريخية وإقليمية"².

نهجاً جديداً جاء به الرئيس الإيراني "حسن الروحاني"، يعتمد التعاون والدبلوماسية لاقى ترحيباً دولياً غير مسبوق، الأمر الذي حدّ من سرعة التهديدات وفرض الحصار على الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقتها. في نفس السياق وعلى هذا النهج، يؤكّد الرئيس "حسن الروحاني" في مقاله الذي ترجم فيه المصلحة الإيرانية وأولوياتها في المنطقة على الشكل التالي:

أولاً: تأمين نفوذ إيران في المناطق المتوترة، ممثلةً في العراق، أفغانستان والبحرين.

ثانياً: أن تكون تركيبة السلطة في سوريا بعد الأسد لا تقلص النفوذ الإيراني هناك.

ثالثاً: رفع أي قيود على قدرات إيران التي تسمح لها بالإستمرار في نشاط سياستها الخارجية، والإحتفاظ بنفوذها، والإعتراف بمكانتها في العالم، ويتضمن ذلك الإعتراف بحق إيران في امتلاك القدرات النووية اللازمة لإتمام دورة الوقود النووي، وهو ما يعني عملياً إحتفاظها بحق تخصيب اليورانيوم في مفاعلاتها النووية، وهو ما عدّه "روحاني" مكوناً مهماً في هوية الدولة الإيرانية، وشرطاً لازماً لتحقيق "الكرامة والإحترام لإيران في العالم"³.

اذن تبدو إيران حسب مدلول إستراتيجيتها المعن منها والمطبقة في المنطقة، قادرة على كسب مكانة مميزة في الميزان الإستراتيجي الجديد وقادرة على التكيف مع الإستراتيجيات الموجودة والمناهضة لها، كما

¹ Hassan Rouhani, **Why Iran seeks constructive engagement**, Published: September 20, access date: September 20-2013. Available online at: <https://wapo.st/2F0yQHJ>

² Op cit.

³ Ibid.

وأن لديها القدرة التي تُمكنها من إدارة وحفظ مصالحها والحفاظ على مكانتها، في ظل الوضع الإقليمي الذي يشهد خلا مؤقتا في التوازن الإستراتيجي الشرق أوسطي الناجم عن إنعكاسات الثورة السورية فيه. فضلاً عما تمتلكه إيران من خبرة تعزّز صمودها في مثل هذه الظروف، من قدرة تحكمها "بالقوة الناعمة" أي دبلوماسيتها التي أثبتت نجاعتها في كثير من الأحيان مع بعض الأطراف للتفاوض والحصول على تنازلات، وهذا ما تسعى إليه مؤخراً لإستدراج القوة الأمريكية المتحالفة مع دول الخليج للتنازل بدل التهديد. وفي مناخ كهذا، قد تستفيد طهران من الفراغ الحاصل في بعض الدول العربية ومن حالة التخبّط من أجل الدخول إليها، كما أنه من الممكن لها أن تستغل إختلال التوازن الإستراتيجي في مناطق أخرى وإستثماره لمصلحتها.

ثانياً: آليات توظيف القوة الإيرانية لتفعيل استراتيجيتها في سورية والشرق الأوسط

ترتكز العقيدة العسكرية¹ الإيرانية على فرضيات "الحرب اللامتائلة" أو ما يسمى بالحرب الهجينة²، بما في ذلك توظيف الجغرافيا والعمق الاستراتيجي والرغبة العامة في قبول الخسائر، وترجمتها تحت عنوان "الجهاد المقدس"، وذلك لمواجهة خصوم متفوقين عليها من ناحية التكنولوجيا، ولهذا تراهن إيران بشكل

¹ العقيدة العسكرية: وفق بعض المنظرين الإستراتيجيين هي "منظومة المفاهيم المتبناة رسمياً في دولة ما، والترتيبات المتخذة لمواجهة التهديدات ولضمان الأمن، وكذلك لمنع الحروب والنزاعات المسلحة"، كما إنها "نظام الرؤى المتطورة حول البناء العسكري وتحضير البلاد والقوات المسلحة والفرق الأخرى للدفاع عن الوطن"، وهي أيضاً رؤى حول وسائل تحضير نضال مسلح أو غير مسلح وإدارته دفاعاً عن البلاد، إذاً العقيدة العسكرية في جوهرها هي إعلان حول سياسة الدولة في مجال الدفاع.

وبالنسبة لإيران، شكلت الحرب العراقية الإيرانية خلال الأعوام 1980-1988 ركيزة مهمة في العقيدة العسكرية الإيرانية، فهي لازالت تدعم كل تحركات القوات المسلحة الإيرانية، من حيث الدروس المستفادة والنتائج المترتبة، كما إستفادت العقيدة العسكرية الإيرانية من الدروس العسكرية التي ترتبت على الإحتلال الأمريكي للعراق عام 2003، أو حرب 2006 بين (إسرائيل) وحزب الله، أو الصراع بين الحركات الفلسطينية و(إسرائيل)، من أجل دعم عقائدهم واستراتيجياتهم الخاصة. للمزيد ينظر في: فراس إلياس، العقيدة العسكرية الإيرانية، معهد واشنطن، 2018/11/15، على الرابط التالي: <http://bit.ly/3qDoksB>

² يعتبر حزب الله من أنجح الأمثلة على القوى التي طبقت الحرب الهجينة بنجاح، بل أن أسلوب عمل الحزب وخصائصه باتت القدوة التي تصبو الي تطبيقها قوى أخرى. وتمثل النجاح الأكبر لحزب الله في حرب صيف 2006 حين اعتمد مقاتلوه تكتيكات حرب العصابات مستخدمين صواريخ مضادة للدروع والسفن بنجاح مبهير. كما تمكنت صواريخه من تهديد الجبهة الخلفية للعدو، ونجحت أدواته الاعلامية من تحقيق نصر معنوي على العدو. حتى أن حزب الله تمكن من اختراق أجهزة اتصال العدو والتجسس على حركته ومنعه من اختراق صفوفه ما أوقع الجيش الاسرائيلي بحال من الضياع الكبير أدى الى هزيمته ميدانياً. وشاهدنا لاحقاً كيف حاولت حماس أن تعتمد أسلوب حزب الله، وانما بشكل مصغر في حرب غزة. وتعمل القاعدة اليوم بأسلوب "الفرانشايز" أي فروع تمول نفسها انما تسوق للفكر والعقيدة والأهداف الاستراتيجية نفسها. وعليه فان القاعدة تمثل أسلوباً لا مركزياً في الحرب الهجينة على مستوى دولي، ولهذا تكون محاربتها صعبة. للمزيد من المعلومات ينظر في: رياض القهوجي، الحرب الهجينة: تطور أساليب حرب العصابات والحرب الثورية في عهد الديجيتال، الأمن والدفاع العربي، بتاريخ 2010/03/15، مقال متوفر على: <http://bit.ly/3qBPzmv>

متزايد على مبدأ الحرب اللامتكافئة، في استعداداتها لمواجهة حرب محتملة ضدها مع أمريكا أو (إسرائيل)، وهذا الرهان منطقي من زاوية محددة، لكنه مدمر في المدى الطويل. ويمثل البعد الديني المذهبي أحد الأدوات الرئيسة في الاستراتيجية الإيرانية، والذي تستخدمه في التمدد وتعظيم نفوذها في المنطقة، ولا يعتبر توظيف إيران للبعد الديني - المذهبي في عقيدتها العسكرية مجرد شعارات فقط، وإنما يتعداه إلى تحركات على الأرض، تستهدف دعم الأقليات الشيعية في الدول العربية، وإذا ما وجدت الفرصة متاحة لها في أي دولة، فإنها تحاول إنشاء أحزاب سياسية أو ميليشيات عسكرية، تعمل على تحقيق مصالحها في هذه الدول، سواء في الضغط على حكوماتها كما هو الحال في حالة "حزب الله" اللبناني أو في إفشال أي تحركات سياسية لا تتواءم مع مصالحها، مثلما فعلت مع الحوثيين حين قدمت لهم الدعم العسكري حتى إحتلال العاصمة صنعاء في سبتمبر 2014¹. ومثلما فعلت في سوريا والذي سنوضحه في النقطة الموالية من البحث.

1_ الوسائل السياسية والدبلوماسية:

فقد تدخلت إيران لحل الأزمة السورية من خلال العمل السياسي في مفاوضات السلام المتمثلة في "مؤتمر جنيف" و"مبادرات أستانا" حيث إهتمت إيران بما يجري في سوريا من خلال "مؤتمر جنيف" عبر جولة الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني على عواصم "الهلال الخصيب"، حيث تعتبر إيران أي تدخل يعينها بشكل مباشر ويرقى إلى مصاف المفاوضات النووية مع القوى الدولية ومجموعة (5+1)². قدّمت إيران مبادرة لحل الأزمة السورية تتشابه مع جنيف في إطلاق عملية انتقالية في سوريا، بشرط امتناع السعودية وقطر وتركيا عن تسليح الثوار وتقديم الدعم لهم، بل إنّ طهران ذهبت أبعد مما يريد النظام وحتى روسيا في ترويجها لحل يشمل إخوان سوريا، وحسب رأي إيران فإنّ أي مبادرة لحل الأزمة السورية لا بدّ وأن تمرّ عن طريق طهران باعتبارها تمتلك أوراق اللعبة السياسية في سوريا، وأنّ أي تجاهل للدور الإيراني سيؤدي إلى فشل تلك المبادرات، باعتبارها تمتلك أوراق اللعبة السياسية في سوريا.³ تهدف إيران من خلال العمل على إيجاد حل سياسي للأزمة السورية إلى لعب دور إقليمي يؤهلها لتكون دولة بارزة إقليمياً ودولياً من خلال طرحها مبادرة للحل السياسي في سوريا تُسمى مبادرة النقاط الأربعة، التي تتضمن أربعة بنود وضعها وزير الخارجية الإيراني "جواد ظريف" كحل للأزمة السورية تضمنت هذه

¹ Brian Katz, *Axis Rising: Iran's Evolving Regional Strategy and Non-State Partnerships in the Middle East*, Op cite, page 4.

² مركز الشام للبحوث والدراسات، إيران والأزمة السورية القنبلة ودور الحرب الإقليمية الطائفية، مركز الشام للبحوث والدراسات، سوريا، 2013.

³ أحمد حسين الشيمي، "الدور الإيراني في سوريا: الأهداف والدافع"، مقال مطّلع عليه بتاريخ (2017/2/3)، على الموقع

الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/2Zaco5V>

المبادرة وقف إطلاق النار والسيطرة على الحدود السورية ومنع دخول المقاتلين الأجانب والسلاح إليها وفتح الأبواب أمام المساعدات بالإضافة الى بند الحكومة الانتقالية، كانت هذه المبادرة متطابقة مع مبادرة المبعوث الأممي "الأخضر الإبراهيمي" في تشكيل حكومة وحدة وطنية وتعديل الدستور وإجراء انتخابات، لكن كل هذا لم يفضي للتوصل لحل للأزمة السورية¹.

الدبلوماسية الشعبية: اعتمدت إيران العديد من الوسائل التي تجمع عادة تحت مسمى "القوة الناعمة" والتي تشمل الخطابات والشعارات الإعلامية والدعاية الثقافية والدعم المادي والتسويق الفكري والروابط الدينية أو القومية المشتركة النابعة من روابط تاريخية سياسية والمنح التعليمية والعمل الخيري وقواعد القانون الدولي وغيرها. وتأتي هذه القوة كوسائل تدعم أو تسهل على الدولة تحقيق أهدافها السياسية والإقتصادية، بحيث تؤسس عبر هذه القوة نظرة شعبية ذهنية تقوم على أحقيتها في تحقيق أهدافها، كما ترسم هذه الوسائل انطباعاً إيجابياً في اللاوعي الشعوري الجمعي، ولم تغفل إيران عن الركون إلى هذه القوة، وتوظيفها في خدمة مصالحها. عبر عدة أشكال ذكرناها من قبل بالتفصيل في تفسير القوة الناعمة الإيرانية.

إعتماد القوة الناعمة الإيرانية: وتأتي هذه القوة كوسائل تدعم أو تسهل على الدولة تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية وتشمل الخطابات والشعارات الإعلامية والدعابات الثقافية والدعم لمادي والتسويق الفكري والروابط الدينية أو القومية منها التاريخية والسياسية وغيرها وقد تبين توظيفها بشكل جيد في الاستراتيجية الإيرانية التي تسعى لخدمة مصالحها في الرث الأوسط وخصوصاً في الازمة السورية من خلال اعتماد الدبلوماسية الشعبية والتي اعتمدت في ذلك عدة اشكال أهمها:²

تأسيس هياكل هوياتية مشتركة: ظهرت هذه الهياكل عبر هويتي محور الممانعة والمقاومة "الأيديولوجي" ليس ضدّ (إسرائيل) فقط بل ضدّ "الإمبريالية العالمية" وكأنها أي إيران، الوريث الشرعي للقطب الشرقي المحارب للإمبريالية الغربية ومحور الهلال الشيعي "الديني الطائفي" وتغذية المحورين بشعارات المقاومة مثل "الموت لإسرائيل ولأمريكا ووكلائها" و"تحرير القدس يمر من سورية" ذلك الشعار المقبس من شعارها المستخدم خلال حربها مع العراق "تحرير القدس يمر من كربلاء" وشعارات الطائفية مثل "لبيك يا زينب" والأخذ بثأر الحسين". وفيما استطاعت إيران بشعارات "المقاومتيّة" استقطاب عدة فصائل يسارية وأخرى فلسطينية كفتح الإنتفاضة وقوات الصاعقة وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني،

¹ فيصل المقداد، "المبادرة الإيرانية لحل الأزمة السورية"، على الموقع الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3IREWLj>

² لمعلومات أكثر حول الموضوع أنظر: علي حسين باكير، اكتشاف القوة الناعمة الإيرانية: القدرات وحدود التأثير، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2013.

للمشاركة في محاربة فصائل المعارضة المسلحة إلى جانب النظام السوري، استطاعت بشعاراتها الطائفية استقطاب الألاف من الشيعة حول العالم، ويتم تدعيم هذه الهياكل الهوياتية بقنوات إعلامية فاق مجموعها الخمسين. وقد استخدمت إيران كل شبكتها الطائفية والسياسية حول العالم لخدمة موقفها في سورية، حيث عملت على تجييش الشيعة واليسار العربي لدعم النظام السوري، والترويج لخطابه السياسي.

- **نشر التشيع عبر المراكز الثقافية:** عملت إيران منذ بداية الثمانينات على نشر المذهب الشيعي من خلال مراكز الثقافة التابعة للسفارات الإيرانية حول العالم، ودعم المؤسسات الشيعية الدينية والتعليمية والثقافية والإعلامية في مختلف الدول. وكانت سورية بفعل العلاقات المتميزة بنظام الأسد الابن والإبن مع طهران واحدة من أبرز محطات النشاط الإيراني لنشر التشيع، حيث عملت على افتتاح المراكز الثقافية والدينية وفتحت باب البعثات التعليمية الدينية ونشرت الدعاة في مختلف المناطق السورية.

- **تمويل عدو الخصم:** ومن أبرز التحركات الإيرانية في هذا الإتجاه، تقديم الدعم أو التغاضي عن تحركات حزب العمال الكردستاني عبر مثلث الحدود التركية-العراقية-الإيرانية، والتفاهم معه فيما يتعلق بانتشاره في المناطق ذات الكثافة الكردية في شمال شرقي سورية، في سبيل تشييت انتباه خلايا الأزمة الفاعلة في مؤسسات صناعة القرار التركية، بعيداً عن التركيز التام في رسم استراتيجيات ناجحة ودائمة فيما يتعلق بالأزمة السورية.¹

- **الإستتباع وغرس الوكلاء الداخليين :** او الذين يعرفون باسم "الطبقات الطفيلية" تأسيسهم ليس بالأمر الصعب بالنسبة للإستعمار المباشر وغير المباشر الذي يحاول توظيف هؤلاء الوكلاء في سبيل إبقاء مصادر الدخل وأدوات الإنتاج الاقتصادية المجدية والمواد الخام، وبالتالي عملية صنع القرار السياسي والتوجه المجتمعي العام، ويتم صناعة الوكلاء الداخليين المرتبطين بالخارج، على النحو التالي:- تقديم الدعم المادي والعسكري لفاعلين في مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية من أجل تأسيس ركائز نظام سياسي وأمني يكفل احتكار، مطلق أو نسبي للقرار السياسي، ويطلق على هؤلاء الفاعلين اسم "البيروقراطية الكمبرادوية" أي السمسارية.- دعم وكلاء فاعلين اقتصاديا "البرجوازية الكمبرادوية" عبر ربطهم برأس مال الدولة الساعية للسيطرة، وإستتباعهم بعدة وسائل أهمها الإقراض المالي والتغلغل المؤسسي الواسع لدوائرها لتسهيل عليها سبيل بلوغ مصالحها، لاسيما المتعلقة بالمواد الخام الأولية والزراعية. ولعل فتح إيران باب الإقراض أمام عدد من رجال الاعمال الفاعلين ودعم بعض القادة العسكريين لاسيما "ماهر الأسد" و"غسان بلال"، وإقراض دمشق مقابل الحصول على مصادر ريعية "نقط

¹جلال سلمي، الدور الإيراني في سورية: التوصيف والسيناريوهات الممكنة، جسر للدراسات، 2018/09/18، على الرابط

الموالي: <https://bit.ly/32brKZS>

وفوسفات"، يأتي في إطار سعيها لتأسيس ما هو مطروح أعلاه، لا سيما من خلال الضغط على دمشق عبر الديون للتغاضي عن تغلغلها.

-**التغيير الديمغرافي:** ان تدمير العديد من المناطق السورية جراء الإستهداف العسكري المنظم لعدد من المناطق السورية التي شهدت حراكاً معارضاً أدى إلى تهجير سكانها فيما تم إجبار من بقي من السكان على الرحيل باتفاقيات فُرضت بالحصار الخانق، وبسياسية الأرض المحروقة. يعتقد ان هذه السياسة التي طبقت منذ وقت مبكر من عمر الأزمة تستند إلى تخطيط إيراني، كما أظهر تطبيقها أن الميليشيات الإيرانية كانت تشارك بفاعلية في تطبيقها، وظهر هذا الأمر بوضوح في ريف دمشق وحمص. حيث كانت هذه الميليشيات تتولى أعمال الحصار والقصف، كما تولى الطرف الإيراني حتى عملية التفاوض مع الفصائل المعارضة. وإضافة إلى المناطق التي شهدت حراكاً معارضاً، عمل سماسرة إيرانيون بشكل فاعل منذ عام 2012، على شراء عقارات في مناطق سيطرة النظام، وخاصة في مدينة دمشق والمناطق المحاذية للحدود العراقية من جهة واللبنانية من جهة أخرى، ما يشكّل ركيزة لمشروعها الجيوسياسي والجيو-اقتصادي المعروف بإسم "الخط الإسلامي" أو "الفارسي" الذي ينقل مصادر طاقتها انطلاقاً من أراضيها إلى العراق، مروراً بسورية ومنها إلى لبنان، ثم إلى الدول الأوروبية مستقبلاً، والذي يؤسس لممر بري حيوي تنتقل وميليشياتها، وبالأخص حزب الله اللبناني من خلاله بسهولة.¹

2- الدعم المالي والمشاركة الاقتصادية:

مع توسع التمرد المسلح، كان للعقوبات وفقدان التجارة والإنتاجية عواقب وخيمة على الاقتصاد المحلي السوري. إلى جانب نفقاتها العسكرية، فقد كان النظام السوري بحاجة إلى الدعم لدفع رواتب الدولة وتوفير الخدمات العامة. تدخلت إيران وعززت حصتها المالية في الاقتصاد السوري، بالإضافة إلى مزود الائتمان وتقديم القروض. من خلال اتفاق تجاري تم تنفيذه في عام 2012، تصاعدت التجارة الثنائية من 300 مليون دولار في عام 2010 إلى 41 مليار في عام 2014، مما جعل إيران أكبر شريك تجاري لسوريا. بينما كانت الشركات الأجنبية تغادر الأسواق السورية، مثل "توتال" الفرنسية التي أوقفت عملياتها في سوريا، كانت الشركات الإيرانية الأولى في محاولة منها لملء الفراغ في الاقتصاد السوري وتمكّنت من زيادة حصّتها في إعادة الإعمار السوري بعقود متفق عليها لإعادة بناء سوريا المتضررة خصوصاً في بنيتها التحتية وكان ذلك في منتصف عام 2013، ضاعت معظم حقول النفط والأراضي الزراعية في

¹ المرجع السابق بالذكر.

الشمال والشرق، مما أجبر دمشق على الإعتماد على طهران للحصول على قروض وتسهيلات ائتمانية وكان ذلك في عام 2013.¹

الدعم والإستثمار الاقتصادي: مع توسع المعارضة في سورية، كان العنصر الأهم بالنسبة للنظام هو الدعم الاقتصادي الخارجي الذي يُبقيه قائماً على أصوله كدولة بالحد الأدنى، وقد ساهمت إيران في توفير جزء وفير من الدعم الاقتصادي للنظام السوري على النحو التالي:

الإقراض: وقد تفوقت إيران على روسيا في معدلات إقراض النظام السوري، حيث منحته الى غاية سنة 2015، ثلاثة قروض الواحدة فيها بقيمة 3.6 مليار دولار وقد حصل عليه النظام السوري في عام 2013 والقرض الثاني في اوت من نفس العام وذلك في سبيل دعم استيراد السلع الأساسية، كالمواد الغذائية، وبالأخص القمح، ومشتقات النفط والسيولة النقدية للبنك المركزي السوري.²

الخط الائتماني: ويشير إلى مجموعة التسهيلات المالية التي تتضمن الإقراض عند الطلب، والسحب المكشوف بدون قيود، مقابل تقديم المقترض تأمينات، وبهذا الشكل قدمت إيران للنظام السوري ما قيمته 4,6 مليار دولار، وقد خُصصت هذه القروض في تأمين المشتقات النفطية، وتوريد الموارد الغذائية والمائية والادوية والمحروقات وترميم محطات الطاقة الكهربائية، وكان الشرط الأساسي لهذا الخط أن تكون جميع الواردات إيرانية. كما طلبت إيران مقابل هذا الخط "ضمانات سيادية" بقيمة 20 مليار دولار، وتشمل الضمانات السيادية رهانات على عقارات وأراض ومرافق حكومية.³

الإستمرار في التعاون التجاري: فُرضت على النظام السوري عام 2012، عقوبات اقتصادية تركت أثرها على معاملاته النقدية والتجارية مع الدول الأخرى. وأدى ذلك لتراجع معدل صادراته الخارجية إلى ما مجموعه 1,42 مليار دولار بحلول عام 2015.

وكان لمواصلة إيران من ضمن 28 دولة أخرى، تبادلها التجاري مع سورية لا سيما في استيراد الألبسة والقطن وزيت الزيتون، وغيرها، دور كبير في ديمومة الدورة الاقتصادية لمناطق سيطرة النظام، وتأتي إيران على رأس الدول المستوردة، نظراً لاتفاقية التجارة الحرة المبرمة بينها وبين النظام السوري عام 2012. والتي تُعفى البضائع المتبادلة بين الطرفين من الضرائب والتعريفات الجمركية.

¹ Rafke Risseuw, **The Iranian footprint in Syria: An inventory of Iranian military; political and economic support to the Syrian government**, Brussels International Center, brussels, Belgium. pdf. For more details; please check: <https://bit.ly/3gYznqQ>

² انظر: سلام السعدي، مصالح إيران الاقتصادية تترسخ في سوريا، مركز كارينغي للدراسات، 2015، على الموقع الإلكتروني: <https://bit.ly/355k2Cj>

³ أنظر: عدنان كريمة، "الإستثمارات الإيرانية في سورية وأهمية "القلق الأمريكي"، أوريون نت، تاريخ النشر، 2017/10/12 عن صحيفة الحياة اللندنية، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bDbELP>

الإسهام في الإستثمار المباشر: يحتل الإيرانيون بحسب تقرير الإستثمار الأجنبي المباشر في سورية الخاص بهيئة الإستثمار السورية لعام 2017، المرتبة الأولى في مشاريع الإستثمار المباشر التي تركزت على شراء عقارات، حيث توافرت لهم مناقصات حكومية مفتوحة فقط لهم في مناطق متعدّدة، فضلا عن احياء سكنية مدمرة اشتروها لإعادة إعمارها، وإحياء أخرى تم ابتزاز سكانها. وإجبارهم على التخلي عن مساكنهم في مقابل مبالغ مالية زهيدة، وقامت الحكومة الإيرانية بدور كبير بتشجيع الشركات والتجار والمقاولين على تملك العقارات المختلفة في سورية وتوفير "اعتمادات خطوط ائتمان" لعدد من رجال الأعمال بمبالغ كبيرة بعملات اجنبية لإستثمارها في هذا القطاع الذي يضمن لها تثبيت أقدامها الجغرافية الناعم عبر إحداث تغيير في التركيبة السكانية في دمشق ومحيطها، لا سيما مناطق شرقي دمشق "المدينة القديمة"، الغوطة الشرقية، ووسط دمشق، كمنطقة زين العابدين، والشاغور والميدان والعمارة، التي تحتوي على أعداد ضئيلة من الشيعة، استطاعت إيران زيادة أعدادها من خلال شراء العقارات.¹

كما استثمرت إيران في إنشاء الموانئ النفطية على الساحل السوري، حيث عقدت في منتصف يناير/سبتمبر 2017، اتفاقية مع دمشق حصلت بموجبها على ترخيص بإستثمار نحو 5000 هكتار لإنشاء ميناء نفطي، وحق تحديث إحدى الموانئ وتشغيلها. أيضاً الإستثمار في مشغل جديد اتصالات بقيمة 300 مليون دولار على أن تكون حصة الجانب السوري من الأرباح مستقبلاً 20% بالإضافة إلى الحصول على ترخيص لإنشاء مصفاة نفط في حمص، بقدرة تمكّنها من تكرير 140 ألف برميل يوميا من النفط السوري الخفيف والنقى. وواصلت إيران دعم البنية التحتية لمناطق سيطرة النظام التي اتسعت من 18% إلى ما يقارب 56% بعد عام 2015، من خلال الإستثمار في مشاريع إنشاء محطات لتوليد الكهرباء، وتطوير مناطق صناعية وغيرها، بقيمة 850 مليون يورو.²

2: الوسائل العسكرية للاستراتيجية الإيرانية في الازمة السورية

مع توسّع الإحتجاجات الشعبية ضد النظام السوري في عام 2011، وتحول هذه الإحتجاجات الشعبية إلى حروب مسلّحة، لم يجد النظام السوري سوى طريق التعاون الوثيق مع حلفائه التقليديين تاريخياً روسيا وإيران لإنقاذ وجوده، وقد اثبت الأداء الإستراتيجي الإيراني فعاليته في العديد من الحالات، فقد أدت إيران دوراً ميدانياً أكبر وأطول من حيث المدة الزمنية، في مساعدة حليفها السوري، من خلال توفيرها دعماً مديداً تجلّت شواهد في جلب ميليشيات الشيعة من كافة أصقاع الأرض وزجّها في سورية لمحاربة فصائل المعارضة. الأمر الذي أحال إيران لتكون الدولة الأكثر نفوذاً في سورية من ناحية ميدانية، فالوجود

¹إيران توسع سيطرتها على دمشق عبر شراء العقارات، الخليج أونلاين، 2016/03/30، على: <https://bit.ly/2R5Jbob>

² عدنان كريمة، "الإستثمارات الإيرانية في سورية وأهمية "القلق الأمريكي"، المرجع السابق ذكره.

الإيراني في سوريا هو وجود استراتيجي لا ينحصر في البعد العسكري فحسب، فإيران عملت على انقاذ النظام السوري ولكن الأساس في الوجود الإيراني بسوريا هو خدمة إستراتيجية طهران الواسعة بالمنطقة، وهو ما رفع وتيرة تبعية النظام السياسية والاقتصادية والأمنية لإيران التي باتت على ترابط عضوي استراتيجي مع النظام السوري. ومن هذا المنطلق يمكننا التطرق الى البواعث التي دفعت إيران الى تصعيد دورها من خلال الدعم العسكري الإيراني لسورية تحديداً، لما تمثله منفذاً لها في منطقة الشرق الأوسط.

أ: الدعم العسكري في إطار التعاون والتنسيق الأمني

والذي تطرقنا له في المراحل التي اعتمدها إيران في استراتيجيتها من أجل النفوذ والحيلولة للبقاء ضمن معادلة التوازن الإستراتيجي الجديد في منطقة الشرق الأوسط. ويمكن ان نختصر ذلك، أنه ومنذ اليوم الأول من الازمة السورية، وإيران تُقدّم الدعم العسكري المتنوّع للنظام السوري، والذي وصل إلى حد الإرتباط العضوي بين قواتها وميليشياتها مع قوات النظام السوري. وقد تدرّج التدخل العسكري الإيراني المباشر من مرحلة ارسال الخبراء في عام 2011، إلى مرحلة إرسال الفرق العسكرية من الحراس الثوري والميليشيات الطائفية العراقية واللبنانية والأفغانية عام 2012 بشكل غير معلن، ثم مرحلة الإعلان عن المشاركة في عام 2013، وهو العام الذي بدأت القوات الإيرانية والميليشيات الأجنبية تشهد خسائر بشرية عالية. وإستندت إيران في شرعية تدخلها إلى إتفاقية الدفاع المشترك الموقعة مع دمشق عام 2006.¹ تُدرّك إيران جيداً أنّ ما يجري في سوريا يشكّل تهديداً خطيراً لها ولمصالحها في المنطقة² خصوصاً لحلفاء طهران من الطائفة العلوية في دمشق. فإيران تسعى جاهدة لدعم حلفائها³ في المنطقة بهدف

¹ إيران: إتفاقية الدفاع مع سوريا قائمة، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 22/8/2012، مقال متوفر على الرابط التالي:

<https://bit.ly/2GCZCGB>

² تشكل الأزمة السورية تهديداً جوهرياً للإستراتيجية الإيرانية، فسقوط بشار الأسد يشكل انتكاسة قاسية وصعبة لنفوذ إيران الإقليمي، وسوريا التي تشكل رابطة العقد الإيراني في المنطقة هي أهم استثمار إقليمي لإيران منذ انتصار الثورة الإيرانية 1979 فإيران تريد الحفاظ على مصالحها داخل سوريا ولها استثمارات كثيرة داخلها فهي تستغل الأزمة السورية لتوسع نفوذها الاقتصادي كما توجد صفقات ضخمة بين البلدين خاصة، فسوريا تقع ضمن مخططات إيران البعيدة الأمد والمتمثلة في توسيع نشاطها في سوق الغاز الطبيعي في نهاية 2011 لمدّ أنبوب الغاز الإيراني عبر العراق وسوريا ليجري تصديره عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا، وما تمثله الجغرافيا السورية من أهمية لخطوط تصدير الغاز الإيراني إلى منطقة الشرق الأوسط وأوروبا مستقبلاً. كل هذه العوامل الأساسية تبرز أهمية سوريا الاقتصادية بالنسبة لإيران هذه الأخيرة تعهدت بتقديم الدعم الكامل لسوريا، لعبت دور الوسيط بين النظام والمعارضة السورية حال وصول النظام في مرحلة حرجة، فتخوف إيران من سقوط النظام السوري يجعل الضغط العربي برتمته متسلطاً على إيران. لمعلومات أكثر انظر الى: نادية حسن عبد الله، "المواقف العربية والدولية من الثورة السورية"، حوار المتمدن، العدد 3651،

27/02/2012، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bvuwfL>

³ الموقف الإيراني المؤيد للنظام السوري والداعم له يرجع في جزء كبير منه إلى:

-الرغبة في عدم فقدان التأثير الإيراني على الساحة اللبنانية بحكم الدور السوري الذي يوفر التسهيلات الكبيرة كجسر لذلك التأثير.

حماية مصالحها، وعليه اعتمدت إيران في تدخلها بسوريا خطوات مضبوطة تثبت فعالية أدائها العملياتي، الذي تسعى من خلاله البقاء ضمن معادلة التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي. وعليه يمكن لنا ان نرصد أهم مراحل التدخل الإيراني في سوريا والسياسة المتبعة من قبلها في النقاط التالية:¹

مرحلة التمويل والتدريب: دعمت إيران النظام السوري منذ اندلاع الثورة الشعبية بالخبراء العسكريين والأمنيين والتقنيين، ثم في مرحلة لاحقة ومع نهاية عام 2012 نظمت برنامج تدريب على أراضيها وفي قواعد عسكرية سرية لما يُعرف بـ "قوات الدفاع الوطني" وهي ميليشيات مكونة من غالبية علوية وشيعية، وبدرجة أقل مسيحيون ودروز وسنة جميعهم سوريون، واعتمد النظام عليها كثيرًا في معاركه بعد التصدعات التي أصابت جيشه النظامي نتيجة الانشقاقات والخسائر.²

وتقدّر أعداد تلك الميليشيات التي دربتها إيران وأشرفت على تمويلها بحدود 40 ألف متطوع، تم تدريبهم في قواعد إيرانية على شكل مجموعات، وكل مجموعة تضم 400 شخص، ويشمل التدريب أساليب حرب العصابات، وتركزت هذه الميليشيات بشكل أساسي في محافظة حمص بسبب أهميتها الاستراتيجية بالربط بين لبنان وسوريا، وكذلك في مناطق متفرقة من ريف دمشق كالسيدة زينب وجرمانا والقلمون.

قدرت صحيفة "ساينس مونيتور" الأمريكية الدعم الإيراني المالي والعسكري³ المقدم للنظام السوري بـ 35 مليار دولار سنويًا.

الدعم الإستراتيجي العسكري غير الرسمي:

مرحلة الاعتماد على حزب الله اللبناني والميليشيات الأفغانية: شهد شهر أيار/ماي من عام 2013 مرحلة جديدة للتدخل الإيراني غير المباشر في سوريا، حيث برز الدور الكبير لميليشيات حزب الله

-التقارب الفقهي بين إيران والنظام السوري.

-توافق الموقف السوري مع الموقف الإيراني فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي.

-محاولة الحد من التأثير الغربي على الساحة السورية.

-العمل على إعاقة اتفاق الطائف وبالتالي تقليص النفوذ السعودي على الساحة اللبنانية وسعى إيران إلى أبسط نفوذها وتأثيرها على منطقة الشرق الوسط.

-قطع الطريق أمام تركيا لكي تكون طهران في الريادة وأن يكون لها دور فاعل في الأحداث على الساحة السورية. انظر الى: حسين عليوي، إيسر الباسري، الأزمة السورية: المواقف الإقليمية والدولية، مجلة الكوفة، العدد 17، 17 نوفمبر 2013، ص414.

¹ استراتيجية إيران وروسيا في سوريا، الدرر الشامية، 31 جانفي/يناير 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bCgCbE>

² مايكل آيزنشتات، التدخل العسكري الإيراني في سوريا: الآثار طويلة الأمد، معهد واشنطن، 15 أكتوبر 2015، متاح PDF على: <https://bit.ly/3361iQC>

³ من الدعم العسكري إلى الثقافة والاقتصاد.. إيران تسيطر على مفاصل سوريا بالكامل، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 17 جوان 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3m577Xi>

اللبناني خلال معارك السيطرة على مدينة القصير والتي زج فيها كامل قوات النخبة لديه، واستخدم فيها صواريخ فراغية محمولة على الكتف لاستهداف التحصينات من صنع إيران، فالسيطرة على تلك المدينة تمثل مصلحة استراتيجية كبيرة لإيران، لأنها تربط بين دمشق وحمص والساحل السوري بمناطق نفوذ حزب الله بلبنان.¹

كما شهد مطلع عام 2013 ظهور الميليشيات الشيعية الأفغانية في سوريا،² وهم شبان ينتمون لقومية الهازارة أغلبهم لجؤوا إلى إيران وتم تجنيدهم مقابل مبالغ مالية تصل إلى 500 دولار، وانتظموا بشكل أساسي ضمن لواء فاطميون، ولواء خدام العقيلة، ولعبوا دوراً أساسياً في معارك "مثلث الموت" جنوب سوريا، وهي المنطقة الواصلة بين ريف درعا وغوطة دمشق الغربية ومحافظة القنيطرة، وكذلك في معارك فك الحصار عن نبل والزهراء شمال حلب، وإحكام الحصار على الغوطة الشرقية وتعمل الميليشيات الأفغانية³ تحت إمرة ضباط من الحرس الثوري الإيراني وبلغ عدد قتلاها في سوريا مع نهاية عام 2016، أكثر من 1000 قتيل.

¹ ينظر في: رانج علاء الدين، كيف استخدمت إيران نموذج حزب الله للهيمنة على العراق وسوريا، بروكينجز، 30 مارس 2018، الدوحة، مقال متوفر على الرابط التالي: <https://brook.gs/3kc2PvB>

² للتفصيل في الموضوع اطلع على: عدنان علي، الميليشيات في سورية.. الأذرع الضاربة للنظام، العربي الجديد، 2016/4/7، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2GJgb3S>

³ الميليشيات الشيعية التي تدعمها إيران في سوريا؟

في سنة 2014 ومع اقتراب نظام الأسد من الانهيار تحت وطأة تقدم المعارضة السورية المسلحة، تدفق الآلاف من عناصر الميليشيات الشيعية على سوريا بدعم من إيران. تنوعت هذه الميليشيات ما بين الإيرانية والأفغانية والباكستانية والعراقية واللبنانية، مدفوعين إما من منطلق عقائدي أو بإغراءات مالية لهم ولدوبيهم. ويقوم قادة من الحرس الثوري الإيراني بالإشراف على تجنيد وتدريب هذه الميليشيات في سوريا. وتشير تقديرات "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" إلى أن عدد مقاتلي الميليشيات العراقية في سوريا يتراوح ما بين 15 إلى 20 ألف مقاتل، فيما يقدر عدد مقاتلي حزب الله اللبناني بنحو 7 إلى 10 آلاف مقاتل وقرابة 5 إلى 7 آلاف مقاتل أفغان وإيرانيين. لكن تقديرات أخرى تشير إلى أن الرقم قد يصل إلى 80 ألف مقاتل شيعي.

حزب الله اللبناني: يأتي في المرتبة الأولى من حيث كثرة أعداد مقاتليه في سوريا حيث تتراوح أعدادهم ما بين 5000 إلى 8000 مقاتل. مقر القوات هو مدينة القصير بريف حمص الغربي. تنشط عناصره على حدود سوريا مع لبنان، لكن مع الوقت تمدد وجودهم ووصلوا إلى ريف حمص وسط البلاد. سقط من عناصر الحزب أعداد كبيرة خلال الاشتباكات مع المعارضة السورية المسلحة. **فيلق القدس:** وحدة قوات خاصة للحرس الثوري الإيراني ومسؤولة عن عمليات خارج الحدود الإقليمية. قائده هو اللواء قاسم سليمان. يضم الفيلق تشكيلات عسكرية متعددة وينسب إليه الفضل في الاستيلاء على الكثير من المدن التي كانت تسيطر عليها المعارضة السورية.

لواء الباقر: يتواجد في مدينتي حلب ودير الزور وهو من أبرز المجموعات المسلحة التي دعمتها إيران ودربتها خلال السنوات الماضية في سوريا. تأسس اللواء عام 2014 على يد قائده الحالي خالد علي الحسين بهدف الانتقام من فصائل الجيش الحر التي يتهمها بقتل والده بعد دخولها إلى مدينة حلب عام 2012.

مرحلة التدخل الإيراني العسكري المباشر: بدأت إيران مع مطلع عام 2015 تكثيف تواجد الحرس الثوري الإيراني في سوريا، إلا أن حديث وسائل الإعلام الإيرانية عن وصول وحدات خاصة وكثائب تابعة للواء 65 البري تصاعدت مع بداية التدخل الروسي المباشر نهاية شهر سبتمبر/أيلول عام 2015. ويقدر عدد القوات الإيرانية نهاية عام 2016 بحوالي 8 آلاف مقاتل من الحرس الثوري الإيراني و6 آلاف من القوات البرية، وأقامت إيران قواعد عسكرية أساسية لها في منطقة جبل عزان، والسفيرة بريف حلب الجنوبي؛ حيث تضم قوات الحرس الثوري الإيراني واللواء 65، وقاعدة بالقرب من مطار دمشق العسكري تضم قوات الحرس الثوري.¹

المطلب الثالث: تقييم الأداء الإستراتيجي الإيراني في منطقة الشرق الأوسط وسوريا

تشكل أدوات القوة الصلبة أحد أهم أدوات سلوك طهران وسياساتها الإقليمية منذ مطلع الألفية الجديدة، إذ تدل تلك الأدوات على طبيعة التوجه الإيراني وطموحه باتجاه قيادة محور إقليمي يحقق له المكاسب الاستراتيجية ويضمن له أدواراً قيادية، وحيث تؤكد حركة طهران في المشرق العربي أنها انتهجت عدة سياسات، انطلقت الأولى من ضرورة الاستحواذ التام على تفاعلات العراق، المجال الحيوي الأكثر أهمية لإيران، والسيطرة على كافة مسارات ودوائر صنع القرار فيه، والثانية تتمين التحالف مع نظام الحكم في

لواء الإمام الحسين: يشترك لواء الإمام الحسين مع الفرقة الرابعة للجيش السوري في أغلب العمليات العسكرية المتركة في محيط العاصمة السورية دمشق، كما يتواجد في منطقة مستشفى البيروني في منطقة حرسنا وفي الغوطة الشرقية لدمشق. ينسب اللواء إلى نفسه مهمة حماية مرفد السيدة زينب. يتكون من مقاتلين إيرانيين وعراقيين وأفغان وبعض السوريين وجنسيات أخرى. ميليشيات عراقية: تتواجد بكثرة على الأراضي السورية. وتقدر مصادر في المعارضة السورية عدد عناصر الميليشيات العراقية في سوريا بنحو 20 ألف مقاتل. تتركز مقرات الميليشيات العراقية في مناطق مثل العاصمة دمشق ومنطقة السيدة زينب وبلدة العيس جنوب حلب وريف حمص الشرقي.

حزب الله العراقي: ومن هذه الميليشيات حزب الله العراقي، وحركة نجباء العراق، وميليشيات الإمام الحسين، وأسود الله، وكثائب الإمام علي، واتحاد أصحاب الحق، وعصائب أهل الحق وكثائب أبو الفضل العباس وقوات فيلق بدر. ميليشيات أفغانية: أهمها "لواء فاطميون" الذي أسسه علي رضا توسلي عام 2014 لقتال المعارضة السورية. قوامه عناصر شيعية من قومية الهزارة بأفغانستان. يحصل اللواء على التمويل والتدريب من قبل الحرس الثوري الإيراني. يُقدر تعداد أفرادها في سوريا بحوالي 3000 مقاتل، فيما تشير المصادر الإيرانية إلى أن العدد يصل إلى 14 ألف مقاتل. تتركز عملياته بدير الزور والبوكمال. قُتل مؤسس التنظيم "علي الرضا توسلي" في اشتباك مع جبهة النصرة في درعا.

ميليشيات باكستانية: وتتمثل في لواء زينبيون، وهو ميليشيا باكستانية شيعية، جماعة متطوعة أخرى تقاوم في سوريا. يحصل على المال والتدريب من فيلق القدس. صنفته وكالة أنباء فارس كقوة هجومية من النخبة ويضم أكثر من 5000 من المقاتلين الشيعة الباكستانيين الشباب، لكن رويترز ووسائل إعلام غربية أخرى قدرت العدد بما لا يزيد عن الألف. يتمركز أفراد اللواء في شمال حلب وجنوبها وجنوب دمشق ودرعا، ينظر في: <https://bit.ly/31XADGh>.

¹ للمزيد أكثر: خالد المطلق، القواعد العسكرية الإيرانية: ودييات تدخلها الأمني والعسكري في سورية، مركز حرمون لدراسات المعاصرة، 16 أيار/ ماي 2020، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/31X6j6C>

دمشق الذي يضمن لها الانخراط في معادلات المنطقة الأمنية وبالتالي حمايته ودعمه ومساندته سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، والثالث هو عبر تعزيز أدوات التمكين لحزب الله اللبناني داخل الدولة اللبنانية وتطويعه لصدّ مهددات طهران، وتعزيز امتلاك خطوط مواجهة مع (إسرائيل) الذي يخدم "دعايتها السياسية" من جهة ويجعل الحزب طرفاً مؤثراً في معادلات أمن الإقليم من جهة ثانية؛ إلا أنّ تلك الأدوات تشهد اختباراً جدياً في سورية؛ تحاول طهران التعامل معه وفق سياسات الاحتواء ثم التكيف من خلال العمل على تناقضات القوى والمصالح الدولية، وعبر إعادة تموضعها في سوريا عبر سياسات الاستحواذ النوعي والانصهار في بنى الدولة وشبكات النظام.

تدرّجت أدوات التدخل العسكري الإيراني ونوعيتها في سوريا وفق طبيعة كل مرحلة، وعلى الرغم من مساهمة هذه الأدوات في تحسين قدرة النظام العسكرية نسبياً، إلا أنه وبعد الهزائم المتتالية التي مني بها النظام، منذ الربع الأول من العام 2015 وحتى بداية ربه الثالث، أضحت تلك الأدوات غير قادرة على تحقيق الفاعلية أو حتى الصمود وتدلّ على ذلك العديد من المؤشرات،¹ منها طلب طهران من موسكو التدخل، الأمر الذي جعل معظم مكاتب الهندسة الإيرانية مكاتب قلقة؛ فلم يساهم الاتفاق النووي عملياً في تحسن تموضع إيران وحلفائها عسكرياً في سوريا، وحتى الجيوب الاستراتيجية التي حاولت السيطرة عليها بقيت غير مستقرة نظراً لكثرة الفاعلين المحليين وتنوع انتمائهم واختلاف مقدراتهم العسكرية. كما تحولت سوريا التي جهدت طهران في تحويل جل أذرعها في المنطقة إليها، إلى جبهة استنزاف حاد لهم لا سيما لحزب الله والمليشيات العراقية، وبالتالي تزايد احتمالية انعكاس ذلك سلباً على مصالحها في لبنان -المضطرب سياسياً- والعراق، ويضاف إلى ذلك تزايد صراعات بينية عسكرية كامنة بين أذرعها في الجغرافية السورية.

تمكّنت إيران عبر سياساتها الصلبة في سورية منذ 2011 من بسط هيمنتها على النظام السوري واستلاب اقتصاد الدولة عبر توقيع الاتفاقيات والعقود في قطاعات الإنتاج المختلفة، ضامنة حصص مهمة في الثروات السيادية لسورية لقاء دعمها المالي وديونها المترتبة على الدولة السورية. حيث نقلت إيران تموضعها الاقتصادي بسورية من علاقات مترهلة وضعيفة تعاني من مشاكل هيكلية عديدة قبل 2011 إلى سيطرة وتحكم بالاقتصاد السوري بعد انطلاق الثورة عززت من خلاله التبادل التجاري ورفعت من مساهمة الاستثمارات الإيرانية في مجالات الطاقة والاتصالات والتجارة. وتمكنت من وصل طهران بدمشق عبر طريق بري ستمكّن من الانفتاح على أسواق المنطقة وبالتالي تعزيز صادراتها غير النفطية، كما

¹ للاطلاع على هذه المؤشرات انظر في: محسن أبو النور، محمد، "انعكاسات التدخل الروسي على دور إيران في سوريا"، السياسة الدولية، 11 مايو/أيار 2016، تاريخ الدخول 18 فبراير/شباط 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2F7fLDH>

حصلت على نافذة بحرية على المياه الدافئة في المتوسط ستعمل من خلالها على إيصال الغاز الإيراني إلى الأسواق الأوروبية. ولقد كان العام 2017 عام قطاف ثمار تدخّل إيران العسكري ومساندة النظام السوري. ففي مطلع العام 2017 وقّعت طهران ودمشق خمس اتفاقات تضمنت استثمارات مهمة في الطاقة والصناعة والزراعة والثروة الحيوانية وميناء في اللاذقية، فضلاً عن عقود إعادة الإعمار حيث كانت إيران أكبر المشاركين في معرض إعادة الإعمار والمعرض التجاري.¹

وعليه نخلص بالقول أنّ الإستراتيجية الإقليمية الإيرانية في الشرق الأوسط خصوصاً تجاه سورية بعد عام 2011، لا تحكمها الأطر المذهبية والطائفية فقط، وإنّما تحدّها أيضاً مجموعة من الدوافع والمحفّزات الإستراتيجية والمجالات الجيوبوليتيكية. إذ أدركت القيادة السياسية الإيرانية إنّهُ ولغرض تحقيق مكانة إقليمية مؤثرة، لا بدّ من المزوجة ما بين مفردات قوتها والفواعل الإقليمية في إطار إستراتيجية شاملة ومتكاملة الأهداف والأسس. فضلاً عن إستقلال الروابط التقليدية بين شيعة إيران والشيعة العرب وتحديداً في سوريا والعراق من خلال التأثير على الوحدات القرارية هناك إلى جانب نفوذها الكبير في دول بها أقليات شيعية كـ "اليمن، البحرين، السعودية، ولبنان"

كما أظهرت إيران ومن خلال هذه الموائمة الإستراتيجية، قدرة فعلية على فتح جبهات إقليمية في آن واحد، فضلاً عن إعطاء نظامها السياسي فرصة التخلّص من الضغوط الداخلية وتحديد الاقتصادية والإجتماعية، من خلال إعادة ترجمة وإنتاج هذه الضغوط عن طريق إستراتيجية تدخّلية _مثل ما فعلت في سورية والعراق واليمن..._ والتي تخدم مشروعها التوسّعي في الشرق الأوسط والخليج العربي.

وسعت إيران نحو إعادة بناء دورها الإقليمي، مستثمرة في ذلك مجموعة من المتغيرات التي شهدتها المنطقة بعد عام 2011، وذلك بما تملكه من إرث حضاري وثقافي وتأثيراً معنوياً متواصل على جوارها الجغرافي. يفرض عليها ان تبرع في إستغلال ثقلها الجيوبوليتيكي لإثبات مكانتها كقوة إقليمية، حيث بات واضحاً أنّ التحرك الإيراني الجديد تجاه جوارها الإقليمي جاء نتيجة حالة الفراغ في القوة وإعتبارات إستراتيجية. من خلال سعيها للحفاظ على أمنها وبناء دورها الجديد في المنطقة.

المبحث الثاني: دور الإستراتيجية التركية في التوازن الإستراتيجي الشرق أوسطي بعد 2011

سنحدث في هذا المطلب على القوة العاشرة في موازين القوى بالعالم والقوة الأولى في الشرق الأوسط، بمؤشر قوة قدر بـ 0.2089 وذلك حسب ترتيب الموقع العالمي للإحصاء GLOBAL FIREPOWER (GFP) لعام 2019، فطالما لعبت تركيا دوراً حاسماً في التاريخ على الصعيد الإقليمي والعالمي، إذ شكّلت هذه

¹ التموضع الاقتصادي الإيراني في سورية، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، بتاريخ 4 أبريل 2018، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/2GAKnCO>

الدولة منطقة تقاطعا لمختلف الحضارات البشرية العريقة التي وُصفت بقلب العالم القديم، فمثلت أسطنبول عاصمةً لثلاث من أكبر الإمبراطوريات وأقواها على مر العصور، من الرومانية إلى البيزنطية وانتهاءً بالإمبراطورية العثمانية (1288-1924)، إعتدت فيها تركيا على مقومات ثابتة وأخرى متغيرة مكنتها من فرض مكانتها.

أما تركيا الجمهورية اليوم، وبقيادة "حزب العدالة والتنمية" منذ 2002، فهي تحاول ومن خلال ما تملكه من قوة وامكانيات، أن تعود وتبسط سيطرتها من جديد خصوصاً بمنطقة الشرق الأوسط مثلما فعلت الإمبراطورية العثمانية السابقة، لكنّها اليوم تنتهج سياسات واستراتيجيات جديدة مستغلةً بذلك الفراغ الإستراتيجي الذي نشأ بعد انهيار البوابة الشرقية للعالم العربي إثر احتلال العراق. وسياسات أخرى استباقية وقائية وتنموية تحفظ بها سلامة أمنها من انعكاسات الأزمة التي مسّت حدودها مع الجارة السورية وذلك إثر نشوب ثورة 2011.

فتركيا بوصفها فاعلاً استراتيجياً إقليمياً، تسعى لإحداث تغييرات داخلية سياسية واجتماعية واقتصادية، مستندة في ذلك على مقومات قوتها الكامنة الجيو-سياسية والحيو-استراتيجية لتحويلها إلى قوة كبرى، في وقت تشهد فيه منطقة الشرق الأوسط حالةً من عدم التوازن وإعادة التشكيل، ومرحلة توزيع لمراكز القوة والسلطة والقرار، تتزاحم فيه القوى الإقليمية العربية والغير عربية على حيز مكانٍ لها في الخريطة الجيوسياسية الشرق أوسطية والتي تُرسم ملامحها من جديد. وتسعى تركيا لتعزيز دورها في المنطقة مسلحةً بدبلوماسية القوة الناهضة¹ وبجميع عناصر القوة لديها، والتي تضافرت معاً لتشكّل قاعدة صلبة لدور إقليمي تركي مؤثراً في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: مقومات القوة الإقليمية التركية

تشهد تركيا في السنوات الأخيرة جملةً من النقاشات تدور حول ماهية القوة الحقيقية الكامنة لتركيا في مجال علاقاتها الدولية، وإلى أي مدى تستخدمها في علاقاتها الدبلوماسية؟ وعلى ذلك نتساءل أيضاً ما

¹أدوات الدبلوماسية الناهضة: تعتمد "خطاب حضاري جديد كمنطلق للنهوض"، فحزب العدالة والتنمية صاغ خطاباً جديداً يهدف إلى إضفاء الشرعية للبحث عن المكانة على الصعيد الدولي وإلى تسهيل بناء القوة الإقليمية، ويأتي في ثلاثة مستويات:

الأول هو بناء الهوية: فالخطاب يقترح تعريفاً مبتكراً لهوية تركيا يخلط بين النزعتين التركية والعثمانية.

والثاني هو البناء الأيديولوجي: إذ تُعدُّ الحضارة التركية - العثمانية أهلاً للنشأة، وتمتلك صفات تمنحها التفوق على الحضارات الأخرى. والثالث هو التوظيف السياسي لهوية تركيا وماضيها الحضاري ببراهماتية لإضفاء الشرعية على طموحاتها الإقليمية والدولية... إضافة إلى اعتماد خطاب سياسي بمثالية يُضفي لدى شعوب الشرق الأوسط الأمل في عالم أفضل تقوده تركيا. للترؤد

بمعلومات أكثر حول الموضوع انظر: جنى جبور، "تركيا: دبلوماسية القوة الناهضة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2019.

هي العناصر الثابتة والمتغيرة المشكلة لمقومات القوة التي تمتلكها تركيا؟ وما هو مستوى ومؤشرات هذه القوة الكامنة لتركيا؟ هي أسئلة سنحاول الإجابة عنها في النقاط التالية:

أولاً: المقوم الجيوبوليتيكي

تؤدّي الجغرافيا بفروعها المختلفة دوراً في التأثير على قوة الدولة، ويعتبر الموقع الجغرافي¹ من أهم المقومات التي تساهم في بناء قوة الدولة. وعند تناول الدور الإقليمي لتركيا لا بد من الحديث عن أهمية موقعها الجغرافي الذي يعدّ أحد المفردات المؤثرة في سياستها الخارجية. لذلك فعند تتبعنا لمسار علاقاتها الدولية نجد أنّ العامل الجغرافي كان حاضراً بقوة في تحديد طبيعة دورها وسياساتها على المستويين الإقليمي والدولي.

يقول المؤرخ الفرنسي فرناند بروديل (Fernand Braudel) في كتابه "تاريخ الحضارات": "إنّ الخرائط هي التي تروي القصة الحقيقية".² وقد تختصر هذه الجملة المكثفة الفلسفة الرئيسية لعلم الجيوبوليتيك، بمعنى تأثير الجغرافيا على السياسة، سيّما السياسة الخارجية.

وقد منحت الجغرافيا تركيا موقعاً إستراتيجياً فريداً، فهي بلدٌ مترامي الأطراف تبلغ مساحتها 783.562 كم² جزء منها في أوروبا ويعرف باسم (تراقيا)، والآخر في آسيا ويعرف بإسم (أناضوليا)، وتحدّ تركيا من الجهة الشماليّة البحر الأسود وجورجيا وبلغاريا، أما من جهة الغرب فتحدها البحر الأبيض المتوسط واليونان، ومن الجهة الجنوبيّة تحدها العراق وسوريا، ومن الشرق تحدها أرمينيا وإيران وأذربيجان³، ويبلغ طول حدودها 2816 كم² منها 899 كم² مع سوريا، و 367 كم² مع العراق، و 534 كم² مع إيران، و 17 كم² مع أذربيجان، و 273 كم² مع جورجيا، و 311 كم² مع أرمينيا، و 223 كم² مع بلغاريا، و 192 كم² مع اليونان.⁴ إذن تمثل الحدود التركية مع سوريا أكبر حدود برية لها، كما أنّ هذا الموقع جعل الاهتمام الاستراتيجي التركي يتوجه نحو ثلاث دوائر إقليمية تتمثل في المنطقة الأوروبية ومنطقة آسيا الوسطى ومنطقة الشرق الأوسط.

¹ وعلى ذلك يقول "سبيكمان Spykman" "إنّ قوة الدولة تعتمد على موقعها الجغرافي فضلاً عن مواردها الطبيعية والإقتصادية وحجم سكانها، وتطورها التقني وجميعها مقومات إستراتيجية ذات وزن في تحديد دور الدولة وسياساتها الخارجية.

² Fernand Braudel, *A History of Civilizations*, New York: Penguin 1993, p. 55.

³ Malcolm Edward Yapp, and John C. Dewdney (11-8-2016), **TURKEY**, britannica, Retrieved 18-1-2017. Edited. <https://bit.ly/2DuwVdO>

⁴ **TURKEY**, (CIA), The World Factbook, <https://bit.ly/356AZw9>

حوالي ثلاثة أرباع الحدود التركيّة هي حدود بحريّة تُشكّلها المناطق الساحليّة القريبة من البحر الأسود، والبحر الأبيض المُتوسّط، وبحر إيجه، ومن أشهر المضائق التركيّة مضيق البوسفور، ومضيق الدردنيل. ساهمت كل هذه المناطق المائيّة الساحليّة التي تقع ضمن السيّطرة التركيّة في تعزيز العلاقات بين تركيا والدول المحيطة بها.¹ كما تكسب تركيا تنوعاً في تضاريسها الجغرافيّة، بسبب تدرّج مناطقها على قارتي آسيا وأوروبا، وتنتشر في القسم التّابع لقارّة آسيا الهضاب والجبال، أما القسم التّابع لقارّة أوروبا فيحتوي على التلال والسّهول.²

وعليه فإنّ هذا الموقع الجغرافي حتمّ على تركيا أن تمثّل نقطة تلاقي طرق المواصلات التجارية عبر العصور التاريخية المختلفة، كما أكسبها فرصة التحكم والسيطرة والإشراف على المنافذ البحرية، واحتضانها لمنابع المياه، ممّا أضفى على موقعها خصوصية واضحة وأهمية إستراتيجية بالغة الخطورة بهذا الشأن لتأثيراته على المصالح الإقليمية والدولية، وهذا ما جعلها تمارس دوراً مؤثراً سواءً أكان ذلك ضمن الإستراتيجيات الدولية أم الإقليمية، بسعيها لتلمس طريقها في معادلة الهواجس الأمنية لجميع الأطراف المعنية بالمنطقة، إذ أنّ الموقع الجغرافي لتركيا قد أكسبها وزناً وتقديراً كبيرين بالنسبة لصانع القرار التركي، الذي إنعكس بدوره على طبيعة التحرك السياسي الخارجي التركي في إطار المنظومة الإقليمية.³ وتستخدم تركيا العامل الجيوسياسي كورقة تزيد من اعتبارها وقوة مساومتها في الدخول إلى حلف من الأحلاف مثلما فعلت مع حلف شمال الأطلسي، كما وبدلت الخارجية التركية أقصى جهودها من أجل طرح ميزاتها الجيوسياسية كقيمة دبلوماسية هامة مقابل هذه المظلة الأمنية، وقد اعتبر الموقع الجيوسياسي التركي أداة إستراتيجية دفاعية بدل أن يكون مقياساً إستراتيجياً إنفتاحياً على العالم.

لذا فقد وضعت تركيا العامل الجيوسياسي على طاولة المفاوضات كأهم ورقة بيدها.⁴ تركيا اليوم تحاول رفع التحدي متجاوزة إستراتيجية الحفاظ على الوضع الراهن التي اتبعتها سابقاً، لتعمل بذلك على إعادة تحليل دورها الجيوسياسي في المحيط الدولي الجديد، في مرحلة تغيّرت فيها التوازنات الدولية والإقليمية بشكل ديناميكي، أي بمعنى حسب رؤيتها الجديدة فهي تعي ان الوضع الجيوسياسي لا يمتلك قيمة

¹ الموسوعة العربية العالمية، جزء 6، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، المملكة العربية السعودية: 1999، ص233.
² المرجع نفسه، ص 235.

³ علي حسين باكير، تركيا والشرق الأوسط، صحيفة السياسة الكويتية، العدد (71165)، في 12/11/2006، ص38.
⁴ أحمد داود أوغلو ترجمة محمد جابر تلجي، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط4، 2017، ص 142-143.

بمفرده، بل أنه يكتسب معناه إذا تمّ استخدامه كأداة مؤثرة في يد إستراتيجية السياسة الخارجية التي تتسجم مع متطلبات الوضع الجيوسياسي.¹

ولقد سعت تركيا من خلال موقعها الجغرافي إلى تحقيق مكانة إقليمية رائدة في الإقليم بربط مصالح دول منطقة الشرق الأوسط بالمصالح الغربية وبالسياسات الأمنية لحلف شمال الأطلسي ودعم المصالح الأمنية الأمريكية في المنطقة، والسعي لتوسيع رقعتها الجغرافية تارةً تجاه الخليج العربي وتارةً أخرى تجاه جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز ولبلقان وحوض البحر المتوسط، وهذا يشكل خطراً على مصالح القوى الإقليمية.²

ثانياً: المقوم السكاني

تحتل تركيا المرتبة الـ 18 عالمياً بعد إيران من حيث تعداد السكان وذلك حسب إحصائيات عام 2018. ما يقدر بـ 81.257.239 مليون نسمة.³ ويؤهلها هذا الكم البشري من لعب دور هام على الصعيد الإقليمي والدولي في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والدينية. إذ لا يكفي موقع الدولة الجغرافي ليؤهلها للعب أدوار إقليمية ودولية كبيرة، فعدد السكان أيضاً دور في ذلك.⁴ فالشعب التركي يشكّل عاملاً موازياً بأهميته للموقع الجغرافي للبلاد.

ويتركز معظمهم في المدن الكبرى فيها (إسطنبول، أنقرة، أزمير)، تعيش نسبة 20% أي ما يقدر بـ 14.968 مليون من سكانها في إسطنبول.⁵ كما يعتبر المجتمع التركي مجتمعاً فتيماً إذ تمثل نسبة شريحة ما بين 15-24 سنة 15.88% وما بين 25-54 سنة 43.26%. وتتقسم هذه النسب بالتساوي بين الإناث والذكور، ما يميزها عن مجتمعات القارة العجوز الأوروبية.

ويتميّز البناء الاجتماعي التركي بتكوين عرقي وديني ولغوي متعدد. منها الأتراك 70-75% والأكراد بنسبة 19%، وأقليات أخرى 7-12% (2016). أما بالنسبة للغة فاللغة التركية تمثل اللغة الرسمية للدولة وكذلك توجد اللغة الكردية ولغات لأقليات أخرى. وبالنسبة للديانات فتمثل نسبة 99.8% مسلمين (معظمهم سنيين) 0.2% للأقلية المتبقية منها مسيحيين ويهود.⁶ فالبناء الاجتماعي الجديد يختلف عن السابق أي

¹ أحمد داود أوغلو، مرجع سبق ذكره، ص 143.

² عدنان عبد الجبار، التعاون التركي-الصهيوني وأثره على الأمن الوطني العراقي، مجلة الدفاع، العدد 8، بغداد، جامعة البكر، 2000، ص 2.

³ TURKEY, (CIA), The World Factbook, available online at: <https://bit.ly/356AZw9>

⁴ علي حسين باكير، تركيا الدولة والمجتمع، دار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، بيروت، 2010، ص 21.

⁵ TURKEY, (CIA), Ibid.

⁶ TURKEY, (CIA), Ibid.

بعدما كانت تركيا في الفترة العثمانية دولة "ملل ونحل" أصبحت دولة مواطنين ولكن يعدّ الجميع (أتراكاً). ما يعني تجاهل التعدية الإثنية التي هي ظاهرة تاريخية بالأساس، وهذا ما سبّب مشكلات داخلية مزمنة، تحاول تركيا اليوم أن تعزوها إلى عوامل إقليمية ودولية. سيما المسألتين الكردية والعلوية، ويبدو أنّ البيئة الداخلية مؤاتمة لهذا النوع من التنازع والصراع المجتمعي.

وحسب الأرقام السابقة، تشكّل القومية الكردية ثاني أكبر مجموعة قومية، ومن الجدير بالذكر ان العقيدة السياسية التركية لم تعترف بالأكراد كمجموعة عرقية مختلفة عن العرق التركي، بل تعتبرهم أتراك يقطنون الجبال ويطلق عليهم رسمياً أتراك الجبال. كما تشكل الأقلية العربية ما يقارب 12% من السكان وهم في تزايد مستمر، بسبب موجات اللجوء من دول الجوار العربي لا سيما بعد الأزمة السورية فضلاً عن تواجد أقليات قومية مشتركة مع عدد من الدول الأوروبية والآسيوية مثل التركمان، والأرمن، والشركس، والجورجيون، والألبان، والشيشان..¹

من جهة أخرى، ترتبط كل من التنمية الاقتصادية والتكنولوجية والقدرة العسكرية، كعناصر متغيرة لإستراتيجية الدولة، بخلاف التاريخ والجغرافيا كعنصرين ثابتين، بجودة العنصر البشري وقدرته بشكل مباشر. إذ يمكن للعنصر البشري المؤهل أن يصنع قوة إقتصادية عظيمة حتى ولو إنطلق من أرضية مدمرة.. وفي المقابل فإن نقص الكفاءة في مؤهلات العنصر البشري، وغياب العلاقة السليمة المشروعة بين العنصر البشري المؤهل وبين الخيارات الإستراتيجية للنظام السياسي في الشرق الأوسط الكبير، هي أحد الأسباب الأساسية لعدم تحوّل القوة الكامنة فيه إلى قوة إستراتيجية، بالرغم من امتلاكه لموارد إقتصادية كبيرة.

فتركيا وبإمتلاكها عنصراً بشرياً باساسة أفقٍ منفتح يستطيع تحليل جميع العناصر الديناميكية التي تشكل القوة الإستراتيجية بشكل صحيح، ويحوّلها إلى وضعية تنسجم مع متغيرات الوضع الإقليمي والدولي الراهن. كما ويحقّق التناسق بين عناصر القوة المختلفة، ويطوّر إستراتيجيات مرحلية للقوة.² فهي بذلك تمتلك بنية تحتية تمنحها تراكماً يثير غيرة عدة دول أخرى تطمح لتطوير إستراتيجيات عالمية.

¹ لمعلومات أكثر إطلع على: محمود نور الدين، الأقليات الدينية والعرقية في تركيا: المجتمع والكيان والتحديات، مجلة الدفاع الوطني

اللبناني، العدد 24، نيسان/أفريل 1998، والمتوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bQJpff>

² أحمد داود أوغلو، مرجع سبق ذكره، ص 57-58.

ثالثاً: المقوم الاقتصادي

تعدّ تركيا بحكم موقعها المهمّ وبما تتوفر عليه من موارد طبيعية وبشرية، واحدة من القوى الاقتصادية المهمة ذات الثقل النوعي في المنطقة، وهذا بحكم جملة من المعطيات، يمكن سردها في النقاط التالية:

- تملك تركيا موارد طبيعية هائلة، فإلى جانب الفحم والحديد الخام والنحاس والزنك والذهب، فهي دولة غنية بالموارد المائية (السطحية والجوفية) حتى إنها توصف بدولة ذات (التخمة المائية) لما تملكه من احتياطي هائل من المياه، إذ يوجد فيها 26 حوضاً مائياً، مما جعل منها مجتمعاً زراعياً، إذ بلغت الأراضي الصالحة للزراعة حوالي 4.2 مليون هكتار أي ما يعادل 5.14%، كما أن عدد العاملين فيه وصل إلى 8.45%، وهذا مما يعطيها أهمية مضافة إلى مواردها.
 - يستند قطاعها الصناعي على النهج الرأسمالي، وإتباع سياسة التكييف الاقتصادي.¹ مما انعكس بدوره على الناتج القومي الإجمالي الذي شهد قفزات نوعية ساهم في تطور الناتج القومي الإجمالي.
 - وتعدّ تركيا من بين أبرز مصدرين المنتجات الزراعية في العالم ومن بين أكبر الدول المصنعة للسيارات والنسيج والسفن والالكترونيات ما يجعل منها سوق نشطة ومتطورة تجعل تركيا واحدة من أكبر الدول الصناعية الجديدة.
 - الفحم والنفط إذ يوجد إنتاج نفطي على نطاق ضيق في حقول النفط الواقعة ضمن المنطقة الجنوبية الشرقية لتركيا، وتستغل الموارد المائية فيها أيضاً لإنتاج الكهرباء. ومن أهم الخامات المعدنية.
 - تملك تركيا ثروة حيوانية مهمة ساعدها في ذلك إمتداد الأستبس لمساحات واسعة من الهضبة والسفوح الجبلية، مما جعلها مكتفية في غذائها والمواد الأولية منها تستخدمها في الصناعات النسيجية.
 - لتركيا إستثمارات عدة مع الشركات الأجنبية الكبرى سيما الأمريكية منها، مما ساهم في إنعاش إقتصادها إلى حدّ كبير.²
- إنّ موقع تركيا وطبيعتها المتنوعة جعلها بلداً غنياً بالموارد الطبيعية، بإستثناء افتقارها إلى كميات معتبرة من النفط والغاز، فإن تركيا تكاد تحتكر الموردين الأكثر أهمية على الصعيد المنطقة وهما الماء والغذاء. فتمتعها بموارد طبيعية وثروات معدنية ومساحات شاسعة إضافة إلى موقع مميز، كلها عوامل جعلت منها بلداً ذا إقتصاد مركّب ومعقد يدمج الحداثة الصناعية والتجارة والخدمات المتطورة مع القطاع التقليدي الزراعي.

¹ سيما كلايجوغلو، علاقات تركيا الاقتصادية مع الشرق الأوسط بعد دخولها الإتحاد الجمركي الأوروبي، من كتاب (العرب والأتراك:

الاقتصاد والأمن الإقليمي)، تحرير وتقديم: عبد علي، ترجمة: فاتن البستاني، ط1، منتدى الفكر العربي، عمان، 1999، ص 29.

² صباح محمود محمد، تركيا بين الطربوش العثماني والبنطال الأوروبي، مركز البحوث والدراسات، بيروت، 1996، ص 20.

وتظهر الأهمية الاقتصادية وقوتها في تركيا من خلال الإحصائيات الأخيرة التي تبين الوضع الاقتصادي حيث أظهرت التقارير الإحصائية لصندوق النقد الدولي، وصول الناتج المحلي الإجمالي لتركيا إلى 743.708 مليار دولار في عام¹ 2019، أي انه أضعاف ما كان عليه قبل عام 2003، حيث كان يقدر حسب بيانات البنك الدولي بـ 311.82 مليار دولار، وفي عام 2013، وصل ذروته بـ 950.58 مليار وفي عام 2011 أصبحت تركيا الثانية في معدل النمو الاقتصادي عالميا بعد الصين، وبلغ نمو إجمالي الناتج المحلي 11.11%، في حين كانت الأزمة الاقتصادية تهزّ أوروبا في ذلك العام.² وارتفع الدخل القومي على مدى 18 عاماً ففي حين كان يبلغ 232 مليار دولار في العام 2002، إرتفع ليصبح 857 مليار دولار في عام 2019، أي إزدادت حصة الفرد من الدخل القومي لتصل إلى 9610 دولار، بعد أن كانت لا تتعدى 3910 دولار في عام 2003.³ ونشطت تجارتها الخارجية حيث وصل حجم الصادرات إلى 405.96 مليار دولار مع نهاية عام 2018، بعد أن كان 157.86 مليار دولار في عام 2003.⁴ ونتيجة للتوظيف السليم للثروات ومنهج الإصلاح الاقتصادي الذي أدخله حزب العدالة والتنمية، فإن الاقتصاد التركي إنتقل من مرحلة الإنهيار مع بداية العام 2002 إلى مرحلة أصبح فيها يحتل المرتبة الـ 19 عالميا، والثانية إقليمياً بعد السعودية.⁵ وهو مرشح لأن يدخل قائمة العشرة الأوائل خلال السنوات القليلة المقبلة.

وتميل تركيا إلى الحصول على ما يمكن تسميته بالربيع الاقتصادي للموقف السياسي، فهي تسلك مسالك سياسية ترضاهها الولايات المتحدة ودول أوروبا وتطلب مقابلها مساعدات مالية وإقتصادية وتقنية، ويستمد الاقتصاد التركي قوته وحيويته وإمكانيته المستقبلية، من كونه معبراً وجسراً بين أسواق مناطق مختلفة، من الصين إلى أوروبا ومن روسيا إلى الشرق الأوسط، بالإضافة إلى جاذبية السوق التركي، الذي صنّف من قبل وزارة التجارة الأمريكية والبنك الدولي، كأحد الأسواق التسعة الواعدة في العالم.⁶ وكلّ هذا وضع تركيا في موقع القوة الاقتصادية الإقليمية التي لا يمكن تجاهلها في المعطيات الإقليمية والدولية، إلا أنه وعلى الرغم من الإمكانيات الاقتصادية التي تتمتع بها تركيا، إلا أنّ ذلك لا يمنع من

¹ تقرير صندوق النقد الدولي، أكتوبر 2019، إطلع عليه على الرابط التالي: <https://bit.ly/3idDvo2>

² البنك الدولي، بيانات نمو إجمالي الناتج المحلي سنويا، تركيا (2003-2019)، على الرابط التالي: <https://bit.ly/35ixJ0X>

³ البنك الدولي، بيانات النمو في نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي، تركيا (2003-2019): <https://bit.ly/339Eqjb>

⁴ البنك الدولي، بيانات مؤشر حجم الصادرات، تركيا (2003-2019)، على الرابط التالي: <https://bit.ly/35kvPwW>

⁵ تقرير صندوق النقد الدولي، أكتوبر 2019، المرجع السابق ذكره.

⁶ عقيل سعيد محفوظ، سوريا وتركيا: الوقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص 12.

القول أن الاقتصاد التركي يعاني من جملة مشاكل من بينها البطالة مع ضغوط تضخمية متزايدة بسبب أزمات البترول العالمية، المستمرة وتزايد القروض الخارجية، فضلا عن الإنفاق العسكري الضخم من أجل تطوير القدرات العسكرية، مما أدى إلى خلل في الميزان التجاري وتدهور سعر الليرة التركية.¹ من هنا نستطيع فهم سبب تحمس تركيا لتطوير علاقاتها مع دول الشرق الأوسط والخليج كما ونفهم ونفسر أيضا سلوك سياستها الخارجية الأخيرة المندفعة من شن تدخلات عسكرية على دول وإقامة تحالفات مع دول والتوسط في قضايا دول أخرى

ويشير الاقتصاد ركناً أساسياً في تحديد الموقف التركي إزاء الكثير من القضايا والملفات التي تخص منطقة الشرق الأوسط الكبير، فعلى سبيل المثال عند تحليل الموقف التركي من الثورة الليبية التي اندلعت في 2011، نجد أنه لم يصدر موقفاً رسمياً في البداية على العكس من موقفها إزاء الثورات التي شهدتها دول أخرى مثل تونس ومصر، حيث تحفظت تركيا على أي تدخل عسكري أطلسي في ليبيا أو فرض منطقة حظر جوي على ليبيا، لكن التطورات اللاحقة للأحداث دفعت تركيا إلى الموافقة على المنحى العسكري في ليبيا، هذا الموقف التركي الذي إسم بالتردد غير الإيجابي تم تفسيره على أنه بدافع المصالح التجارية والإقتصادية.

رابعاً: المقوم العسكري

إن القوة العسكرية هي إحدى المؤشرات الأساسية لقوة الدولة في زمن السلم، وأهم مظهر يعكس القوة الحقيقية للدولة زمن الحرب.² ويعتبر الجيش التركي من أقوى الجيوش حجماً وكفاءةً، إذ يحتل المرتبة الثانية بعد جيش الولايات المتحدة الأمريكية في الحلف الأطلسي.

1. القوات المسلحة التركية

تقدّر حجم القوة المسلحة التركية بـ735.000 جندي، منهم 355.000 قوة في الخدمة، و380.000 إحتياطي. وهي تاسع أكبر جيش عالمياً من حيث الجنود الموضوعين في الخدمة³، وبحسب موقع (GFP) فإن لدى تركيا من السكان من يصل إلى سن الخدمة العسكرية سنويًا مليون و406 آلاف و75 فردًا. وهي أكبر من الجيشين الفرنسي والإنجليزي مجتمعين (دون إحتساب الإحتياطي التركي).

أ.هيكلية القوات المسلحة التركية: تتألف القوات المسلحة التركية تحت رئاسة الأركان العامة من قيادة القوات البرية وقيادة القوات البحرية وقيادة القوات الجوية، وهناك أيضاً القيادة العامة للدرك وهي تابعة لوزارة الداخلية في الحالات العادية والطبيعية أي في السلم، وقيادة القوات البرية والبحرية عند حالات

¹ هانز كرامز، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، ترجمة: فاضل جنكر، مكتبة العبيكان للنشر، ط1، الرياض، ص 28، 2001.

² أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص 48.

³ TURKEY, Global Fire power 2019; available online at: <https://bit.ly/3bxgN8a>

التعبئة العامة والحرب، وكذلك هنا كقيادة الأمن الساحلي. وتنضوي تحت قيادة القوات البرية أربع قيادات للجيش وقيادة لوجيستي وقيادة للتدريب الميداني وتأتي تركيبة القوات البرية على الشكل التالي¹:

1. أربعة جيوش برية ميدانية "الجيش الأول، والثاني، والثالث، وجيش ايجة"، ووفق المعلومات المتوفرة فإنها تتضمن "10 فيالق عسكرية، واحد فرق مشاة، و2 فرق مشاة ميكانيكية، 2 فرقة مشاة ميكانيكية تكتيكية، واحد فرقة مدرعة، واحد فرقة تدريبية، 16 من ألوية المشاة الميكانيكية منهم 14 يتم إسنادهم في حالة الاحتياج لحلف الناتو، 14 ألوية مدرّعة، 5 ألوية مغاوير، 2 ألوية مدفعية، لواء للملاحة والاستطلاع، 2 ألوية تدريب، لواء للمساعدة الإنسانية.

2. قيادة القوات البحرية التركية فتتنضوي تحتها قيادة الأسطول والقيادة الميدانية للبحر الشمالي والقيادة الميدانية للبحر الجنوبي وقيادة التدريب والتمرين البحري، وهي على الشكل التالي "13 غوّاصة، 16 فرقاطات، 8 طرادات، 6 سفن حربية، 21 كاسحة ألغام، 29 زورق دوريات بحرية سريعة، 52 سفينة إنزال، 23 طائرة عسكرية تابعة للبحرية.

3. قيادة القوات الجوية التركية، وينضوي تحتها قيادة القوة الجوية الأولى وقيادة القوة الجوية الثانية وقيادة التدريب الجوي والقيادة اللوجستية، ويوجد عدد 2 قواعد نقل رئيسية، وعدد 1 قاعدة نقل وتدريب، وعدد 2 قاعدة جوية تكتيكية بـ أسكي شهير، ديار بكر.

وتم تقسيم البلاد إلى أربع مناطق عسكرية إعتماًداً على عناصر الإستراتيجية من حيث التضاريس، التموين، الاتصالات، والخطر الخارجي المحتمل. ولهذا تتألف القوات البرية التركية من أربع جيوش ميدانية، ولها أربع قيادات وتوزع على الشكل التالي:

- **الجيش الأول**: في منطقة مرمره، وتقع قيادته في إسطنبول وقسم كبير منه منتشر في الجزء الأوروبي من تركيا، مهمته حماية إسطنبول، ومضيق البسفور والدرنديل وشبه جزيرة كوجائلي.

- **الجيش الثاني**: في جنوبي شرقي تركيا، ومقره في مالاطيا، وينتشر في منطقة جنوب شرق الأناطول، ومهامه دفاعية في مواجهة أي خطر من جهة سوريا، إيران والعراق.

- **الجيش الثالث**: شمالي شرقي تركيا، ومقره في أرزينجان، وينتشر شرقي الأناطول ويغطي الحدود مع جورجيا، أرمينيا، أذربيجان، ومن الشرق والمنطقة الشمالية الشرقية.

¹ وحدة الرصد والتوثيق، خرائط القوى الداخلية في الجمهورية التركية: الجيش التركي خريطة معلوماتية أولية، ملفات إقليمية، المعهد المصري للدراسات والسياسات والإستراتيجية، 12 سبتمبر 2016، ص3.

- **الجيش الرابع:** ويسمى جيش إيجة في المنطقة الإيجية، ومقره أزمير، وتمّ إنشاؤه في السبعينيات نتيجة التوتر المتعاظم آنذاك مع اليونان في بحر إيجة. ويرتبط الجنود الأتراك الموجودون في مهمة حفظ السلام في قبرص بالقيادة المركزية للجيش الرابع من حيث الهيكلية.¹

ب. أنظمة التسلح: إعتدت تركيا ومنذ دخولها في حلف الشمال الأطلسي في 18 شباط 1952، برنامجاً لتحديث وتطوير القدرات العسكرية. والتي بدأت منذ أواسط الثمانينات وإستندت إلى مبدئين رئيسيين هما: الحصول على أسلحة متطورة من مناشئ غربية، وإعتماد التصنيع العسكري المشترك مع الولايات المتحدة ودول غربية أخرى، إلاّ أن ظروف التسعينات وأبرزها حرب الخليج لثانية و تفكك الإتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة، دفعت صنّاع القرار الأتراك وفي مقدمتهم رجال المؤسسة العسكرية إلى الإعلان عن عزمهم في قطع خطوات أمير في طريق تنمية التسليح وزيادة القدرات العسكرية التركية.²

وعملت تركيا في السنوات الأخيرة بالإعتماد على أنظمة تسليح من دول منها ألمانيا، إنكلترا، روسيا، إسرائيل، على الرغم من أن معظم أنظمة التسليح التي تستخدمها هي أمريكية المصدر، وفي موازاة ذلك تقوم تركيا بإنشاء صناعتها الدفاعية الخاصة لتحقيق الإكتفاء الذاتي، وهي تسعى أيضاً إلى الدخول في مشاريع إنتاج وأنظمة تسليح مشتركة وذلك بالحصول على تراخيص إنتاج من بلد المنشأ، الأمر الذي يسمح بانتقال التكنولوجيا إليها، فضلاً عن قيامها بتدشين بعض المشاريع الخاصة بها.³ حيث بدأت تركيا تصنّع جزءاً كبيراً من سلاحها وبالذات الطائرات المقاتلة والسفن الحربية. ولقد عبّر أردوغان خلال كلمة ألقاها عند مشاركته بمراسم إنزال سفينة حربية محلية الصنع في مياه بحر إيجة مرمرة في 18 حزيران 2016، بمدينة أسطنبول شدّد فيها على ضرورة تطوير قدرات تركيا في الدفاع والردع، بإستخدام الموارد المحلية والوطنية. وأضاف "لا يمكننا التوقف والتباطؤ، خاصة فيما يتعلق بمسيرة تطوير الصناعات الدفاعية والعسكرية، وقبل كل شيء فإن موقعنا الإستراتيجي لا يسمح لنا بذلك".⁴

وتملك تركيا اليوم ترسانة هائلة من الأسلحة بمختلف الأنواع، تؤهلها لتبوء مكانة إقليمية مؤثرة في المنطقة، إذ تبلغ ميزانية الدفاع التركية لعام 2019، وفق مصدر إحصائيات موقع (Global FirePower)، 8مليارات و 600 مليون دولار.

¹ علي حسين باكير وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 37.

² إبراهيم خليل العلاف، تنامي التسليح التركي وأثره في الامن القومي العربي، ملخصات بحوث تحت عنوان: العلاقات العربية-التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، 2000، ص 41.

³ علي حسين باكير وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 37-38.

⁴ غانم حسن، أردوغان يعرب عن أمله في صنع بلاده حاملة طائرات مستقبلاً، وكالة الأناضول، 2016/06/18. على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3jS3mTb>

- تمتلك تركيا أيضاً 1067 طائرة، إضافة إلى 207 مقاتلات، ومثلها طائرات هجومية، فضلاً عن 492 مروحية، حسب المصدر ذاته.
 - وعلى نطاق المعدات العسكرية، أشار الموقع أن الجيش التركي لديه 3200 دبابة قتالية، و9500 مدرعة قتالية، و2392 مدفعية تلقائية الدفع ومقطورة.
 - وتمتلك تركيا أيضاً 194 قطعة بحرية، بينها 12 غواصة.
- وأوضح الموقع أن الترتيب لا يعتمد ببساطة على العدد الإجمالي للأسلحة الموجودة لدى أي دولة، ولكن يركز بدلا من ذلك على تنوع السلاح، وتطور التكنولوجيا المستخدمة. وبحسبه فإن صيغة الترتيب (مؤشر القوة) تسمح للدول الصغيرة، إن كانت أكثر تقدماً من الناحية التكنولوجية، بالتنافس مع الدول الأكبر مساحة والأقل تطوراً. إذن تعتبر تركيا قوة عسكرية لا يستهان بها حيث تملك مئات الآلاف من الجنود والضباط إضافة لعدد كبير من الدبابات والمركبات العسكرية والطائرات والقطع البحرية كما هو موضح في الأرقام المذكورة سابقاً. وفرضت العودة إلى الشرق الأوسط على تركيا تغيير سياساتها الدفاعية وأدخلتها في سباق التسلح الجاري بين اللاعبين الإقليميين كالسعودية وإسرائيل وإيران، ومن أبرز الأسباب التي دفعت تركيا في تطوير صناعاتها لدفاعية هي رغبة منها في أن تكون لها دوراً فاعلاً، وأن تكون ذات نفوذ واسع في الشرق الأوسط.¹

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي لتركيا في سوريا والشرق الأوسط

أولاً: محددات الإستراتيجية التركية بين الاتجاهات والأولويات في ظل التحولات الإقليمية الجديدة

جعلت تطورات الاحداث الأخيرة التي شهدتها المنطقة جزءاً من الإلزمة السورية، الاستراتيجية التركية في حتمية لإعادة النظر في رسم توجهاتها وترتيب أولوياتها بما يتلاءم مع المتغيرات الإقليمية لاسيما مع تصاعد مكانتها ونفوذها في الشرق الأوسط.

1: القوة التركية في بحثها عن دور القيادة الإقليمية

منذ عام 1923، وتركيا ترنو ببصرها شاخصة إلى منطقة الشرق الأوسط، التي عدتها منطقة حيوية تتصل مباشرة بمجالها الحيوي على الرغم من إنشادها إلى أوروبا بحكم طموحها وتطلعاتها، إلا أن هذا التوجه ظلّ باستمرار مرتبكاً وحائراً بسبب السلخ القسري الذي إعتده أتاتورك لتركيا من محيطها الإسلامي وإلحاقها بأوروبا معتمداً نسيان حقائق الجغرافيا والتاريخ، أو بسبب التذبذب الذي أنتاب السياسة الخارجية التركية، ففي الوقت الذي تعتزل فيه شؤون الشرق الأوسط، ما تلبث أن تعود مرغمة للتعامل مع

¹باسم دباغ، تركيا تدخل حرب التسلح: جيش قوي وتصدير خارجي، 2014/11/18، على الموقع التالي: <https://bit.ly/2F4ZLlm>

قضاياها طمعا في إسقاط الحرج الذي لازم فعلها منذ عام 1948 حتى اليوم.¹ وبعد التغييرات الأخيرة حرصت على الحضور في محيطها الإقليمي والدولي سعياً لتحقيق أهدافها وتحقيق فعل مؤثر في منطقة الشرق الأوسط معتمدة في ذلك ما سمّي بإستراتيجية (الإستبدال والإحلال)² وذلك كتوجّه آخر يؤتيها مكسبا إقليميا تنشط فيه، إذ إتّسمت السياسة الخارجية التركية الراهنة بقدر كبير من الفاعلية التي يعبر عنها مؤشران:

1. السعي الحثيث من جانبها نحو تعظيم منافعها ومصالحها وزيادة وزنها الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط.

2. انطلاق سياستها الخارجية في تعاملها مع دول المنطقة من مسالك وأساليب متنوعة تخدم المصالح التركية، على الرغم مما يبدو من تناقض أو تعارض بين أدوات هذه السياسة، إلا أنها توظّف بعناية لتصبّ في غاية واحدة وهي خدمة المصالح الاقتصادية والأمنية والمستقبلية وخدمة دورها الإقليمي في المنطقة.

2. التّكيف الإستراتيجي التركي مع التحولات الإقليمية لما بعد 2011

إن المنتبّع لخطوات الدور التركي وسلوك سياساته الخارجية إزاء منطقة الشرق الأوسط يجد أنها تغيرت وشهدت تقلبات وتناقضات بشكل ملحوظ على مدى العقد الأخير (بداية من عام 2002 إلى يومنا هذا)، وقد بدأت خطوة التغيّر الأولى تظهر جلياً في عهد وزير الخارجية الأسبق "إسماعيل جيم" (1997-2003)، الذي حسّن علاقات تركيا مع جيرانها الشرق أوسطيين بصورة ملموسة، ووضع "جيم" الأسس التي واصلت من بعده حكومة حزب العدالة والتنمية البناء عليها³، ومع ذلك فإنّ الأحداث الأكثر دراماتيكية (مأساوية) وقعت خلال عامي 2003 و 2011، والتي صنعت فعلاً خلاً وتحولاً كبيراً في التوازن الإستراتيجي الشرق أوسطي. تحولاً تجسّد في ثلاثة عوامل مفسرة السياق الذي حدث فيه:

ـ حالة التغييرات السريعة والمفاجئة في البيئة الجيوسياسية الشرق أوسطية، وهنا يمكننا التحدث عن ثورة جيوسياسية نجمت عن الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003م، تدخل لم يطح فقط بنظام الرئيس الراحل

¹ منعم صاحي العمار، مستقبل النظام الإقليمي العربي في ضوء المتغيرات الدولية الجديدة، مصدر سبق ذكره، ص 236.

² (الإستبدال والإحلال): لم يكن لهذا المصطلح مكاناً في الذهنية السياسية التركية، إلا عندما تم رفض طلب تركيا للانضمام للاتحاد الأوروبي، ووضعت أمام تركيا شروط تعجيزية تحول دون دخولها الإتحاد، فرأت أن تأخذ بإستراتيجية الإستبدال، والتي تستبدل فيها الإلتزام إلى الإتحاد بإحلال العالم العربي مكانه، فكان لها ما أرادت. للمزيد من معلومات حول الموضوع انظر في: عصام فاعور ملكاوي، تركيا والخيارات الإستراتيجية المتاحة، مرجع سبق ذكره، ص 28.

³ فولكر بيرتزر، دور تركيا في الشرق الأوسط: وجهة نظر خارجية، مجلة رؤية تركية، العدد 1/2016، ص 97.

"صدام حسين"، بل أثر على البيئة الداخلية والخارجية السورية ليزرع أزمة تكمل المشهد وتدخل الدولتين في بحر من الدماء وتجعل منطقة الشرق الأوسط في فوضى لا مثيل، تدخلا لم يكتفي بسقوط حجر العراق فقط بل إنه أوهن القومية العربية والدول والجهات الفاعلة التي تمثلها، مثل سوريا ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، ما خلق فراغاً إستراتيجياً أدى إلى حصول ثلاث دول غير عربية على مكاسب نسبية فيه، وهذه الدول هي: إسرائيل، تركيا وإيران، اللذين كانوا في إستعداد وجاهزية تامة لملء الفراغ، لتأتي تركيا بدبلوماسيةيتها محاولة التوسط في منطقة فشلت فيها إدارة جورج دبليو بوش في القيام بها. ما فتحت لتركيا روح المنافسة مع البقية في محاولة إفتكاك منصب الريادة الإقليمية للمنطقة.

ـ التغييرات التي حدثت في داخل تركيا، والتي نعتبرها وبدون الخوض في التفاصيل يمكن وصفها بأنها تمثل إصلاحاً سياسياً وتحولاً نحو الديمقراطية.

ـ هناك نهج جديد في السياسة الخارجية لحزب العدالة والتنمية¹، ومن جهة نظر خارجية، فإن السياسة الخارجية التركية الجديدة فحواها يتلخص في فكرة أحمد داود أوغلو "العمق الإستراتيجي"، الذي يُظهر أن هناك ثقة بالنفس في إعادة هيكلة الدور التركي الجيوسياسي، والآن يُنظر فعلاً لتركيا على اعتبارها قوة صاعدة "كبرى" أو بصورة أكثر واقعية باعتبارها قوة إقليمية عظمى. كما ويظهر المبدأ الرئيس لـ "تصفير المشكلات مع الجيران" كإعادة لتفسير شعار أتاتورك "السلام في الوطن-السلام في العالم"، في محاولة من أجل قبول تركيا وسيطاً في الخارج. على أساس أن تركيا عازمة على إيجاد حلول للمشكلات الإقليمية، وبناء علاقات أقوى مع جيرانها المباشرين، سوريا العراق وإيران.

¹ يمكن تحليل السياسة الخارجية التركية خلال فترة حكم حزب العدالة والتنمية في ثلاث فترات مختلفة، بناء على ثلاث تحديات إقليمية ودولية في العقد الأخير؛ ففي الفترة الأولى من حكم حزب العدالة والتنمية، تبنت النخب السياسية الجديدة نموذج سياسة خارجية جديدة تعطي الأولوية القصوى للتكامل والتعاون مع الدول الإقليمية، خاصة في مجالات الاقتصاد والدبلوماسية التي ستحوّل السياسة الإقليمية من التفاهم المدفوع بالمصالح الأمنية المشتركة إلى علاقة أكثر مرونة ذات قيم مشتركة.

وفي الفترة الثانية من حقبة حزب العدالة والتنمية، ومع تزايد قوة تركيا الاقتصادية ودورها كوسيط سلام في المنطقة، بدأت أنقرة في تعميق علاقاتها مع الشرق الأوسط. وتزايدت "الاستقلالية الاستراتيجية" لتركيا في هذه الفترة تدريجياً بفضل تنوع أنشطة السياسة الخارجية مع مختلف المناطق. ومع ذلك، وجّه الحلفاء الغربيون انتقاداً لـ "سياسة الانخراط الجديدة" التي اتبعتها تركيا، فضلاً عن الانتقاد المستمر الذي وجهته المعارضة المحلية تجاه ما اعتبرته "تغييراً في المحور الجيوستراتيجي" وانصرافاً عن التحالف الطويل المنتظم مع الغرب

وفي الفترة الثالثة من حقبة حزب العدالة والتنمية، حدث تغيير في كل من السياسة الخارجية التركية والدور الذي تلعبه أنقرة في السياسة الإقليمية. فمبدئياً، كانت تركيا تخطط لتكثيف علاقاتها مع الدول العربية، وتحاول تحقيق نموذج "التكامل الإقليمي". وكان ذلك جلياً في أنشطة أنقرة التي تهدف إلى المزيد من التكامل في المنطقة، مثل إلغاء تأشيرات الدخول مع عدد من الدول العربية، وتأسيس مجالس تعاون إستراتيجي رفيعة المستوى مع الدول الإقليمية الرئيسية، وتكثيف التعاون الثقافي في المنطقة. وكانت تركيا تهدف من خلال هذه الأنشطة إلى إحداث تغيير في سياسة "الأمر الواقع" في الإقليم لمعلومات أكثر ينظر في:

ثانياً: آليات توظيف القوة التركية لتفعيل إستراتيجيتها بمنطقة الشرق الأوسط بعد 2011

1. إستراتيجية توظيف القوة الناعمة في سياسة تركيا الخارجية تجاه الشرق الأوسط

حسب ما يمكن استقراؤه من الموقع الرسمي لوزارة خارجية الجمهورية التركية فإن تركيا تهتم وعن كثب بمستجدات الشرق الأوسط سواء بسبب الروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية التي تمتلكها مع شعوب المنطقة أو بسبب تأثيرها المباشر أو غير المباشر من هذه المستجدات. كما وتتبع تركيا سياسة خارجية متعددة الأبعاد.¹ واعتمدت تركيا على العديد من الأدوات والإستراتيجيات لتفعيل دورها السياسي في المنطقة بدءاً من:

– **سياسة تصفير المشكلات:** التي تهدف على تقليل الأعداء وخفض المشكلات، ذلك لأن الدولة التي تعيش أزمات وصراعات مع جوارها لن يكون لها دوراً إيجابياً في المنطقة. ومنحت هذه الإستراتيجية الدور التركي القوة والفاعلية مقارنة بالدور الإيراني الذي يهدف للتوسع على حساب دول المنطقة وتصديره الثورة. كما ويتضح الدور السياسي لتركيا في الشرق الأوسط من خلال إنتهاج:

– **سياسات سلام إستباقية:** للحيلولة دون تحوّل الصراعات إلى أزمات ونزاعات مزمنة تؤثر سلباً على أمن المنطقة. بمعنى أنّ السياسة الخارجية التركية إتّسمت بصفة المبادرة لهذا نجد تركيا حاضرة في قضايا الشرق الأوسط.² ومن أبرز الأدوار التي توليها تركيا إهتماماً كبيراً في سياستها الخارجية تجاه الشرق الأوسط:

– **دور الوسيط:**³ وظهر نشاطها في ذلك من خلال العديد من المحادثات التي توسّطت فيها لحلّ قضايا شائكة بين دول عدة في المنطقة. وقد يكون في معظمها ان تركيا توسّطت بهدف لا يقتصر على تحسين العلاقات مع دول المنطقة فقط بل إلى الحدّ من النفوذ الإيراني المتصاعد الذي يعدّ منافساً للدور الإقليمي التركي في المنطقة، ومهدداً للمصالح التركية فيها، لا سيما في كل من سوريا والعراق دول الجوار التركي.

ولعلّ أيضاً من أهمّ الأدوار السياسية التي تضطلع بها تركيا في الشرق الأوسط هي:

– **دور الموازن الإقليمي:** الذي تجلّت أهميته نتيجة لإختلال توازن القوى في منطقة الشرق الأوسط. هذا الدور يحافظ على توازن القوى بين الأطراف المتنافسة لتحقيق مكاسب مباشرة. وقد إتضح دور الموازن

¹ **Relations de la Turquie avec les pays du Moyen-Orient et de l'Afrique du Nord**, article publié au site officiel du Ministère des Affaires étrangères de la République de Turquie, 2011, <https://bit.ly/2Dup5Rp>

² عبد القادر محمد، **تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية**، في نور الدين محمد (تقديم)، العرب وتركيا تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012، ص 580.

³ فولكر بيرتس، مرجع سابق، ص 98.

في علاقات تركيا مع العراق وإيران فهي لم تدخل كطرف في النزاع على الرغم من أنها كانت إلى جانب العراقي، إلا أنها فتحت قنوات الإتصال مع إيران وإستطاعت تجاوز شكوك الطرفين بأنها تفتتح على الآخر وقيل الطرفان بتلك السياسة بل عمل كل منهما على إستمرار هذا الدور. كما أنّ تركيا تمارس أدواراً معقدة في العراق لعلّ من أبرزها الموازنة بين المكوّن السنّي والشيعي، وبرز ذلك بوضوح خلال إصرار تركيا على المشاركة في معركة تحرير الموصل من داعش التي إنطلقت في 17 أكتوبر 2016.¹ وذلك ينبع من حرصها في الحفاظ على المكوّن السنّي والتركماني مقابل الشيعة في الموصل وخوفها من حدوث تغييرات ديمغرافية في المنطقة قد يؤثر سلباً على الأمن القومي التركي.

وتبرز أهمية الدور التركي كموازن إقليمي بالنسبة لدول الخليج العربي خاصة بعد تحالف طهران مع روسيا وحرية على الشعب السوري ودعمها للرئيس بشار الأسد وسياستها المذهبية في العراق ودعمها للحوثيين في اليمن. وبما أنّ الدول العربية تفتقر للموازن الإقليمي أمام إيران ومشروعهم التوسعي في المنطقة. تبرز تركيا للقيام بهذا الدور على الرغم من أن تركيا تؤكّد دوماً رفضها لتوظيف العوامل المذهبية في السياسة.

كما وقامت بدور الموازن الإقليمي بين إسرائيل والدول العربية، وإتضح ذلك من خلال الخطاب السياسي التركي فقد عبر رئيس الوزراء آنذاك أردوغان بأنّ العلاقات التركية -الإسرائيلية أساسها المصلحة المشتركة وخدمة السلام والإستقرار في المنطقة وليست موجّهة ضد أي دولة أخرى. كما برز دور تركيا كموازن أيضاً بالنسبة لإسرائيل في مواجهة سورية وإيران، وبالنسبة إلى سوريا قامت تركيا بدور الموازن تجاه دول الإعتدال العربي، هنا كان لتركيا الدولة السنية أهمية في إعطاء السياسة السورية نوعاً من الجدية والعمق، في الوقت الذي كانت فيه دول الإعتدال تقول أنّ سوريا تتحالف مع إيران وحزب الله.²

وقد حرصت تركيا على مأسسة علاقاتها مع دول الشرق الأوسط: عبر إيجاد صيغ مؤسسية تعنى بالحوار بصفة دورية وفي هذا المجال كان تأسيس مجلس التعاون الإستراتيجي مع العراق في عام 2008، وسوريا في عام 2009 واتخذت تركيا الخطوة ذاتها تجاه دول الخليج في 2008، وتم توقيع إتفاقية تشكيل مجلس إستراتيجي بين تركيا وليبيا في 3 كانون الثاني 2014.³ هي إتفاقات قد تكون من ورائها سياسات هدفها كسب شرعية في بناء قواعد لها فيها أو في حين تدخلاتها العسكرية في المستقبل.

¹ أردوغان: تركيا ستكون داخل عملية تحرير الموصل، الأناضول، إسطنبول، 17 أكتوبر 2016، على: <https://bit.ly/3jOulig>
² محفوظ عقيل سعيد، السياسة الخارجية التركية الإستراتيجية -التغيير، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، قطر، 2012، ص125.

³ أبو الحسن، خالد محمد، النفوذ الإقليمي لتركيا في ضوء الأزمة السورية، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد شتاء 66، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، 2014، ص 33.

-كما شاركت تركيا في معظم التفاعلات في الشرق الأوسط لا بوصفها شاهداً أو مراقباً فحسب بل بصفتها طرفاً رئيسياً فاعلاً في بعض الأحداث، وتزايد الحضور التركي في القضايا المحورية في الشرق الأوسط، مثل الصراع العربي الإسرائيلي، وأزمة البرنامج النووي الإيراني، ولم تلبث ساكنة أمام موجة الثورات العربية ليصل بها الحال إلى التدخل العسكري مثل ما هو في العراق وسورية، تدخلات بإسم الحرب على الإرهاب "داعش" والقوات الكردية المدعومة أمريكياً، ومن أجل حفظ أمنها وسلامة حدودها، إذن قد بات واضحاً على أرض الواقع الجهود التركية المتعلقة بقضايا جوارها الإقليمي.

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أن هناك إختلاف بين دول المنطقة حول حقيقة الدور التركي، فهناك دول ترى في الدور التركي بأنه سندا قوياً وداعماً للحقوق العربية، وهناك من يرى بأنه معادي في ثوب صديق، وجاء لملء الفراغ الذي عجز العرب عن ملئه في ظل غياب القيادة الفاعلة، ومن جهة أخرى هناك من يتخوف من الدور التركي ويرى بأنه منافس له وهذا ينطبق على مصر وإيران، (وآخر يتخوف من سياسة تركيا المستقبلية التوسعية مثلما قد أعلن عنه الرئيس الليبي الراحل "معمر القذافي" ان لتركيا مشروع استراتيجي في غايته إحتلال ليبيا _ مع العلم ان ليبيا تعد أول مورد بالنسبة لتركيا بنسبة 46%_) في هذا الصدد يمكن التذكير بأن الدور التركي لم يأتي بالقوة بل بالإعتماد على القوة الناعمة، وفي حالات كثيرة جاء بناء على رغبة الأطراف المتنازعة مثل الوساطة بين إسرائيل وسوريا والوساطة بين السعودية وإيران، أما فيما يتعلق بالمنافسة تؤكد تركيا بأنها لا تسعى لمنافسة الدور المصري او تجاوزه بل إن دورها مكمل له ولا تسعى إلى إعادة امجاد الدولة العثمانية، وهذا ينطبق على مصر والدول الأخرى في المنطقة، لكن الأحداث والتغيرات الأخيرة التي شهدتها المنطقة مكنت تركيا من ان يكون لها دوراً أكبر مما هو متوقع لذلك أبدت بعض الدول قلقها منه. وعلى هذا شهدت الفترة الأخيرة حضوراً عالمياً واسعاً للجيش التركي لم يكن له مثيل منذ عهد الإمبراطورية العثمانية.

2: التوظيف العسكري التركي في الشرق الأوسط بعد 2011

تحت راية قوات حفظ السلام وتحت مظلة الناتو، فإن تركيا توسع وبشكل ملحوظ تدخلها في سورية. فيما تحافظ على حضور عسكري في العراق وقطر والصومال وأفغانستان، وتبقي على قوات حفظ السلام في البلقان. وفي الوقت نفسه، تسير البحرية التركية دوريات في البحر المتوسط وبحر إيجه لحماية مصالحها الطاقوية والإقليمية. وبعيداً عن هذا التحرك التوسعي له ثمن، إذ زادت الموازنة العسكرية كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي من 1.8% عام 2015 إلى 2.2% عام 2017، لكن نجحت تركيا في ان تفرض

وجوداً عسكرياً على خريطة العالم. وقد رصدت وكالة (Bloomberg) الأمريكية في تقرير لها، مناطق إنتشار القوات العسكرية التركية ومجالات إستعراض قوتها.¹



انفوجرافيك انتشار القوات التركية في الشرق الأوسط

المصدر: وكالة Bloomberg الأمريكية، <https://arabicpost.me/%D8%A9/2019/03/07/>

_ العراق: كثيراً ما ترسل تركيا مقاتلاتها وقواتها عبر الحدود إلى داخل شمالي العراق لإستهداف مخابئ حزب العمال الكردستاني. وتُبقي أنقرة أيضاً على قواعد عسكرية أُقيمت بالأساس من أجل مهمة حفظ السلام في التسعينيات. لكنّ الأتراك لم يغادروا قط، قائلين إنّ وجودهم رادع ضدّ حزب العمال الكردستاني وكابح لتطلّعات أكراد العراق للإستقلال.

_ قطر: أقامت تركيا قاعدة في قطر منذ إنحيازها عام 2017 إلى جانب الدوحة، في خلافها مع تحالف إقليمي تقوده السعودية. وتنتسب تركيا وقطر بدعمهما لجماعة الإخوان المسلمين. وهي حركة سياسية أزعجت السعوديين ومعظم ملكيات الخليج، خصوصاً منذ الثورات العربية التي إندلعت في مطلع هذا العقد.

وتشير العديد من التقارير إلى أنّ التواجد العسكري التركي بالدوحة، حال دون إعتداء عسكري خططت له دول الحصار (الإمارات، السعودية، مصر، والبحرين).

_ الصومال: إفتتحت تركيا في عام 2017 أكبر قواعدا بالخارج في "مقديشو"، حيث يتولّى المئات من القوات التركية تدريب الجنود الصوماليين¹ كجزء من خطة تركية أوسع للمساعدة في إعادة إعمار البلد

¹Selcan Hacaoglu, Mapping the Turkish Military's Expanding Footprint,07/03/2019. <https://bloom.bg/2Z7KO9s>

الذي دمّرتة عقود من الحروب القبلية والتمرد الذي شنته حركة الشباب. وتزيد تركيا حضورها في البلد الواقع بمنطقة القرن الإفريقي منذ زارها أردوغان عام 2011، الأمر الذي يساعد على إحياء خدمات مثل التعليم والصحة وكذلك الأمن.

_ بحر إيجه والبحر المتوسط: تحمي السفن الحربية التركية سفن الإستكشاف والتتقيب في البحر المتوسط على مدار الساعة، في ظل سعي البلاد للمطالبة بحقوقها في حقول الطاقة المتنازع عليها. اشتعلت التوترات مع قبرص واليونان بعد إصدار تراخيص إستكشاف من جانب تركيا وحكومة قبرص التركية² المنفصلة في مناطق تدّعي قبرص تبعيتها لها.

_ أفغانستان: وتوجد القوات التركية في أفغانستان ضمن تحالف يقوده حلف شمال الأطلسي (NATO)، لأكثر من 50 دولة، يدعم قوات الأمن الأفغانية ضدّ حركة طالبان، وهي حركة أصولية إسلامية كانت تحكم البلاد من قبل. وتملك تركيا ثاني أكبر جيش من حيث العدد داخل حلف الناتو.³

الهدف من تأسيس هذه القاعدة ما هو إلا تدريب وتأهيل الجيش الصومالي والتعاون العسكري مع مقديشو، بل أن الأمر يتجاوز ذلك ليصل إلى نوع من "التمدد الاستراتيجي" في هذه المنطقة المهمة جغرافياً، وهو ما سيمكّن أنقرة من تعزيز وتقوية أوقافها في بعض الملفات الإقليمية. ويمكننا أن نقسم هذا التصور إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: مواجهة تنامي نفوذ بعض القوى الإقليمية والدولية، مثل: إيران، وإسرائيل، والصين، ومحاولة تطويق ومحاصرة تحركات بعض القوى الأخرى، مثل: الإمارات، ومصر، في إطار التنافس الإقليمي والدولي على النفوذ في المنطقة، إضافة إلى السعي نحو تقديم نفسها كبديل إقليمي جاهز لتحقيق وحماية مصالح وأهداف القوى الغربية والولايات المتحدة في المنطقة، في إطار استراتيجيتها الرامية إلى بناء قوة ونفوذ، يخلق منها قوة عظمى سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً.

ثانياً: تعزيز الحضور التركي في منطقة القرن الإفريقي، نظراً لأهميتها الاستراتيجية، لاسيما في الصومال، لكونه يقع في قلب مسرح الأحداث الإقليمية، بما يجعله بمنزلة العمق الاستراتيجي للأمن القومي العربي، ولقربه الجغرافي من منطقة الخليج العربي، ومنطقة الشرق الأوسط، كما أن الصومال يطل على البحر الأحمر، ومضيق باب المندب، والذي تسعى تركيا -كما يبدو- لإثبات وجودها ونفوذها في هذه الممرات المائية.

ثالثاً: حماية المصالح الاقتصادية التركية في القارة الإفريقية، والبحث عن المزيد من الاستثمارات في منطقة شرق إفريقيا، والقرن الإفريقي، حيث يمنح الوجود في هذه المنطقة تركيا العديد من المميزات على جميع المستويات السياسية، والاقتصادية، والأمنية، والعسكرية. ففي الوقت الذي يبلغ فيه حجم الاستثمارات التركية المباشرة في إفريقيا نحو 6 مليارات دولار، تستحوذ منطقة شرق إفريقيا على نصفها تقريباً، ويبلغ نصيب الصومال منها نحو مئة مليون دولار. للمزيد والتفصيل في الموضوع شاهد: تقرير فتحي إسماعيل،

تركيا-الصومال: مقديشو مقراً لأكبر قاعدة تركية في الخارج، الحصاد، تقرير لمركز الجزيرة، على: <https://bit.ly/3224lol>

² تحتل تركيا الثلث الشمالي من قبرص منذ وقعت محاولة إنقلابية لتوحيد الجزيرة مع اليونان عام 1974. وقال وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو يوم 21 فيفري 2019 في هذا الشأن أنه: "لا يمكن عمل شيء في البحر المتوسط دون تركيا، لن نسمح بذلك". وأدى نزاع طويل مع اليونان بشأن السيادة على العديد من الجزر في بحر إيجه إلى معارك جوية وهمية بين الطائرات ومواجهات بين السفن الحربية. معلومات نقلها عن وكالة Bloomberg

³ تملك أنقرة تاريخاً طويلاً في أفغانستان. إذ وفرّ مؤسس البلاد، مصطفى كمال أتاتورك، جنوداً لملك أفغانستان أمان الله عام 1928، لإخماد إنتفاضة من جانب "إسلاميين متشددين" على خلفية قرار الملك إرسال الفتيات الأفغانيات إلى تركيا العلمانية لتلقي التعليم. عن المرجع السابق.

مناطق أخرى: شارك الجيش في مهام حفظ السلام التي يقودها الناتو في كوسوفو والبوسنة والهرسك منذ الحرب في التسعينيات. ولتركيا إهتمام خاص بحماية المجتمعات المنتمة للإثنية التركية هناك. ولدى تركيا خطط لإقامة مراكز أو في السودان لتدريب القوات المسلحة السودانية، والتزم أردوغان بهذا اثناء زيارة له إلى البلاد عام 2017. حين وقّع كذلك إتفاقيات لزيادة الإستثمار التركي والتجارة مع السودان.¹

ليبيا: أجاز البرلمان التركي في يناير (كانون الثاني) لأردوغان إرسال قوات بحرية وبرية وجوية إلى ليبيا بموجب تفويض لمدة عام لدعم الحكومة المعترف بها من الأمم المتحدة ضد القوات المتنافسة، مما أدى إلى تعميق النزاع الذي أصبح حرباً بالوكالة على نحو متزايد. تدعم تركيا حكومة رئيس الوزراء "فايز السراج" والتي تتخذ من طرابلس مقراً لها ضد القوات المتحالفة مع القائد العسكري "خليفة حفتر"، المدعومة من المرتزقة الروس ومصر والإمارات العربية المتحدة. وتهدف تركيا إلى إنقاذ عقود تجارية بقيمة مليارات الدولارات تم إلقاؤها في طي النسيان بسبب النزاع المطول في ليبيا. وفي مقابل موافقتها على الدفاع عن حكومة سراج، فقد حصلت على دعم ليبي لصفقة بحرية مثيرة للجدل تؤكد مطالبة تركيا بالحقوق في شرق البحر المتوسط حيث يوجد نزاعان إقليميان فيما بين اليونان.²

سوريا: يُعدّ تدخل تركيا العسكري في سوريا واحداً من أكبر عملياتها الخارجية منذ إنهيار الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى.

فقد أرسل "أردوغان" القوات إلى سوريا في عام 2016، لمحاربة كل من تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)، والقوات الكردية المدعومة أمريكياً والتي يجري ربطها بمسّحي حزب العمال الكردستاني، الذي يقاوم من أجل منطقة كردية مستقلة داخل تركيا.

وتحتشد القوات التركية كذلك بطول الحدود البالغة 911 كم على أمل إقامة منطقة آمنة لتشجيع أكثر من 3.6 مليون سوري فرّوا إلى تركيا على العودة إلى بلادهم وتجنّب قدوم موجة جديدة من اللاجئين. (تدخل سنفصل في مراحل أكثر في المطلب الموالي).

أ_ التدخل العسكري التركي في سوريا:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل والمحفزات في دفع تركيا لتدخل في الصراع القائم في سورية، بعضها مرتبط بالوضع الداخلي السياسي والأمني والاقتصادي التركي، وبعضها الآخر مرتبط بالوضع الإقليمي والدولي، وتغيّر علاقة تركيا بالقوى المؤثرة في الأزمة السورية. فالمنطلق الإستراتيجي التركي إزاء الأزمة في بداياته كان على أساس "الدعم المفتوح"، ثم غيّرت تركيا إستراتيجيتها في بداية عام 2015 بالتوجّه

¹ Selcan Hacaoglu, Op cit.

² Ibid.

لسياسة "الدعم المحدود"، لتتئ فيما بعد للتدخل العسكري المباشر منها وذلك في عام 2017، ومن خلال هذه النقطة البحثية سنحاول جمع أهم ما يمكن أن يلخص لنا دوافع وأنماط التدخل العسكري التركي في سورية وما نجم عنه من تداعيات أثرت على كلا الطرفين.

ب_ أهداف ودوافع التدخل العسكري التركي في سوريا

على مدى السنوات الماضية كانت حدود تركيا الجنوبية مع سوريا تشهد اضطرابات وإختلالات أمنية خطيرة، وهذا ما عزز من المخاوف التركية، لذلك تهدف تركيا إلى حماية أمنها القومي ومنع وجود فصائل مسلحة ذات أهداف سياسية تحظى بدعم غربي على حدودها مع سورية التي يبلغ طولها 911 كم.¹ ويعدّ الدافع الرئيسي لتدخل تركيا العسكري لمنع قيام دولة كردية مستقلة الذي يعدّ المهدد الأول للأمن القومي التركي وهو ما يجمع عليه الأتراك بمختلف توجهاتهم.² وكان هاجس تفكك سورية وصعود القضية الكردية فيها حاضراً من بداية الأزمة، ولذلك حرصت أنقرة على إستيفاء كل الفرص المتاحة للوصول إلى حلول توافقية مع نظام بشار الأسد، ولكنها وبعد الفشل في هذا الخيار، دعمت المعارضة السورية وحرصت على دعم التوافق بين المجلس الوطني السوري (كممثل للمعارضة) مع المجلس الوطني الكردي. والذي يُمثل عدّة أحزاب كردية مدعومة من إقليم كردستان العراق ورئيسه "مسعود برزاني"، صديق وحليف أنقرة في مواجهة حزب العمال الكردستاني (PKK) وفرعه السوري حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD).³ فبعد التطورات الأخيرة، لم تعد الأزمة السورية بالنسبة لتركيا مشكلة دولة جارة بقدر ما أضحت شأناً داخلياً تركيا، ولذلك ثمة عدة عوامل شجعت أنقرة على إتخاذ قرار بالتدخل في سوريا، منها:

- _ ارتباط الأزمة السورية بشكل مباشر بأمنها القومي. وتنامي التهديدات الأمنية المتأنية منها.
- _ التقدّم المضطرد للمشروع الكردي السياسي على حدودها الجنوبية.
- _ تداخل المشهد السوري مع الوضع الداخلي لتركيا، بعد تفجير أنقرة.
- _ تعقيدات الوضع الميداني السوري بما يوحي بهزيمة وتراجع كبير للمعارضة، وانعكاسات ذلك على تركيا، ما دفعها للتدخل بهدف محاولة تعديل الكفة.

¹محمد سمير الرنتيسي، خيارات السياسة الخارجية التركية ومتغيراتها الإقليمية والدولية، مركز الجزيرة للدراسات، نشر في 13 ديسمبر 2015، ص6، موجود في صيغة PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/2EQYqiE>

²مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، التدخل العسكري التركي شمال سوريا: دوافع الضرورة أم إستراتيجية، ص2، PDF على الرابط: <https://bit.ly/2ZaiMKr>

³مركز برق للدراسات والأبحاث، التدخل العسكري التركي في سورية: الأسباب والأهداف والتحديات، 2 سبتمبر 2016، على الموقع الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/32YHVsz>

تركيا وموجات اللجوء نحوها، وهو ما إعتبرته أنقرة سلاحاً تنقصد روسيا والنظام السوري لإستخدامه ضدها.

توفر التأييد الداخلي للتدخل في سوريا، خصوصاً فيما يتعلق بمواجهة الفصائل الكردية المسلحة.
تفوق تركيا عسكرياً على كل من النظام وتنظيم الدولة وقوات حماية الشعب، خصوصاً إذا في خيارها بالتدخل المحدود على الحدود يمكن أن يحدد العامل الروسي.

ان نتائج الإنتظار والترقب قد تكون كارثية بالنسبة لتركيا، ممّا دفعها للمبادرة قبل أن يفقد أي تدخل مستقبلي معناه والفائدة المرجوة منه.¹

زخم تقدّم وحدات الحماية في سورية قد ساهم في تصلّب مواقف حزب العمال الكردستاني في تركيا، ممّا دفعه لإعلان استئناف العمل العسكري ضدّ السلطات التركية في تشرين الأول من عام 2015.²

ج: عمليات التدخل العسكري التركي في سوريا

- عملية درع الفرات (2016):

بعد خمس سنوات من التردد خوفاً من التورط المباشر في الصراع السوري الدموي، أُعتبرت عملية "درع الفرات" العسكرية التي أطلقتها تركيا في شمال سوريا فجر يوم 24 أوت 2016، تعبيراً واضحاً عن نفاذ صبر تركيا حيال إستراتيجية الولايات المتحدة الفاشلة في سوريا، التي أدت إلى وصول نيران الصراع إلى الداخل التركي، لينتهي الحال بتركيا لتجد نفسها في خضم معضلات جيو-استراتيجية حرجة جزاء إستمرار الصراع السوري دون أفقٍ للحل أو قدرة أيّ طرف على حسم الصراع.³ فقامت تركيا بإرسال دبابات وقوات خاصة مدعومة بغطاء جوي لمساندة هجوم المعارضة السورية على مدينة جرابلس الحدودية. وبمجرد إستعادة المدينة من تنظيم الدولة الإسلامية، وجّهت تركيا إنذاراً أعطت فيه قوات سورية الديمقراطية التي تمثّل وحدات حماية الشعب الكردية عمودها الفقري مهلة ثلاثة أيام لسحب قواتها إلى شرق نهر الفرات، بعد أن تمكّنت بدورها وبغطاء جوي لقوات التحالف الدولي، من إستعادة مدينة "منبج" ذات الأهمية الإستراتيجية من تنظيم الدولة.⁴ وأعلنت الحكومة التركية أنّ أهم الأهداف المعلنة للعملية هي:¹

¹ سعيد الحاج، محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا، مركز إدراك للدراسات والإستشارات، مارس 2016، ص 13. موجود

في ملف إلكتروني PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bqM7W2>

² مركز برق للدراسات والأبحاث، مرجع سبق ذكره.

³ أسامة أبو راشد، التدخل العسكري التركي في سورية: حصاد الفشل الأمريكي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (سلسلة

تقييم حالة)، الدوحة، قطر، أكتوبر 2016، ص 1. ومتوفر في صيغة PDF على الرابط: <https://bit.ly/3INFimh>

⁴ وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، دوافع التدخل التركي في سورية وإحتمالات توسّعه، عن (سلسلة: تقدير موقف)، المركز

العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أوت 2016، ص 1. ملف PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/2F4K7GL>

- 1- تأمين الحدود التركية السورية بتحرير المدن الحدودية من قبضة "داعش".
- 2- تأمين المدن التركية من نيران الحرب الدائرة في سوريا.
- 3- منع قوات سوريا الديمقراطية التي تشكل قوات الحماية الكردية عمودها الفقري من الإستيلاء على المناطق الحدودية وتشبيد ممرٍ يربط بين كينونتها الموجودة في حلب وتلك الرابطة شرق الفرات، وبالتالي ضمنن وحدة الأراضي السورية.
- 4- الحيلولة دون حدوث موجة نزوح جديدة وإبصال المساعدات الى المدنيين بشكل أسهل.



خارطة توضح: تموقع المحاور العسكرية خلال عملية درع الفرات

المصدر: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2016/9/5/>

وفي محاولة تقييم لفعالية العملية العسكرية التركية "درع الفرات" يمكن القول انها كانت محدودة ومثلت تدخلاً عسكرياً غير مباشر حيث إعتمدت فيه تركيا على تدعيم المعارضة السورية، أمّا عن أهدافها فينحصر هدفها الرئيس في إبعاد تنظيم الدولة عن الحدود التركية، ومنع وحدات الشعب الكردية من ملء الفراغ الذي يخلفه إنحسار التنظيم، ومن ثمّ السيطرة على الشريط الحدودي مع سورية، خاصة في مناطق غرب الفرات. كما تُمثّل العملية إختباراً لقدرة الحكومة التركية على قيادة المؤسسة العسكرية وإخضاعها للسلطة المدنية، وتحقيق حالة من التوازن بين الدعم الأمريكي المشروط، وغض الطرف الروسي المقصود، وتوافق المصالح مع إيران للحدّ من تطلعات الأكراد الإستقلالية. في الوقت ذاته يمثّل هذا

¹ينظر أكثر في: سمير صالح، درع الفرات: الأهداف المعلنة والغير معلنة، ترك برس، بتاريخ 26 أوت 2016، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3bD8W8Q>

التدخل فرصة للمعارضة السورية لإثبات جدارتها في مواجهة تنظيم الدولة، ومن خلاله إعادة فرض نفسها طرفاً لا يمكن تجاوزه في أي تسوية سياسية للمسألة السورية.¹

أما من ناحية القوى الدولية المتدخلة في سورية، فلم يتردد الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" في دعم وتشجيع أفقرة على القيام بعملية عسكرية في منبج وشرق الفرات، بهدف إضعاف النفوذ الأميركي في سورية، ولزيادة حدة الخلافات الأميركية - التركية، ولأجل المزيد من التقرب التركي نحو موسكو، بما يصب ذلك كله لصالح الاستراتيجية الروسية في سورية والشرق الأوسط.

لكن على الرغم من هذا المخطط الروسي الواضح، فإن تركيا بحكم موقعها الجغرافي هي المستفيد الأكبر من التنافس الروسي- الأميركي، إذ يتيح لها هذا الموقع توظيف الخلافات السياسية بين موسكو وواشنطن بفرض نفسها كلاعب أساسي لا يمكن تجاوزه أو الاستغناء عنه في أية طبخة سياسية تخص المنطقة، وهو ما يمكن أفقرة من الحصول على موافقة ضمنية من هذا الطرف أو ذاك على شكل صفقة سياسية قائمة لحظة البدء بأي عملية عسكرية في منبج وشرق الفرات.²

- عملية غصن الزيتون (2018)

بعد عملية درع الفرات التي انطلقت في آب/أغسطس 2016 واستمرت حتى آذار/مارس 2017. كانت عملية "غصن الزيتون" هي الموالية للتدخل التركي في سوريا والتي انطلقت في الربع الأول من عام 2018.³

وبدأت عملية الجيش التركي ضد وحدات حماية الشعب بمدينة عفرين⁴ الحدودية شمالي سوريا، والتي أطلق عليها اسم "غصن الزيتون"، رسمياً يوم السبت 20 يناير/كانون الثاني 2018 بعد تدشين المرحلة البرية، حيث أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن عملية عفرين قد بدأت على الأرض، وستتبعها مدينة منبج، وستستمر حتى حدود العراق، وذلك لطرد وحدات حماية الشعب الكردية من تلك المناطق، وتحصين الأمن القومي التركي.⁵

¹ وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، دوافع التدخل التركي في سورية وإحتمالات توسّعه، مرجع سبق ذكره. ص 5.

² محمود عثمان، الأبعاد الاستراتيجية للعملية العسكرية التركية في شرق الفرات (تحليل)، الأناضول، إسطنبول، نشر في 2018/12/19، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jELpqQ>

³ غصن الزيتون.. معركة لاستعادة عفرين، الجزيرة، 2018/1/22، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2R65xWX>

⁴ لعفرين أهمية إستراتيجية في المشروع الكردي، نظراً لأنها تشكل الجسر الجغرافي لوصول هذا المشروع بالبحر المتوسط إذا أتاحت الظروف ذلك، كما صرح بذلك العديد من المسؤولين الأكراد. للمزيد ينظر في: غصن الزيتون.. معركة لاستعادة عفرين، المرجع السابق.

⁵ المرجع السابق بالذکر.



خريطة توضح: المحاور التي تقدّم منها الجيش التركي نحو عفرين

المصدر: <https://www.yenisafak.com/ar/news/3050852>

- أهداف العملية:

حظيت العملية التي أُطلق عليها "غصن الزيتون" بزخم إعلامي كبير سواء من وسائل الإعلام التركية أو إعلام المعارضة في الداخل السوري، معتبرة العملية بطولية تهدف لتطهير المنطقة من إرهاب ميليشيات YPG على حد تعبيرها¹. وإعادة اللاجئين السوريين من أهل هذه المناطق إليها، وبالأخص الموجودين في المخيمات بتركيا. بحكم انهم هم سكانها الأصليون. وبذلك تريد تركيا إقامة شريط أمني داخل سورية على إمتداد الحدود مع تركيا، بعمق لا يقل عن 30 كم كمنطقة آمنة لها، لكن هذا لن يكفي طموحات تركيا، فقد أعلن الرئيس رجب طيب أردوغان أن الهدف التالي للعملية بعد عفرين هو السيطرة على مدينة منبج، ومن بعد ذلك مناطق شرق الفرات وصولاً إلى الحدود العراقية². ويمكن أن تُضاف المساحات الجغرافية الجديدة إلى المثلث الذي تشغله تركيا بين جرابلس وإعزاز ومنبج، لتشكل مظلة حامية للعمق التركي. وجبهة يمكن أن تصدّ أي هجوك كردي محتمل، أو أي عملية عسكرية داخل الحدود التركية. وبذلك تكسب تركيا وجوداً عسكرياً مباشراً في الميدان، ويخوّلها أن تكون لاعباً أساسياً على طاولة المفاوضات، وشريكاً في تقرير مستقبل سورية.

¹أحمد الصوراني، عملية غصن الزيتون: مالها وما عليها، تقرير نشر بتاريخ 2018/02/10، على: <https://bit.ly/2F2ZXIs>

²العملية العسكرية في عفرين: الدلالات والمخاطر والخيارات، وحدة دراسة السياسات، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قطر، 18 فيفري 2018، ص 4.

إن يق مصير عفرين في قلب الصراع الجاري في الشمال السوري في المرحلة المقبلة. إذ يبدو ان معركة عفرين غير بعيدة في الأساس عن لعبة الصراع بين موسكو وواشنطن على النفوذ في سورية، وربما تسفر عن معادلة جديدة للتوازن الإستراتيجي وشكل التحالفات الإقليمية والدولية، فتأثر تركيا بالأزمة والموقف الحرج إستراتيجياً يجعلها تندفع بوتيرة متسارعة نحو تعزيز التحالف مع إيران وروسيا، ولكن العملية أيضاً قد تكون فتحاً إستراتيجياً مزماً لتركيا، والأمر مرهون بتطور موقف الولايات المتحدة ورؤيتها للأمر وسيناريواتها المقبلة للمسألة السورية.

- عملية نبع السلام (2019)

في 7 أوت 2019، توصلت أنقرة وواشنطن لإتفاق يقضي بإنشاء مركز عمليات مشتركة في تركيا، لتنسيق وإدارة المنطقة الآمنة شمالي سوريا.¹ وفي 28 أوت، وفي إطار التنفيذ للإتفاق كخطوة أولى²، نفذت مروحيات جيشا الطرفان أول طلعة جوية مشتركة في شرق الفرات، وتبعها ثلاث طلعات أخرى، فضلاً عن تسيير دوريات برية مشتركة في تل أبيب ورأس العين.³ وفي 5 أكتوبر 2019، ورغم الإتفاق الأخير ودوريتها المشتركة، هاجم الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان" الولايات المتحدة، واتهمها بالمماطلة، معلناً ان العملية باتت قريبة جداً، ما دفع قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، والتي يسيطر عليها "وحدات حماية الشعب الكردية" المصنفة إرهابية من قبل تركيا، للتهديد بحرب شاملة.⁴ وفي 7 أكتوبر، بدأت القوات الأمريكية بالانسحاب من مناطق في شمال شرقي سوريا، ومن "تل أبيب" و"رأس العين"، وذلك بعد مكالمة هاتفية بين الرئيسين "أردوغان" و"دونالد ترامب".⁵ ويرى الأكراد ان هذا التحول الأمريكي يعدّ "طعنة في الظهر"، بعد السماح بعملية عسكرية تركية ضدّهم. لكن الرئيس الأمريكي

¹ شرق الفرات: اتفاق تركي أمريكي على المنطقة الآمنة بسوريا، الجزيرة نت، 2019/8/7، على: <https://bit.ly/3btwUUh>

² اتهم أردوغان، حينها واشنطن بالسعي لتأسيس منطقة آمنة لمصلحة "منظمة إرهابية"، في إشارة إلى "وحدات حماية الشعب" (الكردية) التي تصنفها تركيا إرهابية، مؤكداً رفض بلاده لهذا التوجه، وأضاف أنه "في كل خطوة نخطوها، نرى أن هناك اختلافاً بين ما نريده وبين ما تصبو إليه الولايات المتحدة، فبينما نريد أن نزيل المنظمة الإرهابية من المنطقة إزالة تامة، تنتهج الولايات المتحدة نهجاً لإدارة الأمور معنا ومع المنظمة الإرهابية أيضاً، وتريد وضعنا مع المنظمة الإرهابية في الخانة ذاتها". وأكد أردوغان أنه لا يمكن إنجاز المنطقة الآمنة عبر تحليق ثلاث إلى خمس مروحيات أو تسيير خمس إلى عشر دوريات، أو نشر بضع مئات من الجنود في المنطقة "بشكل صوري". للمزيد ينظر في مضمون الرابط التالي: <https://bit.ly/2Fa1aqN>

³ تركيا تنفذ طلعة جوية رابعة مع أمريكا في أجواء شمالي سوريا (فيديو)، 2019/9/12، على: <https://bit.ly/31ZReJH>

⁴ أردوغان يهدد بعملية عسكرية شرق الفرات و"قسد" بحرب شاملة، دويتشه فيله، 2019/10/5، على: <https://bit.ly/358NLdI>

⁵ Eric Schmitt, Maggie Haberman and Edward Wong, **President Endorses Turkish Military Operation in Syria Shifting U.S. Policy**, New York Times, Published 07/10/2019, link: <https://nyti.ms/2QTeFOX>

"دونالد ترامب" قال في تغريدة صباح يومها "أن الولايات المتحدة إنخرطت أكثر وأكثر في حرب بلا هدف في الأفق".¹ كما أعلن البيت الأبيض أنه لن يدعم أو يشارك في العملية التركية.² وفي 9 من تشرين الأول/أكتوبر لعام 2019، أبلغت الحكومة التركية مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بإطلاقها لعملية "تبع السلام"، وذلك استناداً إلى المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة على حد زعمها.³ بدأت العملية بقصف جوي ومدفعي تركي⁴ لبلدات "تل أبيب" و"رأس العين"، تبعه تدخل بري في ذات المناطق في اليوم التالي من قبل الجيش التركي و"جيش المعارضة السورية".⁵ وفي 13 أكتوبر أعلنت وزارة الدفاع التركية سيطرتها على "تل أبيب" والطريق الدولي "M4"، والذي يربط محافظة "الحسكة" بمحافظات "الرقّة" و"حلب" وصولاً لـ"لاذقية"، في حين ظلت سيطرتها غير مكتملة في "رأس العين".⁶ وفي 14 أكتوبر، ومع إنسحابات أمريكية متتالية، وبتسيق كردي روسي، دخلت قوات النظام مدينتي "منبج" و"عين العرب".⁷ وفي 17 أكتوبر، توصل الجانبان الأمريكي والتركي لإتفاق، يقضي بوقف إطلاق النار في شمال شرق سوريا، وتعليق العملية العسكرية التركية 5 أيام، مع وعود أمريكية بتنفيذ المنطقة الآمنة.⁸ وفي 20 أكتوبر، تنفيذاً للإتفاق سيطر الجيش التركي وحلفاؤه على مدينة "رأس العين" كاملةً،

¹عملية شرق الفرات: المواقف الدولية والتحديات التركية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، وحدة الدراسات التركية، العراق، في 8 أكتوبر 2019، ص2. متوفر على صيغة PDF على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/2F8Lrs4>

² Eric Schmitt, ibid.

³ Letter dated 9 October 2019 from the Permanent Representative of Turkey to the United Nations addressed to the President of the Security Council, S/2019/804, <https://undocs.org/S/2019/804>; Kurdish-led health authority in northeast Syria says 218 civilians killed in Turkish offensive, Reuters, 17 October 2019, <https://reut.rs/320zT3m>

⁴ تواصل القوات المسلحة التركية حربها مستخدمة أسلحة عسكرية أغلبها محلية الصنع، منتجة بالإمكانات المحلية، والتي قد اثبتت نجاحها خلال عملية "تبع السلام" كما حدث من قبل في "درع الفرات" و"غصن الزيتون"، وبدأ الجيش التركي باستخدام بندقية القنص KNT-76 المصنعة محلياً لأول مرة خلال عملية "تبع السلام" ويمكن لبندقية المشاة الوطنية MPT-76 إطلاق 700 طلقة في الدقيقة وتزن 4 كيلو و 180 غرام، أما دبابات M60T المتطورة فتعد بمثابة القبضة الحديدية للقوات المسلحة التركية. لمعلومات أكثر أنظر: شانلي أورفة ويهجت ألكان، "تبع السلام" .. تركيا تواجه الإرهاب بأسلحتها محلية الصنع (تقرير)، الأناضول، نشر في 2019/10/20، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h2hlnA>

⁵ الجيش التركي يتوغل في شمال سوريا وقوات سوريا الديمقراطية تعلن التصدي له، فرانس 24، 2019/10/10، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jQC0Lo>

⁶ بعد تل أبيب.. الجيش التركي يسيطر على طريق سريع ويتوغل بمحور رأس العين، الجزيرة، 2019/10/13، على الرابط التالي: <https://bit.ly/320cM99>

⁷ النظام السوري يدخل عين العرب بموجب اتفاق مع الأكراد، العربية نت، 2019/10/16، على الرابط: <https://bit.ly/358F2bh>

⁸ Ragip Soylu, US and Turkey reach agreement to suspend military operation in Syria, Middle East Eye, in Ankara, 17/10/2019, (Accessed on:17/10/2019), link: <https://bit.ly/2QUhgaH>

بعد انسحاب "قوات سوريا الديمقراطية" منها¹ وفي 22 أكتوبر، توصل الجانبان التركي والروسي لإتفاق مد فترة وقف إطلاق النار لـ150 ساعة أخرى، متضمناً تقسيماً للنفوذ بين الطرفين في شمال شرق سوريا.²



خريطة تفصيلية لتوزيع السيطرة شرق الفرات بعد عملية نبع السلام 2019-10-22

المصدر: جسور للدراسات: <https://bit.ly/3bvEygx>

- أهداف العملية:

تهدف تركيا من خلال هذه العملية لإقامة المنطقة الآمنة أو "ممر السلام" كما سمته، للمساهمة في الاستقرار والسلام بالمنطقة، حتى لا تسمح مطلقاً بإنشاء ما وصفته بـ"الممر الإرهابي" على حدود تركيا،³ وتمتد المنطقة الآمنة من نهر الفرات غرباً حيث مدينة "جرابلس"، حتى "المالكية" في أقصى

¹ سانا : " الجيش التركي وحلفاؤه يحتلون مدينة رأس العين بعد انسحاب "قسد"، RT، 2019/10/20:

<https://bit.ly/3i4vhyD>

² Turkey and Russia agree on deal over buffer zone in northern Syria, The guardian, 22/10/2019, link: <https://bit.ly/3i0Pq8P>

³ عملية شرق الفرات: المواقف الدولية والتحديات التركية، مرجع سبق ذكره، ص1-2.

شمال شرقي سوريا، عند مثلث الحدود التركية العراقية السورية، بعمق يتراوح بين 30 و40 كم، وعلى إمتداد يقدر بنحو 460 كم.¹ وبإنشاء هذه المنطقة يمكن لتركيا تحقيق أهاف عدة منها: أولاً: إبعاد "وحدات حماية الشعب الكردية" عن طول شريطها الحدودي مع سوريا، بما يفشل محاولتهم إقامة دولة كردستان سورية مستقلة. ثانياً: إعادة اللاجئين السوريين لبلادهم، والمقدر عددهم في تركيا 3.5 مليون لاجئ. فقد أعلن نائب الرئيس التركي "فؤاد أوقطاي" عن تخطيط تركيا لتأمين عودة نحو مليوني لاجئ سوري إلى المنطقة الآمنة، مشيراً لعودة 360 ألف لاجئ طواعيةً لمنطقتي "درع الفرات" و"غصن الزيتون".²



خريطة المنطقة الآمنة التي عرضتها تركيا في نيويورك

المصدر: مركز نورس للدراسات، في 25 سبتمبر 2019، على الرابط: <https://bit.ly/3jOe8tz>

¹ بعد انطلاقتها.. تعرّف إلى أهداف عملية "نزع السلاح" التركية بشمال سوريا، الجزيرة نت، 2019/10/9، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h0ueyy>

² نائب أردوغان: نخطط لإعادة مليوني سوري إلى المنطقة الآمنة، الأناضول، 2019/10/21، على: <https://bit.ly/2QUibb9>

وفي الأخير يمكن القول انه، صحيح كانت العملية العسكرية التركية في شرق الفرات ضرورة استراتيجية بالنسبة لتركيا، وفرصة لتقاسم مناطق النفوذ وحل جزء كبير من تشابك المصالح مع روسيا والولايات المتحدة، لكنها في الوقت ذاته هي صمام أمان لوحدة سورية مستقبلاً.

المطلب الثالث: تقييم فعالية الأداء الإستراتيجي التركي في الشرق الأوسط

العمليات العسكرية "نبع السلام" و"غصن الزيتون"، كما عملية "درع الفرات" من قبل، ما كانت لتتم لولا ضوء أخضر روسي، لتحقيق هدفين استراتيجيين: أولهما، تمكين سلطة الأسد من السيطرة على ما تبقى من سورية، من خلال عملية تركية تؤول محصلتها السياسية لتسليم مناطق نجاح العمليات للأسد، وثانيهما، يتعلّق بمحاولة سحب الأكراد لصف موسكو، بعد إضعاف ثقتهم بقدرة واشنطن على حمايتهم. ويبدو أيضاً ان ما يجري في الشمال السوري يوضح ان إتفاقاً ثنائياً في الحد الأدنى لم تتكشف ملامحه كاملة بعد، قد عُقد بين روسيا وتركيا من أجل مقايضة عفرين بإدلب.

تدرك القيادة الروسية مدى حاجتها إلى أنقرة لتعميق إبتعادها عن الولايات المتحدة وأوروبا والأطلسي عموماً، وقد إزدادت أهمية تركيا بالنسبة إلى روسيا أكثر، واتّسعت رقعة المصالح المشتركة معها. في المقابل، يبدو أنه بات لدى الولايات المتحدة سياسة متماسكة في سورية، تشاطرها تركيا أهم أهدافها، خاصة التخلّص من الأسد، مع عدم وجود " كردستان سورية" مستقلة، والحدّ من نفوذ إيران، ما يفي بمصلحة تركيا الدبلوماسية منذ أمد بعيد. كما يبدو أن واشنطن تماشت مع العملية التركية لسببين: أولهما، ميزان القوى، حيث لا يمكن لواشنطن التخلّي عن تركيا التي تشكّل عامل قوة وتوازن في المنطقة مقابل القوة الروسية والإيرانية. وثانيهما، يخصّ جغرافية عفرين التي تقع خارج أولويات الولايات المتحدة في سورية.¹ وفي هذا السياق، قد يستفيد حلف الناتو من العمليات التركية في المنطقة، فخوفه الحقيقي هو روسيا، وإذا إستعاد الأسد السيطرة على كامل سورية فإنه سيقوي موقع روسيا وإيران في الشرق الأوسط.

أما الاتحاد الأوروبي ودوله فقد كانوا الأكثر اعتراضاً خصوصاً عن عملية نبع السلام الأخيرة، وذلك لدوافع عدة: من ناحية أولى خشيت دول أوروبا من أن تؤدي العملية التي تهدف بالأساس لعودة اللاجئين، إلى أن تكون سبباً في مزيد من تدفق اللاجئين على بلادهم، في ظل وجود 2 مليون مدني في منطقة العمليات. ومن ناحية ثانية بينما تمسك تركيا باللاجئين كورقة ضغط في مواجهة أوروبا، فإن الأخيرة تمسك بورقة الأكراد في مواجهة تركيا، ومن ثم بإمكان تركيا من خلال نجاح العملية سحب هذه الورقة من أوروبا، في الوقت الذي تظل فيه تركيا محتفظة بورقة اللاجئين. من جهة، كانت تسعى بعض الدول الأوروبية لخلافة أمريكا في منطقة شرق الفرات، وبالأخص فرنسا، لكن الولايات المتحدة لم تتمكن

¹ العملية العسكرية في عفرين، مرجع سبق ذكره، ص 7.

من ذلك؛ بسبب الضغوط التركيبية المتزايدة لتسريع العملية، كما أن الأخيرة لا ترغب في هذا السيناريو التشاركي؛ لاختلاف الدوافع والأهداف وطبيعة النظرة لقوات سوريا الديمقراطية. ومن جهة أخرى، تخشى أوروبا من عودة الخطر الداعشي سواء من خلال إعادة سيطرته على الأرض في سوريا من جديد، أو تمكنه من العودة لأوروبا، والقيام بعمليات في الداخل الأوروبي. فهناك تقديرات تشير إلى أن ألف عنصر من تنظيم داعش في مخيمات الاعتقال بشرق الفرات ينحدرون من نحو 50 دولة غربية وأوروبية. بينهم أكثر من 100 ألماني.¹

ورغم أنه ليس للصين مصالح استراتيجية قوية في سوريا، ولا تؤثر العملية بأي شكل من الأشكال على مصالح الصين في منطقة الشرق الأوسط. إلا أنها عارضت العملية، وإن كانت معارضة فاترة؛ وذلك لخشيتها من أن يؤدي التدخل التركي لتقوية جماعات المعارضة العسكرية بتوجهاتهم المختلفة، وبعد مقاتلو الإيغور واحدة منهم، تقدر أعدادهم بـ 5000 مقاتل داخل سوريا، ويسعى المسلمون الإيغور للاستقلال عن الصين، وإنشاء دولة تركستان الشرقية شمال غرب الصين.²

أما عن الدلالات الإقليمية: فإن إيران قد بدت غير راضية عن تحرك تركيا نحو عفرين بسبب التهديد الخطير طول الأمد، فتركيا وحلفاؤها السوريون يمكن أن يهددوا حلب والجيوب الساحلية ذات الأغلبية السكانية العلوية، وحتى قطع طريق إيران إلى البحر المتوسط فتضاعف نفوذ تركيا يكون على حساب نفوذها بالدرجة الأولى، لكن قد تكون مشكلة إيران هي في عدم إمتلاكها النفوذ الكافي على تركيا عندما يتعلق الأمر بعفرين، وخاصة في ظل الضوء الأخضر الروسي.

ولم تخلو عملية عفرين من فرص حقيقية لنظام بشار الأسد، إذ تم تداول أحاديث عن صفقة تُبرم بين موسكو ودمشق وأنقرة، تقوم بموجبها الأخيرة بتسليم إدلب وعفرين للأسد حتى يستعيد سيطرته على الشمال السوري، على أن تعمل في المقابل على إعادة الأكراد السوريين إلى ما كانوا عليه قبل عام 2011³، بما يعني كبح جماح تطوراتهم الإستقلالية التي تفاقمت مؤخراً. ويدرك الأتراك جيداً بأن تقسيم سوريا يمهد لتقسيم بلادهم هي الأخرى، ولذلك فهم من أكثر المدافعين عن وحدة جارتهم الجنوبية.

وفي الدلالات الإقليمية دائماً، فالسعودية بعد أن كانت مؤيدة للتدخل التركي العسكري في سوريا سابقاً أصبحت من أقوى الدول المعارضة بعد شن تركيا عملية "تبع السلام"، ويرجع ذلك لعدة أسباب، فالعلاقات

¹الاتحاد الأوروبي يدعو تركيا لإيقاف العملية العسكرية في سوريا، الأناضول، 2019/10/10، على الرابط الإلكتروني: <https://bit.ly/2F4Xgig>

² أمل عويشاوي، لاستمبا: المسلمون الإيغور جاءوا من الصين لمحاربة الأسد، نشر في 2016/03/05، مقال ترجمته "عربي 21" لتقرير صحيفة لاستمبا الإيطالية على الرابط التالي: <https://bit.ly/2GzcnZI>

³ العملية العسكرية في عفرين، مرجع سبق ذكره، ص 7.

التركية السعودية خلال عام 2019 شهدت عدة أزمات بينية غلب عليها التوتر النسبي، وبالأخص الأزمة الخليجية، وأزمة مقتل الصحفي السعودي "جمال خاشقجي" من ناحية. ومن ناحية أخرى تعد السعودية من أهم الدول الداعمة لقوات سوريا الديمقراطية، سواء باعتبارها ورقة ضغط في مواجهة تركيا، أو لدور هذه الحركة بدعم أمريكي في تحجيم النفوذ الإيراني في المنطقة، ومنع إقامة ممر بري إيراني من طهران لبيروت من خلال تمركزها في الشرق. متغير آخر يفسر تغير الموقف السعودي، هو أن التدخل العسكري التركي ضد الوحدات الكردية الذي دعمته المملكة سابقاً كان تدخلاً في غرب الفرات، وهي لا تُعد ذات أهمية جيو-ستراتيجية حقيقية لها، فالأهم في منظور السعودية هو شرق الفرات، لتماسه مع النفوذ الإيراني وممرها البري¹.

وتتفق إسرائيل مع السعودية في الهدف المتعلق بمواجهة النفوذ الإيراني. فضلاً عن استراتيجيتها في دعم الجماعات العرقية والأقليات في تأسيس كيانات مستقلة، وتفنيت الكيانات العربية القومية، لضمان السيطرة والتفرد من ناحية وإعطاء مشروعية لكيانها ذاته من ناحية أخرى لتشابه أسس التأسيس. وقد تلعب روسيا دور المهدئ للمخاوف الإسرائيلية في هذا الصدد².

لا شك أن الأزمة السورية قد أثرت على الإستراتيجية التركية السابقة، ومن ثم أعادت مسار استراتيجية تصفير المشكلات، سيما أن تركيا غادرت موقعها الوسطي والحيادي السابق من الدول والقوى، وتحولت إلى طرف في الصراعات بين الدول العربية والإقليمية وفي الصراعات الداخلية، فساد التوتر علاقاتها مع عدد كبير من الدول مثل سوريا وإيران والعراق والسعودية والإمارات والسودان ومصر وروسيا واليونان وقبرص اليونانية، فضلاً عن (إسرائيل) في تراجع لمبدأ تصفير المشكلات في السياسة الخارجية التركية.

ومع فشل سياسة تصفير المشكلات وتحولها إلى تعميق المشكلات تبدو السياسة التركية دخلت مرحلة جديدة من التحول، هو أشبه بالإنقلاب على سياستها السابقة، لتعود تركيا من جديد دولة محاطة بالأعداء بدلاً من الأصدقاء.

ويمكن القول أن الإرتباك هي الكلمة الأكثر دقة وحيادية في وصف السياسة الخارجية التركية تجاه ثورات الربيع العربي. ومن ثم تباينت المواقف التركية من بلد إلى آخر، والثابت في مواقفها من تلك الازمات أنها ترى في حالها لاعباً استراتيجي من حقه أن يتدخل في الشؤون الداخلية للبدان العربية، من منطلق أن

¹ هكذا إنقلبت السعودية على موقفها من تدخل تركيا في سوريا، لندن-عربي21، نشر في 2019/10/10، على الرابط التالي: <https://bit.ly/31ZEKlx>

² نتنتهاهو يندد بالعملية التركية في سوريا وجاهز للمساعدة، لندن-عربي21، نشر في 2019/10/10، على الرابط: <https://bit.ly/333DJYL>

إستقرارها يهيم تركيا، وأنها تسدي النصح لا الإملاء، أما في الحالة السورية فإن "رجب طيب أردوغان" أعتبر ما يجري في سورية هو جزء من السياسة الداخلية التركية وليس من سياستها الخارجية، ولعل إحساس تركيا بوجود (فائض قوة) لديها و(فائض ثقة بالنفس) هو ما يدفعها أحياناً إلى التصدي لمفاتي أكبر من قدرة دبلوماسيتها وحجم إمكاناتها.

_ أثر تطورات الأزمة السورية على الخيارات الإستراتيجية التركية

على الرغم من أهمية المقومات الداخلية في توجيه الدور التركي، إلا أنّ البيئة الخارجية للدولة الإقليمية منها والدولية، وما تحتويه من فرص وتحديات قد أثرت وبشكل كبير في قراراتها وخياراتها الإستراتيجية، وتعدّ تركيا من أكثر الدول تأثراً بمحيطها الخارجي لا سيما بعد الثورات العربية وخصوصاً من حدودها السورية، فقد ساهمت العديد من العوامل والمتغيرات في إحداث تحوّل محوري في دورها الإقليمي والدولي. أثرت الأزمة السورية على مسار العلاقات البينية لها مع الدولة الجارة تركيا، وانعكست تطورات أحداثها على نهج الإستراتيجية التركية ودورها في الشرق الأوسط، تحولات غيرت عوامل معادلة التوازن الإستراتيجي في المنطقة وتركت علامة مجهولة (X) في نتائج حلها.

فإرتدادات الأزمة كشفت تحولات وتناقضات ظهرت في شكل السلوك الخارجي التركي. الذي بدا بدبلوماسية ناعمة وانتهى بتدخل عسكري مباشر _إذن هي تحولات لا تشبه البداية_ رسمت صورة جديدة لخارطة الشرق الأوسط الجديد تركت تركيا فيها بصمتها، لتثبت بدورها أنها فاعلاً إقليمياً لا يمكن تجاهله. ومع انطلاق لهيب الثورة السورية بزغت وبكل وضوح هيمنة تدخلات السياسة الخارجية التركية، التي اعتبرت أن دعم الثورة السورية سياسياً وعسكرياً يعد فرصة ذهبية في سباق الزمن لأخذ مقام دولة ذات النموذج الرائد في المنطقة، إلا أنّ تطورات الأحداث في سوريا لم تجري كما اشتهدت خططها التي توقعت سقوط نظام بشار الأسد في غضون أسابيع أو أشهر قليلة، الأمر الذي حتمّ عليها تغيير إستراتيجيتها إزاء الأزمة السورية مراراً وتكراراً، وجاءت هذه النقطة من دراستنا لنرصد أهم محطات الدور التركي واستراتيجيته تجاه سورية من خلال سرد أهم القرارات والإجراءات التركية في حل الملف السوري، حيث أضحت تركيا بنموذجها التنموي المعتدل ونفوذها السياسي العسكري محطّ إهتمام الكثير من المهتمين بمنطقة الشرق الأوسط لا سيما بعد تنامي تدخلاتها السياسية والعسكرية في سورية.

المبحث الثالث: دور الإستراتيجية السعودية في التوازن الإستراتيجي الشرق أوسطي بعد عام 2011

سننترق في هذا المبحث إلى القوة الـ 25 عالمياً والخامسة إقليمياً، بمؤشر قوة قدر بـ 0.4286 في موازين القوى العالمية حسب إحصائيات قياس القوة لموقع (GFP) لسنة 2019. وبهذا سواصل البحث في تفاصيل الركن الثالث من مثلث النفوذ الإستراتيجي الأول المتحكم في التوازن الإقليمي للشرق الأوسط

(تركيا، إيران، السعودية). إذن لا يمكن الحديث عن توازنات القوى في الشرق الأوسط والخليج دون ذكر دور المملكة العربية السعودية الكيان السياسي الذي استطاع توحيد 80% من أرض شبه الجزيرة العربية. وتخوض المملكة العربية السعودية اليوم عملية واسعة من إعادة النظر في توجهاتها الخارجية وألويات أمنها القومي في أعقاب التغيرات الجيوسياسية لما بعد عام 2011 التي تأثرت بها، وعليه تسعى في محاولة منها لإعادة تموضعها الإستراتيجي والإقليمي، في خطوات جديدة منها، منتهجة استراتيجية تتطلق من توجه الدولة بتوسيع مجال نفوذها إلى ما يتعدى المنظومة الخليجية نحو النظام الإقليمي الأوسع الشرق الأوسطي، الذي أصبح ساحة صراع وتتافس لقوى إقليمية ودولية فيه، ما فرض على السياسة الخارجية السعودية تغيير منهجها الذي انتهجته منذ عهد مؤسسها الراحل الملك "عبد العزيز آل سعود"، بعد أن ظلت على مدى عقود قوة محافظة تسعى لإبقاء الحال على ما هو عليه في الشرق الأوسط، في سياسة تمثلت في دعم الدول المستقلة والترحيب بالوجود الأمريكي في المنطقة. غير أن السلوك الذي صبغ سياستها الخارجية عبر عقود، قد تغير وتحول بشكل تدريجي، ليصل إلى ذروته في المرحلة الحالية، إذ تزايدت التحديات والتهديدات نتيجة التغيرات الدراماتيكية التي مست بعدد من الملفات والقضايا الإقليمية، ما زاد من تعقيد المشهد الإقليمي وشتت حسابات الدول الإقليمية فيه.

ولذلك فإن التحولات الجيوسياسية التي تسببت فيها الثورة السورية انعكست على الدور الإستراتيجي للدولة السعودية بصورة مباشرة، ما ولد مجموعة تحديات ورهانات تعاملت فيها الإستراتيجية السعودية بمنهج ودور استراتيجي جديد، حجزت من خلاله مكانتها في ميزان القوى الإقليمي الشرق الأوسطي، معتمدة في ذلك على مقومات القوة التي تمتلكها، في محاولة منها توسيع نفوذها والحفاظ على أمنها في ظل وجود منافسين إقليميين لها في المنطقة.

وعليه فتحليل الدور الإستراتيجي السعودي الجديد في منطقة الشرق الأوسط، يتحدد إستناداً إلى مجموعة من المتغيرات التفسيرية المستقلة والتي تتفاعل مع بعضها البعض بشكل أو بآخر، اعتماداً على خصائص ومقومات القوة الإقليمية السعودية، ورصد التوجهات الراهنة والمستقبلية للإستراتيجية السعودية تجاه الشرق الأوسط والأزمة السورية، وذلك عبر تحليل جملة العوامل والمتغيرات المؤثرة في التحول الحاصل. وعليه يمكننا البدء بالتساؤل عن ماهية مقومات القوة التي تمتلكها المملكة العربية السعودية والتي تمكّنها من إثبات فعالية دورها في التوازن الإستراتيجي الشرق أوسطي الجديد؟

المطلب الأول: مقومات القوة الإقليمية السعودية

يمكن فهم محددات الدور الإستراتيجي السعودي في الشرق الأوسط، من خلال رصد مقومات القوة، التي تمثل عوامل ومحددات داخلية تكمن فيها ثوابت ومتغيرات في ترابط عضوي، مشكّلة في مجملها ركائز ودوافع التغيير في دور إستراتيجية المملكة السعودية تجاه منطقة الشرق الأوسط.

أولاً: المقوم الجيوبوليتيكي

المملكة العربية السعودية، الدولة العربية التي تعدّ أكبر دول شرق المتوسط مساحة، وتقع تحديداً في الجنوب الغربي من قارة آسيا وتشكل الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية إذ تبلغ مساحتها 2.149.690 كم².¹ وتعدّ ثاني أكبر دولة عربية في المساحة بعد الجزائر. يحدّها من الشمال جمهورية العراق والأردن وتحدها دولة الكويت من الشمال الشرقي، ومن الشرق تحدها كل من دولة قطر والإمارات العربية المتحدة بالإضافة إلى مملكة البحرين التي ترتبط بالسعودية من خلال "جسر الملك فهد" الواقع على مياه الخليج العربي، ومن الجنوب تحدها اليمن، وسلطنة عُمان من الجنوب الشرقي، كما يحدّها البحر الأحمر من جهة الغرب². إذن فبموقعها تتوسط منطقة الخليج العربي، كما أنها ترفد ذلك الموقع بثروة نفطية هائلة زادت من قيمتها وقوتها. فضلاً عن الناحية الدينية التي جعلت من أرض المملكة مكان تهوي إليه قلوب المسلمين من شتى بقاع العالم، حيث الحرمان الشريفان في "مكة المكرمة" و"المدينة المنورة". ولا يفصلها عن القارة الإفريقية إلا البحر الأحمر، الذي أصبح بفتح "قناة السويس" ممر الإتصال بينهما وبين أوروبا، ولكن المملكة محاطة بثلاث مضائق عالمية، ما إضطرها الأمر للعناية بشؤون الخليج بالنظر إلى أهمية "مضيق هرمز" كمنفذ شرقي للتجارة السعودية، ومضيق "باب المندب" و"قناة السويس" كمخارج أساسية للجهة الغربية للمملكة.

فالمملكة العربية السعودية من الدول التي تتمتع بواجهتين بحريتين كبيرتين، فهي تشرف على الخليج العربي من الجهة الشرقية، وتطل على البحر الأحمر من الجهة الغربية حيث يشكل حدودها الغربية. وتعد من أكثر الدول التي تمتلك جزراً في البحر الأحمر، مقارنة مع غيرها من الدول المطلّة عليه. كما يعد البحر الأحمر والخليج العربي الذين تشرف عليهما السعودية أذرعاً طبيعية للمحيط الهندي، الذي يزخر بحركة تجارية عبر العصور.³

¹هيئة المساحة الجيولوجية، كتاب المملكة العربية السعودية...حقائق وأرقام، 07 أكتوبر 2016، PDF على الموقع التالي:

<https://bit.ly/3i5M2JN>

²المرجع السابق ذكره.

³السلطان عبد الله عبد المحسن، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، ص

وتحتل المملكة ما يوازي 80% من جملة المساحة الكلية لشبه الجزيرة العربية، ونسبة 49% من إجمالي مساحة دول الخليج العربي، ولحدودها الملاصقة لأكثر من دولة عربية، ويقربها من عدد عربية وغير عربية (مصر، السودان، إيران) تحتل ميزة إستراتيجية تضيء عليها أعباء ومسؤوليات سياسية إقليمية، يمكن ملاحظتها من خلال إعتبارات عدة تحدد سياستها الخارجية خصوصا في منطقة الشرق الأوسط والخليج والتي تتمثل أهمها في:

- الاهتمام بما يجري في منطقة الخليج العربي باعتباره المجال الحيوي الجيوسياسي للسعودية، وهذا الاهتمام عبّر عن نفسه في تطبيق سياسة خارجية تجاه المنطقة تهدف إلى تحقيق إستقرار النظم القائمة، وإعتماد مبدأ أمن الخليج هو مسؤولية ذاتية لدولة وكياناته السياسية، والتوصل إلى مستويات سياسية بشأن قضايا الحدود بين دول المنظومة.¹

- إتباع سياسة خارجية إقليمية تقوم على مفهوم التوازن، وعدم إثارة المطالب التاريخية خاصة ما تعلق بالحق التاريخي الإيراني في ملكية بعض الجزر العربية في مياه الخليج في ظل رؤية كل منهما لكيفية تحقيق أمن الخليج.

- الاهتمام بالتطورات الحادثة في منطقة الشرق الأوسط القديم، فإلتصاق حدود المملكة الشمالية بدولتي الأردن والعراق جعلها مجبرة بحكم عوامل جغرافية وسياسية للمشاركة في الصراع العربي-الإسرائيلي، بإعتبارها أحد الأطراف المباشرة في إدارة الصراع، ولعلّ مبادرة الأرض مقابل السلام التي تسعى للتأكيد عليها في كل قمة عربية توضّح إهتمامها بلعب دور فاعل في القضايا الإقليمية الشائكة، وخصوصا دورها مؤخرا في الازمة السورية والذي ستفصل فيه لاحقا. كما أدى جوارها للعراق وبحكم حروب الخليج الثلاث لأداء دور فعال على المستوى الإقليمي للحفاظ على أمن وإستقرار المنطقة.

- اما فيما يخص مناخ العربية السعودية الصحراوي فله انعكاسات سلبية على محددات سياستها الخارجية خصوصا في المجال الفلاحي، ما دفعها بالتركيز على النشاط التجاري. وعليه فالمقوم الجيوبوليتيكي هو أحد المحددات الثابتة في سياسة السعودية الخارجية والتي تسعى من خلاله إلى حماية امنها القومي والذي يعد من أهم أهدافها الخارجية.

ثانياً: المقوم الديمغرافي

إن التأثيرات السياسية للسكان ترتبط بعوامل الحجم، التركيب العمري والتوزيع الجغرافي، وهي العوامل التي تدخل في حساب القوة القومية للدولة، وإذا كان العدد الكبير للسكان لا يضمن النفوذ، فإن قضية التكامل

¹أمل إبراهيم الزناتي، "علاقات المملكة العربية السعودية اتجاه دول الخليج"، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1981، ص 60.

الاجتماعي أو القومي تعد هامة في الدول التي لديها غالباً مشكلات عرقية ودينية، فوجود مجموعات أقلية في مناطق الحدود يعقد الأمور أكثر ولاسيما عندما تسعى هذه الأقليات للحصول على مساعدات من دولة مجاورة.¹ تمثل الدولة السعودية نسبة 11% من سكان الخليج العربي، حيث قدر عدد سكانها لسنة 2019 بـ 33.091.113 نسمة²، وتعد قضية التكامل الاجتماعي بوجود أقليات شيعية تتمركز ديمغرافياً بالمناطق النفطية (المنطقة الشرقية من السعودية) على الحدود مع اليمن التي تشهد محاولات من الحركة الحوثية للسيطرة على السلطة وإحياء الإمامة، أهم التحديات التي فرضت على السعودية أداء دور إقليمي في ظل النفوذ الإيراني المتزايد بالمنطقة.

ارتبطت المسألة الشيعية بالمملكة العربية السعودية على الدوام بوجود الشيعة في المنطقة الشرقية لأسباب وعوامل تاريخية وسياسية واقتصادية وثقافية، وحيث ينتشر الشيعة بأعداد متفاوتة في مناطق المملكة المختلفة، لكن نطاق تركيزهم وثقلهم الأساسي هو شرق الجزيرة العربية، أو ما كان يعرف قديماً بالبحرين التي تشمل تاريخياً (مملكة البحرين حالياً) والخط (القطيف) وهجر (الاحساء).³ وهي المنطقة التي تعرف حالياً بالمنطقة الشرقية، الشريان الحيوي للإقتصاد السعودي والإقتصاديات العالمية عموماً، فمن بين 70 حقل نفطي بالمملكة السعودية تحتضن المنطقة الشرقية 50 حقلاً، منها أكبر حقليْن في العالم (الغوار والقطيف)، وتزود هذه الحقول ما نسبته (90_95%) من الدخل القومي من خلال تزويد 15% من الأسواق العالمية بالنفط، في حين يكون العمال الشيعة (40_60%) من القوة الوطنية العاملة في الصناعة النفطية.⁴ فقد مثل إكتشاف النفط بالمملكة عام 1933 بداية التحولات الجذرية في خارطة الديمغرافية، وجذبت صناعة النفط الوليدة أعداداً متزايدة من السكان المحليين ومن مناطق مختلفة للمملكة، وكذلك من نتائجه بداية تشكيل اجتماعي طبقي حديث مرتبط بأهم مصادر الطاقة في العالم.⁵ ويوضح الشكل التالي مواقع حقول النفط بالمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية .

¹ Ali Ehilal Dessouki and Bahgat Korany, "A literature Survey and a Framework for Analysis", in Bahgat Korany and Ali Ehilal Dessouki (et al), **The Foreign Policies of Arab States**, Westview press, Boulder and London, the American University Cairo Press, Cairo, 1984, P14.

² **Saudi Arabia Military Strength**, (GPF) Global Firepower, 2019.

³ مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، **الملل والنحل والأعراف-التقرير السنوي الثامن**، القاهرة، 2005، ص 171.

⁴ فؤاد إبراهيم، **الشيعة في السعودية**، دار الساقى، بيروت، 2007، ص 06.

⁵ مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، مرجع سابق، ص 172-173.



الخريطة رقم 09: خريطة مواقع حقول النفط والغاز بالمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية

المصدر: <https://www.thinglink.com/scene/897943048112046080>

وعلى ذلك يمكن تفسير حجم تحدي العامل الشيعي في الحياة المعاصرة للمملكة العربية السعودية، في كون المنطقة الشرقية تحتوي على أكبر مخزون بترولي في العالم (25% من الإحتياطي العالمي)، بإنتاج يوِّد 45% من الناتج المحلي الإجمالي، ونحو 90% من محصلات التصدير.¹

ثالثاً: المقوم الاقتصادي

يعد الاقتصاد في الوقت الحاضر العنصر الأكثر فاعلية في التأثير في العلاقات الدولية، فالقوة الاقتصادية تعني قدرة الدولة على إدامة الاقتصاد القوي في زمن الحرب والسلم. وللعوامل الاقتصادية دور في التأثير على العلاقات الدولية مثل المساعدات والمنح للدول الفقيرة أو الصديقة، وأحياناً تعد نوعاً من التأثير السياسي ووسيلة ضغط على الدول الفقيرة،² ووسيلة في غاية الأهمية في بناء حجم الدولة التأثيري. وتظهر جلياً مظاهر الإنتعاش الاقتصادي في المملكة حيث سجلت مستويات الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة نمواً بنسبة 2.2% خلال عام 2018 مقابل انكماش بلغت نسبته 0.7%. خلال عام 2017. جاء هذا النمو على خلفية تحول الإنكماش المسجل في ناتج القطاع النفطي بنسبة 3.1% عام 2017 إلى نمو بنسبة 2.8% خلال عام 2018. كما عززت وتيرة النمو المعتدلة نسبياً للقطاع غير النفطي من أداء الاقتصاد السعودي العام الأسبق حيث سجلت الأنشطة غير النفطية نمواً بنسبة 1.9%

¹ عمر سعيد الحسن وآخرون، إيران ومأمن الخليج، مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، 2010، ص 192.

² طنطوش هايل عبد المولى، مقدمة في العلاقات الدولية، ط1، عمان، الأردن، 2010، ص 23.

مرتفعة قياسياً بوتيرة نموها المسجلة عام 2017 البالغة نحو 1.3% تقريباً عام 2017. من حيث معدلات النمو القطاعية للناجح بالأسعار الثابتة، سجل نشاط الخدمات الاجتماعية والشخصية أعلى معدل نمو بلغ 3.4% يليه نشاط التعدين والتجوير بزيادة بلغت نحو 3.2% مستفيداً من ارتفاع كميات الإنتاج النفطي المسجلة خلال عام 2017 بنسبة تقارب 3.6% وفقاً لبيانات الهيئة العامة للإحصاء.¹ كما يظهر الإلتعاش الاقتصادي أيضاً في دخل المواطن السعودي ومستوى المعيشة المتميز، وتعاضم التجارة الدولية، وتراكم الأصول الأجنبية/الذهب لتصل إلى قيمة 496.400 مليون دولار عام 2019²، مما حقق فائضاً في الميزانية العامة للدولة.³ وفي السنوات الأخيرة حقق الاقتصاد السعودي معدلات نمو قوية، مستفيداً من ارتفاع أسعار النفط وبيعته، وفعالية القطاع الخاص، وزيادة الإنفاق الحكومي، وبرامج الإصلاح الاقتصادي المحلي، كل ذلك أدى إلى فوائض مالية ضخمة، وتراجع في الدين العام الخارجي للمملكة.⁴ الذي قدر بـ 205.100 مليون دولار سنة 2019.

تشمل روافد الإقتصاد السعودي النفط والغاز الطبيعي، حيث تمتلك المملكة كما أشرنا له من قبل إحتياطيات كبيرة من هذين الموردين، أضف إلى ذلك توجد في الدولة ثروات معدنية أخرى على رأسها الذهب والفضة والنحاس والزنك والرصاص والحديد والألمنيوم والفوسفات والفحم الحجري. ويعد خام البترول والغاز الطبيعي أهم الموارد الطبيعية في المملكة، حيث بلغت الإحتياطيات النفطية حوالي 266 مليار برميل حسب احصائيات (GPF) أي ما يعادل ربع احتياطي العالم تقريباً. أما الغاز الطبيعي فتستحوذ المملكة على 5% من الإحتياطي العالمي.⁵

فقد ساهم القطاع النفطي بنسبة 43.2% من الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة، فيما بلغت مساهمة القطاعات غير النفطية في الناتج 56.2%، ساهم من بينها القطاع الخاص بما يقرب من 40% من الناتج. يشار إلى ان المملكة تستهدف رفع نسبة مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي إلى 65% خلال عام 2030 كأحد أهم مستهدفات "رؤية المملكة العربية السعودية 2030".⁶ وهذا ما يتبين في الجدول ادناه الذي يوضح تطورات.

¹الهيئة العامة للإحصاء، "مؤشرات الحسابات القومية 2018". السعودية، 2019.

² Saudi Arabia Military Strength, Op cit.

³تطبيقات اقتصادية معاصرة،(490) ECON ، الجزء الأول: الاقتصاد السعودي، ص 3-4. على: <https://bit.ly/357vEop>

⁴صندوق النقد الدولي، إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، المملكة العربية السعودية، تقرير، معالجة التحديات الاقتصادية الناشئة للحفاظ على النمو، 2015، ص 1-3.

⁵ Saudi Arabia Military Strength, op cit.

⁶صندوق النقد العربي، تقرير "أفاق الاقتصاد العربي"، أبريل 2019، ص 15.

Saudi Arabia has the potential to double GDP by 2030, despite challenging conditions.

Key outcomes, in constant 2013 prices (assumes oil price of \$60/barrel)

	The country in 2014	Reactive policy change, 2030	Full potential, 2030
Real GDP	\$800 billion	\$1,200 billion 1.5x, or 3% compound annual growth rate	\$1,600 billion 2x, or 4.5% compound annual growth rate
Real monthly household income ¹	\$3,800	\$3,000 -20%	\$6,000 +60% ²
Saudis out of work	660,000	2,200,000	800,000
Unemployment rate ¹	12%	22%	7%
Net government liquid financial assets ³	+\$900 billion	-\$2 trillion	-\$600 billion
Share of GDP	120%	-140%	-30%
Annual fiscal balance	-\$17 billion	-\$170 billion ⁴	+\$40 billion ⁴
Share of GDP	-2.3%	-12%	+2%

¹Saudi nationals only; excludes foreign workers.

²After possible taxes (pretax increase is 80%).

³Reserve assets plus government stock-market equity less gross debt (as of end of 2014) minus cumulative fiscal deficits between 2015 and 2030.

⁴Excludes interest payments if government chooses to finance deficits with debt.

McKinsey&Company | Source: McKinsey Global Institute analysis

جدول يوضح: قدرة المملكة العربية السعودية على مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي بحلول 2030

وهذا ما ناقشه التقرير الذي صدر عن مركز ماكنزي العالمي للأبحاث بعنوان «المملكة العربية السعودية ما بعد النفط: تحول نحو الاستثمار والإنتاجية»¹، والذي يبحث عن الفرص الكبيرة المتاحة أمام المملكة لتحويل اقتصادها بحيث يصبح أكثر استدامة وأقل اعتماداً على النفط. ومن إقتصاد يعتمد بشكل كبير على القطاع العام والإنفاق الحكومي إلى إقتصاد سوق. والأرقام والإحصاءات الموجودة في الجدول أعلاه قد تثبت ذلك.

واخيراً نقول إن الإقتصاد السعودي إقتصاد مرن وقوي، وهو الأكبر في منطقة الشرق الأوسط والخليج، وبناتج محلي إجمالي بلغ حوالي 800 مليار دولار عام 2019، في الوقت الذي تنفق فيه «الرياض» ميزانية قياسية في عام 2019 بقيمة نحو 1.106 مليار ريال (294 مليار دولار)، الأمر الذي يجعلها من

¹MCKINSEY GLOBAL INSTITUTE, Saudi Arabia Beyond Oil: The Investment and productivity transformation, report, December 2015, p17. Pdf available online at : <https://mck.co/31YVlpf>

أهم محركي التنمية والاقتصاد العالمي، عبر مشاركتها المختلفة في مشروعات التنمية العالمية، إضافة إلى ما يحدثه الحراك الاقتصادي المحلي من أثر على الاقتصاد الدولي¹. كما تمتاز المملكة بمركز مالي قوي وأصول مالية أجنبية قدرت بـ 449.5 مليار دولار نهاية عام 2019، وبعد الاقتصاد السعودي من أفضل الإقتصاديات في مجموعة العشرين للسنوات العشر الماضية. حيث نما بمعدل 0.33% عام 2019². كما وتعتبر صاحبة الدور الأكبر فيما يتعلق بتعزيز استقرار أسواق الطاقة العالمية من خلال جهودها الفاعلة في السوق البترولية العالمية حيث تقدم السعودية سياستها البترولية على أسس متوازنة، التي تأخذ في عين الاعتبار مصالح الدول المنتجة والمستهلكة للطاقة.

إلا ان ما يعاب على الاقتصاد السعودي هو عدم إستغلال السيولة المالية الضخمة في محاور استثمارية مستدامة، بما يعوض آثار أي طارئ يمس قوة النفط لديها. وقد كان ولازال أمامها الفرص لأن تجري مثل هذا الإستثمار داخلياً وعربياً.

رابعاً: المقوم العسكري

يمتلك الجيش السعودي عتادا عسكريا يجعله من بين أقوى جيوش العالم، وتحثل السعودية مرتبة متقدمة بين أكثر الدول إنفاقا على قواتها المسلحة بميزانية دفاع تقدر بـ 70 مليار دولار.

ووفقا لإحصائيات موقع **Global Firepower** الأمريكي لعام 2019، تحثل القوة السعودية المرتبة رقم 25 بين أقوى 137 دولة حول العالم³.

وأورد تقرير ميونخ لعام 2019، قدرات الجيش السعودي، في تصنيف يشمل أقوى 5 أسلحة تملكها الجيوش الحديثة في العالم⁴. كما أصدر المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية IISS تقريره السنوي بشأن الميزانيات العسكرية، والذي كشف زيادة عالمية في نفقات الدفاع بحوالي 4% خلال العام 2019 أي ما قيمته 1.73 ترليون دولار. وهي أكبر زيادة سنوية خلال العقد الماضي⁵. ولم تكن منطقة الشرق الأوسط استثناء لهذه الزيادة، إذ كشف التقرير أن الإنفاق العسكري ظل أولوية لدى الدول العربية رغم تباطؤ معدلات النمو.

¹ مساعد الزباني، دور السعودية العالمي ببرزها عضواً مؤثراً في مجموعة العشرين، جريدة الشرق الأوسط، العدد [14612]، الرياض، الجمعة - 21 شهر ربيع الأول 1440 هـ - 30 نوفمبر 2018 م، متوفر PDF على: <https://bit.ly/3iPcqZO>

² مؤسسة النقد العربي السعودي، تقرير إحصائيات 2019، المنشور في 2019/09/04، PDF، على: <https://bit.ly/2F4db1n>

³ Saudi Arabia Military Strength, Op cit.

⁴ **Munich Security Report 2019**, Munich Security Conference (MAC), pdf available online at: <https://bit.ly/3jNCXFP>

⁵ 1.73 ترليون دولار قيمة الإنفاق العسكري العالمي في 2019، جريدة الشرق الأوسط، رقم العدد 15055، بيروت، الأحد 16 فيفري 2020، متوفر بصيغة PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/358m195>

وخص التقرير دول منظمة التعاون الخليجي، التي استمرت في دعم الإنفاق العسكري "بدافع المخاوف الأمنية في المنطقة، والنفقات المرتبطة بعملياتها العسكرية، خاصة في ليبيا واليمن".
وتصدرت المملكة العربية السعودية معدلات الإنفاق الخليجي على التسليح، إذ خصصت 10.1% من إجمالي الناتج المحلي للإنفاق العسكري خلال العام 2019، وهو ما يقدر بحوالي 78.4 مليار دولار.
وتراجع إنفاق المملكة على الدفاع مقارنة بعام 2018، إذ أنفقت المملكة آنذاك 86.4 مليار دولار على الدفاع، وهو ما قُدِّر بـ 11% من إجمالي الناتج المحلي في العام ذاته¹.

كما أعلن تقرير صادر مؤخراً عن معهد "ستوكهولم لأبحاث السلام العالمي (SIPRI)" "إن الإنفاق العسكري السعودي أصبح الرابع على مستوى العالم، ويرى المحللون العسكريون أن قوة الردع السعودي شهدت نمواً واسعاً في غضون فترة وجيزة. واستطاعت المملكة تحقيق تعزيز هائل بما يمثل نقلات كبيرة في تطوير ترسانتها العسكرية من خلال عقدها صفقات تسليح كبيرة من أبرز الدول المصنعة عالمياً².

1. منظومة التسليح السعودية:

1.1 الترسانة الجوية: تؤكد أحدث التقارير أن إجمالي عدد الطائرات التي تخدم في القوات الجوية السعودية 848 طائرة تتنوع ما بين طائرات مقاتلة بلغ عددها 244 طائرة، و325 طائرة هجومية، والبقية ما بين المخصص للنقل 49 والتدريب 207 والهيليكوبتر الاستطلاع 254 والهيليكوبتر الهجومية 34³.
ووفقاً لتقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية IISS فإن المملكة لديها القوة العسكرية الأكثر تجهيزاً وفعالية في منطقة الخليج، بل إن معداتها العسكرية أكثر تطوراً وأفضل صيانة عن أسلحة دول الجوار في المنطقة.

وحلّت السعودية المرتبة الـ 12 عالمياً ضمن أقوى الجيوش العالمية في الجو 2019، والثانية عربياً بـ 848 طائرة ضمن تقرير نشره موقع «globalfirepower» في أوت 2018 وشمل 137 دولة. كما تفوقت على جيوش 20 دولة بلغ مجموع طائراتها معاً 839 طائرة فقط. وتمثلت معايير التصنيف في: كافة أنواع المقاتلات والطائرات العمودية وطائرات التدريب والاستطلاع ووفق التصنيف تفوقت المملكة على دول أوروبية كبرى.

¹ The Military Balance 2019, The International Institute for Strategic Studies (IISS), PDF, online: <https://bit.ly/2ESkAB6>

²Pieter, Wezeman and Alexandra Kulimova, **Military Spending and Arms imports by Iran, Saudi Arabia, Qatar and the UAE**, SIPRI YEARBOOK 2019: Armaments, Disarmament and International Security, SIPRI Fact Sheet, May 2019, p3. Pdf in the link: <https://bit.ly/3iexOWU>

³ Saudi Arabia Military Strength, op cit.

2.1 الترسانة البرية: ضمن استطلاع شمل 137 دولة، حلت السعودية الأولى عربياً والرابعة عالمياً بأكثر من 11.100 ألف مدرعة، تحتل المرتبة الرابعة ضمن أقوى 5 جيوش في العالم في مركبات القتال المدرعة، في يونيو المنصرم وفاق عدد مدرعاتها جيوش 10 دول أوروبية مجتمعة بلغت نحو 10912 مدرعة. كما سبقت السعودية دولا كبرى مثل فرنسا التي حلت في المركز الـ11 بـ 6300 مدرعة والمملكة المتحدة بـ 4607 مدرعات وضعتها في المرتبة السادسة عشرة وإيطاليا التي حلت في المرتبة الـ17 بنحو 4000 مدرعة، عدد الدبابات 1062، المدافع ذاتية الدفع 705، المدفعية المقطورة 1818، منصات إطلاق الصواريخ 122.

3.1 الترسانة البحرية: تمتلك المملكة العربية السعودية 7 فرقاطات بحرية، و3 سفن كاسحات الألغام، ومن الطرادات 4، و9 سفن دورية، ورغم أن الغواصات تعد من أخطر الأسلحة المتقدمة، التي تمكن الدول من امتلاك قوة ردع لا يمكن استهدافها، إلا أن الجيش السعودي لا يمتلك أية غواصة، وفقا للتقرير¹.

2. هيكلية قوات الجيش السعودي:

بلغ مجموع عدد الملتحقين بقوات الجيش السعودي حسب احصائيات عام 2019: 256.000 ضابط وجندي، من بينهم 230.000 ضابط وجندي في الخدمة، أما باقي العدد فهم يتواجدون بصفوف الاحتياطي، وفي حالة تعرض المملكة لأي ظروف طارئة أو حرب فهناك ما يقرب من 14 مليون مواطن سعودي صالحين لأداء الخدمة العسكرية، في أي وقت، ونجد أن عدد الأشخاص الذين يصلون إلى سن التجنيد بشكل سنوي يصل إلى حوالي 510.000² ويكون القائد الأعلى لكافة القوات العسكرية: خادم الحرمين الشريفين الملك "سلمان بن عبد العزيز آل سعود"، ووزير الدفاع: الأمير "محمد بن سلمان بن عبد العزيز".

1.2 القوات المسلحة السعودية: بلغ تعداد القوات المسلحة السعودية 142 ألفاً وخمسمائة جندي، منهم 110 ألفاً بالقوات البرية وعشرون ألفاً بالقوات الجوية. و13 ألفاً وخمسمائة بالقوات البحرية، و16 ألف فرد بالدفاع الجوي. و2500 فرد بالصواريخ الإستراتيجية، ويقدر تعداد قوات الاحتياط العاملة بنحو 255 ألف شخص.

¹ Global Firepower, Ibid.

² روان سامي، كم عدد الجيش السعودي حالياً، الموسوعة العربية الشاملة، نشر في 20 سبتمبر 2019، على الرابط الإلكتروني <https://bit.ly/31YWMUF> التالي:

القوات المسلحة الملكية السعودية هي القوات التابعة لوزارة الدفاع رئيس هيئة الأركان العامة هو الفريق أول ركن فياض حامد الرويلي ونائب رئيس هيئة الأركان العامة هو الفريق الركن مطلق بن سالم الأزيمع.¹

2.2 القوات العسكرية السعودية المشتركة هي كافة القوات العسكرية للمملكة العربية السعودية المستقلة عن الأخرى وهي القوات المسلحة السعودية التابعة لوزارة الدفاع والحرس الوطني السعودي التابع لوزارة الحرس الوطني وحرس الحدود التابع لوزارة الداخلية والحرس الملكي السعودي التابع لرئاسة الحرس الملكي وقوات العمليات الخاصة التابعة لرئاسة أمن الدولة ووحدة الأمن الخاص التابعة لرئاسة الاستخبارات العامة. تتولى قيادة القوات المشتركة تعزيز الكفاءة القتالية والجاهزية للقوات، وقيادة العمليات القتالية بناءً على التهديدات الناشئة والبيئة الأمنية على المستوى الإقليمي ويتم دعمها من قبل أفرع القوات المسلحة.²

ويبلغ تعداد القوات العسكرية حوالي 480 ألف وهي كالتالي: القوات البرية الملكية تقريباً 225 ألف مقاتل ينشط في 8 مدن عسكرية، وتمتلك القوات الجوية الملكية تقريباً 40 ألف موظف نشط ويتميز الطيران الحربي بقوته الضاربة . ويقدر تعداد قوات البحرية الملكية تقريباً 45 ألف مقاتل بحري موزعين على 4 قواعد بحرية وأسطولين بحريين. فيما تمتلك قوات الدفاع الجوي وقوة الصواريخ الاستراتيجية تقريباً 10 ألف جندي موزعين على 7 قواعد استراتيجية، بالإضافة إلى القوات المستقلة عن القوات المسلحة.³

3.2 منظومة دفاعية جماعية: حرصت المملكة العربية السعودية منذ حرب الخليج الأولى، على الاهتمام بتطوير منظومتها العسكرية الدفاعية، فركزت على تطوير السلاح الجوي والتزاماته البحرية نتيجة محدودية عدد السكان الذي يعيق بناء قوة عسكرية برية قوية تعتمد العنصر البشري بشكل كبير، كما سارعت إلى جانب الدول الخليجية إلى إنشاء مجلس التعاون الخليجي عام 1981، وإن لم يكن المجلس إختصاصات أمنية، إلا أن الهاجس الأمني تصاعد بعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية وكان واضحاً في تصريحات القادة الخليجين، وفي المؤتمرات الوزارية والقمم التي ركزت على القضايا الأمنية، مما أسس

¹وزارة دفاع المملكة العربية السعودية، رئاسة هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2ZkFu2v>

²وزارة دفاع المملكة العربية السعودية، نبذة عن القوات المشتركة، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2ZjjGnT>

³ Saudi Arabia Military Strength, op cit.

لتكوين إستراتيجية دفاعية جماعية بإنشاء قوات درع الجزيرة بمبادرة سعودية تطمح لتكوين بداية نواة جيش خليجي موحد.¹

4.2 تعزيزات عسكرية أمريكية: هذا بالإضافة إلى استقبال المملكة العربية السعودية تعزيزات عسكرية أمريكية بالقوات والمعدات الدفاعية، ويعتبر ذلك امتداداً تاريخياً للعلاقات الإستراتيجية البينية حيث تتوافق في الأهداف، المبنية على أساس العمل المشترك لصون الأمن الإقليمي، ومواجهة أي محاولات تهدد الاستقرار في المنطقة، والإقتصاد العالمي. ومن أجل إستعادة الردع ضد العدوان الإيراني. كما أن هناك صفقة أمريكية-سعودية ستضيف قدرات جديدة للجيش السعودي وربما ستغير موازين القوى وكذلك ستضيف قدرات عسكرية جديدة تفتقر لها المملكة العربية السعودية وفئات أسلحة غير موجودة: حيث نجد قوات الدفاع الجوي السعودي قد تم تعزيزها بـ 8 بطاريات نادر (نظام دفاع جوي صاروخي بعيد المدى) والبحرية السعودية تم تعزيزها بـ 4 فرقاطات و 6 طائرات، البرية السعودية ستعزز بتحديث منظومات البرية والشينوك، بينما القوات الجوية السعودية ستعزز بـ 20 هيركليز و 3 تانكر ومجموعة واسعة...²

المطلب الثاني: الأداء الإستراتيجي السعودي في سوريا والشرق الأوسط

أولاً: الإستراتيجية السعودية بين الاتجاهات والأولويات في ظل التحولات الإقليمية الجديدة

فرضت التغيرات الجيوسياسية التي شهدتها المنطقة جزءاً من الأزمات السورية، على الإستراتيجية السعودية إعادة النظر في رسم توجهاتها وترتيب أولوياتها بما يتلاءم مع الواقع الجديد، وبما يتلاءم أيضاً مع الطفرة التي خلقتها المملكة السعودية في ميزانها العسكري، ومنحى تصاعد نفوذها في دوائرها الجيوسياسية القريبة منها الخليج والشرق الأوسط.

1. القوة السعودية في بحثها عن دور القيادة الإقليمية

ان فحص محتوى التصعيد الذي يقوده الإعلام يكشف عن ديناميكيات تحدث في منطقة الشرق الأوسط تتركز في مضمونها عن معترك ضخم تحاول فيه القوى الإقليمية فرض كل منها قيادتها المتفردة على الإقليم، ويظهر ذلك جلياً في السلوكات والسياسات التي تتبناها كل من تلك القوى في محاولة للسيطرة على الإقليم، والتحكم في قضاياها بما يستجيب مع مصالحها الفردية

¹مطلق سعود المطيري، التوجهات السعودية لإستعادة إستقرار الأمن في الخليج، مداخلة مقدمة لندوة دولية بعنوان: "تحديات الأمن الإقليمي ومستقبل الاستقرار في الشرق الأوسط: دراسة حالة إيران"، مركز الدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، في 2008/07/30، ص 67.

²نور الدين، أبرز الصفقات العسكرية للمملكة العربية السعودية مع أمريكا التي ستغير موازين القوى في المنطقة، الدفاع العربي، في 20 مارس 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2F9MvvM>

وفي هذا السياق، تحاول السعودية جاهدة في السنوات الأخيرة فرض زعامتها الدينية والاقتصادية والسياسية على الساحة العربية والإسلامية. باعتبار أنها صاحبة الاقتصاد الأول خليجياً بسبب مواردها النفطية، ومن منطلق أنها الرمز الديني الأول للمسلمين، ولذلك تحاول باستمرار التدخل في قرارات الدول الجارة. ويصف المحللون هذا التدخل بـ "الحلم السعودي بالزعامة العربية الإسلامية" الذي لم يتوقف. - والذي يرى فيه آخرون انه قد تبخر - وعلى ذلك تسعى السعودية إلى تكريس نفسها كقوة فاعلة في الشرق الأوسط، يمكنها أن تتحدى خصومها (مثل إيران وتركيا) عبر كسب التأييد ضد هؤلاء الخصوم، وإن كانت تتعاون معهم حين تستدعي الضرورة. "من وجهة نظر الملك سلمان، فإنك يجب أن تؤثر في الأوضاع من حولك، بدلاً من أن تتأثر بها" ولطالما رأى حكام المملكة العربية السعودية في أنفسهم، حماة لشؤون الطائفة السنية في المنطقة، خاصة في ظلّ تحكّمهم بمقدّسات المسلمين (مكة والمدينة).

وتعمل المملكة العربية السعودية على صياغة هوية وطنية أكثر قوة وتأثيراً في الإقليم، وبرعاية "آل سعود"، بعملية بدأت في ظل حكم الملك "سلمان بن عبد العزيز"، بمشروعه التحديثي والذي يسعى من خلاله إلى إبراز المملكة السعودية زعيمة على المنطقة. حيث شهدت الدولة السعودية طفرة نوعية في تحديث وتطوير قدراتها العسكرية كما وصيغت استراتيجية جديدة تجعل من السعودية قوة إقتصادية وإستثمارية ترسمت فحواها في الرؤية السعودية 2030 التي تنبئ بها على قوة إقليمية بإقتصاد متنوع.

كما أظهرت المملكة السعودية تحت حكم "الملك سلمان" حزمًا لفرض قوتها في منطقة الشرق الأوسط، وقد تبنت القيادة السعودية الجديدة توصيف "عاصفة الحزم" شعاراً للعهد الجديد. حيث شكّل هذا الرد العسكري الغير معهود، إصرارها على لعب دور قيادي أكبر في المنطقة في مواجهة مع منافسها الخطير إيران. ووجدت في الإمارات العربية المتحدة شريكا متحمساً، زاد من طموحات الزعامة لديها وفي إعادة فرض نفسها عنصراً هاماً في التوازن الإستراتيجي الشرق الأوسطي.

كما يمكن الإشارة أيضاً إلى الحصار الاقتصادي والأزمة القطرية التي تسببت فيها كل من السعودية بدعم وتنسيق مع حلفائها العرب والخليجيين (مصر، الإمارات والبحرين)، كفرصة لإستعراض القوة الإقليمية السعودية الجديدة، في مطالبتها بقبول دورها القيادي والإمتثال له. في رغبة منها بإعادة سياسات قطر إلى الصف. فيما يظهر الدور الملفت للمملكة السعودية الذي تقدم بكثير على حساب الدور المصري المتراجع الذي كان يشكل دوراً محورياً في الإطار العربي، وظهرت الزعامة السعودية في قضية تسليم مصر "جزيرتي صنابير وتيران" للسعودية، مسألة لا يمكن فصلها عن اتفاقية "كامب ديفيد" فحسب نص تلك الاتفاقية، التي وقّعت بين مصر و(إسرائيل) عام 1978، ترابط في الجزيرتين قوات متعددة الجنسية لضمان الملاحة الإسرائيلية في المضائق، ولا يسمح لمصر سوى بشرطة مدنية بأسلحة فردية خفيفة،

وانتقال الجزيرتين للسيادة السعودية سيجعل من السعودية طرفاً في "اتفاقية كامب ديفيد"، ما يعني عملياً تحول المواقف السياسية التقليدية السعودية المعلنة إزاء الصراع العربي والفلسطيني- الإسرائيلي، باتجاه فتح قنوات اتصال مع (إسرائيل) في البداية ذات طابع أمني، في شكل مباشر أو غير مباشر، الأمر الذي سيثير قلقاً عميقاً لدى الفلسطينيين. وعليه فإن المملكة السعودية بدأت تؤدي بالفعل دوراً محورياً متقدماً في الإطار العربي، في العديد من الأزمات العربية المحتممة، وفي الملفات اليمنية والسورية واللبنانية والعراقية والفلسطينية.

2_ التكيف الإستراتيجي السعودي مع التحولات الإقليمية لما بعد 2011

لا أحد ينكر النقل الاقتصادي والسياسي للمملكة السعودية، سواء في مجالها الإقليمي أو الدولي، ولعل هذا النقل جعل حركتها بطيئة نوعاً ما في الماضي، بحيث ان عملية التحول في سياساتها الداخلية والخارجية كانت دائماً محاطة بالمحاذير والحسابات، وقد ظلت على ذلك النهج حتى عام 2011. وانسجاماً مع "نظرية الدومينو" أدركت السعودية عامل الضعف الإستراتيجي في المنطقة، وأن من شأن سقوط أي بلد أمام موجة الحراك الثوري سيؤدي إلى سقوط بلدان أخرى، مما ولد حالة من الإستجابة لضرورة التحرك والإحتواء لمنع تساقط الأنظمة الحليفة لها، من خلال إعادة التأهيل على الصعيد السياسي أو الإقتصادي. وقد توّضحت تحولات السياسة السعودية في إقليم الخليج والشرق الأوسط مع تولي الملك "سلمان بن عبد العزيز" الحكم سنة 2015، والذي أوضح في كلمته عند تولي منصبه القيادي، انه على المملكة أن تكون طرفاً أكثر تأثيراً في شكل ونمط التفاعلات السائدة بالمنطقة. وللتكيف المملكة مع المتغيرات والتحولات الجيوسياسية الإقليمية الجديدة، بلورت رؤية استندت فيها إلى مقارنة في سياستها الخارجية تقوم على:

-زيادة فاعلية دورها الخليجي في إطار مجلس التعاون الخليجي، لتبادر بطرح فكرة تحويله إلى إتحاد خليجي، ودوافعها في ذلك كثيرة منها ما كان أنيا يرتبط بحركات التغيير في المنطقة العربية إذ ولد المشروع من رحم الإحساس بالخطر الوشيك متمثلاً بتداعيات حركات التغيير، والدافع الإستراتيجي المرتبط بالتمدد الإيراني وقلق المملكة وبقية دول الخليج من إمكانية قيام إيران باستغلال أحداث المنطقة لزيادة تمددها والعمل على إختراق أمنها. والدافع الذاتي او المصلحي متمثلاً برغبة السعودية في إستغلال الأحداث لصالحها ودفع دول الخليج الفلقة من التحركات الإيرانية إلى الإنضواء تحت قيادتها كونها أكبر وأقوى دولة ضمن دول مجلس التعاون الخليجي، ودافع مستقبلي يتمثل في الرغبة بتطوير العمل الخليجي

المشترك بعد أكثر من ثلاثة عقود من محاولات التكامل بما يقوي دول المجلس في مواجهة التحديات المستقبلية.¹

- كما ان المنافسة الإقليمية بين الدول عقب الأزمة السورية، ترتب عليها تأثيرات على شكل النظام الإقليمي في الشرق الأوسط ما انعكس سلبا على التوازن الإستراتيجي في المنطقة. ومن بين تلك الدول وجدت المملكة العربية السعودية نفسها مجبرة على التدخل في مناطق الصراع المحيطة بها، وبأن تواجه المخاطر خارج حدودها بوضع خطوطها الدفاعية بعيدة عن مثيرات الصراعات الداخلية فيها. ولهذا فقد عملت على الإنخراط النشط والتأثير في المناطق المجاورة (العراق، اليمن، سوريا، مصر..) للترويج لدورها الفعال كما تفضلت في تسوية الصراعات الإقليمية، في ظل تراجع مكانة بعض الدول العربية وانكفائها. وفي محاولة منها لموازنة الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط والخليج.

- وفي إجراء وقائي أيضا لجأت السعودية بهدف إضعاف الدور الإيراني المؤثر في المنطقة، إلى التقارب والتحالف مع إسرائيل، حيث تلقتي المصالح السعودية-الإسرائيلية ضمينا في العديد من الملفات والقضايا منها السورية والمصرية والفلسطينية ومنها أيضا ضرورة مواجهة الطموح النووي الإيراني.

وقد ذكرت إحدى وسائل الإعلام البريطانية عن أنباء تحالف لإقامة "الهلال المعتدل" في الشرق الأوسط ترعاه الولايات المتحدة الأمريكية يكون بين (السعودية والإمارات العربية المتحدة والأردن وإسرائيل)، غايته منع إيران من أي ميزة إستراتيجية في المنطقة.²

فالساسة الخارجية السعودية بوجه خاص لم تعد أسيرة الاتجاه الواحد ولم يعد البيت الابيض قبلتها الوحيدة بل صار الكرملين القبلة الثانية، فلم يعد السلاح الأمريكي الوحيد في منظومة التسليح السعودية بل يتم اعداد المسرح السعودي لدخول منظومة الدفاع الجوي اس 400 الروسية الجيش السعودي. وما كان مرفوضا في الماضي أصبح الان قابل للحوار والنقاش كالعلاقات مع (إسرائيل) خاصة وان (إسرائيل) أصبحت دولة جوار مع السعودية بعد استعادة تبعية جزيرتي تيران وصنافير من مصر.

تغيرات وتطورات تحدث في المملكة ولا يمكن لتلك المتغيرات والتحويلات ان تحدث في السعودية لولا وجود ولي العهد محمد بن سلمان حفيد الملك المؤسس الذي - اتيح له ما لم يُتَح لاي من الاحفاد - السعودية منذ عام 2015 تحركت وقفزت قفزات كبيرة لكن النتائج كانت محدودة ولعل تلك القفزات كانت وليدة

¹ عبد الخالق عبد الله، الأبعاد الحرجة: إتحاد دول الخليج بين الدوافع والصعوبات، ضمن أوراق ملحق مجلة السياسة الدولية (اتحاد دول الخليج العربي آفاق المستقبل)، السياسة الدولية، العدد 192، أبريل 2014، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، ص 9.

² 'Containing Iran': Israel 'in talks' to join alliance with Saudi Arabia, Jordan, Turkey, RT Question more, 5 May, 2013, online at: <https://bit.ly/2F4es8F>

ونتيجة للمتغيرات الدولية والإقليمية التي أحاطت بها. فعلى الصعيد الدولي أدركت السعودية ان هناك تحولاً في السياسة الأمريكية اتجاهها فلم تعد أمريكا ابان ادارة "دونالد ترامب" وقبله "باراك اوباما" هي أمريكا 1990 ابان "جورج هيرت ووكر بوش" وحتى مع زيارة "ترامب" للسعودية والصفقات والإتفاقيات التي بلغت قيمتها 460 مليار دولار الا ان المخاوف والشكوك السعودية اتجاه واشنطن لم تتبدد، فقبل أن يغادر "ترامب" اراض المملكة خيَّب آمال الجميع وقال أنه لن يتدخل لمساعدة دول المنطقة عسكرياً ونصحهم بالاعتماد على النفس.

كما أن تعاضم القلق السعودي من أمريكا لم يختلف عن حال القلق الذي انتابهم جراء تصريحات اوباما لمجلة "اتلانتيك" والتي تطرق فيها الى أمن الخليج، وضرورة تقاسم النفوذ بين طهران والرياض، حتى ان السياسة الأمريكية اتجاه سوريا ابان ترامب لم تختلف عن سياسة اوباما وان اختلف الاسلوب - ضربة جوية وصاروخية لمطار الشعيرات - ولعل هذا ما دفع السعودية الى التسليم بان روسيا لديها مفاتيح الحل والعقد في سوريا، وفي هذا الاطار حدثت التفاهات الروسية السعودية بشأن الوضع في سوريا وكانت تتضمن تلك التفاهات ان تعمل السعودية على نجاح مسار مفاوضات "استانة" والمساعدة على استمرار اتفاقات خفض التوتر في بعض المناطق السورية مقابل عدم التفات روسيا لما يحدث في اليمن، والتزم الطرفان بهذا الاتفاق، وبدأنا نسمع من وزير الخارجية السعودية "عادل الجبير" تصريحات تنادي بضرورة المحافظة على الدولة والمؤسسات السورية بعد ان كان دائماً يطالب برحيل "الأسد" او ان يواجه حسم عسكري. ولعل الزيارة الاولى التي قام بها "الملك سلمان" لموسكو وموافقة روسيا على تزويد الرياض منظومة الدفاع الصاروخية اس 400 تعد نقلة نوعية في سياسة السعودية التسليحية فبعد ان كانت منظومة التسليح السعودية حكراً على السلاح الأمريكي "الغربي" منذ تأسيس المملكة جاءت المتغيرات الدولية والإقليمية لما بعد عام 2011 لتضيف بُعداً جديداً واتجاه اخر في تلك المنظومة التسليحية.

لقد وجدت السعودية نفسها أمام متغيرات اقليمية ودولية كبيرة، منها تعاضم الدور والنفوذ الإيراني في عدد من العواصم العربية، تخلي عدد من الحلفاء الاقليميين والدوليين عن السعودية، وخاصة فيما يتعلق بالرؤية السعودية اتجاه سوريا خاصة الموقف التركي، كذلك عدم تعاطي الجانب الأمريكي مع الرؤية السعودية بشأن دور قطر في المرحلة المقبلة، خاصة وأن موقف الإدارة الأمريكية جاء متناقض ومتباين من الأزمة مع الدوحة، وحتى ان كانت تصريحات الرئيس "ترامب" في صالح السعودية وسياساتها اتجاه قطر، إلا ان تصريحات وزير الخارجية والدفاع كانت متناقضة مع تصريحات الرئيس الأمريكي، وثبت للجميع ان قرارات وتصريحات ترامب بشأن أزمة السعودية مع قطر عديمة الفاعلية والصلاحية مثلها مثل قراراته بشأن الهجرة والرعاية الصحية وغيرها.

كل تلك التغييرات فرضت على السعودية أنماط جديدة في سياساتها الخارجية وتحالفاتها، فكانت سياسة المواجهة مع حلفاء إيران، ولأول مرة تدخل السعودية ومعها الإمارات في مواجهة مباشرة مع حلفاء إيران بالمنطقة، على الرغم من أن السياسات الخليجية عامة والسعودية خاصة، كانت في مجملها سياسات تعتمد على امتصاص الصدمات الإيرانية والتغاضي عن بعض التجاوزات من قبل بعض المسؤولين الإيرانيين التي كانت تحدث بين الحين والآخر، لذلك كان قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران والمملكة على خلفية حرق السفارة والقنصلية السعودية في إيران، إضافة إلى اعتبار جماعة "حزب الله" ضمن قائمة التنظيمات الإرهابية، ومحاولتها فرض أمر واقع في اليمن يكون كفيلاً بضمان أمن حدودها الجنوبية. وسبق ذلك كله دخول قوات درع الجزيرة للبحرين لمواجهة المظاهرات والتحركات الشيعية هناك.

أما عن التحالفات فكان أهمها في عام 2015، حين أعلن عن تحالف "عاصفة الحزم" لمواجهة الحوثيين في اليمن وبالرغم من أن التحالف في بدايته كان مكون من تسع دول عربية، إلا أنه مع طول أمد الضربات العسكرية، تحول إلى تحالف ثنائي مكون من الإمارات والسعودية، ومثلما تحمّلتا الدولتان التكلفة العسكرية، تحمّلتا أيضاً التكلفة السياسية والإغاثية لليمن. وعلى الرغم من استمرار الضربات الجوية حتى الآن، إلا أنه لم يستطع أن يحقق الهدف الذي أنشأ من أجله.

وبعد "تحالف عاصفة الحزم" بشهور، أعلن عن "التحالف الإسلامي" المكون من 34 دولة إسلامية، وشاركت تلك الدول بقوات عسكرية في مناورة هي الأكبر في تاريخ المنطقة، وفقاً لما أعلن في التقارير الإعلامية التي واكبت المناورة والتي أطلق عليها "رعد الشمال". وبالرغم من حالة الزخم الإعلامي التي رافقت تلك المناورة والتي استمرت أيام إلا أنها انتهت ولم تعد شيئاً مذكوراً.

تلك التحالفات نشأت بهدف محاربة الإرهاب، كحالة التحالف الإسلامي أو عودة الشرعية في اليمن كحالة تحالف عاصفة الحزم، لكن أياً من الهدفين لم يتحققاً، لا الشرعية عادت لليمن ولا الإرهاب إندثر في المنطقة.

أ- أهداف ومحددات الإستراتيجية السعودية في الشرق الأوسط بعد 2011

من أهم أهداف الأنشطة المكثفة التي بادرت بها الدبلوماسية السعودية في الآونة الأخيرة سواء إقليمياً أو دولياً، هي تثبيت الدور السعودي وتأكيد فعاليته وتغيير الصورة المألوفة عنها، وإحلال صورة أخرى متميزة وهي بقاء السعودية دولة ريادية بقوة مؤثرة في النطاق العربي والدولي من دون أن يكون هذا التأثير متصلاً بالنفط حصراً¹ وفي الواقع فإن هدفها هذا يثير تساؤلات عديدة حول الأداء المرتقب الذي

¹ معتر سلامة، الثروة أم الإصلاح: انهيار الأمن لدول الخليج، كراسات إستراتيجية، العدد (221)، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الإستراتيجية، القاهرة، 2011، ص 45.

تريد سياستها رسمه بنفسها سيما في مرحلة تشهد ثورات عربية مجاورة لها وكذلك حول الطرق التي تنتهجها للعب وتمير ذلك الأداء. وفي هذا الإطار فإن أحد العوامل المحددة لمستقبل التوجهات الإصلاحية في الخليج العربي يتعلق بالدور السعودي الجديد الذي قرر فيما يبدو حماية الأنظمة الملكية والتعامل معها كحزمة واحدة بما يجعلها عصية على الكسر، فإذا كان صعود الدور الإقليمي لمجلس التعاون الخليجي هو إبراز حقيقة إقليمية كشفت عنها موجة الثورات العربية، فإن صعود الدور السعودي كقوة محافظة إقليمية هو أبرز حقيقة في نطاق مجلس التعاون الخليجي ذاته.

كما أتاحت تطورات البيئة الإستراتيجية العربية التي أفضت إلى إنتقال مركز الثقل في النظام العربي إلى دول منطقة الخليج، فرصاً أكبر لأنظمة تلك الدول في إستخدام منبر الجامعة العربية لتمير كل السياسات التي تعكس إرادتها من دون أن تستشعر حرجاً أمام الرأي العام العربي أو تتحمل أمامه المسؤولية المباشرة عن ذلك.¹

ب- دوافع وأهداف الإستراتيجية السعودية في سورية

وفرت الانتفاضة المناهضة للأسد فرصة جديدة للمملكة العربية السعودية لدحر النفوذ الإيراني من العالم العربي. وكانت الانتفاضة فرصة للتعافي من "خسارة" العراق المذلة بعد أن أصبح نوري المالكي رئيساً للوزراء. وربما الأهم من ذلك أن الانتفاضة كانت فرصة للسعودية للتكفير عن خسارة لبنان، حيث هيمن حزب الله، حليف إيران، على منافسيه السنة الذين تدعمهم السعودية.

وتسعى الرياض الآن إلى إقامة نظام سلطوي سني مستقر في دمشق يكون شريكاً طبيعياً لمنطقة الخليج، ويقضي على محور المقاومة القديم المكوّن من إيران وحماس وحزب الله. بينما تتمحور الحسابات السعودية في الصراع السوري حول ميزان القوى بالدرجة الأولى، فإنها تتطوي على بُعد معياري أيضاً. فقد تم "تطيف" الحرب، وتسبب ذبح السنة في سورية بضغوط هائلة على الأسرة الحاكمة السعودية كي تتدخل نظراً إلى تمسكها بالزعامة الإسلامية.

هناك عدد من الأسباب الأخرى لانخراط المملكة العربية السعودية في الحرب السورية، ينطوي جميعها على رهانات كبرى لمكانة الرياض الإقليمية وأمنها الداخلي. إذ تسعى المملكة العربية السعودية إلى الحد من صعود الجهات الفاعلة العابرة للحدود الوطنية والتابعة لتنظيم القاعدة، التي تمتلك القدرة والنية لتهديد المملكة. في الوقت نفسه، تحرص الرياض على ضمان تهميش فصائل الإخوان المسلمين داخل المعارضة السورية في أي تسوية يتم التوصل إليها في مرحلة ما بعد الأسد.

¹ محمد جمعة، العلاقات العربية - الفلسطينية، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الإستراتيجية، القاهرة، 2012، ص 16.

كما استخدمت المملكة العربية السعودية الحرب السورية لتأكيد تفوقها في مجلس التعاون الخليجي، ولجم جراً قطر المتزايدة بصورة خاصة. وقد تحدّث بعض المعلّقين السعوديين عن الصراع، على نحو أقلّ صراحة، باعتباره اختباراً دالاً على ظهور نظام إقليمي جديد، بقيادة السعودية، يتميّز بتساؤل نفوذ الولايات المتحدة¹. كما وثمة عدة دوافع أخرى باتت تجبر المملكة على الإقدام على هذه العملية العسكرية رغم المخاطر التي تكتنفها، خاصة وأن الرياض لازالت لديها جبهة مفتوحة مع الحوثيين في اليمن، ورغم سوء الوضع في سوريا والذي أصبح مستقراً لكل المتورطين فيه، لكن الرياض لديها ما يبرر إقدامها على هذه الخطوة منها²:

_التراجع في اليمن: رغم قرابة انتهاء العام على العملية العسكرية في اليمن والمعروفة بعاصفة الحزم إلا أن الوضع لم يحسم بعد ولازال الحوثيون يسيطرون على عدة محافظات من بينها العاصمة صنعاء، ولا زالت الصواريخ الحوثية تصل إلى مدن سعودية بين الحين والآخر، مما دفع الرياض إلى انتهاج سياسية الحرب الطويلة والمفتوحة في اليمن ومحاولة فتح جبهات أخرى لوقف الزحف الإيراني الذي أصبح يهدد السعودية بشكل كبير.

_الانتصار المعنوي: حيث يبرز هدف آخر وهو تحقيق أي انتصار ولو معنوياً في سوريا في حال تدخل السعودي بعملية عسكرية، بما ينعكس بشكل إيجابي على سمعة الرياض والتي تحاول، منذ وصول الملك سلمان إلى الحكم، تصدير فكرة أنها حامي الدول الإسلامية السنية أمام التغول الشيعي، وربما تكون الفرصة الآن مواتية بسبب تطابق وجهة النظر السعودية مع تركيا فيما يخص الوضع في سوريا مما يساهم في ضمان وجود حليف قوي له مصلحة حقيقية في التدخل في سوريا وهذا الأمر متمثل بشكل كبير في تركيا.

_ تقويض النفوذ الإيراني: مع بدء الأزمة السورية زاد التوتر بين الجانبين بشكل كبير حتى وصل إلى ذروته في يناير 2016 عندما قطعت الرياض علاقاتها الدبلوماسية مع طهران بعدما تعرضت السفارة السعودية في طهران والقنصلية العامة للمملكة في مدينة مشهد الإيرانية للتدمير والحرق جراء إعدام السعودية لرجل الدين الشيعي نمر النمر. وتدرك السعودية أن النفوذ الإيراني لم يعد يصارحها على زعامة المنطقة فقط بل وصل إلى تهديد حدودها الجنوبية في اليمن، والشمالية عبر سوريا والعراق، ولذلك رأت أهمية أن تتحول من وضعية رد الفعل إلى الفعل، من خلال مواجهة إيران في سوريا، ومن هنا ترى

¹فريدريك ويربي، الحسابات الخليجية في الصراع السوري، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 12 سبتمبر 2014، على الرابط <https://bit.ly/320uk4G>

²غاندي عنتر، التدخل السعودي في سوريا: الدوافع والسيناريوهات (تقدير موقف)، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، إسطنبول، 23 فيفري 2016، ص 2.

الرياض ضرورة التقدم خطوات على الإيرانيين في سوريا، لحسم القضية وإبعاد إيران عن السيطرة في المنطقة.

_ القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية: رغم أن الدافع الأساسي للتدخل السعودي في سوريا هو التخلص من نظام الأسد، لكن التصريحات السعودية تؤكد أن التدخل هدفه الأساسي محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، الذي أصبح يمثل تهديداً كبيراً لدول المنطقة وعلى رأسها السعودية خاصة وأن من أهم أهداف التنظيم الجهادي هو نزع الشرعية الدينية عن حكم "آل سعود" الذي يستمد جزءاً كبيراً من شرعيته السياسية من المرجعية الإسلامية التي يرفعها. كما أن إعلان الرياض أن تدخلها في سوريا لمواجهة داعش سيقدم السعودية على أنها تحارب "الفكر المنحرف" ويبعد عنها شبهة دعم "المنظمات الإرهابية" التي دائماً ما تتهم بها الرياض منذ 11 سبتمبر وحتى الآن.

_ منازعة تركيا على قيادة العالم الإسلامي: بعيداً عن التحالف الاستراتيجي الموقع بين الرياض وأنقرة في ديسمبر 2015، لا يزال هناك هاجساً سعودياً من تعاضد الدور التركي في المنطقة خاصة وان شرعية النظام التركي تستند في الأساس على فكرة الدفاع عن الدول الإسلامية، التي لا ترغب الرياض أن يشاركها فيها أحد، فإذا ما تدخلت تركيا في سوريا، ونجحت في أن تعيد ترتيب الأوضاع الميدانية لصالح المعارضة السورية فإن ذلك من شأنه تعظيم صورة تركيا لدى الشعوب العربية الإسلامية التي تنظر إلى حكومة العدالة والتنمية على أنها داعمة لرغبات الشعوب العربية والإسلامية، ومن هذا المنطلق ستسعى الرياض إلى الدخول في هذه العملية من أجل رفع أسهمها لدى الشعوب العربية خاصة بعد وصول الملك سلمان والذي يتم تصويره على أنه "المدافع عن السنة" في مواجهة "التغول الشيعي الإيراني"، ومن ثم لن يترك زعامة العالم الإسلامي لتركيا وحدها.

_ استنساخ التجربة اللبنانية في سوريا: مع تدهور الأوضاع في سوريا وتمدد مخططات الفوضى والتقسيم، واحتمالات وجود محاصصة مستقبلية قائمة على التعدد العرقي والإثني بين أطراف الشعب السوري إذا ما تم التوصل لحل سلمي خلال الفترة المقبلة، فإن التدخل السعودي الآن في سوريا يكون لضمان حليف سني لها على غرار الوضع في لبنان، تستطيع من خلاله أن موازنة الدور الإيراني والروسي فيها.

_ ممارسات الحليف الأميركي: بعد التوافق بين إيران والغرب حول ملف طهران النووي في يوليو 2015، شعرت السعودية أن علاقتها بواشنطن آخذة في التصادم، وهو ما شكل دافعاً للرياض للتفكير في تبني سياسات تتسم بالمبادرة لمواجهة التغلغل الروسي الإيراني في المنطقة¹.

¹ غاندي عنتر، المرجع السابق، ص 2-3.

ثالثاً: آليات توظيف القوة السعودية لتفعيل إستراتيجيتها بمنطقة الشرق الأوسط بعد 2011

تنوعت الأدوات السعودية في التعامل مع أزمات منطقة الشرق الأوسط وفقاً للمعطيات القائمة، حيث إنَّسم الدور السعودي فيها بالمرونة أحياناً والصلابة أحياناً أخرى.

1: إستراتيجية توظيف القوة الناعمة في سياسة السعودية الخارجية تجاه الشرق الأوسط

تعتمد السياسة الخارجية السعودية في المقام الأول على البعد التآثيري للقوة الناعمة، التي تعرف على انها قوة الجذب والتآثير بإستخدام الدبلوماسية ومحاولة التآثير في المحيط الإقليمي عبر صناعة نموذج القوة الجذاب. فالنمط العام للسياسة الخارجية للمملكة يرتكز على تغليب هذا الجانب خلال الفترة التاريخية الماضية، دون غياب للقوة الصلبة المرتبطة بالردع كالتدخل العسكري للتآثير في مسار الأحداث، ولكنها تبقى في تاريخ السياسة الخارجية السعودية نوعاً من الخروج على النمط العام.

ومن أهم الأدوات التي استخدمتها السعودية في سياسة القوة الناعمة، كثيرة منها:¹

_ **الريادة الروحية والدينية في العالم الإسلامي:** بسبب وجود الحرمين الشريفين على أرضها، والتي كانت واحدة من أهم أدوات السياسة الناعمة للسعودية، خصوصاً في مواجهة محاولات إيران لتصدير الثورة بعد عام 1979، والتشكيك بالريادة السعودية في العالم الإسلامي.

_ **قوة المال والنفط:** ومن المعروف أن السعودية قدمت الكثير من المساعدات المالية والاقتصادية للدول العربية والإسلامية والنامية، بل حتى للدول الكبرى، وكذلك شرائها سندات الخزينة الأميركية واستخدام صفقات التسليح العسكري بمليارات الدولارات لمواجهة الضغوط الغربية الظالمة عليها، وكذلك اتباع سياسة بترولية مرنة مع مستهلكي البترول من أجل عدم زيادة النفط في الأسواق العالمية زيادات تضر بالمستهلكين وبالاقتصاد العالمي. هذه السياسة البترولية أوجدت للسعودية مكانة اقتصادية عالمية جعلتها عضواً أساسياً في إدارة صندوق النقد الدولي، وفي مجموعة الدول العشرين الاقتصادية. كما خلقت المساعدات المالية والاقتصادية للدول العربية والإسلامية والنامية نفوذاً سياسياً للسعودية عند أنظمة هذه الدول.

_ **قوة الاعلام:** عملت سياسة القوة الناعمة للسعودية خلال السنوات الطويلة الماضية على كسب الاعلام العربي من خلال الاموال التي كانت تقدمها للعديد من المؤسسات الصحفية والاعلاميين العرب بشكل شخصي، وتحولت العديد من هذه الصحف الى ابواق دعائية للسعودية وسياستها، وخدمتها في العديد من قضايا الخلافات والنزاعات التي سادت في العالم العربي، ومنذ نحو خمسة عشر عاماً بدأت السياسة

¹سليمان نمر، السعودية وسياسة "القوة الناعمة"، (Meo)، صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء 20/04/2011، على الرابط

الاكتروني التالي: <https://bit.ly/2YVklvT>

السعودية تنشأ لها ادواتها الاعلامية السعودية الخاصة (خصوصاً بعد نجاح تجربة صحيفة الشرق الاوسط التي تم سعودة ادارتها التحريرية). واصبح هناك اعلام سعودي "بان اراب" فأنشأت قناة تلفزيون العربية تحت ادارة سعودية لتخدم السياسة السعودية.¹

وحسب المحللين السعوديين فإن تحوّل السياسة الخارجية السعودية نحو منهج القوة الصلبة العسكرية للتعامل مع واقع التغيرات والتهديدات الأمنية في الشرق الأوسط مرده الأول هو مواجهة السياسة التي تحاول إيران فرضها بالقوة. ولهذا يعتبر هذا التحول خياراً حتمياً واستراتيجياً لتحجيم السياسات الإيرانية ومواجهة خططها التوسعية في المنطقة. والقراءة التاريخية للسياسة الخارجية السعودية تكشف دخول هذا النهج على الخط وبقوة بعد الثورات العربية، مع بقاء القوة الناعمة كمحرك أساسي لسياستها الخارجية، وهي القوة التي إستفادت منها المملكة في صناعة التحالفات وتوحيد الموقف العربي تجاه السياسات الإيرانية، فضلاً عن التأثير على الموقف الدولي. ولهذا تحاول المملكة العربية السعودية مؤخراً أن تتحكم بالسياسة الشاملة في سياستها الخارجية الإقليمية والدولية لردع تهديدات وإنعكاسات الثورات العربية، كما تسعى لتفعيل ما يسمى بـ "القوة الذكية" التي تجمع بين التأثير بالمكانة واستخدام القوة الصلبة في مواجهة التهديدات المحيطة، وفي مقدمتها السياسة التوسعية الإيرانية.

2: فاعلية توظيف القوة العسكرية السعودية في سورية والشرق الأوسط

تضمّن تدخّل السياسات السعودية في سوريا والمنطقة، مزيجاً من الدبلوماسية والمساعدات والتدريب والدعم والتمويل لجهات معينة على حساب أخرى. كما لم يأتي التدخل السعودي في سوريا مباشرة، بل كان تدخّلاً بالوكالة، وتؤكد كثير من الجهات السياسية الفاعلة في المنطقة والكثير من المقالات التي كتبت مع بداية الاحتجاجات السورية، أنه لم يكن لدى السعوديين أي نية للتدخل بالشأن السوري، ففي البداية أرسلت السعودية العديد من الرسائل المباشرة وغير المباشرة للنظام السوري، لتتصحح بتجنب العنف الذي يبادر به النظام في وجه القوى الثائرة.

ولقراءة التدخل السعودي في سوريا علينا أن ننظر إلى متغيرين أساسيين في الفترة التي رافقت الثورة السورية وما تلاها، المتغير الأول هو الرئيس أوباما وسياساته، والتغير الذي حصل في الرئاسة الأمريكية مع مجيء الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب. والتغير الثاني، هو أن بدء التدخل السعودي في سوريا كان تحت إمرة ملك، وألت الأمور فيما بعد إلى يدي ملك وأمير آخر .

فبعد كل المحاولات للحؤول دون حصول صراع آخر في سوريا، كان على السعودية أن تتدخل تحت ضغط شعبي، وخاصة أنه بات هناك تخوف من تطور الأحداث في السعودية نفسها، فلا يخفى على أحد

¹سليمان نمر، المرجع السابق بالذكر.

أن السعودية لم ولن تكون من أشد المعجبين بالربيع العربي، الذي ما من شك أنه أحدث كثيراً من التغيرات الاجتماعية في بنية النظام السعودي نفسه، وأدى إلى ظهور كثير من الأزمات داخل البنية الاجتماعية في السعودية، سواءً لدى الجمهور السني والبيئة الحاضنة لكثير من القوى الإسلامية، أو لدى الجمهور الشيعي، والذي تبلور بشكل كبير في تحركات القسم، أو على حدود المملكة في البحرين. هذه الأزمات أدت إلى إجراء عدد من الإصلاحات "التجميلية" البسيطة التي يقوم بها الأمير محمد بن سلمان، كإنشاء هيئة للترفيه في السعودية أو السماح للمرأة بالقيادة أو "مكافحة الفساد"، تزامن مع قمع الحراك في المناطق ذات الغالبية الشيعية في السعودية بالإضافة إلى الحراك الشيعي في البحرين، هنا فلم تجد السعودية مناصباً من التدخل في سوريا بشكل أكبر، فهي من جهة تستطيع أن تخفف من الاحتقان الشيعي "السني" فتظهر أمام جمهورها أنها تحاول القيام بشيء في وجه الإعلام الديني الذي لم تستطع أن تسيطر عليه في مرحلة ما، ومن جهة أخرى تتخلص من عدد من الجهاديين الذين يتقلون كاهلها.¹

كان تدخل السعودية في البداية عن طريق إعلامها الديني، بالإضافة إلى تسهيل خروج المقاتلين المتأسلمين كما أسلفنا الذكر، بالإضافة إلى الدعم بالسلاح عن طريق وكلاء، فقد عملت من خلال مجموعة متنوعة من الوسطاء الإقليميين للتأثير على توازن القيادة في المعارضة السورية، وتهميش الفصائل المرتبطة بتنظيم القاعدة، وتخفيف الاقتتال بين حلفائها، وتحسين أداء المعارضة في ميدان المعركة من خلال التدريب وشحن الأسلحة المتطورة. وأنشأت لهذه الغاية غرفة عمليات سعودية-قطرية-تركية مشتركة في اسطنبول، ونقلت الأموال عبر وسطاء في تيار المستقبل في لبنان، ونسقت عمليات التدريب العسكري مع الأردن، وتوسّطت في تأمين شحنات الأسلحة من كرواتيا، ويقال إنها طلبت مساعدة باكستان في مجال التدريب. وغالباً ما يصعب تمييز دعم الرياض وسط مجموعة هائلة من الفصائل على الأرض، نظراً إلى الطبيعة المتغيرة لتلك المساعدات وغموض السياسة الخارجية السعودية.²

إلا أنه من خلال التدخل الذي قامت به المملكة السعودية في الملف السوري، اكتشفت أنها تحقق مكاسب أخرى منها سقوط صورة السلطان الصاعد أردوغان والذي كان يحاول أن يرسم لنفسه صورة القائد الإسلامي، ومع تزايد الدعم الإيراني للنظام السوري، والرسائل الطائفية التي استمرت بإرسالها، لم تجد السعودية بداً إلا أن تزيد تدخلها في سوريا، بعد أن سبق وأعطت رسالة غير معلنه للقطريين بأن الأرض

¹التدخل السعودي في سوريا، مستقلة، في 18 سبتمبر 2019، مقال تحليلي، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z8SdFz>

² فريديريك ويربي، مرجع سبق ذكره.

السورية مستباحة لهم، وهو الأمر الذي تغير فيما بعد، في مناوشات بين الطرفين القطري السعودي، ما أثار خلافاً وشللاً داخل قيادة المعارضة السورية.¹

شهد النصف الأول من العام 2014 تحولاً في السياسة السعودية تجاه سورية نحو مزيد من التنسيق مع الولايات المتحدة ومزيد من الإدراك لخطر النتائج غير المتوقعة الناجمة عن أفعال تنظيم القاعدة. وفي مارس ظهرت تقارير عن زيادة التعاون بين السعودية ووكالة المخابرات المركزية الأميركية بشأن تدريب وتجهيز مقاتلي المعارضة السورية. ويندرج الدعم تحت عنوان أوسع هو الاستراتيجية الأميركية - السعودية - الأردنية الجديدة، بحيث تكون الجبهة الجنوبية التي تم تشكيلها مؤخراً، والمعتدلة ظاهرياً المتلقّي الرئيس للمساعدات. وفي شهر أبريل تم عزل مسؤول الملف السوري في المملكة، رئيس المخابرات سابقاً "بندر بن سلطان" من منصبه، واعتُبر استبداله بوزير الداخلية وحليف الولايات المتحدة القديم في مجال مكافحة الإرهاب "الأمير محمد بن نايف" بأنه مؤشّر إلى مرحلة جديدة من التعاون السعودي - الأميركي في سورية، ولا سيّما ضد التطرّف الجهادي.² غير أن الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة لإضفاء التماسك على المعارضة السورية "المعتدلة"، لم تتجح كثيراً وذلك بعد تحول الأمر إلى صراع قطري/سعودي داخل سوريا، إضافة إلى زيادة التدخل الروسي في سوريا فإن الوضع العسكري للمعارضة بدأ بالانهيار تدريجياً على كافة الجبهات العسكرية للمعارضة السورية.

بالإضافة إلى المتغيرات التي جاءت مع الأمير الجديد وتدهور العلاقات مع قطر، قام الإيرانيون بفتح جبهة أخرى على الحدود الجنوبية للمملكة عن طريق الحوثيين، الأمر الذي وضع الملك والأمير الجديد بين فكي مقصلة إيرانية، وبما أنه ليست هناك حدود مشتركة مع سوريا، إذا فالخطر الحقيقي الذي يتهدد السعوديين، كان اليمن، وبينما اختلط الوضع بشكل كبير في سوريا، قام الروس بالدخول على خط التدخل السعودي في سوريا، بإرسال رسالة مطمئنة واضحة وصريحة للسعوديين، بأن تواجد الإيرانيين على الساحة السورية ليس إلا مسألة وقت لا أكثر، مع وعود بأن يكون هناك دور روسي لاحق للمملكة في إعادة الإعمار، وفي بعض القرارات السيادية في سوريا، وهكذا أبقى السعوديون على دعم محدود لبعض الفصائل الإسلامية، للتفرغ بشكل كامل للملف اليمني الذي لا يزال يتقل كاهلهم، وينتج عدداً كبيراً من المآسي والأزمات الإنسانية في هذا البلد العربي.³

¹التدخل السعودي في سوريا، مرجع سابق بالذکر.

²فريدريك ويربي، المرجع السابق.

³التدخل السعودي في سوريا، مرجع سبق ذكره.

إلا ان هناك مجددا تحوّل لافِت في الموقف السعودي أعلنت عنه الولايات المتحدة قد يكون إحياءً للدور السعودي في الملف السوري بعد أن انكفأت الرياض عن الملف إثر انهيار مشروع إسقاط النظام في سورية التي كانت تقوده بالمشاركة مع الولايات المتحدة وقطر وتركيا منذ العام 2011.

وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن تحرك مشترك مع المملكة العربية السعودية، لدعم المعارضة السورية في موقف أثار استغراب العديد من المراقبين للشأن السوري، حيث كانت المؤشرات تدل على وجود خطوات للتقارب بين دمشق والرياض تمتّلت بدعوة وفد من اتحاد الصحفيين السوريين إلى الرياض قبل شهرين وكذلك دعوة مندوب سورية إلى حفل استقبال للبعثة السعودية في الأمم المتحدة، كما سادت أنباء عن إجراء السفارة السعودية في دمشق صيانة لمقرها.¹

وكشفت السفارة الأمريكية في سوريا، عن موقف مشترك مع المملكة العربية السعودية، في دعمها للمعارضة السورية. وأكدت كل من واشنطن والرياض معارضتهما للعملية العسكرية التي تنفذها قوات الجيش السوري. وهذا يعتبر لافِت أيضا بسبب العلاقة السعودية التركية المتدهورة واتهام الرياض لأنقرة المستمر بالتدخل في الشؤون العربية ومحاولة توسيع نفوذها في سورية وليبيا ومناطق أخرى من العالم العربي. وبهذا المعنى يعتبر الإعلان الأمريكي تحوّلًا في مسار الموقف السعودي.

ونشرت السفارة الأمريكية تغريدة على حسابها في "تويتتر"، قالت فيها: "انتهينا للتو من المناقشات المثمرة مع شركائنا السعوديين ناقشنا الوضع الصعب في سوريا، وخاصة الهجوم العسكري ضد إدلب من قبل الجيش السوري وروسيا، وإيران". وأضافت في التغريدة: "ناقشنا استمرار الشراكة الوثيقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية دعمًا للمعارضة السورية ودعمًا لحل سياسي للصراع السوري تماشيًا مع قرار مجلس الأمن 2254".

ولم يصدر أي تعليق رسمي سعودي حتى الآن على هذا الموقف الذي يعتبر تحوّلًا، ويُطلق جملةً من التكهّات حول إمكانية وجود وساطة أمريكية بين أنقرة والرياض أو توجّه الأخيرة نحو العودة إلى الإمساك بورقة المعارضة السورية بعد أن باتت الأخيرة بالكامل بيد تركيا، أم أن هناك مشروعًا أمريكيًا جديدًا بالتعاون مع السعودية لإعادة تشكيل هيكل جديد للمعارضة بعد أن تمزّقت وتفنّت وغاب دورها بالكامل فهل أعادت الولايات المتحدة تكليف السعودية بالملف السوري وعلى أيّ قواعد وأسس في ظل اختلاف قواعد اللعبة في سورية بالكامل عن بداية الحرب.²

¹كمال خلف، تحرك أمريكي سعودي لدعم المعارضة السورية ورفض عملية الجيش السوري في إدلب، صحيفة رأي اليوم، 27 فيفري

2020، بيروت، على الرابط التالي: <https://bit.ly/323rR9Y>

²كمال خلف، المرجع السابق.

المطلب الثالث: تقييم فعالية الأداء الإستراتيجي السعودي في سورية والشرق الأوسط

وكتقييم موجز للأداء الإستراتيجي السعودي في المنطقة فإن التحول الدراماتيكي للأحداث في اليمن الذي برز مع عملية "عاصفة الحزم"، هو أكثر من مجرد معركة في بلد واحد في شبه الجزيرة العربية. فهو تمحور في الواقع حول عودة إطلالة المملكة العربية السعودية بقوة على السياسات الإقليمية في الشرق الأوسط. والتطورات في اليمن، في هذا الإطار سوف يكون ممكناً استخدامها للمساومة مع إيران حول قضايا إقليمية، بما في ذلك سورية. كما نخلص بالقول إن الدور السعودي في منطقة الشرق الأوسط والخليج أيضاً يحمل العديد من التناقضات والتغيرات، فالسعودية في الحالة اليمنية طرف في الحرب الدائرة، وفي الحالتين العراقية واللبنانية تبني سياساتها كجزء من الصراع مع إيران، وفي الحالة السورية تحاول الرياض بسط نفوذها في سوريا عبر قنوات "غير معلنة"، كما أنها لا تمتلك استراتيجية واضحة في التعاطي مع ملف الأزمة، ومن التحالف مع قطر إلى التحالف ضدها، مما يثير علامات استفهام حتى لدى أطراف المعارضة التي تدعمها الرياض. كما أن السعودية تتحالف حتى مع "الشیطان" فقط لمواجهة إيران فقد رفعت السعودية يدها من الملف الفلسطيني، ولم تعد تبذل أي جهد يذكر لانتهاج الانقسام الداخلي الفلسطيني، وتراجع دعمها للسلطة الفلسطينية، ولم تعد تهتم بتطورات الأوضاع على الأرض في المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1967، سوى بإصدار تصريحات إعلامية بين الفينة والأخرى، وذلك ما يتجلى من مواقف وسلوكيات أثر تحالفها مع الدولة المحتلة الإسرائيلية.

المبحث الرابع: دور الإستراتيجية الإسرائيلية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

حسب معايير قياس قوة الدولة، وحسب ترتيبات الموقع الإحصائي العالمي Global FirePower لعام 2019، فإن دولة الاحتلال الإسرائيلي تكون القوة الـ 17 عالمياً والرابعة إقليمياً، بمؤشر قوة قدر بـ 1.0.2964¹

وحسب رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو"، "إن القوة الوحيدة التي تحمي الشرق الأوسط من الإنهيار هي (إسرائيل). وذلك كونها تقف في وجه التطرف الإسلامي، بشقيه الشيعي الذي تقوده إيران والسني الذي يقوده داعش".²

بعد التحولات الجيوسياسية الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط، ونتيجة لإحتدام التنافس بين القوى الإقليمية والدولية على النفوذ في المنطقة، فإن الإستراتيجية الإسرائيلية الجديدة والتي تشكلت بعد عام 2011،

¹ Israel Military Strength, Global Fire Power, (GFP), 2019, online at : <https://bit.ly/32V3fIm>

² نتنياهو يستعرض قوة (إسرائيل) أمام صحفيين عرب: لولانا لانهار الشرق الأوسط، CNN بالعربية، الثلاثاء 23 جويلية 2018،

على الرابط التالي: <https://cnn.it/3IMOTJQ>

تعتمد تكتيكاً جديداً في طريقة تعاطيها مع ملفات المستجدة، معتمدة في ذلك على تشكيل انسجام وتنسيق أكثر مع القوى الدولية المتدخلة في المنطقة "الولايات المتحدة وروسيا"، بعد فرضها معادلات جديدة في كامل منطقة الشرق الأوسط، كما وتعتمد على ميزان قوتها العسكرية للحفاظ على مكانة لها في الإقليم بتفعيل سياسة الردع للتهديدات المحتملة قبل وقوعها.

(إسرائيل) على اعتبار انها فاعلا استراتيجيا وقوة إقليمية، فهي تسعى لتحقيق أهداف مشروعها "الشرق الأوسط الكبير" بإحداث تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية، مستتدة في ذلك على مقومات قوتها العسكرية والإقتصادية لتحويلها إلى قوة كبرى. تمكنها من التأثير والسيطرة أكثر على المنطقة.

المطلب الأول: مقومات القوة الإقليمية الإسرائيلية

تلعب القوة المتاحة للدولة دورا كبيرا في تحديد مكانتها على الساحة الإقليمية والدولية. والمقصود بقوة الدولة ليس التأثير فحسب وإنما القدرة على التأثير. والتي تستند على امتلاك الدولة لإمكانيات (خصائص، موارد، قدرات، مؤسسات) معينة تشكل مقومات القوة القومية Elements of National Power والتي تمكنها من التأثير على سلوكيات الدول الأخرى¹. وفي النقاط الأربع الموالية نفضل بإيجاز عوامل القوة التي تميز دولة الاحتلال الإسرائيلية.

أولاً: المقوم الجيوبوليتيكي

أنشأت (إسرائيل)² في غرب آسيا على الضفة الشرقية للبحر المتوسط، وتعدّ الحدود السياسية (لإسرائيل) واحدة من أكثر الأمور المثيرة للجدل عالمياً فهي لم تعلن حدودها الرسمية بالكامل منذ إنشائها

¹ محمد أبو سعدة، (إسرائيل): القدرات الداخلية والظموحات الخارجية، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، تركيا، 22 يوليو 2019، ص 2.

² قامت (إسرائيل) كدولة على أساس الدعم الدولي والفكر الصهيوني والمأساة التي تعرض لها اليهود في أوروبا نتيجة اضطهادها لهم عبر العصور، ثم الاضطهاد الأشد إيلاما في عهد النازي والهولوكوست الذي اتخذته (إسرائيل) ذريعة لكسب دخولها للشرق الأوسط بقوة في إطار وعد بلفور وسبقه إعلان مؤتمر بال 1897.. وهكذا سعى اليهود لإقامة الدولة والعودة لأرض الميعاد وغير ذلك حتى صدور قرار الأمم المتحدة رقم 181 لعام 1947 بتقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية.

ومع قيام دولة (إسرائيل) كانت هذه الدولة تحتاج إلى الأموال وحصلت عليها من أمريكا، كما نجحت (إسرائيل) في ابتزاز ألمانيا بوجه خاص فحصلت على دعم مالي ضخم تحت عنوان تعويضات اليهود. وبعد وعد بلفور 1917 غضت بريطانيا النظر عن الهجرة اليهودية لفلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني في ظل عهد عصبة الأمم ثم تركت لليهود الحبل على الغارب للهجرة لفلسطين حتى جاء موعد إعلان الدولة، فانسحبت بريطانيا لتقوم دولة (إسرائيل)، وهو ما أدى للحرب الإسرائيلية الفلسطينية العربية الأولى، وكان اليهود مسلحين وعصابات مدربة عسكريا تدريباً جيداً بينما كانت حالة الفلسطينيين والعرب عكس ذلك.

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية أصبحت أمريكا قوة عظمى وأيدت بقوة قيام (إسرائيل) وضغطت على الدول الأخرى لتأييد التقسيم وسارت (إسرائيل) والصهيونية العالمية في ركابها لذلك عملت أمريكا جهدها فاستولت إسرائيل على أكثر من نصف فلسطين واقتطعت أراضي أخرى خلال السنين وساندت أمريكا (إسرائيل) بالمال والمعدات العسكرية وبالوقوف ضد أي قرار لمجلس الأمن يدين (إسرائيل) وإحباطه بالفيتو.

عام 1948، يحدّها من الشمال لبنان وطول الحدود معه (79 كم)، ومن الشمال الشرقي سوريا وطول الحدود معها (76 كم)، ومن الشرق الضفة الغربية وطول الحدود البرية (951 كم)، ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط وطول شاطئها عليه (188 كم)، ومن الشرق البحر الميت وطول شاطئها عليه (56 كم)، ومن الجنوب البحر الأحمر وطول شاطئها عليه (10 كم)، وبذلك يكون طول الحدود المائية حوالي (254 كم)، ويبلغ طول (إسرائيل) من الشمال إلى الجنوب حوالي (430 كم)، وأكبر عرض لها من الشرق إلى الغرب حوالي (137 كم)، وأقل عرض لها حوالي (14 كم)، وبذلك تبلغ مساحة (إسرائيل) حوالي (700.21 كم²)، منها نحو (444 كم²)، مساحة مائية¹، وقد أدى صغر مساحتها إلى عدم وجود عمق إستراتيجي لها، سعت للحصول عليه في حرب عام 1967، وفي نظام الدفاع الإقليمي الذي يستند إلى شبكة المستعمرات وشبكة المواصلات الواسعة التي تربط بين جميع أجزاء الأرض المحتلة، حتى إذا تعرضت لهجوم على أكثر من جبهة واحدة تمكنت من مواجهة إحدى الجبهات مع تجميد الجبهات الأخرى، منا فرض عامل المساحة عدة إعتبارات على التخطيط العسكري أبرزها عدم التنازل عن أي قطعة من الأرض، والسعي إلى نقل المعركة إلى أرض الخصم.²

يمثل العمق الاستراتيجي المسافة الفاصلة بين حدود الدولة في جهاتها الأربع وبين قلب الدولة Heartland حيث المراكز الحضرية والمنشآت الاستراتيجية للدولة، فكلما كانت المسافة أطول كانت قدرتها على الكر والفر والمناورة أكبر، بينما في حالة فقدان هذا العمق يكون أي انسحاب مهدداً لقلب الدولة، وتشير الجغرافيا الفلسطينية إلى أن (إسرائيل) ليس لديها عمق استراتيجي، وكما سبق أن ذكرنا تتراوح أبعاد حدودها بين 14 كم (الحد الأدنى) و137 كم (الحد الأقصى)، وهو ما يجعل المناورة على الأرض شبه منعدمة، مما يفرض على "إسرائيل" أن تبقى مستعدة مستقبلاً لحروب ضد خصمٍ متفوقٍ عليها عددياً. وهذا يعني أن المعركة، من منظور استراتيجي صهيوني، يجب دائماً أن تدور على أرض الخصم واقتناص أي فرصة لتوسيع العمق الاستراتيجي له. فاحتلال الضفة الغربية والجولان ومنع الجيش المصري للعودة لصحراء سيناء هي سياسات تستهدف توسيع العمق الاستراتيجي من ناحية، والسيطرة على كل ما تتطوي عليه هذه الجغرافيا من موارد القوة المختلفة من ناحية ثانية.³

وعليه فقد انشغل الفكر الإستراتيجي الإسرائيلي بالبحث عن حل لمشكلة العمق الإستراتيجي الأمني، الذي تعاني منه، وذلك لإفتقارها لعمق جغرافي يمكنها من المناورة داخل حدودها، والتي كان قد عالجها (بن

¹ هيثم الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية 1948-1988، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1991، ص 53.

² المرجع نفسه، ص 54.

³ Site of Russian International Affairs Council, available online at: <https://bit.ly/323rDzD>

غوريون) منذ عام 1948، عندما تبنى مفهوم نقل الحرب إلى أرض الخصم باتخاذ مواقع هجومية في مواجهة الأقطار العربية، وهو المفهوم الذي تطور بعد عام 1967، ليأخذ صيغة الحدود الآمنة والحدود القابلة للدفاع، ومن ثم المناطق العازلة أو المنزوعة السلاح بعد حرب 1973، وغن هذه المفاهيم عن الأمن الإقليمي (إسرائيلي، وإن كانت قد حققت إنجازات على الجبهة المصرية-الإسرائيلية، فإنها تبدو غير قابلة للتطبيق من وجهة نظرها على الجبهات الأخرى سيما السورية من دون إدخال ترتيبات إضافية، فالجولان تمثل قيمة إستراتيجية لا يمكن الإستهانة بها نظراً لها تطرحه من إمكانية عالية لتهديد امن (إسرائيل)، ومن ثم فإن أية تسويات بشأنها لا تعطي (إسرائيل) ضمانات على قدر عال من المصدقية. أما الترتيبات الأمنية في الضفة الغربية وقطاع غزة، فحسبها ينبغي أن تتضمن كل ما يوفر حماية كافية (إسرائيل) ولا يشكل تهديداً لأمنها، مع ضمان سيطرتها العسكرية بما يؤمن لها أوضاع دفاعية مريحة.

على الرغم من كل ما انجز عن طريق التسوية السلمية، لا يبدو أن ذلك قد أضعف من النزعة الإسرائيلية في جنوحها لتعظيم الأولويات العسكرية لتأمين المتطلبات الأمنية، فرويتها الأمنية تذهب في تأكيدها على أن (إسرائيل) ينبغي أن تكون في حالة إستعداد للحرب ضمن المديين المتوسط والبعيد، وأن السلام العربي-الإسرائيلي، سيكون سلاماً مسلحاً وأن ما سيجعله ممكناً هو التوازن المسلح، الذي يصون قدرة (إسرائيل) واعتماداً على قوتها الذاتية على صد أية هجمات أو مبادأة عسكرية عربية.¹

ويرى الكثير من قادة الفكر الإستراتيجي الإسرائيلي أن ثمة مقومات جديدة طرحت مخاطر تستدعي المعالجة عبر مفهوم مطور للأمن الإقليمي الإسرائيلي، منها الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنوية، وصواريخ أرض-أرض بعيدة المدى والتي أحدثت التكنولوجيا العسكرية تطوراً فائقاً في العقد الأخير. وهو ما قلل نسبياً من الأهمية الجيوبولتيكية للمناطق العازلة وغير من مفهوم الحدود الإقليمية الآمنة، ومن ثم فإن مغزى إصطلاح العمق الإستراتيجي قد تضاعف فحل "المعيار الصاروخي" محل "المعيار الجغرافي" على وفق وصف "شمعون بيريز"، وأصبح العمق الجغرافي الإستراتيجي يحمل وهن الإنكشاف أمام التهديد الصاروخي الناتج عن إزدياد عدد الدول العربية المالكة أو الساعية لإمتلاك صواريخ متوسطة المدى ذات قدرة على إصابة أهداف إستراتيجية إسرائيلية، سيما بعد أن دشنتها الضربات الصاروخية العراقية عام 1991، هذه الحقائق الإستراتيجية التي تعكس القلق الأمني الإسرائيلي في تقديراته المستقبلية وصفها "شمعون بيريز" بقوله: "... إن الدراسات التقليدية في الدفاع أصبحت عاجزة عن تقديم جواب على الواقع

¹ جمال مصطفى العبد الله، الفكر الإستراتيجي الإسرائيلي: دراسة لواقع ومستقبل الإستراتيجية الإسرائيلية وانعكاساتها على المنطقة العربية، دار وائل للنشر، ط1، عمان، 2000، ص 115.

الجغرافي والخطر التكنولوجي في عالم اليوم والغد...¹ وهذه حقيقة ما يشهده عالم اليوم من تهديدات أمنية تكنولوجية وبيولوجية متفوقة فاقت القدرات الإستراتيجية والجغرافية والصاروخية، وأحدثت عجزاً في أساليب الردع، وأضافت محورا جديدا لمفاهيم القوة والحرب.

ومما تقدّم نلاحظ أنّ (إسرائيل) تعاني من واقع جغرافي صعب فرض عليها البحث عن بدائل أخرى يمكن من خلالها سدّ هذه الثغرة التي لطالما عانت منها في حروبها مع الدول العربية، فضلاً عن سعيها لتطوير قدراتها العسكرية سيما الصاروخية منها نتيجة لإعتقادها أنّ الخطر الحقيقي الذي يوجهها لا يأتي فقط من دول الجوار الإقليمي فحسب بل من دول أخرى غير مجاورة تمتلك قدرات عسكرية صاروخية قادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلي. وعليه يمكن القول إن عامل الجغرافيا ليس في صالح (إسرائيل). إذا ما قورنت مع الدول الإقليمية الأخرى إيران، تركيا، السعودية ومصر. وهذا ما يفسّر إتباع (إسرائيل) إستراتيجية الملاجئ الآمنة. فهي تكاد تكون الدولة الوحيدة في العالم التي تمتلك ملاجئ قادرة على إستيعاب نصف عدد سكانها.

ثانياً: المقوم السكاني (الديمغرافي)

السكان عنصر من العناصر الحاسمة في قوة الدولة ومركزها السياسي، من حيث النوع والكم والكثافة والتوزيع يؤثر على قابلية الدولة في ميادين الاقتصاد والسياسة والدفاع، وعلى هذا فإن محدودية القوى والموارد البشرية يضع الدولة أمام معضلات إستراتيجية ويجعلها ملزمة على تدبير الأمر بإتباع سياسات داخلية لتصحيح مواطن الخلل خشية أن يترتب على ذلك عواقب إقتصادية وإجتماعية وسياسية ودفاعية تحدو بها إلى مسالك وعلاقات غير مأمونة الجوانب ولا تتواءم مع إستراتيجيتها الأمنية.

وعلى هذا فإن لحجم السكان أهمية كبيرة ذلك أنه يضع أمام القيادة السياسية والعسكرية هامشاً واسعاً لأن تغذي صفوفها القتالية وترشد الجبهات بقوات جديدة بعد إعداد الشعب للحرب. هذه الحقائق كانت موضع إدراك من قبل القيادات الإسرائيلية للمسائل الخاصة بطبيعة الحرب المحتملة وعمليات إعداد الدولة لها وقضايا بناء وتجهيز القوات المسلّحة ومدى إعتماها على الموارد البشرية كمّاً ونوعاً وطرق إدارة الصراع المسلّح.²

إن الهدف الإسرائيلي الأولي هو الدعوة لتجميع اليهود في فلسطين، وذلك لأسباب عدة تأتي في مقدمتها، الإلتزام بالفكرة الصهيونية وبطريقة تصورها وحلّها للمشكلة اليهودية في العالم. إضافة إلى ان حشد أكبر عدد ممكن من السكان اليهود في فلسطين لزيادة الطاقة الإقتصادية والعسكرية، فضلاً عن تلبية

¹ المصدر السابق ذكره، ص 117.

² جمال مصطفى العبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 67.

مخططات (إسرائيل) الإقليمية، لأن الهجرة تعني أن (إسرائيل) لم تقبل ولا تقبل بحدود ثابتة، ذلك ان ثبات الحدود يعني عدم القدرة على إستيعاب المجموعات اليهودية التي يتعين عليها جذبها، وهذا يعني أن الفكر الإستراتيجي (الإسرائيلي) بني على قناعة ثابتة تمثلت بضرورة الربط بين تنامي القوة البشرية والسعي إلى مجال حيوي إقليمي، وان الدولة اليهودية لا تحمل إلا معنى محدّد وهو أن التحول إلى دولة إقليمية كبرى وهي بحكم هذه المكانة ستكون قادرة على تحقيق الهيمنة السياسية والإقتصادية على المنطقة العربية، لذا أدرك القادة الصهاينة ومنذ وقت مبكر أن الدولة اليهودية الكبرى تفترض إنجاز شرطين أساسيين: كفاية ديمغرافية وإتساع جغرافي قادر على إستيعاب التدفقات اللامتناهية من المهاجرين اليهود.¹

وعلى وفق هذه الطروحات تتضح علاقة الربط في التفكير الإستراتيجي (الإسرائيلي) حيث العامل الديمغرافي ممثلاً بالهجرة إليها، وتأمين الدفاع عنها والإستيلاء على الأرض، فالأرض لا سبيل للاستيلاء عليها والتحكم بها إلا عن طريق المهاجرين، ولا علاج لإستيعاب المهاجرين إلا بالأرض وبناء المستوطنات... وهكذا كلما إستولت على المزيد من الأرض إحتاجت إلى قوة بشرية لملئها، ومن ثم تنشط حركات الهجرة والتهجير. وكلما ازدادت أعداد المهاجرين اليهود إلى (إسرائيل) كلما تزداد احتياج (إسرائيل) إلى أرض جديدة لاستيعاب التدفق الكمي من المهاجرين، وهكذا تستمر الدورة على ان تتحقق الحجم الأمثل لتصل إلى حدود (إسرائيل) الكبرى التي حددتها الخطط الصهيونية وتصبح القوة العظمى الوحيدة في المنطقة، هذه الإستراتيجية كان قد عبّر عنها البروفيسور "يحقيل درود" في كتابه (إستراتيجية عظمى لإسرائيل) بقوله: "إن إسرائيل بدأت تهيبّ بينها لتتبوأ مكانة دولة كبرى وتمارس إستراتيجية كبرى ليس ضد دول التخوم وإنما تتجاوز ذلك ضد الدول العربية وما يحيك بها بعد أن تفرغ من تفتيت القدرات العربية وتمزيق وحدة الوطن العربي...² إلا أنّ هذه الدويلة الصهيونية وعلى شكلها الحالي تعاني من مشكلات ديمغرافيا تركت خللاً وقلقاً كبيراً من عدة زوايا أبرزها: هو ظاهرة تزايد نسبة العرب بشكل قد يحولها على المدى البعيد إلى دولة ثنائية القومية، وتشير الارقام الرسمية الإسرائيلية (تقارير الجيش وهيئات الإحصاء السكاني الإسرائيلي) إلى أن عدد العرب في فلسطين التاريخية حالياً يفوق عدد اليهود بحوالي 300 ألف نسمة، كما أن تزايد نسبة البدو في النقب يثير قلقها الأمني، وهذا يعني أن بقاء الزيادة السكانية في فلسطين لصالح الفلسطينيين يجعل الخيار أمام (إسرائيل) إما القبول بدولة ثنائية القومية (وهو ما يتنافى والمخطط الصهيوني لا سيّما يهودية الدولة)، أو تهجير الفلسطينيين بشتى السبل، وهو ما سيعيد دورة

¹ المرجع نفسه، ص 73.

² نفس المرجع، ص 75.

الصراع من جديد.¹ كما وقد تتأثر ديمغرافيتها بسرعة وبحجم أكثر من غيرها مع ظهور وتفشي ظاهرتي الإرهاب البيولوجي وما يتأتى منه من أمراض معدية وفيروسات قاتلة، والإرهاب النووي، ما يمثل التهديد الأول من بعد الحروب العادية. إن لم يكن التهديد الأخطر عليها حالياً. وبقي أن نشير إلى أن عدد سكان (إسرائيل) بلغ حوالي (8.972.000) مليون نسمة وفق إحصائيات نشرتها المكتب المركزي للإحصاء نهاية عام 2018، لتزيد نسبة هدد سكان (إسرائيل) بـ 2 %، وفقاً للمكتب المركزي للإحصاء 81%، من الزيادة يرجع إلى الزيادة الطبيعية و19%، يرجع إلى رصيد الهجرة الدولية، قادمين من روسيا وأوكرانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية بالترتيب.

ويتكون المجتمع الإسرائيلي من عدد من الديانات والأعراق والإثنيات، هناك 6.666.000 يهودي يشكلون ما نسبته 74.3% من السكان، و1.878.700 عربي ما نسبته 20.9%، و426.000 إسرائيلي يعرفون بالآخرين، ويشكلون 4.8% من السكان، هؤلاء هم مسيحيون غير عرب وأشخاص غير مصنفين حسب الدين في سجل السكان.² أما التوزيع السكاني، فقد صنف مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي الكثافة السكانية على النحو التالي: احتلت "تل أبيب" المرتبة الأولى في الازدحام بواقع 7841 شخص للكلم² الواحد. وتأتي منطقة "القدس" في المرتبة الثانية بواقع 1584 شخصاً لكل كلم²، ثم مدينة "حيفا". أما المدن العربية فقد احتلت مدينة "رهط" البدوية المرتبة 25 ومدينة "أم الفحم" المرتبة الأخيرة 30.³ إذن يعد عامل التعداد السكاني في (إسرائيل) محدود جداً قياساً مع الدول الإقليمية المنافسة لها في المنطقة. كما يقدر عدد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ما يقارب 4 مليون نسمة، وهو ما يقارب نصف عدد سكان (إسرائيل). موجودون فقط في 5 آلاف كلم²، وهو ما يُشعر (إسرائيل) بالقلق الكبير. لذا فغن الدراسة تتوقع أن تستمر السياسة الإسرائيلية على نهج تهجير الفلسطينيين من "غزة" و"الضفة الغربية" وإن كانت بأساليب جديدة ومبتكرة. ف(إسرائيل) ترى أن الصراع في أساسه ديمغرافي، وعلى الفلسطينيين أن يكونوا جذرين في هذه المسألة.

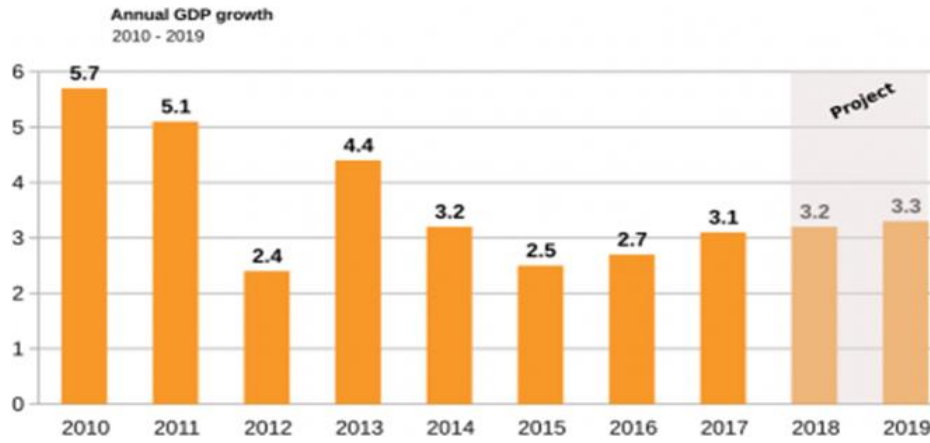
¹ Ian S. Lustick, *The Red Thread of Israel's "Demographic Problem"*, site of Online Library, 25/3/2019, <https://bit.ly/3IUOuVW> ; and Yotam Berger, *Figures Presented by Army Show More Arabs Than Jews Live in Israel, West Bank and Gaza*, Haaretz newspaper, 26/3/2018, <https://bit.ly/3jLt5wv>

² جيارون دروكمان، "قبل عام 2019: يعيش حوالي 9 ملايين مواطن في (إسرائيل)"، موقع يديعوت احرنوت، تاريخ النشر، 31-11-2018، تاريخ الاطلاع 23-5-2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IU0WVS>

³ محمد أبو سعدة، مرجع سبق ذكره، ص 4.

ثالثاً: المقوم الاقتصادي

الاقتصاد الإسرائيلي حالة استثنائية في الشرق الأوسط. فبدون موارد وفيرة، مثل النفط والغاز ومع عدد قليل من السكان، تتفوق (إسرائيل) على جميع الاقتصاديات الإقليمية الأخرى، باستثناء بعض اقتصاديات الخليج العربي المدعومة بالنفط. فالناتج الإجمالي المحلي (إسرائيل) الذي بلغ 242,9 مليار دولار عام 2011، أكبر بمرتين من الناتج الإجمالي لسوريا والأردن ولبنان معاً. وبكلمات أخرى: ينتج 7,5 مليون نسمة من الإسرائيليين ضعف جميع هذه البلدان مجتمعة مع عدد سكان إجمالي أكبر بأربعة أضعاف. وهذا ما يجعل الاقتصاد الإسرائيلي أقوى بثمانية مرات من اقتصاد جيرانها العرب. وتكشف المقارنة مع أقرب جيرانها، فلسطين، عن تفاوت أكبر حتى. فالاقتصاد (إسرائيل) أكبر بأربعين مرة من اقتصاد الفلسطينيين في الضفة الغربية و قطاع غزة، بينما لا يبلغ عدد سكان (إسرائيل) ضعف عدد سكان فلسطين حتى¹.

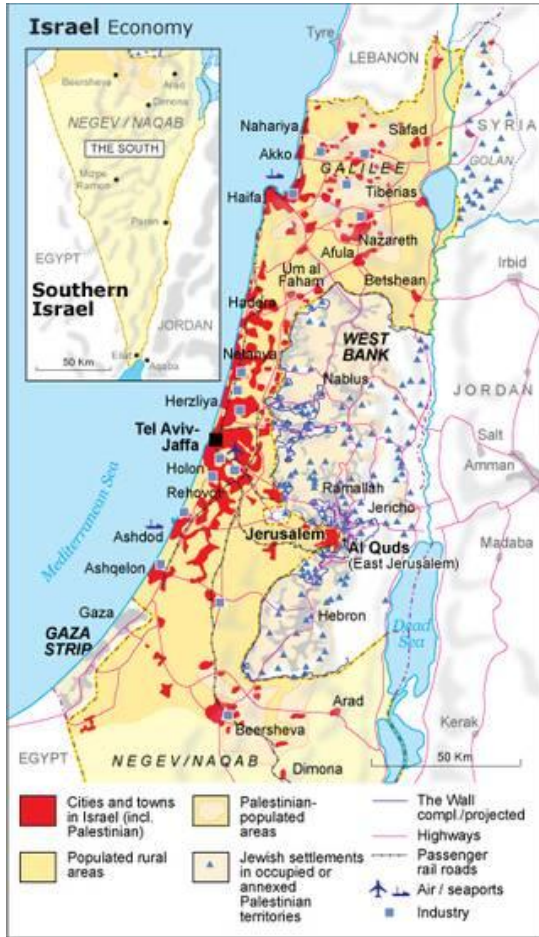


منحنى بياني يوضح: نمو الناتج المحلي الإجمالي في (إسرائيل)

المصدر: <https://fanack.com/ar/israel/economy/>

والاقتصاد الإسرائيلي هو أكثر إنتاجية وحيوية بكثير، إلا أنه يأخذ أيضاً فوائد كبيرة من التحويلات الرأسمالية الكبيرة والاتفاقيات التجارية التفضيلية مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. إلا أن الخصائص الرئيسية لاقتصاد (إسرائيل) تماثل تلك التي للدول الأوروبية، مثل ألمانيا وبريطانيا والدول الإسكندنافية. إلا أنها تختلف عن هذه البلدان بالاختلالات الهيكلية الحاسمة، مثل مشاركة العمالة المنخفضة جداً والنسب العالية لحالات الفقر.

¹ Economy of Israel, Fanack, September 15th,2011/ march 24th,2020, online at: <https://bit.ly/2ZaJin1>



ترتكز معظم الشركات الصناعية الإسرائيلية في تجمعات المدن الكبرى في البلاد، والتي تمتد من "تل أبيب" الكبرى إلى "حيفا" في الشمال و"أشدود" و"عسقلان" في الجنوب مع مواقع نائية في "القدس" وعدد من مدن المحافظات الأصغر¹.

وبعد الاقتصاد الإسرائيلي من أكثر الاقتصاديات تنوعاً على مستوى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إذ أن الدخل الفردي فيه من بين أعلى الدخول في العالم، إذ يبلغ حوالي

\$39.106، حسب إحصائيات (FMI) عام 2019²، ويعتمد في اقتصاده على صناعة التكنولوجيا ومعداتنا وكذلك على الزراعة والسياحة، فلها باع طويل في مجال الصناعات عالية التقنية والبرمجيات المتنوعة وتتواجد على أرضها الكثير من شركات تصنيع الحواسيب وبرمجياته مثل (مايكروسوفت وإنتل وكذلك شركة

الاتصالات مثل موتورولا..)، وتعد (إسرائيل) من الدول الرائدة في مجال إعادة استخدام المياه وتحليلتها، وتقليل الاعتماد على موارد الطاقة الخارجية. والركيزة الثانية للاقتصاد هي الزراعة، فعلى الرغم من محدودية الموارد الطبيعية، فإن التطوير المكثف للقطاعات الزراعي³ والصناعي على مدار العقود الماضية جعل (إسرائيل) من أكثر الدول ذات الاكتفاء الذاتي في إنتاج الغذاء. وتصدر الفائض الزراعي إلى دول العالم المختلفة،⁴ باستثناء الحبوب ولحوم البقر. تشمل الواردات إلى (إسرائيل)، والتي بلغ مجموعها 68.61 مليار دولار في عام 2017، المواد الخام والمعدات العسكرية والسلع الاستثمارية والألماس الخام والوقود والحبوب والسلع الاستهلاكية. وتشمل الصادرات الرائدة الآلات والمعدات والبرمجيات والألماس المقطوع والمنتجات الزراعية والمواد الكيميائية والمنسوجات والملابس؛

¹ Ibid.

² Israel,

³ تسعى (إسرائيل) اليوم لتحقيق أكبر إنجاز علمي في ميدان البيو تكنولوجيا وتمكّنها من تكنولوجيا التقنية الحيوية، حتى في ظل الظروف الجوية ان تساعد في إنتاج الخضار والفواكه واللحوم و..، وهذه التكنولوجيا سوف تحدث ثورة في أساليب الزراعة والري و..، ما يحقق ازدهار ونمو مستمر في الإنتاج.

⁴ تيبيل السهلي، الاقتصاد الإسرائيلي وأزماته البنوية، مركز الجزيرة للدراسات، 2010/3/2، على : <https://bit.ly/3lV59sb>

وفي عام 2017، بلغت الصادرات الإسرائيلية بحوالي 60.6 مليار دولار. يحتفظ بنك (إسرائيل) بمبلغ 113 مليار دولار من احتياطي النقد الأجنبي.¹ كما تتلقى (إسرائيل) مساعدات عسكرية من الولايات المتحدة، فضلاً عن مساعدات اقتصادية في شكل ضمانات قروض، والتي تشكل الآن ما يقرب من نصف ديون (إسرائيل) الخارجية. لدى (إسرائيل) واحدة من أقل الديون الخارجية في العالم المتقدم، وهي مقرض من حيث صافي الديون الخارجية، والتي بلغت في عام 2019 فائضاً قدره 88 مليار دولار.² تمتلك (إسرائيل) ثاني أكبر عدد من الشركات الناشئة في العالم بعد الولايات المتحدة، وثالث أكبر عدد من الشركات المدرجة في بورصة "Nazdaq" بعد الولايات المتحدة والصين. قامت شركات مثل "INTEL" و"Microsoft" ببناء أول منشآت بحث وتطوير في الخارج في (إسرائيل)، كما افتتحت شركات أخرى متعددة الجنسيات وعالية التقنية، مثل "A.B.M"، و"Google"، و"APPEL"، و"Sico Systems"، و"Facebook"، و"Motorola" مراكز البحوث والتطوير في البلاد.³ وتاريخياً اعتمدت (إسرائيل) على الواردات الخارجية لتلبية معظم احتياجاتها من الطاقة، منفقة مبلغ يعادل أكثر من 50% من ناتجها القومي الإجمالي سنوياً على الواردات من منتجات الطاقة حتى عام 2009. فقد أكدت اكتشافات ضخمة من الغاز الطبيعي في الحوض الشرقي شرق المتوسط تحتوي على كميات كبيرة من الغاز الطبيعي، وربما النفط الخام. وبالتالي فإكتشاف النفط والغاز قبالة السواحل الإسرائيلية أعطى دفعة أقوى للاقتصاد الإسرائيلي.



خريطة توضح تموقع حقول النفط والغاز الطبيعي في شمال لبنان، (إسرائيل) ومصر

المصدر: اقتصاد (إسرائيل) على الرابط التالي: <https://bit.ly/3buTpYF>

¹ The World Factbook, **Israel, Economy**, Central Intelligence Agency (CIA), page last update on April 01,2020, on the link: <https://bit.ly/2DB0CtU>

² GFP, ISRAEL 2019, Op cit.

³ Richard Bihar, **Inside Israel's Secret Startup Machine**, Contributing Editor of Investigations, Forbes magazine, May 11,2016, on the link below: <https://bit.ly/2GpURjA>

وحسب بيانات (GFP) لعام 2019، فإن الانتاج النفطي الإسرائيلي يقدر بـ 390 برميل يوميا، وما قدره: 240.000 برميل يستهلك يوميا، ويقدر الاحتياطي من النفط الخام: 12.730.000 برميل.¹ وكذلك السياحة فإنها تشكل مصدراً مهماً للدخل القومي، وفوق هذا وذاك فإنها تتلقى دعماً مادياً كبيراً من الولايات المتحدة الأمريكية، وتعد الأخيرة والإتحاد الأوروبي الشريكان الرئيسان لها على المستوى التجاري.²

ويحتل الاقتصاد الإسرائيلي المرتبة 31 في الترتيب العالمي، والمرتبة الخامسة إقليمياً بعد إقتصاديات كل من السعودية وتركيا وإيران والإمارات وذلك وفقاً للنتائج القومي بالدولار، إذ بلغ الناتج القومي الإجمالي نحو (387.717) مليار دولار عام 2019. ولكنه يأتي في المرتبة الأولى من ناحية تقدّمه، إذ يعد في الوقت الراهن إقتصاداً صناعياً متقدماً بالفعل بالمقارنة مع عدد السكان والمساحة، إذ بلغت نسبة النمو الاقتصادي في (إسرائيل) 4.7 % في الجزء الأول من عام 2019، وذلك طبقاً لما أورده تقرير آفاق الاقتصاد الإقليمي: الشرق الأوسط وآسيا الوسطى أكتوبر 2019، الصادر عن صندوق النقد الدولي³، كما وقد أصبح صندوق النقد الدولي يدرج (إسرائيل) ضمن الدول الصناعية المتقدمة، وهو الوضع الذي لم تبلغه أي دولة في المنطقة حتى الآن.⁴

ynet

הצמיחה במשק בשנים האחרונות



منحنى بياني يوضح: معدل النمو الإسرائيلي منذ 2014 حتى 2019

المصدر: <https://bit.ly/3gZycXV>, 2019/09/19

¹ GFP, ISRAEL 2019, Op cit.

² نبيل السهلي، مرجع سبق ذكره.

³ World Economic Outlook Database, International Monetary Fund, October 2019, at: <https://bit.ly/2FdBmu6>

⁴ بيبي لاندو وشموئيل أيفن، إقتصاد (إسرائيل) في عصر العولمة، معهد أبحاث الأمن القومي، جامعة تل أبيب، 2007، ص 7.

وكتفسير لبيانات المنحنى، فقد أشار "إيلي كوهين" وزير الاقتصاد الإسرائيلي في تصريحات له بصحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية إلى أن الاقتصاد الإسرائيلي "جزيرة استقرار" بالنسبة لبقية العالم، رغم أرقام النمو الضعيفة الأخيرة في اقتصاد بلاده حيث انخفض من 5% إلى 1%، موضحاً أن الوزارة اتخذت خطوات لإقامة مصانع جديدة. كما أن هذا الانخفاض في معدل النمو ليس فقط في إسرائيل، بل في العديد من الدول. ففي ألمانيا مثلاً وفي نفس الفترة حققت معدل نمو سلبي قدره 0.1%¹. وعلى الرغم من إيجابية هذه المؤشرات فإن الاقتصاد الإسرائيلي تأثر ولازال يتأثر باضطراب الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة.

رابعاً: المقوم العسكري

بالنظر لبيانات موقع (GFP)، المتخصص في رصد قوة الجيوش حول العالم فإن القوة العسكرية الإسرائيلية تأتي في المرتبة (17) من أصل 137، ما تمثل القوة الرابعة، حيث تحتل تركيا الصدارة ثم مصر ثم إيران وبعدها (إسرائيل) وفي المرتبة الخامسة السعودية، ويعتمد التقييم على أكثر من 55 عاملاً مختلفاً، وتبقى هذه ترتيبات تتغير باستمرار من عام لآخر.

وعن الميزانية العسكرية الإسرائيلية، أو ميزانية الدفاع فقد بلغت حوالي (19.6) مليار دولار لسنة 2019.²

ولدى (إسرائيل) "تجارة سلاح"، مع عدد كبير من الدول حول العالم، وقد أجرت تعديلات على طائراتها ودباباتها وساهمت في التدريب، وتشمل هذه الدول دولا أوروبية وجنوب أمريكية، وأفريقية، وعربية، وآسيوية. فالصناعة العسكرية الإسرائيلية متنوعة من أسلحة خفيفة ومتوسطة وثقيلة، من دبابات إلى طائرات ومدفعية ومدركات وصواريخ، وأنظمة دفاع جوي ورادارات، بالإضافة إلى قطع الغيار، وطائرات بدون طيار، وعدة أنظمة إلكترونية متطورة وبرامج تتعلق بالكمبيوتر وتحديد الأماكن، وأنظمة الرؤية الليلية والأشعة ما دون الحمراء، ولدى (إسرائيل) عدد من الأقمار الصناعية الخاصة بها ومنها ما هو تجسسي، وهي ذات قدرة عالية ومتطورة، وهي من بين الدول القليلة القادرة على إطلاق مثلها.³

وعن الحقيقة التي لا يمكن أي يتجاوزها أي مسؤول إسرائيلي حول أهمية هذا المقوم، يؤكد "بنيامين نتنياهو" في كتابه "مكان تحت الشمس" بالقول: "إن القوة العسكرية هي مؤسسة لا بديل منها للمحافظة

¹ عادل عبد الجواد، وزير اقتصاد إسرائيل: صادراتنا تجاوزت 110 مليارات دولار في 2018، (المال) جريدة مصرية اقتصادية يومية، الإثنين 19 أوت 2019، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3gZycXV>

² Israel Military Strength, op cit.

³ هادي زعرور، مرجع سبق ذكره، ص 128.

على أمن إسرائيل على الأقل في المستقبل المنظور"، ويضيف قائلاً: "إن القوة العسكرية هي ضرورة إستراتيجية بيد إسرائيل لخلق بيئة إقليمية تتعايش مع إسرائيل بعيداً عن التفكير في مواجهتها عسكرياً"¹.

1_ جهوزية القوة العسكرية الإسرائيلية:

الحقيقة أن هذه القوة تخرج عن مقاييس القوة العسكرية التقليدية المتعارف عليها والتي كانت مصممة حتى نهاية السبعينات من القرن العشرين، إنها اليوم تمثل قوة مطعمة بقدرات نووية وتكنولوجية وكيميائية وبيولوجية، وتستند على قاعدة المعرفة المعلوماتية المتطورة، إذ فضلاً عما تملكه من تقنية نووية مصممة لأغراض عسكرية (سلاح نووي)، فإنها تمكنت من أن تحقق نجاحات هامة في مجال برامج التطوير التكنولوجي المعدة للأغراض العسكرية من أجل تحسين أنظمتها الدفاعية والهجومية. ومن خلال هذه البرامج تمكنت من الحصول على تكنولوجيا الرسائل المضادة للصواريخ المتمثلة في إنتاج الصواريخ المضادة للصواريخ، وكذلك برنامج أسلحة الطاقة الحركية التي تعتمد على إطلاق مقذوفات كمضادة للصواريخ، تعمل بالطاقة الإشعاعية الموجهة التي تعمل بأشعة الليزر، وأشعة الطاقة التي تسلط على الصواريخ المعادية من محطات أرضية وفضائية فتدمر في الجو قبل أن تصل إلى أهدافها، كما تمكنت من ربط مركز إنذارها الأرضي مع مركز الإنذار الأمريكي في "كولورادو" بالولايات المتحدة، بحيث تحصل على الإنذار بالصواريخ القادمة عبر أقمار الاتصالات في الوقت نفسه الذي تحصل فيه الولايات المتحدة على الإنذار بذلك.²

كما أنّ أنظمة التسليح الإسرائيلي اليوم تُمكن الجيش من الرد على أنظمة التسليح والتكنولوجيا المتطورة كافة التي أدخلت مؤخراً في الجيوش العربية، والتي تشكل تهديداً (لإسرائيل)، سيما الصواريخ الباليستية التي تهددها في عمقها الإستراتيجي، بما يمكن الجيش الإسرائيلي في الوقت نفسه من تنفيذ مهامه وأهدافه الإستراتيجية بنجاح في ساحة القتال والحروب المستقبلية. كما طوّرت نوعيات من الذخائر "صواريخ وقنابل متنوعة" ذات توجيه ذاتي بواسطة وسائل وأجهزة ليزرية وحرارية ورادارية تطلق من أسلحة برية وجوية وبحرية ومن مسافات أبعد من مدى الأسلحة المضادة التي بحوزة الدول العربية والإقليمية. كما طوّرت أسلحة "الإعلاء الليزري" لتعمية محطات الرادار، إضافة إلى تطوير نوعيات مختلفة من الطائرات من دون طيار التي تستخدم في مجالات الإستطلاع وإدارة النيران، إلى جانب الاهتمام بتطوير العقول الإلكترونية في شكل حاسبات الإلكترونية متطورة ساعدت في مجال المخابرات والدعم اللوجستي وأعمال

¹ بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس، ترجمة محمد عودة، مراجعة كلثوم السعدي، دار الجليل، ط1، عمان، 1995، ص 417.

² عبد القادر فهمي، المدخل إلى دراسة إستراتيجية، دار الرقيم للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005، ص 259.

القيادة والسيطرة، وتطوير الأسلحة والذخائر، فضلاً عن وسائل الحرب الإلكترونية في مجال الإستطلاع والإعاقة اللاسلكية والرادارية الأرضية والجوية.¹

كما بذلت جهوداً حثيثة لتطوير قدراتها في مجال الحرب الإلكترونية نظراً لدورها الهام في الحرب الجوية-البرية، وإدارة المعركة بمنظومة المعدات والأجهزة الإلكترونية بهدف إمتلاك المبادرة بالحرب والإحتفاظ بالتفوق والإنفراد بالقدرة على إدارتها حتى نهايتها، فضلاً عن إمتلاكها لوسائل إرباك سيطرة وخطط الهجوم عن طريق شل وتشويش أنظمتهم الإلكترونية المستخدمة في السيطرة وتوجيه نظم الأسلحة والإنذار، وحرمانهم من الحصول على معلومات هن النظم الإلكترونية الإسرائيلية وتأمينها ضد أعمال الجيوش العربية الإلكترونية المضادة بواسطة وسائل التأمين الإلكتروني.²

وفي هذا يشيد (شمعون بيريز)، رئيس وزراء (إسرائيل) السابق، بأهمية التطور التكنولوجي في الإستراتيجية العسكرية في كتابه "الشرق الأوسط الجديد": "إن كل من يتكلم عن الأمن بمفهوم الكيلومترات والمطالب الجغرافية فقط، على الرغم من كونها أسس هامة بحد ذاتها، فإنه لا يفهم أن الجغرافيا ستعد في المستقبل أمراً ثانوياً مقارنة بأهمية التطور التكنولوجي في القرن القادم. ذلك أن نجاح أية دولة في المنطقة مستقبلاً في تحقيق اختراق تكنولوجي حاسم في ميدان الامن والتنمية بشقيها الإنتاجي والخدمي، سيشكل تحدياً خطيراً لباقي دول المنطقة، سيما على صعيد الامن وأعتقد أن (إسرائيل) تستطيع أن تواجه هذا التحدي وتفوز به...".³

إذن قوة (إسرائيل) العسكرية، سواء أكان ذلك في مجال الردع، أو القدرة على توظيفها في المعارك والحروب، تستند على منظومة عسكرية واستراتيجية جد متطورة، تجعل من مسألة الحرب ذات كلفة عالية لما تتطوي عليه من خسائر باهضة يصعب على الأطراف تحملها. ويبدو أن (إسرائيل) في إستراتيجيتها العسكرية الأمنية وفي أي حرب يمكن أن تقع مستقبلاً، ستأخذ بعقيدة الحرب الجو-فضائية والتي تعتمد على تضافر الجهد العسكري لثلاث منظومات قتالية وهي (الأسلحة الجوية-الفضائية-منظومة القيادة والسيطرة، منظومة الصواريخ الموجهة وذات القدرة على التدبير الشامل)، كما تبدي إلتزاماً عالياً بتطوير قدراتها العسكرية بشقيها الإستراتيجي والتقليدي-التقني، لتكون في موضع التفوق في معادلة التوازنات الإقليمية، وبما يضمن لها ممارسة سياسة ردع فعال لفرض إرادتها السياسية تحقيقاً لأهداف إستراتيجيتها العليا.

¹ المرجع السابق، ص 261.

² المرجع نفسه، ص 216.

³ شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد"، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1994، ص84.

2_ منظومة القوات المسلحة الإسرائيلية: وتتألف من الجيش، القوات الجوية، والقوات البحرية، وتخضع هذه القوات لسلطة رئيس الأركان والممثل حالياً بـ «نفتالي بينيت» (وهو أحد مؤسسي حزب اليمين الجديد، والذي شغل وزير التعليم سابقاً)، الذي ينسق الأوامر بدوره مع وزير الدفاع وبشكل فير مباشر مع مجلس الوزراء أو رئيس الوزارة، ما يعني أن السلطة في الأمور المصيرية في يد الحكومة.

-نظام الخدمة العسكرية إجباري للجنسين، وهي ثلاث سنوات للرجال، وستان للنساء. بعدها يدخل هؤلاء مرحلة ثانية وهي الجيش الإحتياطي، ويخضعون لدورات تدريبية لعدة أسابيع من كل سنة بعد إنتهاء مرحلة الخدمة الإجبارية،¹ يذكر أن الخدمة الإجبارية فقط لليهود والدروز، وهي لعمر 18 سنة وحتى 49 سنة، أما الأفراد المتاحون للخدمة فعددهم يقارب (3.027.826). بزيادة سنوية تقدر بـ (121.113).

_أما القوة العددية للرجال والنساء القادرين على الخدمة العسكرية فهي (3,647.983).

وبالنسبة لأعداد أفراد الجيش تكون في مجموعها كالتالي: إحتياط: (445.000) جندي/ نظاميون: (170.000) جندي/ والمجموع الكلي: (615.000) جندي. وهي تقديرات عام 2019.²

3_ نظام التسليح الإسرائيلي:

وفيما يتعلق بالقدرة العسكرية لهذا الجيش فإنها عالية للغاية، حيث يمتلك هذا الجيش أحدث الأسلحة تكنولوجياً، وأحدث أنظمة الكمبيوتر وأفضلها، وأكثر الأسلحة المعروفة بدرجة تطورها، جزء منها من صنع أمريكي، والجزء الآخر من صنع إسرائيلي.³ والعديد من الأسلحة الأمريكية تعيد تعديلها حتى

¹هادي زعرور، توازن الرعب، مرجع سبق ذكره، ص 128.

² Israel Military Strength, Op cit.

³ونأتي إلى عملية تفكيك أنظمة التسليح الإسرائيلية:

أ-القوة البرية:

_الدبابات: القطعة الحربية التي تشكل أحد رؤوس الحربة في القدرة الهجومية لهذا الجيش، وتصنع (إسرائيل) دبابتها الخاصة وتعد من أقواها في العالم وأكثرها تطوراً من ناحية الأنظمة الإلكترونية، إضافة إلى كونها الأكثر تدريباً.

_المدفعية: المدفعية الإسرائيلية حديثة، وتتمتع بدقة عالية جداً على الإصابة، وهي ذاتية الحركة ومنقولة، وتستعمل قذائف من أنواع متعددة، وقدرتها التدميرية ذات أثر كبير. كما وأنها تستطيع الانتشار في أي مكان، إضافة إلى تغيير مكان إطلاقها للقذائف منعاً لإمكانية تحديد مكانها، وكان لها دور مهم جداً في حرب تموز/ سبتمبر. كذلك هنالك أيضاً المدفعية الثابتة أو المقطورة، والتي تضاف إليها تشكيلة من "الهاون" الخفيف والثقيل الذي يستعمله الجنود.

_الصواريخ المضادة للدبابات: منها ما هو من تصنيع إسرائيلي ومنها معدّل محلياً، ورغم قلة استعمالها لعدم خوض (إسرائيل) حرباً تكون مجهزة فيها بدبابات، منذ زمن إلا أن الجيش الإسرائيلي يبقى على استعداد ويمتلك أحدثها. ويتم إستعمال بعضها في الهجوم ضد الجنود، وتم إطلاقها من الدبابات، الطائرات، أو عن الكتف والآليات الخفيفة أو تثبيت في الأرض.

_الصواريخ الباليستية: القريبة المدى وغيرها من صواريخ أرض-أرض، متنوعة لدى القوات (الإسرائيلية) وهي تصنيع محلي، وبعضها من الولايات المتحدة، لكن إستعمالها محدود جداً، فوجود أقوى سلاح في المنطقة ذات الفاعلية العالية والأهمية الإستراتيجية تنخفض أهمية الصواريخ، ولكن من الإضافات المهمة صاروخ "البوباي" الذي يمكن إطلاقه من الغواصات وهو قادر على حمل رؤوس نووية

بمدى 1500 كم أو أكثر، ما يؤمن قدرة الضربة الثانية (لإسرائيل). وتضم هذه التشكيلة أيضاً بعضاً من صواريخ جو-أرض، وبحر-أرض، وتتميز هذه الصواريخ بقدرة تدميرية رهيبية، وتعطي أفضلية تدميرية للعدو.

ولدى (إسرائيل) تشكيلة واسعة من الصواريخ جو-أرض، إضافة إلى القنابل ذات الأحجام المختلفة، والقنابل العنقودية.

ب- القوة الجوية:

الدفاع الجوي: وهو موضوع له أهمية كبيرة عند الصهاينة، وذلك بسبب تعدد الأخطار التي تحيط (بإسرائيل). لذا أعد الجيش الإسرائيلي نفسه بأفضل الدفاعات المتاحة، وقد انجزها بشكل مشترك مع الأمريكيين ومن أهمها الدفاع الباليستي الصاروخي الذي يحمي (إسرائيل) اليوم، وتنتشر عشرات البطاريات لتحمي أجواءها.

فالطائرات الإسرائيلية قادرة على حماية أجوائها وإغلاقها أمام أي طائرة دخيلة كونها الأحدث في الشرق الأوسط، مع العلم ان هجوماً جويًا على (إسرائيل) ليس خارج المعادلة، وقد أثبتت دفاع القبة الحديدية فعاليته العالية من خلال إسقاطه لأكثر من 400 صاروخ من أصل ما يقارب 1500 أطلقت من قطاع غزة في الحرب الأخيرة بين الطرفين.

القوة الجوية الإسرائيلية "أقوى سلاح جو في المنطقة"، هذا أقل وصف لسلاح الجو الإسرائيلي، الذي يعد من أقوى الأذرع العسكرية للقوى المسلحة الإسرائيلية، طياروها من أمهر الطيارين وأفضلهم وأكثرهم صلابة وتدريباً، ويعتبر الطيران من أصعب الإختصاصات في الاكاديمية العسكرية الإسرائيلية، أما الطائرات التي في خدمة هذا القسم فهي من الأحدث في العالم ومن أكثر الطائرات المستعملة حول العالم.

_ **الطائرات الحربية الإسرائيلية** التي يشتريها الجيش الإسرائيلي من الولايات المتحدة يتم إدخال تعديلات خاصة عليها، ولا تبقى طائرة بدون أن يتم إدخال تعديلات عليها من الأنظمة الإلكترونية وغيرها. وأحياناً تحوّل هذه التعديلات الطائرة كلياً فيتم تغيير اسم الطائرة إلى اسم إسرائيلي مختلف. ويقوم سلاح الجو الإسرائيلي بصيانة طائراته بشكل خاص. كما تصنع أيضاً طائرات خاصة بها. وتُعد الأنظمة الإلكترونية التي يستعملها الإسرائيليون من أدقها وأكثرها تعقيداً في العالم، وترجح بأن تكون هذه الأنظمة أفضل من الأمريكية. إضافة إلى أن (إسرائيل) تعتبر سلاح جوها الذراع الطويلة لها.

_ **طائرات النقل:** التي يستعملها الصهاينة في بعضها من الولايات المتحدة والبعض الآخر من تصنيع محلي. ولهذه الطائرات القدرة على إيصال حمولة ضخمة وكبيرة من السلاح والعتاد والمؤن. إضافة إلى نقل الجنود وإجراء عمليات إنزال المظليين، ونقل الوقود وإعادة تعبئة الطائرات جواً. ويمكن تحويل طائرات مدنية بشكل سريع لخدمة سلاح الجو، إضافة إلى إمتلاك (إسرائيل) لعدد من الطائرات المتخصصة بالحرب الإلكترونية، ويتم إستعمال بعضها في عملية إدارة المعارك أي ما يشابه غرفة العمليات.

_ **المروحيات الهجومية والناقلة:** ولدى السلاح الإسرائيلي تشكيلة مميزة منها، وهي الاحدث ويستعملها الجيش الأمريكي، وهي بالطبع من الولايات المتحدة إضافة إلى بعض منها المصنعة محلياً. وهذه المروحيات لديها القدرة عالية على المناورة، وتحمل صواريخ مختلفة الأنواع، والمروحيات الناقلة تقوم بنقل المؤن والجنود كما تقوم بإجلاء الجرحى في أوقات الحرب.

_ **طائرات المراقبة:** ولدى الجيش الإسرائيلي عدد من الطائرات المراقبة والتي غالباً ما تقوم بعمليات المسح البحري للحدود، وتراقب السواحل، إضافة إلى بعض الطائرات المتخصصة بالحرب الإلكترونية.

كما يمتلك الجيش الإسرائيلي تشكيلة هائلة من الطائرات بدون طيار، ويستعملها في أغراض المراقبة من جهة فيما يحمل بعضها صواريخ لقصف أهداف محددة. وتأتي بأحجام مختلفة، ويتم إستعمالها على أرض المعركة لنقل المعلومات الحيوية للجنود وتحركاتهم.

ج- **القوة البحرية:** سلاح البحر الإسرائيلي متطور للغاية لكنه محدود نسبياً، فلهذه عدد ضئيل من الغواصات والزوارق السريعة وبعض البوارج، وتقوم بدوريات دائمة في المياه الإقليمية إضافة إلى الغواصات التي لا ترى كثيراً.

_ **الغواصات:** ألمانية الصنع وتعمل بالديزل، وقد تم تعديلها كذلك لتستطيع إطلاق صواريخ بالستية وغيرها.

_ **البوارج الحربية:** متطورة ومجهزة بأنظمة إلكترونية معقدة. وشغل سلاح البحر الإسرائيلي ثلاث فئات من نوع "ساعر" من "الجبل الخامس" والبقية يطلق عليها اسم قوارب صاروخية.

_ **الزوارق الحربية السريعة:** وهي زوارق مجهزة بصواريخ ورشاشات وتقوم بأعمال عدة كالمراقبة وتقديم الدعم للصفادح البشرية في عمليات الإنزال، إضافة إلى مراقبة السواحل وقصفها في بعض الأحيان. وهناك تشكيلة من قوارب الكومانيدوس البحري الإسرائيلي التي

الطائرات النفاثة. كما وذكرنا سابقاً لديها أسلحة خاصة من صنعها، لكنّها تعتمد بشكل عام على الصناعة العسكرية الأمريكية.¹ و(إسرائيل) إلى جانب أمريكا وروسيا، تعتبر من الدول القليلة التي تمتلك دفاعاً صاروخياً للصواريخ باليستية (Arrow)، إلى جانب "القدرات النووية" لديها أيضاً "قدرات كيميائية" و"قدرات بيولوجية" هائلة. وفي الأخير يقدر إجمالي عدد الأسلحة التي تمتلكها القوة الإسرائيلية حسب إحصائيات (GFP) لعام 2019: **القوات البرية**: الدبابات: 2.760 / المدفيعات: 6.541 / مدفيعات ذاتية الدفع: 650 / مدفيعات مقطورة: 300 / راجمة مدفيعات صاروخية: 150.

القوات الجوية: الصواريخ: 253 / الصواريخ المضادة: 253 / طائرات نقل: 18 / المروحيات: 146 / المروحيات الهجومية: 48 / الصواريخ النووية: 65.

القوات البحرية: البوارج: 4 / الغواصات الهجومية: 6 / محطات وموانئ: 5 / زوارق دورية: 37.²

ومما سبق نستنتج أنه رغم نقص العدد البشري الذي يمثل إحدى مؤشرات القوة العسكرية الإسرائيلية إلا أن حجم وتطور أسلحتها ومعداتها وامتلاكها للقوة النووية والتكنولوجية ما غطى عجزها السكاني. وما عسانا إلا أن نعترف بتفوقها مرة أخرى في هذا الجانب على القوى الإقليمية المنافسة لها في المنطقة.

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي لإسرائيل في سوريا والشرق الأوسط

أولاً: الإستراتيجية الإسرائيلية بين الاتجاهات والأولويات في ظل التحولات الإقليمية الجديدة

مع بداية ظهور الاحتجاجات الشعبية في الدول العربية، وجدت (إسرائيل) نفسها أمام واقع وبيئة إقليمية مستجدة مليئة بالأحداث والمتغيرات السياسية والأمنية والعسكرية. ما أقلق صانع القرار الإسرائيلي ليس فقط بسبب الفشل في رصد إرهابات هذه الأحداث وترقب وقوعها، بل بسبب محدودية القدرة في التأثير على مجريات ومخرجات هذه المرحلة. وإذا كانت ثورة 25 يناير 2011 في مصر ومخرجاتها، وصولاً إلى ما قبل الانقلاب على الرئيس المصري محمد مرسي في 3/7/2013، شكلت هاجساً ومصدر تهديد كبير، على (إسرائيل) من الجهة الجنوبية للكيان، فإن أحداث الأزمة السورية التي اندلعت في 15/3/2011، ربما شكلت، في بعض مراحلها، تهديداً خطيراً على "تل أبيب" من الجهة الشمالية. ومنذ بداية الأزمة السورية وحتى كتابة هذه السطور، وجدت (إسرائيل) نفسها أمام تحديات يرقى بعضها إلى تهديدات، فرضت عليها تسخير كافة الوسائل السياسية والعسكرية المتاحة، من أجل الحد من التأثيرات والمخاطر على الأمن القومي الإسرائيلي. كما حاولت في الوقت نفسه الاستفادة من الفرص لتحقيق

يشغلها أحد أكثر الوحدات تدريباً وهي وحدات النخبة في البحرية الإسرائيلية، وعمل هؤلاء يشمل العمليات السرية. لتفاصيل أكثر أنظر في: هادي زعرور، توازن الرعب، مرجع سبق ذكره. ص 130-140.

¹ هادي زعرور، مرجع سابق، ص 129.

² Israel Military Strength, Op cit.

أهدافها الاستراتيجية. ما زاد من خطورة وصعوبة الوضع على الجانب الإسرائيلي، دخول لاعبين دوليين وإقليميين بصورة مؤثرة على مسرح الأحداث، وحدّ من قدرة (إسرائيل) على التأثير، أو الدخول بصورة فاعلة على مجريات الأزمة، غير أنه أتاح لها فرصاً بسبب تقاطع مصالحها مع مصالح عدد من اللاعبين، الذين لا يرغبون أن تتشكل في سورية حالة تهدد المصالح الإسرائيلية وتتجاوز خطوطها الحمراء.

وعليه تمثل الثورة السورية حدثاً إستراتيجياً مهماً، ظهر لها تأثيراً كبيراً في تشكيل مستقبل المنطقة وفي صياغة العلاقات بين دولها وشعوبها. وتبدو (إسرائيل) أحد أهم اللاعبين المتأثرين بتطورات الثورة السورية. ولا شك ان هذه التطورات سوف تؤدي إلى بروز متغيرات إقليمية جديدة تماماً¹، كما وتوفر فرصاً وتفرض تحديات وقيود ليس فقط على دول المنطقة، وإنما على العديد من القوى الإقليمية والدولية المعنية في المنطقة، ما يؤثر حتماً على اتجاهات سياساتها أولويات إستراتيجياتها. ومن ثمّ يعاد تعريف الحلفاء وكذلك الخصوم أو المنافسين سيما أن المنطقة بأكملها يعاد رسم خريطة القوى والتحالفات فيها. كما تخشى (إسرائيل) أن تؤدي أعمال العنف ضد المدنيين الدروز في سوريا إلى تصاعد أزمة اللاجئين وتدفع آلاف الدروز السوريين إلى المجتمعات الدرزية على الجانب الإسرائيلي من الحدود بحثاً عن ملاذ آمن. وبغية الحيلولة دون حدوث هذا المأزق، تواترت مزاعم أن إسرائيل حذرت المتمردين السنة في سوريا من شن هجمات على المجتمعات الدرزية.² وفي تعليقات فسرت على أنها تشير إلى الدروز السوريين، شهد الفريق "غادي أيزنكوت" رئيس أركان قوات الدفاع الإسرائيلية، أمام الكنيست في جوان 2015 وقال إنه في حال تدفقت أعداد كبيرة من اللاجئين نحو الحدود الإسرائيلية هرباً من القتال، ستقوم (إسرائيل) بكل ما يلزم لمنع حدوث مجزرة" لتحقيق هذه الغاية، شجعت إسرائيل الولايات المتحدة الأمريكية على توفير المساعدة للدروز السوريين، كما يقال انها طرحت فكرة تأسيس "ممر إنساني" أو منطقة آمنة لهم داخل الأراضي السورية، ربما تحت رعاية الأمم المتحدة أو اللجنة الدولية للصليب الأحمر.³

¹ رأى رئيس الهيئة الأمنية والسياسية بوزارة الدفاع الإسرائيلية عاموس جلعاد Amos Gilad أن "سقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد سيترتب عليه حدوث كارثة تقضي على (إسرائيل)، وذلك نتيجة لظهور إمبراطورية إسلامية في منطقة الشرق الأوسط بقيادة الإخوان المسلمين في مصر والأردن وسورية". بمعنى أن النظام السياسي الذي قد يحلّ مكان النظام السوري الحالي، سيكون أشدّ عداءً للكيان الإسرائيلي، وأكثر قدرة على تعبئة طاقات سورية ضدّ المشروع الصهيوني. لمزيد من لمعلومات انظر في:

Israël wary but hopeful as Syrians revolt, middle east online, 4/4/2011, <https://bit.ly/32XNcRn>

² لاري هاناور، لاري هاناور، مصالح (إسرائيل) وخياراتها في سوريا، (منظور تحليلي)، راند (RAND)، ص 11. متوفر PDF، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3h6faiK>

³ المرجع السابق، ص 12.

فأزمة الدروز لم تقف عند السويداء السورية، بل تبلورت معالمها في إسرائيل أيضاً، التي تشهد اليوم حالة من الاحتقان والجدل بسبب الخلاف بين الطائفة الدرزية التي تخدم في الجيش وبين الحكومة، بسبب قانون "الدولة القومية للشعب اليهودي".¹ وهذه المسألة أيضاً من أبرز انعكاسات الأزمة السورية على الأمن القومي الإسرائيلي، حيث يُنظر إلى الدروز الإسرائيليين على أنهم منفذ محتمل لإخوانهم على الجانب السوري من الحدود والذين رغم تأييدهم عموماً للأسد ومعاداتهم لـ(إسرائيل) قد يتمكنون من المساعدة في الحفاظ على هدوء المنطقة الحدودية.² وكان الدروز الإسرائيليين قد تظاهروا لتسليط الضوء على المحنة التي يعاني منها أبناء طائفتهم من السوريين. وسيؤيدون بكل تأكيد دخول لاجئين من الدروز السوريين إلى بلدهم. ويتعامل الإسرائيليون بشيء من التحفظ مع الجهود التي تبذلها الحكومة لتهدئة الدروز، الذين ينظر إليهم العديد من الإسرائيليين على أنهم جواسيس خونة محتملين. ورغم أن هذه مخاوف مبالغ فيها إلا أنها واردة وليست مستحيلة.³ وفي هذا السياق فقد أثار القانون الجديد الإسرائيلي غضب الدروز، الذي يبلغ عددهم 100 ألف في (إسرائيل) و18 ألف في هضبة الجولان، مما دفع رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" للسعي إلى سن تشريع تصحيحي. ودافع نتياهو عن القانون، الذي ينص على أن اليهود وحدهم لهم الحق في تقرير المصير في البلاد، في مواجهة انتقادات عنيفة في الداخل والخارج. لكن حكومته اليمينية صُدمت فيما يبدو برد فعل الدروز رغم أن البرلمان أقر القانون يوم 19 جويلية بعد جدل محتدم استمر سنوات في الكنيست. "الدروز تبنا حق المواطنة من خلال عملية الخدمة في الجيش الإسرائيلي منذ عام 1948، ويتم ضم أكثر من 80 في المئة من رجال الدروز إلى الجيش، وهو معدل أعلى من نسبة السكان اليهود في (إسرائيل).⁴ لكن القانون ينفي حقهم كأقليات. "لأنه لا يعترف بالمساواة ولا يعترف بالنظام الديمقراطي". فهم يريدون الإنتماء إلى الإسرائيليين، لكن القانون ركز على اليهودية القومية العرقية. لذلك هم في حالة منفيين ويطالبوا بتعديل هذا القانون من أجل تحقيق حقوقهم. لكنهم مخطئون لو اعتقدوا أن بإمكانهم الحصول على امتيازات على حساب باقي العرب.

¹ سامي آغا، الدروز - خطر الإرهاب في سوريا وتحدي قانون الدولة اليهودية في (إسرائيل)، DW، بتاريخ 3 أوت 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2ZchCy5>

² لاري هناور، المرجع السابق، ص12.

³ ففي مارس 2015، اعتقلت الحكومة جندي درزي إسرائيلي بتهمة الإفصاح عن معلومات سرية عن عمليات قوات الدفاع الإسرائيلية في الجولان لمواطن درزي إسرائيلي قام بدوره بتمريرها للحكومة السورية. انظر في "قضية تجسس سوية"، 2015.

⁴ سامي آغا، المرجع السابق ذكره.

1: القوة الإسرائيلية في بحثها عن دور القيادة الإقليمية

سعت (إسرائيل) منذ نشأتها إلى فرض وجودها كقوة بدون منازع في منطقة الشرق الأوسط، معتمدة في ذلك على الدعم الأمريكي والغربي لها. ولمسح المنطقة من طابعها العربي والإسلامي، فقد إجتهد القادة الإسرائيليون واللوبي الصهيوني وحلفاؤهما في إيجاد صيغ ومشاريع من شأنها أن تحقق ذلك المبتغى، كمشروع "الشرق الأوسط الجديد" ومشروع الشرق الأوسط الكبير" ومشروع "(إسرائيل) الكبرى"، وقد كانت الحرب الأمريكية على العراق في عام 2003 الصورة الأوضح لتجسيد هذه المشاريع.

وفي خطوة ثانية لها، في فيفري من نفس العام نشرت صحيفة "هاآرتز" الإسرائيلية، أن رئيس الوزراء الإسرائيلي "شارون"، كان يحث الولايات المتحدة على التحرك تجاه "إيران وليبيا وسوريا" بعد افتراض نجاح الولايات المتحدة في تدمير العراق". كما صرح وزير الدفاع الإسرائيلي وقتذاك، "شاؤول موفاز"، في لقاء جمعه بوفد رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية: "إن لنا مصلحة كبيرة في إعادة تشكيل الشرق الأوسط بعد إنتهاء الحرب على العراق، إن (إسرائيل) تعتبر إيران وسوريا خطراً قائماً، وتتمنى أنه بعد التخلص من صدام حسين أن تتوالى أحجار الدومينو بالسقوط واحداً تلو الآخر.¹

وفي طريق بحثها عن القيادة، فقد إستغلت (إسرائيل) الورقة الكردية، فأقامت منذ عام 1970، علاقات وثيقة مع أكراد شمال العراق، ودربت مليشيات منهم، وتجاوزت تلك العلاقات الجانب الاقتصادي للوصول إلى أبعاد سياسية وجيوستراتيجية وتصب كلها في دعم الأكراد في الانفصال وإقامة دولة لهم، وكان الهدف الآخر من وراء ذلك خلق مشاكل وإضطرابات في كل من تركيا وإيران وسوريا²، بحيث ستشهد هذه الدول مطالب إنفصالية للأكراد الموجودين فيها. وهذا ما يحصل الآن بالفعل.

أما اليوم وبعد إسقاط العراق، فتعتبر "إيران" الخطر الأول والمنافس الأصعب لـ(إسرائيل) خصوصاً وأنها تسعى إلى إمتلاك السلاح النووي، ولذلك فإن دفع الولايات المتحدة إلى مواجهة مع إيران، من خلال فرض عقوبات إقتصادية وشن هجوم عسكري ضدها، كان ولا يزال على رأس أولويات (إسرائيل) ومؤيديها في الولايات المتحدة. ف(إسرائيل) تريد ان تبقى بحوزتها القوة النووية الوحيدة في المنطقة حتى تفرض وجودها، ولذلك تصدّت لكل محاولة من شأنها أن تفضي إلى إمتلاك القدرة النووية حتى ولو لأغراض سلمية، ولا تزال عملية تدمير المفاعل النووي العراقي عام 1981، من قبل (إسرائيل) شاهداً على ذلك.

¹مايكل كولينز بايبر، كهنة الحرب الكبار، ترجمة: عبد اللطيف أبو البصل، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 2007، ص 45.
²مجموعة مؤلفين إسرائيليين، الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق، ترجمة: أحمد أبو هدية، مركز الدراسات الفلسطينية، ط1، دمشق، 2005، ص 171-172.

واليوم أيضاً فإن (إسرائيل) تبحث عن الزعامة الإقليمية وحتى العالمية لكن بأساليب أخرى وإمكانات مختلفة، وخير دليل في ذلك ما نجده في التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي، ففي الفصل الخامس من كتاب (شمعون بيريز الشرق الأوسط الجديد) والمعنون بـ "أسلوب جديد في التفكير وصولاً للأساس المناسب للأمن والاستقرار"، وجاء فيه: "إن إستباب السلام يجبرنا على إعادة النظر في أساسيات سياساتنا الدفاعية...¹" وعليه فإن المشكلة الإستراتيجية الأساسية التي يواجهها القادة في الشرق الأوسط الآن تكمن في كيفية تعزيز الامن القومي بدون التقليل من الأمن الإقليمي، ومثل هذه القضية ستصبح أكثر حيوية مع التقدم التكنولوجي الذي يشكل ضماناً للأمن الشخصي والقومي². "والواقع أن نظرتنا الجديدة للأمن في المنطقة لا تنحصر في القضايا الجغرافية والطوبوغرافية. علينا أن نغير إفتراضاتنا طبقاً للمتغيرات التي يفرضها النظام العالمي الجديد وكذلك دور القوى العظمى إضافة بأخذ إعتباراً للتطورات التكنولوجية الحديثة. كما يترتب علينا إعادة النظر في تصورنا العام الذي يعتبر الحرب أحد الوسائل في صياغة العلاقات الدولية...، فما أهمية الموانع الطبيعية مثل الصحاري والأنهار والجبال إذا كانت الصواريخ تستطيع تجاوزها للوصول إلى أهدافها المرسومة سلفاً؟ وفي مواجهة الحروب البيولوجية والكيميائية والنووية، لا يبقى هناك فائدة ترجى من إقتناء مئات الدبابات والمدافع والطائرات. فعندما وعت القوى العظمى مضامين هذه التساؤلات أدركت بأنه لم تعد هناك فائدة من الحروب الكلاسيكية. ومع ذلك استمرت الولايات المتحدة وروسيا في تطوير الأسلحة التقليدية وجعلت من الشرق الأوسط ميدان اختبار هائل لها...³ إن الخطر الأعظم الذي نواجهه اليوم هو مزيج من الأسلحة النووية والأيدولوجية المتطرفة، ولمثل هذا النوع من المخاطر كما قلت وأكرر، لا يوجد هناك حل عسكري مقبول. فشكل الردع الذي قد يكون مناسباً لمثل هذا النوع يتعارض تماماً مع ما هو مقبول إنسانياً لأن النتيجة تتجاوز حدود التصور. وعليه فإنه يتوجب علينا ان ندرك حقيقة أن العصر الذي نحن فيه لا يوفر لنا وسائل دفاع معقولة...⁴ ما نستنتج مما سبق أن هناك تصور إسرائيلي جديد للنظام الإقليمي والعالمي، ولأساليب القيادة فيهما. فالطموح الإسرائيلي للزعامة أكبر مما هو عليه في الدول الإقليمية المنافسة له في المنطقة. بحيث لا

¹ شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد"، مرجع سبق ذكره، ص 82.

² المرجع السابق، ص 83.

³ المرجع نفسه، ص 84.

⁴ المرجع نفسه، ص 89.

يمكن تجاهل أن (إسرائيل) تمتلك إدراكاً قوياً لنفسها¹، كقوة إقليمية تسعى لفرض قوتها في بيئة رافضة، فهي تعتبر دولة شرق أوسطية، من حيث البعد الجغرافي وليس القيمي، فأغلب دول الشرق الأوسط إسلامية الهوية، وإسرائيل محسوبة على الحضارة الغربية، رغم ذلك يعد مفهوم القوة الإقليمية المهيمنة هدفاً إستراتيجياً، ارتبط بولادة الدولة العبرية عام 1948.

2: التكيف الإستراتيجي الإسرائيلي مع التحولات الإقليمية لما بعد 2011

نظراً للتداعيات المباشرة للتحولات الجيوسياسية التي تحدث في منطقة الشرق الأوسط، وخصوصاً الأزمة السورية بما تعكسه على الوضع الإسرائيلي، جعلت (إسرائيل) تعتمد إستراتيجيات جديدة تتكيف مع أوضاع ما بعد 2011، وظهرت ملامح أهم هذه الإستراتيجيات في طريقة عمل الدبلوماسية الإسرائيلية مؤخراً، حيث توضّح لنا طبيعة التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي على ضوء مجريات العشرية الأخيرة، فهذا التفكير يتوزّع بين رؤيتين: براغماتية عملية مرنة وعسكرية إلى حدّ كبير تعتمد سياسة الردع، وأيديولوجية تعكس خطاب الطبقة السياسية التي بدأت تبتعد قليلاً عن النخبة العسكرية، ولعلّ نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة توضّح بشكلٍ جليّ اصطفاً المجتمع الإسرائيلي بين المدنيين والعسكر. لكن بالرغم من هذا الانقسام الظاهر فإنّ الاستراتيجيين الإسرائيليين، على اختلاف رؤيتهم، يعلمون أنّ عليهم ألاّ يتردّدوا في إظهار القوّة كي يتمّ احترام "القلعة المحاصرة" في الشرق الأوسط. والحرب أو العمليات العسكرية، ليست سوى سعيٍ من أجل السياسة. وبالنظر إلى العزلة المتزايدة، والأوضاع الجيو-سياسية الجديدة بعد استنقاع الوضع في سوريا واليمن، وتغيّر طبيعة التحالفات على إثر صفقة القرن، فإنّ (إسرائيل) تعلم أنّه يجب عليها الحفاظ على علاقتها الخاصة بواشنطن وبرلين بأيّ ثمن، ذلك أنّ الدعم الدبلوماسي والعسكري الحيوي لهاتين العاصمتين هو الأكثر إخلاصاً لئلاّ أيبب.²

كما وقد ركّزت الإستراتيجية الإسرائيلية في تعاملها مع الأقليات على أن تبقى سياسة "شد الأطراف ثمّ بترها"، بمعنى مدّ الجسور مع الأقليات وجذبها خارج النطاق الوطني، ثمّ تشجيعها على الانفصال وهذا هو المقصود بالبتر، لإضعاف العالم العربي وتقنيته.³

¹ القوى الطامحة: هي دولة أو دول تمتلك، أو في طريقها لإمتلاك قوة كافية للسيطرة على نظام إقليمي، ويفترض "هولستي" من خلال تحليله لنظرية الدور، أن الدولة الطامحة لنفوذ إقليمي خاص تمتلك إدراكاً قوياً بنفسها كقيادة إقليمية، أنظر: محمد السعيد ادریس، تحليل النظم الإقليمية، مرجع سابق، ص 58.

² **Israel Strategy In The Middle East**, by the Policy Analysis Unit, Asbar Center for Israel's Strategic Survey, issued by the Institute for National Security Studies, Israel, Summer 2019. Available in Pdf format at the following link: <https://bit.ly/2EZCEsM>

³ أحمد سعيد نوفل، دور (إسرائيل) في تفتيت الوطن العربي، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2007، ص 55.

والطريقة التي اتبعتها صانع القرار الإسرائيلي في التعامل مع الأحداث والتطورات وإدارة ملف الأزمة السورية كانت ضمن استراتيجية إسرائيلية ارتكزت بالأساس على نظريتي الردع والمنع الإسرائيليتين. ولتحقيق ذلك قاربت القيادة الإسرائيلية الملف العسكري والأمني في سورية من خلال مفهوم الحرب بنوعها الاستباقي والوقائي، والتي جاءت في إطار استراتيجية "المعركة بين حريين" الإسرائيلية.

في بادئ الأمر اتجهت الأنظار كلها إلى (إسرائيل) كمسبب للثورات العربية والسورية خصوصاً، لما تكنه من عداً لنظامها. ولعل ما فاقم قلق (إسرائيل) هو أن التحولات الجارية من حولها تحدث في وقت تعاني فيه من مخاطر وجودية ومن مصاعب حقيقية تتمثل بتآكل محيطها الإقليمي. فصعود قوة إقليمية إيرانية من جهة وإمكانية تحكمها في حدودها الشمالية السورية، وإمكانية خسارة مصر إذا ما تماشى التغيير في مصر مع موقف إيران الإستراتيجي، حيث أنه لا يمكن معرفة كيف ستصرف القيادة المصرية الجديدة بعد أن تستقر الأوضاع، سيما أن هناك قلق إسرائيلي من مستقبل العلاقة بين مصر وإيران، خاصة إذا تشكلت حكومة إسلامية في مصر وتحالفت مع إيران، ما يضع (إسرائيل) بين فكي كماشة، ما يفرض عليها معدلات إنفاق عسكرية باهظة وسيكون ذلك على حساب رفاهية شعبها.

لذلك سعت (إسرائيل) وبسياسة سلسة للإلتفاف على الثورات العربية القريبة منها وحاولت إجهاضها بشتى السبل حتى لا تصل إلى نهايتها الحاسمة. وبدافع من إدراك (إسرائيل) لتداعيات تلك الثورات على بيئتها الأمنية والإستراتيجية، قامت بأدوار هدفها محاصرة أي خطر قد ينتج عنها. مع بداية الأزمة في سورية وقبل التدخل الروسي فيها، كانت (إسرائيل) تستبشر بسقوط نظام "بشار الأسد"، لكنها ومن جهة أخرى متخوفة من إحتتمالات تسرب أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية إلى خارج سوريا ووصولها إلى حزب الله.

وعلى ذلك تعدّ الأزمة السورية تطوراً مفصلياً يتوقف عليه مستقبل توازنات القوى الإقليمية والدولية بالمنطقة، سيما أن ما قد يحدث في الداخل السوري من سقوط أو بقاء النظام، وبموقع سوريا الجغرافي المتميز وتحالفاته الإقليمية والدولية سيؤثر حتماً في التوازن الإقليمي.

هناك من يرى ان سقوط الأسد سيكون لصالح (إسرائيل) التي ستحصل على جار شمالي ضعيف تتنازعه مليشيات مسلحة متفرقة لا تستطيع مقاومة أو منع الجيش الإسرائيلي من الدخول إلى دمشق أو الوصول إلى إيران إن أراد ذلك. ورأي آخر يرى ان سقوط النظام السوري هو في مصلحة (إسرائيل) أيضاً لأن في ذلك ضربة للمحور الراديكالي.

بيد ان الباحث لا يتفق مع هذا الرأي وذلك لأن سقوط النظام خطر على (إسرائيل) لأنه قد ينشأ فوضى أمنية وقد تصل إلى الحكم قوى إسلامية وراديكالية شديدة العداً لـ (إسرائيل)، ومن ثمّ سقوط النظام قد

يؤدي إلى فتح جبهة الجولان وانهيار الهدوء الذي سادها أكثر من ثلاثة عقود، وبالتالي يدخل (إسرائيل) في حالة الغموض وعدم اليقين، والتي تجد تعبيراً لها في جملة من الأسئلة، قد تكون أهمها: من سيسيطر على مخزون الصواريخ الكيماوية والأسلحة البيولوجية؟ ومن سيقود الجيش على جبهة الجولان؟ كما أن هناك توقعات أن تستغل إيران حالة الفوضى للعمل عبر الحدود العراقية السورية ومن داخل سوريا أيضاً. ولهذا فإن ما يساعد ويتمشى فعلاً مع الإستراتيجية الإسرائيلية هي بقاء سورية على الوضع الراهن. مع إدامة الصراع فيها حتى الخروج بحلول تتوافق وتتكيف مع واقع ومستقبل المصلحة العليا الإسرائيلية.

هذا في الجانب العملي، أما في الجانب العقائدي والمفاهيمي، فإن التطور الحاصل في الاتجاهات والمسارات في بيئة (إسرائيل) الخارجية والداخلية، في السنوات الماضية، قامت (إسرائيل) بتطوير مفهوم الأمن القومي بما يتوافق مع هذه التطورات؛ فأضافت أربع مكونات جديدة، هي: الوقاية (المنع) والإحباط؛ والعلاقات المميزة مع الولايات المتحدة الأمريكية، والتحالفات الإقليمية؛ والتكيف والملاءمة¹. على الرغم من هذا التطور في مفهوم الأمن القومي، إلا أن (إسرائيل) وجدت صعوبات في تطبيق بعض عناصره في ظلّ التغيرات في البيئة الخارجية والداخلية. على سبيل المثال، فإن تحقيق هدف "الردع" يزداد صعوبة تجاه "اللاعبين من غير الدول"، كحزب الله، وحركة حماس، أو الجماعات المسلحة الأخرى، بسبب صعوبة تحديد مراكز ثقل، من أجل إلحاق الأذى وتهديدهم لفترة طويلة، وصعوبة تقدير نقطة التحول التي يفقد فيها الردع فاعليته، ويصبح من الضروري القيام بعملية عسكرية لترميمه. كما أن تحقيق "الحسم" ضدّ هؤلاء اللاعبين غير ممكن؛ انطلاقاً من إدراك أنه لا يمكن حرمان هؤلاء من إرادتهم وقدرتهم على مواصلة المقاومة ضدّ (إسرائيل).

بناء على ذلك، فإن (إسرائيل) لا يمكنها أن تؤثر في البيئة الاستراتيجية من خلال استخدام وسائل عسكرية فقط. ومن هنا حرصت القيادة الإسرائيلية على التوصل إلى مقاربة متعددة المجالات، مركبة ومتطورة، مبنية على إدارة منظومات تجمع بين أدوات سياسية، وعسكرية، وديبلوماسية، وحرب إعلامية، وأدوات اقتصادية، وقضائية، وحرب إلكترونية (سايبير)، وغيرها من الوسائل².

ومن الجهة العملية العسكرية أيضاً، فقد بدا وكأن المظلة الاستراتيجية التي يوفرها الأمريكيون لـ(إسرائيل) بدأت تضعف. وهو ما زاد لدى صانع القرار الإسرائيلي النزوع نحو الاعتماد على القدرات الإسرائيلية

1 أحمد خليفة (إعداد وتحرير)، استراتيجية الجيش الإسرائيلي في ضوء المتغيرات الإقليمية والتهديدات المستجدة: دراسات لجنرالات وباحثين إسرائيليين كبار، سلسلة قضايا استراتيجية (5)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2018، ص 10-18.
2 المرجع نفسه.

الذاتية، وهو ما تُرجم بشكل واضح من خلال مسار العمليات العسكرية المتصاعد داخل العمق السوري، بالتزامن مع إعطاء اهتمام أكبر للعلاقة والتنسيق مع الجانب الروسي؛ لما لذلك من أثر ودور فاعل في إطار إعادة تشكيل علاقات القوة بين الأطراف داخل الحلبة السورية.

وفي نفس السياق، ولإدارة العلاقة مع اللاعبين في الملف السوري والتكيف مع الوضع القائم، فقد قسمت القيادة الإسرائيلية في السنوات الأخيرة، المنطقة المحيطة بـ"إسرائيل" إلى عدة مجموعات، وفق طبيعة علاقة هذه المجموعات مع الكيان الإسرائيلي: "مجموعات مواجهة" أي الدول والكيانات التي تمثل تهديداً لـ(إسرائيل)، و"مجموعات تعاون" أي دول صديقة ودول يمكن إقامة قدر من التنسيق معها. كما ركزت القيادة الإسرائيلية على الأهمية المتزايدة لاستراتيجية "المعركة بين الحروب" التي تديرها (إسرائيل) ضدّ تعاضم قوة التنظيمات المسلحة كحزب الله، بالإضافة إلى طريقة استخدام القوة العسكرية من خلال الدمج بين مقارنة الحسم في الحرب وبين مقارنة "المنع والتأثير".¹

وفق هذه الرؤية، حاولت (إسرائيل) مع بداية الأزمة السورية، التعامل مع التهديدات والمخاطر الناجمة عن إمكانية السيطرة على الدولة السورية بواسطة قوى المعارضة ذات التوجه الإسلامي، وخصوصاً المنتمية إلى تيار الإخوان المسلمين. ومع تراجع هذا الاحتمال تعزز الوضع الاستراتيجي لـ(إسرائيل)، خصوصاً بعد دخول أطراف المعارضة السورية بكافة أطرافها في حالة صراع فيما بينها من جهة، وحالة صراع مع الجيش السوري والأطراف الداعمة له كالقوات الإيرانية وحزب الله والمليشيات الشيعية المتعددة الجنسيات، من جهة أخرى. هذه الحالة أوجدت وضعاً استراتيجياً مريحاً لـ(إسرائيل)، حيث باتت جميع الأطراف في سورية منغمسة في حالة استنزاف على المستوى البشري والعسكري والاقتصادي، كما حدث تراجع كبير في رصيد التأييد العربي والإسلامي "السني"، الذي راكمه كل من إيران وحزب الله خلال الفترة السابقة بسبب موقفها لمبدئي الصراع مع (إسرائيل) وفي دعم المقاومة الفلسطينية.

ومن منظور المصالح الأمنية الإسرائيلية، قامت تل أبيب بإدارة العلاقات مع الأطراف الفاعلة في الملف السوري، مثل الولايات المتحدة، وروسيا، وتركيا، ودول الخليج العربي، والأردن، من أجل الاستعداد أو تقليل نتائج وارتدادات الأزمة السورية على الأمن القومي لـ(إسرائيل)، ولكي لا تبقى متفرجة بلا تأثير على مجرى الأحداث في سورية. ومع دخول اللاعبين الأمريكي والروسي بشكل فاعل على حلبة الأحداث

¹ باسم جلال القاسم، الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الأزمة السورية 2011-2018، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، سبتمبر 2019، ص 21.

السورية؛ بات لزاماً على "تل أبيب" أن ترفع من مستوى التنسيق مع هذين اللاعبين، خصوصاً مع بداية التدخل الروسي العسكري المباشر سنة 2015.¹ وهنا تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الإسرائيلية مع اللاعبين الدوليين والإقليميين والمحليين ارتكزت على الحدّ من تداعيات الأزمة السورية على الأمن الإسرائيلي، بالإضافة إلى ما يمكن تحقيقه من أهداف استراتيجية على المديين المتوسط والبعيد، مع تخفيض ما يمكن أن تدفعه (إسرائيل) من أثمان عسكرية واقتصادية وسياسية.

أ_ محددات وأهداف الإستراتيجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط بعد 2011

بالرغم من موقع (إسرائيل) القريب من منطقة الصراع في الشرق الأوسط، إلا ان مصالحه وأهدافه فيها منذ عام 2011 وما بعده، تختلف كثيراً عن مصالح الدول العربية الأخرى هناك وكذلك الغربية، ففي الوقت الذي تركز الولايات المتحدة وأوروبا بالأساس على التأثير الإقليمي للمتطرفين السنة مثل داعش والقاعدة وزعزعتهم استقرار المنطقة، واحتمالية ان تعرض هاتين المجموعتين الإرهابيتين بهجمات على الأراضي الأمريكية أو الأوروبية، ينصب تركيز (إسرائيل) في المقام الأول على التأثير الذي تمارسه إيران على مناطق قريبة من الحدود الإسرائيلية.

_ دوافع وأهداف الإستراتيجية الإسرائيلية في سورية

كانت الإستراتيجية الإسرائيلية تركز سابقاً على الأخطار المتوقعة من عمليات عسكرية سورية برية لإستعادة المناطق التي تحتلها (إسرائيل) في هضبة الجولان، إلا انها وبعد عام 2011، فقد أعادت (إسرائيل) تقييم مفهومها للخطر الأمني الذي يمكن أن تشكله الجبهة السورية بعد اندلاع الإحتجاجات الشعبية فيها، ولذلك أصبحت استراتيجيتها عرضة للتغيير لإستيعاب التطورات والتغييرات التي طالت

¹ المرجع السابق، ص 22.

² تعمل (إسرائيل) لتنفيذ غاياتها وأهدافها القومية في المنطقة من خلال إستراتيجية ذات مستويين، مستوى أعلى نطلق عليه (الخطة الكبرى)، ومستوى أدنى يعالج مت نطلق عليه (مشاكل الأمن الجاري). وترسم الخطة الكبرى إستراتيجية تنفيذ الغايات العليا بعيدة المدى، والتي تسعى (إسرائيل) لتحقيقها طبقاً لمراحل زمنية خمسية وعشرية مخططة، أما إستراتيجية معالجة (مشاكل الأمن الجاري)، والتي تجري حالياً فهي ترسم أسلوب التعامل لتأمين دولة (إسرائيل) في كيانها الحالي، وما تحتله من أراضي عربية، ومواجهة مشاكلها الأمنية الآتية. وفي المقابل، فإن إستراتيجية الردع تسعى لإجبار خصوم (إسرائيل) على الكف عن العمل (بخطتهم الكبرى) التي تستهدف القضاء على (إسرائيل) وإستعادة كل فلسطين، وإجبارهم على إتباع سياسات وإستراتيجيات متواضعة وأقل طموحاً في تعاملهم مع (إسرائيل)، وذلك لأن تخلي خصومها عن العمل (بخطتهم الكبرى) لفترة زمنية طويلة سيؤدي تلقائياً إلى إسقاطها من حساباتهم نهائياً، وهو ما نجحت (إسرائيل) في تحقيقه فعلياً، ولا تعدم السياسة الإسرائيلية وسائل ضغط وخداع عديدة لإجبار العرب على ذلك، بدءاً بالتلويح بالردع العسكري والعمل به عند اللزوم، وانتهاء بالضغط الامريكى السياسية والاقتصادية، مروراً بتصدير الإضطرابات والمتاعب إلى الجبهات الداخلية في الدول العربية لا سيما من خلال عملاتها. للتفصيل أكثر انظر: حسام سويلم، الأهداف القومية الإسرائيلية وإستراتيجيات تنفيذها، مركز الجزيرة للدراسات، 2004، ص4.

الميدان السوري، إيران والمليشيات الموالية وخاصة حزب الله، استقرت داخل الأراضي السورية وقريباً من حدودها، لهذا فقد أصبح الخطر في هذه المرحلة يتعلق أكثر من أي وقت مضى بإحباط انتشار إيران والمليشيات التي تدعمها في سوريا والحد من القدرات الصاروخية المصممة لضرب العمق الإسرائيلي، كما أن هناك التدخل الروسي وهي دولة كبرى- الذي جاء لحسابات إقليمية ودولية خاصة. ويمكن رصد هذه التحولات من خلال عناوين ثلاثة تركز عليها اهداف ومحددات الإستراتيجية الإسرائيلية وما طرأ عليها من تحولات أو تعديلات من جراء تبعات الأزمة السورية:

1_ إحباط نفوذ إيران وحلفائها: بناء على تجربة عام 1973، بدأت تتشكل استراتيجية إسرائيلية تقوم على إحباط الخطر قبل تشكله، وذلك عن طريق تحقيق سياسة الردع الإستباقية وإحباط أي عمل عسكري يمكن أن تعتبره (إسرائيل) معادياً لها.¹ وعلى هذا الأساس فسّرت (إسرائيل) التدخل الإيراني في سورية يهدف في المدى البعيد إلى إنشاء موطئ قدم لطهران في سوريا من أجل تهديد دولة (إسرائيل)، وليس مساعدة ودعم الرئيس السوري "بشار الأسد"، كما أوضح الجنرال الإسرائيلي "تامير هايمان"، في جوان 2018.² لذلك، يتمثل هدف (إسرائيل) في الوقت الحالي في منع تحول حدودها الشمالية الشرقية إلى جبهة نفوذ إيرانية كما هي الحال مع الجبهة الشمالية على الحدود اللبنانية والتي يسيطر عليها حزب الله. تخشى (إسرائيل) من أن تستغل إيران وحزب الله عدم استقرار النظام السوري وضعفه كي يحولا الأراضي السورية إلى جبهة جديدة ومنصة لإطلاق الصواريخ كما هي الحال في جنوب لبنان. وبشكل محدد، تتخوف (إسرائيل)، كما حذرّ الجنرال الإسرائيلي، "تامير هايمان"، رئيس الاستخبارات العسكرية، في 15 جوان 2018، من دعم إيران لخلايا عسكرية يمكنها سواء الدخول إلى (إسرائيل) أو محاولة مهاجمة مناطق مختلفة في هضبة الجولان.³

2_ الإستفادة من التدخل الروسي : تغيرت قواعد الإشتباك الإسرائيلية في سوريا مع بدء تدخل سلاح الجو الروسي ضد المعارضة المسلّحة في سبتمبر 2015. على العكس من التواجد الإيراني، لا تعتبر "تل أبيب" التواجد الروسي عائقاً إستراتيجياً يحدّ من طموحاتها في المنطقة. بل على العكس، تعتبره عاملاً مساعداً في إعادة الاستقرار وضمان أمنها. خاصة على حدودها الشمالية الشرقية، ففي أبريل 2018، اعتبر وزير الدفاع الإسرائيلي "أفيغدور لبيرمان" أن "إيران هي المشكلة وليست روسيا"، وعلّل ذلك بأن

¹السهي نيبيل، "42 عاماً على احتلال الجولان"، الجزيرة نت، 29 جوان 2009، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3i62hqq>

²آري غروس، جوداه، "جنرال إسرائيلي يحذر من أن إيران تقيم قواعد عسكرية في سوريا"، تايمز أوف (إسرائيل)، 15 جوان

2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>

³آري غروس، المرجع السابق.

"الأنظمة الدفاعية الجوية الروسية موجودة في سوريا ولم تستخدم ضدّ (إسرائيل)".¹ وبرز مؤخراً أهمية التعاون الإسرائيلي-الروسي، فبعدما إستعادت قوات النظام السيطرة على منطقة الحدود السورية-الأردنية-الإسرائيلية، في يوليو/جوان 2018، رافق ضباط روس قوات الفصل الدولية التابعة للأمم المتحدة في أوت 2018، من أجل إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عام 2011، الامر الذي أسهم في إعادة فتح معبر القنيطرة بين (إسرائيل) وسوريا، في 15 أكتوبر 2018، والذي كان قد أُغلق بعد سيطرة المعارضة على المنطقة قبل أربع سنوات. علاوة على ذلك، أعلنت روسيا أنها بصدد إنشاء 8 نقاط مراقبة عسكرية في منطقة الجولان بهدف مساعدة قوات الأمم المتحدة المنتشرة بين البلدين في تنفيذ مهامها ولمنع وقوع أعمال "استفزازية" قد تستهدف قوات الأمم المتحدة. وساعدت القوات الروسية أيضاً في إبعاد القوات الإيرانية والجماعات المسلحة المتحالفة معها مسافة 85 كيلومتراً، في أوت 2018، عن الحدود السورية الإسرائيلية.² بناء على ذلك، بدأت (إسرائيل) تتفهم بشكل أكبر مصالح روسيا في المنطقة، وعلى العكس من الدوافع الأيديولوجية للتدخل الإيراني، جاء تدخل روسيا لحماية مصالحها الجيوسياسية ليس فقط في سوريا بل في منطقة البحر الأبيض المتوسط.³

3_ نزع الشرعية عن المطالب السورية بمرتفعات الجولان: هدف (إسرائيل) هذا لا يتطلب منها سوى اتخاذ قدر بسيط يكاد معدوماً من الإجراءات، وهو تفويض شرعية مطالب سوريا بسيادتها على الجزء الإسرائيلي من مرتفعات الجولان. وفي ضوء الأزمة المستعرة في سوريا مع اعتماد "الأسد" المتزايد على "طهران" ليتمكن من البقاء على الساحة السياسية، أصبح من المستحيل (لإسرائيل) إبرام معاهدة سلام مع سوريا. وبحسب "فريدريك سي هوف" Hof. C Frederic "المنسق الخاص للشؤون الإقليمية بمكتب المبعوث الخاص للشرق الأوسط بوزارة الخارجية، كانت مثل هذه المعاهدة ممكنة الإبرام بشق الأنفس في عام 2011. في ذلك الوقت، كانت الإحتجاجات الشعبية التي أجمعتها الثورات العربية في جميع أنحاء المنطقة بمثابة أول تحدي كبير لنظام الأسد".⁴

إذا كان "الأسد" قد تمكن من استعادة مرتفعات الجولان من (إسرائيل) - بموجب اتفاق كان سيتطلب ضمانات أمنية من سوريا على طول الحدود وتعهدات بالحد من النفوذ الإيراني ووجود حزب الله - كان الأسد ليستطيع تعزيز موقفه في وجه المطالبات بتحقيق المزيد من الديمقراطية. إلا أن الحملة التي شنتها

¹"ليبرمان يحذر سوريا من منظومة إس 300"، الجزيرة نت، 24 أوت 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bt0IWe>

²"روسيا تبعد إيران عن مرتفعات الجولان السورية"، 3 أوت 2018، BBC NEWS، على : <https://bbc.in/3jM8DeQ>

³نيومان، ماريسا، غلانت، يواف، "روسيا المتحالفة مع إيران ليست ضدنا، وهذا أمر مذهل"، تايمز أوف (إسرائيل)، 12 فيفري

2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>

⁴لاري هاناور، مصالح (إسرائيل) وخياراتها في سوريا، (منظور تحليلي)، راند (RAND)، ص 9.

الحكومة ضد الإحتجاجات - والتي أدت بمجموعات المعارضة إلى التنظيم والتسلح والتمرد - أشعلت فتيل الحرب الأهلية وكتبت نهاية المفاوضات المتعلقة بالجولان. وبعد أن أجبرت الهزائم العسكرية الأسد على سحب 20.000 من قواته من الجولان للدفاع عن دمشق عام 2013 ليترك فراغاً آمناً ملأته الأطراف المتناحرة من ميليشيات سنية ومقاتلين شيعة مدعومين من إيران، خسر الأسد قدرته على تقديم تعهدات جديرة بالثقة (لإسرائيل) بتأمين الحدود. علاوة على ذلك، حال اعتماد "الأسد" على المقاتلين الإيرانيين ومقاتلي حزب الله دون تمكنه من طرد إيران من البلد، كما كانت إسرائيل ستطلب بموجب المعاهدة.¹

فعدم قدرة النظام السوري على فرض سيطرته على أراضيه يعني عدم وجود حكومة فاعلة في دمشق يمكن أن تتنازل لها (إسرائيل) عن أرض الجولان التي استولت عليها عام 1967. ويشجع مسؤولون من جميع الأطياف السياسية الإسرائيلية - من الأجنحة اليمينية ذات الدوافع القومية وحتى اليساريين اللذين يدركون أن (إسرائيل) لا يمكنها إعادة الجولان في ظل المناخ السائد حالياً - على اتخاذ خطوات كفيلة بتوسيع رقعة وجود (إسرائيل) في الجولان من خلال بناء المزيد من المساكن والترويج للسياحة والاستثمار في البنى التحتية والصناعات. وعليه، فقد ساهم استمرار الصراع السوري في تقويض مطالبات سوريا بالجولان وفي تعزيز قبضة إسرائيل عليها.²

علاوة على ذلك، تطمح (إسرائيل) إلى أن يساعدها المشهد السوري على تحقيق أهدافها الاستراتيجية على المدى المتوسط والبعيد، مثل تعزيز تحالفها مع الدول العربية السنية المناهضة لإيران. بالإضافة إلى الهدف الإسرائيلي بمنع نقل أي نوع من السلاح خارج الحدود السورية إلى جهات معادية لـ(إسرائيل)، خصوصاً الأسلحة التي لها مميزات نوعية، وقد تؤثر على الميزان الاستراتيجي والتفوق النوعي لـ(إسرائيل) في المنطقة عموماً، وفي مواجهة مستقبلية مع حزب الله خصوصاً.

ثالثاً: آليات توظيف القوة الإسرائيلية لتفعيل إستراتيجيتها بمنطقة الشرق الأوسط بعد 2011

اعتمدت الإستراتيجية الإسرائيلية في التعامل مع أزمات منطقة الشرق الأوسط وفقاً للمعطيات القائمة، على مسارين متداخلين وذلك من خلال الضغط السياسي والعمل العسكري. فالمنظومة السياسية والأمنية الإسرائيلية³ تابعت بشكل كبير أحداث الأزمة السورية منذ بدايتها، وسارعت لرصد تطوراتها ووضع

¹ لاري هاناور، المرجع السابق، ص 8.

² المرجع السابق، ص 8.

³ تعالج (إسرائيل) مشكلات أمنها الجاري من خلال إستراتيجية تطلق عليها (اللاءات العشر) تنقيد بتنفيذها كل من السياسة الخارجية والسياسة الدفاعية للدولة، وتعكس الثوابت الأمنية لإسرائيل وتتمثل في الآتي:

1. لا للانسحاب الكامل إلى حدود 1967.

2. لا لتقسيم القدس.

استراتيجية ترجمتها من خلال أنشطة وعمليات عسكرية في عمق الأراضي السورية، من أجل الحدّ من تأثيرات وارتدادات هذه الأزمة على واقع الكيان ومستقبله. والطريقة التي اتبعها صانع القرار الإسرائيلي في التعامل مع هذه الأحداث والتطورات وإدارة هذا الملف ضمن استراتيجية إسرائيلية ارتكزت بالأساس على نظريتي الردع والمنع الإسرائيليتين. ولتحقيق ذلك قاربت القيادة الإسرائيلية الملف العسكري والأمني في سورية من خلال مفهوم الحرب بنوعها الاستباقي والوقائي. والتي جاءت في إطار استراتيجية "المعركة بين حربين" الإسرائيلية.

فالمؤسسة الأمنية الإسرائيلية تمسكت باستراتيجية "المعركة بين الحربين" كوضعية ممكن التكيّف معها في ظلّ مخاطر البيئة الاستراتيجية المتغيرة منذ اندلاع الأزمات في العالم العربي. ويأتي ذلك في ظلّ استمرار القلق من التواجد الإيراني في سورية وإمكانية حصول حزب الله على أنظمة صواريخ دقيقة، والتي تسهم في كسر التوازن. وتلحظ الدراسة تغييراً في الخطاب الاستراتيجي للقيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية، يُعاد فيه تعريف طبيعة التحديات المتعددة الاتجاهات، خصوصاً على الجبهة الشمالية لـ (إسرائيل)، إذ أصبح هناك مزج بين الجبهتين السورية واللبنانية واعتبارهما مسرحاً واحداً للعمليات، مما يفرض منطقاً عسكرياً جديداً، ويُحتّم قراءة جديدة لقواعد الاشتباك التي رُسمت بشكل منفصل فيما يخص لبنان وسورية¹.

1: التوظيف السياسي والدبلوماسي لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط

منذ تدخل إيران، عملت (إسرائيل) على ممارسة ضغوطات سياسية متنوعة من أجل وقف التمدد الإيراني ليس فقط في سوريا بل في المنطقة، حيث أعلنت (إسرائيل) مراراً وتكراراً عن رفضها أي وجود إيراني في المنطقة، وتشاركت هذا الهدف مع مجموعة من الفاعلين الإقليميين والدوليين. أمّا إقليمياً، فقد عملت (إسرائيل) على زيادة التقارب مع المنافسين الرئيسيين في المنطقة للنفوذ الإيراني: وهما المملكة العربية

3. لا لسيادة عربية كاملة على جبل الهيكل (المسجد الأقصى).
 4. لا لدولة فلسطينية ذات استقلال كامل.
 5. لا لإيقاف عمليات الاستيطان أو تفكيك المستوطنات.
 6. لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين.
 7. لا لتحالف إستراتيجي عربي يضم بعض أو كل دول المواجهة والعمق العربي.
 8. لا لامتلاك أي دولة عربية برنامج نووي.
 9. لا لأي خلل في الميزان العسكري القائم حالياً بين العرب و(إسرائيل).
 10. لا لحرمان (إسرائيل) من مطالبها المائبة في الأنهار العربية. ينظر في: حسام سويلم، مرجع سبق ذكره.
- ¹فادي نحاس، "التحديات الأمنية والعسكرية (إسرائيل): أكثر وضوحاً وتحديداً وأقل مرونة"، تقرير "مدار" الإستراتيجي 2019: المشهد الإسرائيلي 2018، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2019/4/23، انظر: <https://bit.ly/2QVDNUz>

السعودية والإمارات العربية المتحدة. ودولياً، شجعت (إسرائيل) الولايات المتحدة على زيادة انخراطها العسكري في المنطقة لمنع تراكم قوة إيران. ومع تراجع قوات المعارضة المطّرد، تقدر الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية أن انتصار الأسد في الحرب السورية بات من المؤكد، لكنهم لا يتوقعون مغادرة الإيرانيين أو حزب الله المنطقة. وزاد من حالة الشك الإسرائيلية استعادة قوات النظام السيطرة على مدينة درعا، جنوب سوريا في جوان 2018، والذي يعني استعادة النظام كامل السيطرة على جنوب سوريا، التي تحظى باهتمام القوى الدولية المتصارعة في سوريا. فهذه المنطقة تقع بالقرب من الحدود الإسرائيلية والأردنية وتنتشر فيها قوات حرس الحدود الأردنية والقوات الإسرائيلية المنتشرة في هضبة الجولان، وينتشر فيها نفوذ عسكري متنوع يشمل قوات النظام السوري والمليشيات الداعمة له، وقوات التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية المتواجدة في قاعدة "التف" العسكرية. وظهرت مؤخراً بعض التقارير الصحفية التي تشير إلى محاولات أذرع حزب الله التمدد في هذه المنطقة وتعزيز شبكاته العسكرية.¹

التعاون مع روسيا: كانت (إسرائيل) تحظى بحرية التصرف فيما يخصّ سوريا، قبل التدخل الروسي الجوي المباشر في نهاية سبتمبر 2015، لكن بعد هذا التدخل، وبعد اتّجاه الأمور نحو تولي روسيا مسار حلّ الأزمة السورية، وجدت (إسرائيل) ضرورةً في بدء تنسيق دبلوماسي وعسكري وطيد مع روسيا، من أجل تجنّب وقوع أيّ اشتباك غير مقصود بين قوّاتها والقوّة العسكرية الروسية التي تعمل في سوريا. وقد بدأ التنسيق بزيارة وفدٍ عسكري روسي بقيادة النائب الأول لرئيس هيئة الأركان العامة في القوّات المسلّحة الروسية، "نيكولاي بوغدنوفسكي"، "تلّ أبيب"، في 6 أكتوبر 2015.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الطرف الروسي قد نسّق مع (إسرائيل) قبل بدء تدخّله المباشر في سوريا، فقد زار رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" برفقة رئيس هيئة الأركان "غادي أيزنكوت"، موسكو، وذلك في 21 سبتمبر 2015، أي قبل بدء التدخّل الروسي المباشر بتسعة أيام، إذ أسّس جهاز ميداني مشترك بين الجانبين، مهمّته عدم وقوع عمليات احتكاك بينهما، يقي الجنود الروس من أيّ استهداف إسرائيلي، ويشمل إعلام روسيا بالهجمات المراد تنفيذها. وقد أُطلق على هذا التنسيق آلية منع التصادم، إذ يشمل التنسيق "الكهرومغناطيسي" موافقة كلّ طرف على عدم اعتراض الاتّصالات اللاسلكية أو أنظمة التتبّع بالرادارات الخاصّة بالطرف الآخر. وقد أفترت روسيا بحقّ (إسرائيل) في استهداف المخاطر التي تقع ضمن خطوطها الحمراء المعلنة.²

¹ سليمان منى، تأثيرات استعادة "درعا" في توازن القوى الإقليمي بسوريا، السياسة الدولية، 2018/07/25، متوفر على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3ISLE3w>

² جلال سلمي، السياسة الإسرائيلية تجاه سوريا بعد عام 2011، منتدى السياسات العامة، 19 أكتوبر 2019، ص 5-6.

التحرُّك الإنساني:

في إطار سعيها إلى مواصلة الاستفادة من حالة البطش الذي يلقاه الشعب السوري على يد النظام الحاكم، بصفتها دعايةً سياسية تُلمّع صورتها الإنسانية أمام العالم، مالت (إسرائيل) إلى تقديم الدعم الإنساني المحدود، الذي شمل عددًا من الثرى السورية القريبة من حدودها.

وانطلاقًا من سعيها إلى إقناع المواطن العربي على وجه الخصوص بإنسانيتها، مقارنةً بأنظمة المنطقة وعلى رأسها إيران، مع تصوير ذاتها على أنها حليف للعرب وليست عدوًا، نشرت (إسرائيل) عبر حساب الناطق باسم جيشها باللغة العربية "أفيخاي أدري"، تحت مسمى "حُسن الجوار"، أنّ المساعدات الإسرائيلية تصل إلى 80 قريةً في الجنوب السوري، بما يشمل 200 ألف مواطن سوري، مشيرًا إلى أنّ (إسرائيل) قدّمت خدمة الطبابة لـ 3000 جريح سوري في مستشفياتها، مع العمل على إنشاء مراكز صحيّة في القنيطرة. ولعلّ نشر "أدري" عددًا من الصور للجرحى السوريين، واستقباله لمعارضين سوريين زاروا هؤلاء الجرحى في المستشفيات الإسرائيلية، خير دليل على سعيها إلى الاستفادة من الحالة في صنع دعاية سياسية. وكان برنامج "حُسن الجوار"، الذي كُشف عنه للمرة الأولى في بيان أصدره جيش الاحتلال في 19 جويلية 2017، قد بدأ العمل عليه بصورة سرّية منذ فيفري 2014، واستمرّ حتى جوان 2016، إذ أسّست مديرية "حُسن الجوار" على نحوٍ تابع لقيادة الجبهة الشمالية في جيش الاحتلال.

ويُعرّف جيش الاحتلال مشروع "حُسن الجوار" على أنه برنامج يهدف إلى خلق علاقات طيبة مع السوريين القاطنين على الحدود لدواعٍ أمنية، وتشكيل بيئة غير عدائية (لإسرائيل)، عن طريق تقديم مساعدات إغاثية وعلاج للجرحى، ووفقًا لما جاء على الموقع الرسمي لجيش الاحتلال¹.

أيضًا، تجدر الإشارة إلى أنّ (إسرائيل) قد قدّمت هذه الخدمات كوسيلةٍ تسعى بها إلى تأسيس حاجز عسكري ومدني لتقدّم الميليشيات الإيرانية نحوها. ويدلُّ على ذلك محدودية هذه الخدمات وإيقافها بالكامل، مع رفضها لاستقبال لاجئين سوريين أرادوا الانتقال إلى داخل أراضيها، وتخليها عن تقديم أيّ دعم عسكري للفصائل التي قدّمت لها الدعم، عقب إجرائها اتفاقًا مع موسكو يتضمنّ عدم اقتراب الميليشيات الإيرانية من حدودها².

2_فاعلية توظيف القوة العسكرية الإسرائيلية في سورية والشرق الأوسط

ليس التدخّل الإسرائيلي في سوريا أمرًا مستجدًا أو فريدًا من نوعه، إذ إنّ الدولة العدو تتدخّل في كل صراع داخلي وكل حرب أهلية في الوطن العربي وخارجه منذ إنشاء الكيان العام 1948. لقد تدخّلت

¹المرجع السابق، ص 12.²المرجع السابق، ص 12.

(إسرائيل) في صراع اليمن وفي مجازر أيلول الأسود في الأردن، وفي حرب ظفار والحرب الأهلية في السودان وفي الصحراء الغربية بين الجزائر والمغرب، وفي الحروب الأهلية في لبنان وفي تحرك الأكراد شمال العراق وفي ليبيا ومصر قبل الثورة وبعدها. ولا شك بأن الحرب في سوريا تشكل هماً إسرائيلياً، وقد لا تقل نتائجها خطراً عليها من حرب أكتوبر 1973. فسقوط النظام هناك قد يغير الخريطة الجيوستراتيجية برمتها في المنطقة، وربما يهدد توازن القوى القائم منذ فك الارتباط الذي وقّعه الرئيس الراحل "حافظ الأسد" و(إسرائيل) برعاية "هنري كيسنجر" عام 1974. فسوريا هي الدولة الكبرى الثانية على حدود (إسرائيل) بعد مصر، وعلى الرغم من هدوء جبهة الجولان فإن (إسرائيل) تخشى من المجهول المقبل في سوريا، وبالتالي فهي من أكثر الأطراف رصدًا لما يجري كل يوم على جبهات الحرب هناك.¹ وتُرجم التحرك العسكري الإسرائيلي تجاه الأزمة السورية في الخطوات التالية:

1. استراتيجية ضبط السيطرة والردع

اعتمدت (إسرائيل) هذه الاستراتيجية مع بداية تصاعد الأعمال العسكرية في سورية مطلع 2011م، فتعمدت عدم الانخراط المباشر والاكتفاء بردع كل المخاطر الأمنية عن كامل خطوط التماس في جبهة الجولان، مع تشديدها منع تمركز الجماعات المسلحة بكافة تصنيفاتها في بعض القرى والبلدات والتي قد تشكل مبعث قلق على أمنها القومي، فبدأت أولى ضرباتها في 30 جانفي 2013 على بعض المواقع العسكرية داخل سورية وارتفعت الوتيرة أكثر مع انتشار مليشيات تابعين لحزب الله وإيران داخل سورية، فكانت الضربات العسكرية الإسرائيلية في الفترة ما بين 2015 و2016 بمثابة توجيه ضربات وقائية شملت شحنات أسلحة متطورة ومراكز تدريب، كذلك نجحت (إسرائيل) من خلال هذه الاستراتيجية تحقيق هدفين مهمين، الأول تمثل في تدمير ترسانة كيماوي النظام بهدف منع انتقال مكوناتها والتكنولوجيا الخاصة بها إلى أيادي حزب الله والتنظيمات الراديكالية (تنظيم الدولية داعش - جبهة النصرة) وكان موقع جمرايا الواقع قرب الحدود اللبنانية الذي يضم مركز البحوث العلمية والمتخصص في إنتاج الأسلحة الكيماوية، محل اهتمام تل أبيب و استهدفته أكثر من مرة في الفترة ما بين 2013 - 2018.²

2. التدخل المباشر:

يتخذ التدخل العسكري الإسرائيلي المباشر في سوريا، الغارات الجوية كأداة تنفيذية شبه وحيدة بجانب الرمايات المدفعية في المناطق الحدودية، والقصف بصواريخ أرض/أرض لبعض الأهداف الأخرى،

¹ احسان مرتضى، الدور الإسرائيلي في الأزمة السورية، مجلة الجيش اللبناني (قضايا إقليمية)، العدد 337، تموز 2013، على

الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3ILxNfr>

²يمان دابقي، التحولات الإستراتيجية (إسرائيل) في سوريا: الضربات العسكرية نموذجاً، مركز برق للاستشارات والدراسات المستقبلية

(تحليل سياسات)، 19 فيفري 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/32YHVsz>

ويستهدف هذا التدخل كبح وتقليص اي تهديدات ناتجة عن متغيرات الوضع السوري، ويتمسك بأهداف عسكرية وعملياتية تلبي هذه الأهداف¹.

الردع الإسرائيلي للوجود الإيراني في سوريا:

ومن الناحية العسكرية كذلك، لا تقتصر التخوفات الإسرائيلية على منطقة الحدود فقط، بل تتعداها لتشمل العمق السوري. فلو ابتعدت القوات الإيرانية والمليشيات التابعة لها عن الحدود، فإن (إسرائيل) تخشى من نصب إيران "أنظمة صواريخ في "حمص" و"حماة" أو في "دير الزور" حيث هي قادرة على ضرب الأراضي الإسرائيلية، كما صرّح وزير الدفاع الإسرائيلي "أفيغدور لبيرمان" جوان 2018.² ضمن هذا السياق، يمكن فهم الضربات العسكرية الإسرائيلية المتتالية على أنها تهدف إلى "إيقاف شحنات الأسلحة الإيرانية إلى حزب الله" ومنع إيران من أي تخزين محتمل لأنظمة أسلحة متطورة أو بناء مصانع سواء لإنتاج الأسلحة أو إعادة تجميعها في العمق السوري. هذا، وكان الجيش الإسرائيلي أعلن، في 4 سبتمبر 2018، أنه نفذ أكثر من 200 غارة في سوريا منذ عام 2017 مستخدماً 800 قنبلة وصاروخ.³ تمثلت أبرز هذه الهجمات، في 10 فيفري 2018، عندما شنت (إسرائيل) هجوماً صاروخياً على مطار "تيفور" الواقع في وسط سوريا والذي يُعد من أكبر المطارات العسكرية في البلاد، ويُعتقد على نطاق واسع أن الغارة قتلت عدداً من الخبراء والمستشارين الإيرانيين. جاءت الغارة بعد أن دخلت طائرة بلا طيار انطلقت من مطار "تيفور" إلى هضبة الجولان فتصدت لها الطائرات الإسرائيلية وأسقطتها. وخلال الغارة على المطار تصدت الدفاعات الجوية السورية للطائرات الإسرائيلية ونجحت في إسقاط واحدة فوق مرتفعات الجولان، وشكّل ذلك أول خسارة لطائرة مقاتلة إسرائيلية أثناء عمليات قتالية منذ 35 عاماً.⁴ وفي 10 ماي 2018، أعلنت (إسرائيل) إنها ضربت "معظم البنى التحتية العسكرية لإيران" في أكبر هجوم لها على سوريا منذ عقود.⁵

¹جلال سلمي، مرجع سبق ذكره، ص 8.

²جوداه آري غروس، "جنرال إسرائيلي يحذر من أن إيران تقيم قواعد عسكرية في سوريا"، على: <https://bit.ly/2DxTSNp>

³ جوداه آري غروس، "الجيش الإسرائيلي يعلن أنه نفذ أكثر من 200 غارة في سوريا منذ عام 2017"، تايمز أوف (إسرائيل)، 4 سبتمبر 2018، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>

⁴جوداه آري غروس، "روسيا تحذر من عواقب كارثية في حال دمرت (إسرائيل) نظام "إس-300" الروسي في سوريا"، تايمز أوف (إسرائيل)، 23 أبريل 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>

⁵"(إسرائيل) تشن هجمات داخل سوريا رداً على قصف إيراني"، BBC، 10 ماي 2018، على الرابط: <https://bbc.in/2Z9MtLK>

فأحد الأسباب الأساسية لاندفاع (إسرائيل) نحو استهداف عدد من المناطق في سوريا، هو الترسانة العسكرية، لا سيما تلك المتعلقة بالأسلحة الكيميائية، التي تحاول إيران إنتاجها وتطويرها بالتعاون مع النظام السوري، وبالأخص في منطقة مصياف (حماة) التي تحتضن معامل إنتاج الأسلحة الكيميائية. ولقد تعددت الضربات الإسرائيلية في سوريا، حتى تضاربات التوقعات حول عددها بالضبط. غير أنه يمكن رصد أبرزها بجدولٍ زمني على النحو التالي:¹

تاريخ الإستهداف	طبيعته	هدفه
30 جانفي/يناير 2013	صواريخ أرض-جو	استهداف مجمع عسكري قرب دمشق. مشتبه بأنه يحوي مواد كيميائية.
4 و5 ماي/مايو 2013	استهداف جوي	استهداف مركز البحوث العلمية ومستودع للذخيرة وبطارية للدفاع الجوي في جمرايا قرب دمشق.
14 جويلية/يوليو 2013	صاروخ بحري	استهداف شحنة من 50 صاروخ "ياخونت" المضاد للسفن في اللاذقية.
7ديسمبر/كانون الاول 2014	غارة جوية	استهداف مواقع عسكرية في الدير وديمارس وبالقرب من مطار دمشق الدولي.
18جانفي/كانون الثاني 2015	غارة جوية	استهداف مجموعة من حزب الله والجنرال "محمد علي دادي" من الحرس الثوري الإيراني بالقرب من الجولان
29جويلية/يوليو 2015	غارة جوية	استهداف مجموعة من حزب الله وقوات النظام السوري في مدينة القنيطرة.
21أوت/أغسطس 2015	غارة جوية	ادعاء (إسرائيل) استهداف مجموعات عسكرية، في حين كانت الحصيلة مقتل 5 مدنيين بالقرب من حدود هضبة الجولان.
19ديسمبر/كانون الأول 2015	غارة جوية	استهداف "سمير القنطار" العضو القيادي في حزب الله. بغارة قرب دمشق.
13سبتمبر/أيلول 2016	غارات جوية	استهداف مواقع سورية تابعة للنظام السوري بالقرب من الجولان.
7ديسمبر/كانون الأول 2016	صواريخ أرض-أرض	استهداف مطار المزة العسكري-مقر الإستخبارات الجوية السورية- في ضواحي دمشق.
13جانفي/يناير 2017	غارة جوية	استهداف مطار المزة العسكري.
17مارس/آذار 2017	غارة جوية	استهداف قافلة أسلحة منطوية في تدمر، كانت في طريقها إلى حزب الله، بحسب الإدعاء الإسرائيلي.
27أفريل/أبريل 2017	غارة جوية	استهداف مستودع أسلحة تابعة لحزب الله بالقرب من مطار

¹جلال سلمي، مرجع سابق، ص 10.

دمشق الدولي.		
استهداف مستودع سلاح لحزب الله بالقرب من مطار دمشق الدولي.	غارة جوية	22 سبتمبر 2017/أيلول 2017
استهداف مستودعات أسلحة تابعة لقوات النظام السوري.	غارات جوية	8 و9 جانفي/يناير 2018
استهداف مواقع إيرانية وأخرى تابعة للنظام السوري، بعد سقوط طائرة F16 إسرائيلية.	غارة جوية	10 فيفري/فبراير 2018
استهداف قاعدة "تيفور" العسكرية في محافظة حمص، وكانت الحصيلة 14 قتيلاً بينهم مقاتلون إيرانيون.	غارة جوية	9 أبريل/أبريل 2018
استهداف مطار عسكري في حلب، واللواء 47 في حماة، وكانت الحصيلة 26 قتيلاً أغلبهم إيرانيون.	غارات جوية	29 أبريل/أبريل 2018
استهداف مستودع أسلحة تابع للقوات الإيرانية في منطقة الكسوة، وكانت الحصيلة 15 قتيلاً، 8 منهم إيرانيون.	غارة جوية	8 ماي/مايو 2018
استهداف عدد من الأهداف العسكرية رداً على إطلاق قذائف صاروخية من قبل ميليشيات إيرانية	غارة جوية	9 و10 ماي/مايو 2018
استهدفت مواقع عسكرية، ومعامل تطوير أسلحة كيميائية في حماة وطرطوس	غارات جوية	14 سبتمبر/أيلول 2018
استهداف موقع تابع لإيران بالقرب من مطار دمشق الدولي.	غارة جوية	16 سبتمبر/أيلول 2018
استهداف موقع تابع لإيران في اللاذقية	غارة جوية	18 سبتمبر/أيلول 2018
استهدفت مخازن أسلحة إيرانية قرب مطار دمشق الدولي.	غارات جوية	11 جانفي/يناير 2019
استهدفت مخازن أسلحة وموقعا في مطار دمشق الدولي للاستخبارات الإيرانية ومعسكر إيراني للتدريب.	صاروخ أرض/أرض	21 جانفي/يناير 2019
استهدفت مستودعات أسلحة تابعة لإيران وحزب الله في منطقة الكسوة قرب دمشق.	غارة جوية	17 ماي/مايو 2019
استهدفت مواقع قرب دمشق وفي محافظة القنيطرة	غارة جوية	2 جوان/يونيو 2019
استهدفت قاعدة جوية في محافظة حمص، قُتل 15 مقاتلاً موالياً للنظام السوري.	صواريخ أرض/أرض	3 جوان/يونيو 2019
استهدفت مواقع قرب دمشق ومحافظة حمص، قتل 15 شخص من بينهم مدنيين.	غارات جوية	30 جوان/يونيو 2019
استهدفت محافظتي درعا والقنيطرة، قتل 9 مقاتلين موالين للنظام من بينهم 6 إيرانيين.	غارات جوية	24 جويلية/يوليو 2019
استهدفت جنوب شرق دمشق لمنع هجوم إيراني على (إسرائيل)	غارة جوية	25 أوت/أغسطس 2019

بطائرات مسيرة، وقتل عنصران من حزب الله ومقاتل إيراني في الغارة.		
---	--	--

جدول يوضح أبرز الغارات الإسرائيلية على سورية

المصدر: من إعداد الباحث، تجميع من مواقع إلكترونية مختلفة.

ويُلاحظ أنَّ الغارات الإسرائيلية قد زادت بعد اتفاق (إسرائيل) مع موسكو على تأسيس آلية فاعلة للتنسيق المشترك¹. وإلى جانب هذه الغارات، اتَّجَّهت (إسرائيل) إلى استخدام طائرات "الدرون" -أحيانًا- في سبيل استهداف عناصر (داعش) وقادته في المناطق القريبة من حدودها.

3. حرب الوكالة (دعم المعارضة والفصائل المسلحة):

إلى جانب تحركها العسكري المباشر، قدَّمت (إسرائيل) دعمًا لفصائل سورية المسلَّحة، للاستفادة منها في تأمين حدودها من خطر الميليشيات الإيرانية. وكان "لواء فرسان الجولان" أبرز فصائل سوري معارض أقرَّ بالدعم الإسرائيلي، ذلك الدعم الذي شمل الموادَّ الغذائية والعلاج وسلاحًا وراتبًا شهريًا بلغ 5 آلاف دولار. وقد تنوَّعت الأسلحة المقدَّمة إلَّا إنها بقيت خفيفة، إذ لم تتجاوز البنادق الهجومية والرشاشات وقاذفات الهاون الخفيفة.² وعلى الرغم من نفيها المستمر لهذا الدعم، الذي تزامن مع سيطرة المعارضة السورية على أراضٍ قريبة من الجولان عام 2012، فإنَّ (إسرائيل) بدأت منذ منتصف جوان 2017، بالاعتراف حول تقديم دعمها لبعض الفصائل والفُرى السورية المحايدة لحدودها.

وحسب صحيفة "تايمز البريطانية"، فإنَّ الدعم الإسرائيلي شمل عددًا من عناصر جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام في الوقت الحالي)، فقد تلقَّى عدد منهم العلاج في المستشفيات الإسرائيلية.

¹ التنسيق الميداني الروسي - الإسرائيلي: اتفق الجانبان على تشكيل فريق ميداني مشترك للتنسيق وتبادل المعلومات بما يشمل عدم اعتراض الاتصالات اللاسلكية أو أنظمة تتبع الرادارات وذلك لمنع وقوع عمليات احتكاك بين الطرفين. شمل التنسيق بين الطرفين أيضًا التواجد الإيراني في سوريا. غضت روسيا الطرف عن الهجمات الإسرائيلية المتكررة على المواقع الإيرانية وامتنعت عن تسخير دفاعاتها الجوية للتصدي للغارات الإسرائيلية على الأهداف الإيرانية والسورية بالرغم من امتلاك روسيا أنظمة دفاع جوية متطورة في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، أبقت روسيا تواجدها العسكري بعيدة نسبيًا عن أماكن تجمع القوات الإيرانية وذلك حتى تتجنب تضارب المصالح أو الأخطاء مع (إسرائيل)، وحتى توفر للأخيرة حرية أوسع في التعامل مع الأهداف الإيرانية. ربما شكل استهداف سلاح الجو الإسرائيلي، في 10 ماي 2018، عشرات الأهداف الإيرانية والتي أسفرت عن تكبد إيران خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، أبرز الإشارات على اختلاف مصالح الطرفين الإيراني والروسي من جهة، وعمق التنسيق الإسرائيلي -الروسي من جهة أخرى. فالضربة الجوية تم تنفيذها بعد وقت وجيز من عودة نتنياهو من زيارة لموسكو والتي بحثا فيها الوجود الإيراني في سوريا. أعلنت (إسرائيل) أنها أخطرت روسيا مسبقًا بالضربات وهو ما يشير إلى أن موسكو لم تبلغ طهران بذلك.

² جلال سلمي، مرجع سبق بالذکر، ص 11.

ويُشار إلى أنَّ الدعم العسكري والمالي الإسرائيلي المقدم لبعض الفصائل السورية المعارضة، زادت وتيرته في عام 2013، ليشمل 12 فصيلاً، منهم "لواء فرسان الجولان" الذي كان يتركز في بلدة "جباتا الخشب" في "القنيطرة"، ويُعدُّ الوسيط الأساسي بين (إسرائيل) وبقية الفصائل، و"لواء عمر بن الخطاب" الذي تركز في بلدة "بيت جن" القريب من "جبل الشيخ". وقد توقّف الدعم المذكور في جويلية 2018، إذ جرى التوصل إلى اتفاق مع "موسكو". وحول مصير قادة وعناصر وكلاء (إسرائيل)، فقد لجأ بعضهم إلى (إسرائيل)، والبعض إلى الأردن، والبعض الآخر إلى تركيا، أمّا قسم كبير منهم فقد قبل المصالحة مع النظام السوري.¹

المطلب الثالث: تقييم فعالية الأداء الإسرائيلي في سورية والشرق الأوسط

ما تركته تطورات الازمة السورية من خيارات أمام (إسرائيل) محدودة للغاية، حيث صعب على (إسرائيل) التأثير على الوضع في سوريا؛ فهي لا تملك القدرة الكافية لتقويض النفوذ الإيراني في مناطق على طول حدودها، كما ليس باستطاعتها التأثير على أنشطة إيران في بقاع أبعدها. وباستثناء قصف عناصر حزب الله أو مخابئ الأسلحة أو شحنات العتاد العسكري المتجهة إلى حزب الله - وهو إجراء لا تتخذه (إسرائيل) إلا عندما يمنع تهديداً مباشراً لها - فهي لا تملك إضعاف قدرات حزب الله. وحيث إن (إسرائيل) لا يمكنها التدخل العسكري المباشر أو توفير الأسلحة الفتاكة للجماعات المتمردة في سوريا - وهي أعمال لا توجد مؤشرات على أن (إسرائيل) ترغب في القيام بها - لا يمكن (إسرائيل) التأثير على قدرة "نظام الأسد" على البقاء، كما أنها لن تؤثر على اختيار الجماعات أو الأفراد الذين سيخلفون الأسد.

قد لا ترى (إسرائيل) منفعة كبيرة من مناصرة طرف في الحرب الأهلية السورية، فرغم أنها بكل تأكيد ليست صديقة للأسد، فإنها لا تميل كذلك للمتمردين الذين قد يتولوا حكم الأراضي السورية بعد الإطاحة بالأسد وليس لديهم أهداف واضحة حيال ذلك.²

يمكن لقوات الدفاع الإسرائيلية أن تحقق أهداف بلادها بشكل أكثر فاعلية باستخدام القوة كأداة تكتيكية تحد من تهديدات حالية معينة، وليس كأداة استراتيجية لتغيير البيئة الإقليمية. وعليه من المتوقع أن تبقى مشاركة (إسرائيل) العسكرية في سوريا منقطعة ومحدودة بحيث لا تتجاوز شن ضربات بين الحين والآخر لمنع الهجوم على الأراضي الإسرائيلية أو شحنات الأسلحة المتجهة إلى حزب الله. سيساعد مثل هذا المنهج في حماية (إسرائيل) من السقوط في حرب أهلية لا تملك التأثير على مسارها والحيلولة دون وقوع اشتباكات غير مقصودة مع القوات الإيرانية أو الروسية. كما سيسهم في تغيير الوسائل التي تستخدمها

¹ المرجع السابق، ص 11-12.

² نفس المرجع، ص 13.

(إسرائيل) لإستهداف حزب الله -مثل الانتظار لضرب القوافل التي تنقل الأسلحة حتى تدخل إلى الأراضي اللبنانية- ولكن مثل هذه التحولات في التكتيكات لن يتمخض عنها تغيير في منهج (إسرائيل) العام إزاء مصالحتها في سوريا.

في ضوء الوجود العسكري الروسي في سوريا - والذي يشمل بطاريات أنظمة الدفاع الجوي المتطورة من طراز إس-751400 - لا يمكن (لإسرائيل) المشاركة في غارات جوية متكررة على أهداف في سوريا دون التنسيق مع روسيا لتقاضي التضارب بين العمليات¹. فمجرد سقوط طيار واحد قد يشكل أزمة كبيرة (لإسرائيل)، ما يجعل إنقاذ أسرى الحرب والرهائن الإسرائيليين أولوية وطنية قصوى² ومكّن تدخل روسيا وإيران وحزب الله النظام السوري من تحويل مجرى المعارك واستعادة سيطرته على مناطق عديدة وواسعة كان قد خسرها في الشهور والسنوات التالية من بداية الأزمة السورية. وقد أوجد ذلك واقعاً استراتيجياً ذا معطيات أكثر تعقيداً بالنسبة للجانب الإسرائيلي، ما دفع (إسرائيل) إلى تكثيف عملياتها العسكرية ضدّ وجود إيران وحزب الله هناك، أملاً في إيجاد واقع استراتيجي جديد، يلبي متطلبات الردع الإسرائيلي.

وقد ظهر لدى صانع القرار الإسرائيلي قلق فيما يخص نظرية الردع الإسرائيلي-سواء في مدها، أم في قدرته على التأثير-فصورة الردع الإسرائيلي أصبحت عرضة للتأثر بالتصور السائد بشأن ضعف الولايات المتحدة الواضح في منطقة الشرق الأوسط. فنتيجة سنوات من الحملات المنهكة في أفغانستان والعراق، غدت الولايات المتحدة غير راغبة للتدخل العسكري، وتفضل "القيادة من الخلف". وقضت مقاربة الرئيس الأمريكي السابق "باراك أوباما"، مثلما تجلت في سياسة الإدارة الأمريكية تجاه إيران، وفي طريقة معالجة حادثة استخدام الأسلحة الكيميائية في "الغوطة الشرقية" في سورية عام 2013، بإجتئاب استخدام القوة

¹ أسقط الجيش السوري بطريق الخطأ طائرة "إليوشن-20" الروسية أثناء غارة جوية إسرائيلية مما أدى إلى مقتل 15 عسكرياً روسياً كانوا على متن الطائرة وذلك في 18 سبتمبر 2018. سارعت روسيا إلى تحميل سلاح الجو الإسرائيلي، الذي كان يقوم في تلك الأثناء بشن هجوم على أهداف في سوريا، المسؤولية عن الحادث واتهمته بالتعمد في التستر بالطائرة الروسية ما أدى إلى وقوع الخطأ. مباشرة بعد ذلك، أعلن وزير الدفاع الروسي "سيرغي شويغو" عن تزويد سوريا بمنظومة الصواريخ الجوية المتطورة "S-300" والقادرة على صد وتدمير الصواريخ الباليستية وتتبع والاشتباك مع الأهداف المعادية على مسافة تصل إلى 300 كلم. ويأتي هذا الحادث أساساً في سياق تحولات تشهدها الاستراتيجية الإسرائيلية إزاء سوريا، وهو ما تلقى عليه الضوء هذه الورقة، على أن يكون مركز التحليل هو هذه الحادثة وما سبقها أو يليها من تطورات، وما سينتج عنها من تفاعلات في المستقبل.

لا شك أن إسقاط الطائرة الروسية أرخى بظلاله على ديناميكيات الاستراتيجية الإسرائيلية وطرح تحديات أساسية مرتبطة بحرية حركة الطائرات الإسرائيلية فوق الأراضي السورية. فمباشرة بعد إسقاط الطائرة، اتهمت روسيا قوات الدفاع الجوي الإسرائيلي بخرق التنسيق المتبادل بين الجانبين وحملتهم المسؤولية. لمعلومات أكثر انظر: آري غروس جوداه، "روسيا تتهم الجيش الإسرائيلي بالخداع، وتلوم (إسرائيل) على إسقاط طائرة الاستطلاع"، تايمز أوف إسرائيل، 23 سبتمبر 2018، على الرابط: <https://bit.ly/2DxTSNp>

² المرجع السابق، ص 14.

قدر الإمكان. فهاتان الحالتان عززتاً القناعة الإقليمية بأنه في ساعة الامتحان لن تقف الولايات المتحدة إلى جانب حلفائها بسهولة كما فعلت في الماضي. كما بدى أن هذا القرار شجع روسيا على إطلاق حملتها الجوية العسكرية في سورية في 30 أوت 2015، ما أنقذ نظام الأسد، وشجع "موسكو" على تصعيد المواجهة مع "واشنطن".

وفي الأخير وإستناداً على ما سبق، فإن استراتيجية (إسرائيل) في سورية مرت بالعديد من المراحل واتجهت بخط تصاعدي وفق تحولات مبنية على التطورات التي فرضتها المتغيرات في سورية، وفي كل المراحل اتضح سرعة التعاطي الإسرائيلي في تطوير الاستراتيجيات أو البناء عليها بما يتناسب مع معادلة الحفاظ على عوامل الضبط والسيطرة والاحتواء، لذا فإن التحولات الإسرائيلية هذه المرة قد تغير من قواعد اللعبة نحو اتجاهين إما بإعادة الاستقرار للمنطقة عبر سياسات تشاركية منضبطة أو اللجوء إلى اتساع دائرة الفوضى أكثر والتي قد تدخل دولاً من جديد في دائرة الصراع والمواجهة.

المبحث الخامس: دور الإستراتيجية المصرية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011

في هذا المبحث سنتطرق إلى القوة الإقليمية المصرية والتي رُتبت القوة الـ 12 في ميزان القوى العالمية، كما صُنفت أيضاً القوة الثانية. في الشرق الأوسط بمؤشر قوة قدر بـ 0.2283، هذه القوة عانت هي الأخرى من فوضى بداخلها جراء ثورتها عام 2011، لكن سرعان ما استدركت الأوضاع وعادت لتؤثر وتتأثر من جديد بالأوضاع الخارجية المحيطة بها ومن بينها الازمة السورية التي بدأت منذ عام 2011 ولا زالت قائمة إلى غاية اليوم، والتي أثرت على خيارات مصر الإستراتيجية، وفرضت عليها تحديات من جهة واكسبتها فرصاً جديدة استثمرتها مصر في إستعادة نفوذها بالمنطقة من جهة أخرى.

فبعد سنوات من التركيز على الداخل لتحقيق استقرار اقتصادها ووضعها السياسي الداخلي، تشعر مصر اليوم بالثقة الكافية لإعادة تأكيد نفسها بوصفها فاعلاً إقليمياً أقوى من ذي قبل. حيث تركز القاهرة في المقام الأول على الحفاظ على قيادتها للنيل والبحر الأحمر وشرق البحر الأبيض المتوسط والصحراء الشرقية، وتعمل بشكل متنام على مزاحمة قوى إقليمية أخرى تنافسها على النفوذ والتأثير.

إن أهمية مصر كقوة متوسطة صاعدة تزيد من قيمتها بالنسبة لقوى أكبر مثل الولايات المتحدة وروسيا والصين التي تسعى إلى تحقيق أهداف متنافسة في الشرق الأوسط، وفي حين أن أهمية مصر في النظام العالمي الحالي قد تكون موضع جدل، إلا أن دورها المحوري في المنطقة غير متنازع عليه. وعلى مر السنين القليلة المنصرمة، وبشكل متقلب تزايدت وتراجعت رغبة القاهرة في إقحام نفسها في الشؤون

الإقليمية، اعتمادًا على حجم استقرارها الداخلي. ومع ذلك، وبعد سنوات من الفوضى السياسية التي أعقبت ما يسمى الربيع العربي، استقرت السياسات الداخلية في مصر، واستعدت البلاد لاستعادة دورها الإقليمي الرائد.

كما أن التقدم الذي تحرزه مصر على صعيد استقرار اقتصادها ونظامها السياسي الداخلي يعني أنها باتت في وضع أفضل بما يكفي لاستئناف دور أكثر فاعلية على الصعيد الإقليمي. ولا شك أن أهمية مصر كقوة متوسطة في المنطقة، تؤثر، بطبيعة الحال، على كيفية ارتباطها بالعالم الأوسع. فخلال معظم تاريخها الحديث، عملت مصر كقوة وسطى استراتيجية في الشرق الأوسط، أو شاركت في العديد من الصراعات أو التوسط فيها، وقدمت الدعم الدبلوماسي للحلفاء الساعين للاستفادة من ثقل البلاد، مستندة في ذلك على مجموعة من العوامل والعناصر المشكلة لقوة الدولة والتي نفضل فيها في التالي:

المطلب الأول: مقومات القوة الإقليمية المصرية

أولاً: المقوم الجيوبوليتيكي

تقع جمهورية مصر العربية في أقصى الشمال الشرقي من قارة أفريقيا، يحدها من الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط، حيث يصل طول ساحله إلى 995 كم تقريباً، ومن الشرق، البحر الأحمر، ويبلغ طول ساحله 1941 كم، وتحدها من الجهة الشمالية الشرقية فلسطين المحتلة وقطاع غزة، بحدود يبلغ طولها 265 كم، ومن الغرب ليبيا، بحدود طولها 1115 كم، ومن الجنوب السودان، بحدود طولها 1280 كم.¹ ومصر دولة تقع معظم أراضيها في أفريقيا غير أن جزء منها وهي شبه الجزيرة سيناء يقع في قارة آسيا. وتنقسم مصر من الناحية الجغرافية إلى أربعة أقسام رئيسة هي: وادي النيل مساحته تبلغ (33 ألف كم²) تقريباً، والصحراء الغربية تشغل حوالي (680 ألف كم²) تقريباً. والصحراء الشرقية مساحتها حوالي (225 ألف كم²) تقريباً وشبه جزيرة سيناء مساحتها حوالي (161 ألف كم²) تقريباً. وتقدر مساحة مصر الإجمالية بـ (1.002.0454 كم²).² وإذا كانت مصر تحتل موقعاً محورياً في العالمين العربي والإسلامي (مع خط ساحلي واسع على امتداد ممرين مائيين رئيسيين هما البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط) فإنها تحتفل في عام 2019 بمرور 150 عاماً على إتمام قناة السويس، ذلك الممر المائي الاستراتيجي المهم الذي ما زال قادراً على توفير طريق عالمي مختصر للنقل البحري، الأمر الذي يمنح البلاد موقعاً استراتيجياً مهماً للغاية.³

¹ Peter M.Holt, **Egypt, (land)**, Enclopedia Britanica, available online at : <https://bit.ly/2R7WPXV>

² Ibid.

³ محمد جمعة، حدود الدور الإقليمي المستعاد لمصر، مصرأوي، 2019/2/13، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gzASEX>

ارتبطت سياسة مصر الخارجية وعلى مر العصور بمعطيات جيوسراتيجية أملتها عوامل جغرافية وتاريخية اتسمت بثبات نسبي.. فموقع مصر الجغرافي مكنها من لعب دور إقليمي فاعل في المنطقة، وهذا ما أضفى عليها مكانة إقليمية مهمة كون أن هذا الموقع جعلها تتمتع بحرية حركة دائرية في كل الاتجاهات.

والموقع الجغرافي لمصر له عناصر قوة وعناصر ضعف ظهرت من واقع خبرة الدولة المصرية، فبالنسبة للإيجابيات أو لعناصر القوة للموقع الجغرافي، تتمثل في:

-الموقع الجغرافي يمثل أحد مقومات الدور التاريخي والحضاري لمصر، ومن العوامل التي ساعدت على قيادتها للمنطقة تاريخياً، نتيجة موقعها الذي يتوسط قارات العالم القديم، ولذلك يعد رأسمال طبيعي وسياسي للدولة المصرية. فقد أتاح لها القيام بدور مؤثر وفاعل، لا يمكن إغفاله استمدته عبر مقومات رئيسية من أهمها الامتداد الطبيعي لمصر عبر القارات، هذا الامتداد جعلها بمثابة البرزخ الذي مرت عبر أراضيها الديانات السماوية، كما كانت وستظل الملتقى الرئيسي للتفاعل الثقافي والفكري بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، كما كانت مقراً لحضارات متواصلة. وقد لخص جمال حمدان أهمية موقع مصر ومكانتها بقوله: "إن عبقرية مصر الإقليمية تستند إلى محصلة التفاعل بين بعدين أساسيين هما الموضع والموقع، حيث يقصد بالموضع البيئة بخصائصها وحجمها ومواردها في ذاتها، وهي البيئة النهرية الفيضية بطبيعتها الخاصة. أما الموقع فهو الصفة النسبية التي تتحدد بالقياس إلى توزيعات الأرض والناس والإنتاج وتضبط العلاقات المكانية التي ترتبط به." ¹

-مصر ليست دولة حبيسة، وإنما تطل على أهم وأطول بحرين في العالم وهما: البحر الأحمر، الذي يعتبر الرابط الأساسي لمصر ولجميع دول الشرق الأوسط ويقود علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية مع الدول الأخرى، والبحر المتوسط الذي يعتبر الشريان الرئيس الذي يربط الشرق بالغرب ويقود معظم علاقاتها مع الدول الغربية ودول حوض البحر المتوسط.

-مصر بحكم موقعها الجغرافي تعد أحد أهم ممرات التجارة العالمية بين الشرق والغرب، فإلى جانب النقل البري الذي يلعب دوراً كبيراً في نقل التجارة الخارجية من وإلى مصر، يوجد عدد من القنوات والطرق والممرات الملاحية والنهرية سواء الطبيعية أو الصناعية. يوجد عدد من الموانئ البحرية المطلة على البحرين الأحمر والمتوسط وخليجي السويس والعقبة، وتعتبر حلقة من حلقات النقل المتكامل بين النقل النهري والبحري وتصل إلى حوالي ستين ميناءً بحرياً تساعد على تنشيط التجارة الخارجية لمصر. وقد

¹ للمزيد من المعلومات اطلع على كتاب: جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان الجزء 1، دار الهلال،

مصر، 2007، ص22. ويمكن تحميله من الرابط: <https://bit.ly/2F56xbu>

لعبت قناة السويس دورًا كبيرًا دعم مكانة الموقع الجغرافي المصري، ومنذ إنشاء القناة أضحت أهم طريق شرياني في العالم للتجارة الخارجية والملاحة البحرية عمومًا، ولنقل إمدادات نقل النفط العالمية على وجه الخصوص، فعبرها يتم نقل 4% من هذه الإمدادات أو ما يقرب من 4 مليون برميل يوميًا، بما يجعلها ثاني أهم ممر مائي لتجارة النفط العالمية بعد مضيق هرمز.

ومن جهة أخرى يمكن القول ان لموقع مصر سلبيات، حيث تواجه جملة من التحديات التي تفرضها طبيعة موقعها الجغرافي والتي تنطوي على تأثيرات سلبية تنعكس وبصورة مباشرة على طبيعة دورها الإقليمي ويتمثل أهمها في¹:

- تنامي قوة كل من إيران وتركيا و(إسرائيل) إلى الدرجة التي تؤهلها لأداء أدوار إقليمية تتنافس على النفوذ في المنطقة وتسعى لاقتسامه.

- تفتت عدد من الأقطار العربية تحت وطأة الصراعات الإثنية والقبلية والدينية والقومية وعلى رأسها السودان.

- انهيار عملية التسوية نهائياً سيما على المسار الفلسطيني، ونجاح (إسرائيل) في فرض تسوية بشروطها، تتضمن فرض توطين أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين في سيناء تحت شعارات التعمير والتنمية.

- اتساع نطاق التهديدات الأمنية على الحدود الطويلة سواء الساحلية أو البرية²، مما يستلزم إمكانيات هائلة لتأمينها. وقد زادت حدة هذه التهديدات في الثلاثة أعوام الأخيرة مع حالة عدم الاستقرار الأمني والسياسي؛ حيث استخدمت لتهريب الأسلحة والعناصر الإجرامية والتكفيرية من وإلى داخل الدولة.

- سوء التوزيع السكاني والحضري فالمساحة المأهولة 7.8% فقط من مساحة مصر، تحيط بوادي النيل في شريط ضيق يصل اتساعه لحوالي 30 كم. ومن آثار هذا الاختلال في التوزيع حدة الكثافة السكانية في هذا الوادي الضيق مقارنة بمساحة الدولة، ومركزية السلطة السياسية تاريخياً للسيطرة على الوادي والنشاطات الاقتصادية والسياسية فيه، وأيضاً إحاطة هذا الوادي الحضري بصحراء واسعة جعلت بينه

¹ دلال محمود، تأثير الجغرافيا السياسية لمصر على سياستها الخارجية (الجزء الأول-حتى جوان 2014): مقال متوفر على الرابط

التالي: <https://bit.ly/35ytdM7>

² ان موضع مصر لا يسمح لها بالحرب الدفاعية أو النجاح فيها، حيث يعيش نحو 96% من المصريين على نحو 5% من أراضي مصر، مما يسهل إلحاق الضرر؛ ولذلك كانت كل حروب مصر الدفاعية خاسرة حتى عام 1967 والعكس عام 1973، حيث بادرت مصر بالهجوم واستفادت من تحرير اليمن، واستفادت بمساعدة ليبيا والجزائر، حيث أمدت كل منها سلاح الطيران المصري بنحو 50 طائرة في المعركة، قادها طيارون مصريون من مجموع نحو 220 طائرة شاركت في المعركة، وهذه دروس للمستقبل تقدمها الجغرافيا والتاريخ. حاتم عبد المنعم أحمد، شخصية مصر.. في عيون جمال حمدان، بوابة الاهرام، 2020/9/9، <https://bit.ly/3he7qvq>

وبين الحدود الخارجية للدولة ما لا يقل عن 1000 كم، وهذا يوجد فراغ على الحدود ويزيد من أعباء تأمينها.

- أهمية موقع مصر كمر تجاري عالمي ووجود قناة السويس كمر ملاحي هام ومؤثر عالميا، جعل القوى الكبرى تهتم بمصر وتسعي لضبط أوضاعها بما يتلاءم مع مصالح هذه القوى. فتاريخيا تعددت القوى الاستعمارية المتنافسة على مصر، وحديثا تسارع الدول الكبرى على تدعيم نفوذها بمصر وتأمين مصالحها فيها، ولذلك تحظى مصر باهتمام القوى العالمية المختلفة بشئونها. وفي السنوات الثلاث الأخيرة ومع عدم الاستقرار الأمني والسياسي، وزيادة نشاط التنظيمات الإرهابية، ثارت المخاوف الدولية من التهديدات الأمنية التي يمكن أن تلحق بقناة السويس من العمليات الإرهابية التي قد تفرض حالة من الحصار على قناة السويس وقد يتطور الأمر بإغلاقها، مما دعا البعض للقول بضرورة التدخل الدولي في مصر لحماية قناة السويس لتأمين إمدادات النفط العالمية. ورغم أن الجهود الأمنية في مصر قد أثبتت إحكامها في منطقة القناة، فإن مجرد التلويح بمثل هذه الآراء لا يليق مع احترام استقلالية مصر وسيادتها¹. وأخيرا يمكن القول إن لمصر موقع جيو-استراتيجي مميز مكنها من لعب دور هام في صياغة السياسات الإقليمية والدولية حريا وسلما، وأعطاهما مكانة مختصة في العالم بملتهاقه الآسيوي والإفريقي فضلا عن كونها من اللاعبين الكبار بمنطقة الشرق الأوسط بتاريخها المعقد والمأزوم منذ عقود طويلة. يعبر مصطلح الجيو إستراتيجية عن الجغرافية السياسية لمنطقة ما، عبر إدراك وفهم واستغلال خصائص الجغرافيا للعب دور يتجاوز حدود الدولة ويساعدها على التأثير في السياسات الإقليمية أو الدولية، فضلا عن استفادتها الخاصة من مزايا موقعها الجغرافي في تعزيز عملية التنمية والتطوير. وبما ان الإنسان هو مولد الثروة والتكنولوجيا، تعتبر القوة البشرية عاملا أساسيا في منح عناصر القوة للدولة سواء على الصعيد المدني بشقه السياسي والاقتصادي أو العسكري².

وفي هذا السياق تعتبر مصر من الدول الرئيسية المصدرة لليد العاملة وإن كان هذا المقياس يؤشر إلى ضعف الاقتصاد المحلي وارتفاع نسبة البطالة حتى في صفوف الخريجين الجامعيين، وهذه واحدة من أهم الانتقادات للأداء الحكومي منذ سنوات رغم الوعود المأمولة بأن تساعد سياسة الانفتاح التي بدأها السادات إلى تحسين الظروف المعيشية للمواطن العادي. وفي هذا تفصيل أكثر في النقطة الموالية من الدراسة.

¹ دلال محمود، المرجع السابق بالذکر.

² عدي جوني، أهمية مصر الجيو-استراتيجية، مركز الجزيرة للدراسات والأبحاث، في 11 فيفري 2011، على الرابط الإلكتروني

التالي: <https://bit.ly/3h1tBEI>

ثانياً: المقوم السكاني (الديمغرافي)

بلغ عدد سكان مصر 100.388.073 نسمة حسب احصائيات عام 2019¹، ليكون ترتيبها الثالثة عشر بين دول العالم بعدد السكان والأكثر سكاناً عربياً². بكثافة سكانية قدرت بـ 103ن/كم². ويتركز أغلب سكان مصر في وادي النيل وفي الحضر ويشكل وادي النيل والدلتا أقل من 4% من المساحة الكلية للبلاد أي حوالي 33000 كم²، وأكبر الكتل السكانية هي القاهرة الكبرى التي بها تقريباً ربع السكان، تليها الإسكندرية؛ كما يعيش أغلب السكان الباقين في الدلتا وعلى ساحلي البحر المتوسط والبحر الأحمر ومدن قناة السويس، وتشغل هذه الأماكن ما مساحته 40 ألف كم بينما تشكل الصحراء غير المعمورة غالبية مساحة البلاد.

وغالبية سكان مصر من المصريين وتقدر نسبتهم بـ 99.7% من مجمل السكان عام (2019)، وتعد مصر بقلبها السكاني الإجمالي دولة متعددة الأعراق والأصول ويندمجون مع بعضهم البعض اجتماعياً. ومن هذه الأعراق النوبيين في الجنوب والبيجا في جبال البحر الأحمر والوطن العربي والبدو الرحل في سيناء وغيرهم. ومعظم سكان مصر من المسلمين من أهل السنة والجماعة، وأكثر الأقليات من المسيحيين من الأقباط الأرثوذكس، والأقليات الأخرى من طوائف مسيحية بجانب اليهود، كما يظهر في البلاد أتباع لديانات وطوائف أخرى غير معترف بها.³

وعليه يمكن القول ان مصر تمتلك قوة بشرية هائلة مما مكّنها من إستثمار هذه القوة في مجالات كثيرة سواء على الصعيد الاقتصادي -توفير يد عاملة داخل البلاد وخارجها- او العسكري -في زيادة عدد القوات المسلحة- مما يضيف على قوتها عنصراً هاماً له نتائجه المباشرة على دورها الإقليمي.

ثالثاً: المقوم الاقتصادي

يعدّ الإقتصاد المصري من أكثر إقتصاديات دول منطقة الشرق الأوسط تنوعاً، حيث تشارك قطاعات الزراعة والصناعة والسياحة والخدمات بنسب شبه متقاربة في تكوينه الأساسي. من أهم المنتجات التي تصدّرها مصر إلى الخارج النفط ومشتقاته والقطن والمنسوجات والمنتجات المعدنية والكيماويات والمنتجات الزراعية. وأهم الواردات الآلات والمعدات والمركبات والمنتجات الغذائية والكيماويات ومنتجات الأخشاب والمنتجات المعدنية والوقود والزيوت الصناعية،⁴ وتعدّ الأسواق الأوروبية من أهم محطات

¹ Egypt Population (2019), worldometer, 9/5/2019, available online at: <https://bit.ly/2FbV49K>

² United Nation (Egypt),

³ للمزيد ينظر في: ديمغرافيا مصر، المعرفة، على الرابط التالي: <https://bit.ly/33p4wz1>

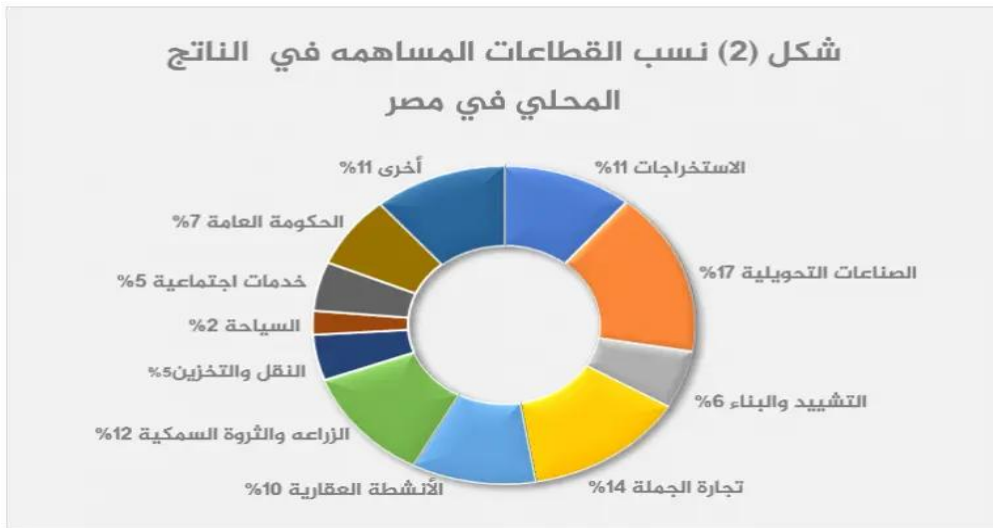
⁴ الهيئة العامة للإستثمار، أهم المؤشرات الاقتصادية، (أهم الصادرات، والواردات)، على الرابط: <https://bit.ly/3hdDQWF>

الصادرات المصرية نتيجة الاتفاقيات المبرمة مع المفوضية الأوروبية أبرزها اتفاقية "يورو ميد" لإنشاء منطقة تجارة حرة للبحر المتوسط، تبلغ قيمة الصادرات المصرية عام 2014 نحو 198 مليار جنيه بينما تبلغ قيمة الواردات 457.8 مليار جنيه¹.

كما تعد مصر مقصداً للسياح على مر العصور لما تمتلكه البلاد من مقومات سياحية تضعها على الخريطة العالمية للسياحة. كذلك تعد السياحة مصدرًا هامًا للدخل القومي المصري.

وتنتشر حقول البترول والغاز الطبيعي بشكل عام في مناطق رئيسية هي: حوض خليج السويس وشمال دلتا النيل والمياه الإقليمية في البحر المتوسط وشمال الصحراء الغربية².

ووفقاً لتقرير الاستثمار العالمي لعام 2019 تُعد مصر أكبر الدول الأفريقية في جذب تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر خلال عام 2018، حيث بلغت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الواردة إلى مصر نحو 6.8 مليار دولار في عام 2018. وأوضح التقرير أن مصر هي أكبر وجهة للاستثمار الأجنبي المباشر في أفريقيا خلا عام 2018 وذلك من خلال الاستثمار في قطاعات الأنشطة العقارية، والصناعات الغذائية، والبترول، والبحث عن الغاز، والطاقة المتجددة.³



المصدر: البنك المركزي النشرة الاحصائية الشهرية 268، جويلية 2019، على الرابط: <https://bit.ly/2ZclAXv>

لتشير بيانات النصف الأول من العام المالي 2013 - 2014 إلى تحقيق معدل نمو قدره 1.2% للناتج المحلي الإجمالي، وهو معدل انخفاض بشكل كبير عن الطاقات المتاحة في الاقتصاد، وذلك متأثراً بتراجع

¹ Economic Indicators, Egypt, TRANDING ECONOMICS, 2011-2014, at : <https://bit.ly/327Y7J0>

² تقرير الإستثمار العالمي (الاونكتاد) لعام 2019، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، (الأمم المتحدة)، ص 10. متوفر

PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bGkPLb>

³ ترتيب مصر في التقارير الدولية، الهيئة العامة للإستثمار 2019، أكتوبر 2019، على الرابط: <https://bit.ly/2QUICxy>

معدل النمو في معظم القطاعات وتحقيق قطاعي الصناعات الاستخراجية والسياحة لمعدلات نمو سالبة، تأثراً بمراحل الانتقال السياسي والأحوال الأمنية ما بين عامي 2011 و2014¹.

وفي عام 2016، لجأت الحكومة المصرية إلى طلب تمويل من صندوق النقد الدولي لتدبير فجوة تمويلية، وذلك لتمويل برنامج إصلاح إقتصادي تتبناه الدولة بهدف استعادة استقرار الاقتصاد الكلي وتمهيد السبيل لنمو قابل للاستمرار على المدى الطويل. في نفس العام وقعت مصر اتفاقية مع صندوق النقد الدولي على قرض لمدة ثلاث سنوات بقيمة 12 مليار دولار أمريكي.²

وفي عام 2019 من بين الأسواق الناشئة التي تواجه العديد من الأزمات الاقتصادية منذ بداية عام 2018، تمكنت مصر من أن تقفز من "المركب الغارق" في العديد من الأزمات، على رأسها الخسائر الحادة في عملات دول الأسواق الناشئة مقابل الدولار الأميركي الذي يصعد بقوة، وتراجع معدلات النمو وارتفاع نسب البطالة وغيرها من الأزمات الاقتصادية، التي مازالت قائمة حتى الآن.

وما بين تقارير إشادة من البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي، إلى مؤسسات التمويل الدولية، غيرت وكالات التصنيف الائتماني الدولية نظرتها للاقتصاد المصري ورفعته من الاقتصادات الخطرة إلى مستويات مستقرة مع نظرة مستقبلية إيجابية.³

لكن الجديد في هذا الملف ما نشره المركز الإعلامي التابع لمجلس الوزراء المصري، بشأن احتلال مصر للمرتبة الثالثة بقائمة مجلة الـ "إيكو نومست" الدورية للنمو الاقتصادي حول العالم، وذلك خلال الربع الأول من عام 2019.. حيث حققت مصر طفرة في معدلات النمو الاقتصادي خلال الفترة الأخيرة،⁴ فقد حدثت زيادات متتالية للنتائج المحلي في مصر خلال السنوات الخمس الماضية حيث ارتفع من 1.82 تريليون جنيه (نحو 230 مليار دولار) خلال عام 2015، ثم تزايد ليبلغ 3.4 و4.3 تريليون جنيه خلال عامي 2016/2017-2017/2018 على التوالي. كما ارتفع معدل النمو من 2.2% عام 2014/2015

¹ Economic Indicators, Egypt, Op cit.

² صندوق النقد الدولي، المجلس التنفيذي يوافق على عقد اتفاق مع مصر بقيمة 12 مليار دولار أمريكي في إطار تسهيل الصندوق الممدد، بيان صحفي رقم 16/501، بتاريخ 11 نوفمبر 2016، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Zjexwp>

³ وفي بداية العام الحالي، كشفت دراسة أعدتها وكالة "ستاندر أند بورز"، عن وجود 7 دول نامية من المحتمل بقوة أن تكون ضمن أكبر 10 اقتصادات حول العالم بحلول العام 2030. وأشارت الوكالة إلى أن مصر من ضمن تلك الدول، بل ووضعتها في المرتبة السابعة، وذلك نتيجة الإصلاحات الاقتصادية الأخيرة التي اتخذتها الحكومة المصرية. وأكدت الدراسة أن الصين والهند سيتجاوزان الولايات المتحدة بحلول العام 2030. وبحسب "ستاندر تشارترد"، فإن أكبر 10 اقتصادات حول العالم بحلول عام 2030 ستكون على الترتيب، هي: الصين والهند والولايات المتحدة وإندونيسيا وتركيا والبرازيل ومصر وروسيا واليابان وألمانيا. لمزيد من المعلومات أنظر في: خالد المنشاوي، الاقتصاد المصري الغارق يحقق معدل نمو استثنائي وسط تحديات الإصلاح، اندبندت عربية، 16 جويلية 2019، على الرابط: <https://bit.ly/3i7moV2>

⁴ خالد المنشاوي، المرجع السابق.

إلى 3.6% عام 2017/2016 ثم 5.3 عام 2018/2017 مع توقعات ببلوغه 5.5 إلى 6% خلال العام المالي 2019 /2018. كما يبلغ الناتج المحلي الإجمالي بتكلفة العوامل وبالأسعار الجارية نحو 6 تريليون جنيه بمعدل نمو حقيقي يبلغ 5.6% بموازنة العام المالي 2020/2019.¹

كما أن هذا الإنتعاش مدفوع بصافي الصادرات، حيث إرتفعت صادرات السلع والخدمات بالتزامن مع إنخفاض الواردات النفطية (مدعوماً بالزيادة في إنتاج الغاز الطبيعي). كما تشهد استثمارات القطاع الخاص تعافياً هي الأخرى، وانخفضت البطالة إلى 7.5% خلال الربع الأخير من السنة المالية 2019 (من 9.9% قبل ذلك بسنة)، وإن كان هذا الإنخفاض مصحوباً بتقلص المشاركة في القوى العاملة.²

على الرغم من تحسن بيئة الاقتصاد الكلي، مازالت الأوضاع الاجتماعية صعبة، فبين عامي 2016-2018، انخفض معدل النمو الإسمي في الأجور إلى ما دون مستوى التضخم، وتشير التقارير الرسمية إلى أن 32.5% من السكان كانوا يعيشون تحت خط الفقر الوطني، خلال السنة المالية 2018.³

ووفقاً لحكومة السيسي، فإن جمهورية العسكر تسيطر على حوالي 1.5% فقط من حجم الاقتصاد المصري، لكن آخرين يؤكدون أن هذه النسبة هي الفئات الذي يراد له أن يظهر في الدفاتر فقط، وأن الحجم يصل إلى حوالي 20%،⁴ فيما يرفع آخرون هذه النسبة إلى 40% لاسيما مع تضاعف أرباح شركات المؤسسة العسكرية في عهد السيسي والتي لا يعلم أحد أين تذهب بها.⁵ ومع أنه لم يكن هناك وجود لأية معارضة بعد أن نجحت السلطة المصرية بإسكات الجميع وفرض رغبتها فيما تريد على الشعب المصري، استمر الوضع الداخلي بالتراجع.

كما كشف البنك المركزي عن ارتفاع الدين الخارجي ليلبلغ 106.2 مليارات دولار بنهاية مارس 2019.⁶ بارتفاع نحو 10 مليارات دولار من ديسمبر 2018 والذي بلغ آنذاك 96.612 مليار دولار بزيادة نسبتها 9.9%. يمثل الشكل التالي ارتفاع قيمة الدين الخارجي المستمر منذ 2014 لمستويات غير مسبقة. جدير بالذكر أن مقدار الاستدانة الحاصل منذ الانقلاب العسكري على مدار 5 سنوات فقط والبالغ نحو

¹ مشروع الموازنة العامة للدولة لعام 2020/2019، الموقع الرسمي لوزارة المالية المصرية، على: <https://bit.ly/2Dv8SLM>

² Economic Indicators, Egypt, TRANDING ECONOMICS, 2018-2019, at : <https://bit.ly/2DDIEYJ>

³ جمهورية مصر العربية: أحدث التطورات 2019، PDF على الرابط: <https://bit.ly/3bwyyo8>

⁴ للمزيد ينظر في: يزيد صايغ، أولياء الجمهورية: تشريح الاقتصاد العسكري المصري، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 14

ديسمبر/كانون الأول 2019، مقال تحليلي، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bCtPkQ>

⁵ From war room to boardroom. Military firms flourish in Sisi's Egypt, Reuters, 16 May 2018, Visited on 22 January 2019: <https://reut.rs/3jN2b7o>

⁶ الأناضول، "المركزي المصري: ارتفاع الدين الخارجي إلى 106.2 مليارات دولار". مارس 2019، في 2019/08/26، على

الرابط التالي: <https://bit.ly/3i3auLU>

60 مليار دولار فاق مقدار الاستدانة التي قامت بها الحكومات المصرية المتعاقبة على مدار ثلاثة عقود¹.



منحنى بياني يوضح تطور الدين الداخلي والخارجي لمصر (2014-2019)

المصدر: البنك المركزي النشرة الاحصائية الشهرية 268، جويلية 2019، <https://bit.ly/2ZclAXv>، الا ان هذا لا يمنع من القول ان الاقتصاد المصري هو من اهم الاقتصاديات الواعدة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، إذ انه يتميز بتعدد الإمكانيات الاقتصادية (اقتصاد متنوع) فضلا عن انه يمتاز بقدرة استهلاكية كبيرة (سوق استهلاكي ضخم) وهذا ما جعله عامل جذب للاستثمارات الأجنبية في مصر.

رابعاً: المقوم العسكري

يصنّف الجيش المصري في الترتيب 12 عالمياً، بمؤشر قوة قدر بـ 0.2283 وذلك عام 2019، رغم تراجع ترتيبه من المرتبة 10، إلا أنه لا يزال يحتفظ ببعض نقاط القوة التي تجعله يتفوق على جيوش من الأقوى في العالم. ووفقاً لموقع "GFP" المتخصص في ترتيب الجيوش، فإن الجيش المصري يتفوق على جيوش الولايات المتحدة وتركيا وإسرائيل في سلاح الدفاع الجوي والصواريخ، حيث يمتلك 1100 بطارية صواريخ تضعه في المرتبة 5 بين أقوى الجيوش المملوكة لهذا السلاح في العالم. ومعلومات الموقع تؤكد، أن الولايات المتحدة تقع في المرتبة 6 بعد مصر بامتلاكها 1056 بطارية، فيما تأتي تركيا في المرتبة 12 بـ 350 بطارية وإسرائيل في المرتبة 26 بـ 150 بطارية. لم يتوقف تفوق مصر على تركيا و(إسرائيل) في بطاريات الدفاع الجوي فقط، بل تتفوق عليهما بسلاح الطيران وتحتل المرتبة التاسعة بـ 1092 طائرة

¹ Moody's "Egypt's credit profile reflects very large government financing needs", New York, 29 August 2019. Link : <https://bit.ly/326j7zX>

حربية، بينما تشغل تركيا المرتبة العاشرة بـ1067، و(إسرائيل) في المرتبة الثامنة عشرة بـ595. كما تتفوق مصر على تركيا و(إسرائيل) بسلاح البحرية، حيث تمتلك وفقاً للموقع 319 آلة بحرية تضعها في المرتبة السادسة بين أقوى جيوش العالم، حيث جاءت تركيا في المرتبة الثانية عشرة بـ194 آلة، و(إسرائيل) في المرتبة السابعة والثلاثين بـ65. وتقع مصر في المرتبة الثانية عشرة من حيث القوة العسكرية متفوقة على إيران و(إسرائيل)، بينما تحتل تركيا المرتبة التاسعة بين أقوى جيوش العالم.

وعن الميزانية العسكرية المصرية، أو ميزانية الدفاع فقد بلغت حوالي (4.4) مليار دولار لسنة 2019.¹ بالإضافة إلى المساعدات العسكرية الأمريكية²، والتي قدرت بـ 1.42 مليار دولار سنوياً. ما يشكل نسبة 87% من إجمالي استيراد الأسلحة المصري السنوي.³

1. جهوزية القوة العسكرية المصرية:

في البداية لابد من التأكيد على أن القدرة العسكرية المصرية تركز على أسس راسخة في مقدمتها العقيدة العسكرية التي يؤمن بها كل فرد بالقوات المسلحة، "إمّا النصر أو الشهادة"، يأتي بعدها امتلاك منظومات تكنولوجية متقدمة في مجال التسليح والتدريب والتأمين الإداري والفني تجعلها تحتفظ بأرقى مستويات الجاهزية والاستعداد لتنفيذ أي مهمة تكلف بها لحماية ركائز الأمن القومي المصري على كافة الاتجاهات الاستراتيجية وفي الداخل والخارج، يصاحبها امتلاك قاعدة صناعية ونتاجية بالغة التطور تحقق الإكتفاء الذاتي للقوات المسلحة وتلبي جزءاً من متطلبات السوق المحلي، وتخفيف العبء عن كاهل المواطن المصري.⁴

من هنا جاء اهتمام القيادتين السياسية والعسكرية بالعمل مبكراً بتقوية وتدعيم القوات المسلحة في مختلف أفرعها الرئيسية وتشكيلاتها القتالية ووحداتها ومختلف منظوماتها على مختلف المستويات بكل ما تحتاجه من قدرات قتالية ودعم إداري وفني كي تكون قادرة في كل وقت على مجابهة التحديات التي تواجه مصر وعلى مختلف الاتجاهات الاستراتيجية.

¹ Egypt Military Strength, op cit.

² تسببت محدودية استجابة الجنرالات المصريين للفلسفة العسكرية الأميركية باندلاع حالة جدل كبيرة في واشنطن حول جدوى المعونة العسكرية الضخمة المقدمة لمصر، حيث تعتبر القاهرة ثاني أكبر المتلقين للمعونة الأميركية بعد تل أبيب. وتتلقى مصر المعونة الأميركية من خلال عدة برامج رئيسة هي برنامج التمويل العسكري الأجنبي (FMF)، وبرنامج الدعم الاقتصادي (ESF)، وبرنامج مكافحة المخدرات وتطبيق القانون (INCLE)، وبرنامج مكافحة الإرهاب وإزالة الألغام غير الربحي (NADR)، وأخيراً، برنامج التعليم والتدريب العسكري (IMET). لمعلومات أكثر انظر:

U.S. Foreign Assistance to Egypt, American Chamber of Commerce in Egypt: <https://bit.ly/3k1RNcf>

³ Ibid.

⁴ بهاء المهدي، عمر جلال، تطوير إستراتيجية مصر العسكرية حولها لقوة إقليمية لا يستهان بها: بالأدلة والشواهد... الجيش المصري الثقل الحقيقي بالمنطقة، جريدة أخبار اليوم، الإثنين 16 سبتمبر 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IW5Kkc>

تتبنى القيادة العامة للقوات المسلحة استراتيجية دقيقة لبناء قوة عسكرية تحقق الردع والقدرة على الدفاع عن أمن مصر القومي، فضلاً عن امتلاك المنظومات والخبرات الانتاجية والإدارية والهندسية التي تمكنها من معاونة أجهزة الدولة في تنفيذ خطط وبرامج التنمية الشاملة في كافة ربوع مصر. وتمضى القوات المسلحة بخطى متسارعة لبناء وتنظيم منظوماتها التسليحية وقدراتها القتالية على كافة المحاور الاستراتيجية بما يتسق مع التطور التكنولوجي للقرن الواحد والعشرين بما يمكنها من مواجهة التحديات الإقليمية والمتغيرات الدولية وانعكاساتها على الأمن القومي المصري داخلياً بما في ذلك تأمين الأهداف الحيوية والمشروعات التنموية العملاقة من التهديدات بصورها المختلفة من جانب، وحماية مصالحها الاستراتيجية وتحقيق الردع بمحيطها الإقليمي والدولي من جانب آخر.¹

وقد أجرى الجيش المصري مناورة عسكرية بالقرب من الحدود مع ليبيا في تمرينات تأتي ضمن تعزيز جاهزية القوات المصرية في مواجهة مخاطر قادمة من البلد المجاور الذي يشهد اضطرابات أمنية وانفلاتات على وقع أزمة سياسية لا مؤشرات على نهايتها.²

وعليه فنجاح الجيش المصري في المناورات الأخيرة منها المناورة "بدر 2019" يؤكد قدرة واستعداد رجال القوات المسلحة للدفاع عن أمن مصر القومي على كافة الاتجاهات الإستراتيجية.

وفي هذا السياق فقد أشار رئيس أركان حرب القوات المسلحة إلى أن القوات المسلحة مستمرة في بناء المقاتلين علمياً ومهارياً مع تطوير إمكانياتها وقدراتها القتالية والإدارية وفقاً لأحدث نظم التسليح في العالم، بما يعزز قدرتها على الوفاء بالمهام المكلفة بها لحماية حدود الوطن وصور مقدساته.³

وفي ظل ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من مخاطر وتهديدات مباشرة للأمن القومي المصري خاصة من الاتجاه الاستراتيجي الغربي، فقد حرصت القوات المسلحة على تعزيز القدرات القتالية للمنطقة الغربية العسكرية لمنع تسرب العناصر الارهابية المسلحة عبر خط الحدود الغربية، ومجابهة محاولات التهريب للأسلحة والمواد المخدرة والهجرة غير الشرعية، وذلك وفقاً لمنظومة متكاملة يتم خلالها تكثيف اجراءات التأمين وتطوير نظم التسليح وإعادة تمركز بعض الوحدات المقاتلة لذلك انشأت القوات المسلحة عدة قواعد عسكرية روعي فيها ان تضاهي أحدث الأنظمة العالمية في مجال الاهتمام بالفرد المقاتل معيشياً وتدريبياً.

¹ المرجع السابق بالذکر.

² مصر تعزز جاهزية جيشها لتأمين الحدود مع ليبيا المضطربة، meo، الثلاثاء، 2019/10/15: <https://bit.ly/2YVklvT>

³ محمد إبراهيم، رئيس الأركان: نجاح بدر 2019 يؤكد جاهزية الجيش في الدفاع عن مصر، جريدة البلد، الجمعة 12 أبريل

2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/323zVHM>

2. الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة المصرية:

القوات المسلحة المصرية¹: يتكون الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة المصرية من ثلاثة أفرع رئيسية هي (القوات البحرية، القوات الجوية، قوات الدفاع الجوي)، وانضم لها سابقاً قيادة منفصلة للقوات البرية في 25 مارس 1964 ولكنها ألغيت رسمياً بعد حرب 1967 لتعود قيادة التشكيلات البرية إلى رئيس أركان القوات المسلحة مباشرة والتي تنقسم إلى قيادتي الجيشين الثاني والثالث اللذان يمثلان الجبهة الشرقية لمصر بجانب قيادات المناطق العسكرية الثلاث (الشمالية والغربية والجنوبية) وذلك بخلاف باقي القوات والهيئات والإدارات والأجهزة المعاونة.²

تخضع جميع أفرع وقوات وجيوش ومناطق وهيئات وأجهزة وإدارات القوات المسلحة لقيادة القائد العام للقوات المسلحة الذي يشغل في نفس الوقت منصب وزير الدفاع، ويشغل هذا المنصب حالياً الفريق أول "محمد زكي" القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربي، ولا يعلوه في سلم القيادة إلا القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو رئيس الجمهورية ويشغل هذا المنصب حالياً "عبد الفتاح السيسي".³

يتنوع تسليح القوات المسلحة المصرية بين المصادر الشرقية والغربية عن طريق التعاون العسكري المتبادل مع عدة دول على رأسها الولايات المتحدة، روسيا، فرنسا، الصين، إيطاليا، أوكرانيا، بريطانيا، ألمانيا.⁴ كما تُصنع العديد من المعدات محلياً بالمصانع الحربية المصرية.⁵

القوات البحرية هي أحد الفروع الرئيسية للقوات المسلحة، وهي المسؤولة عن حماية أكثر من 2000 كيلومتر من الشريط الساحلي المصري بالبحرين الأبيض والأحمر، وتأمين سلامة الملاحة في قناة السويس، وتقديم الدعم لعمليات الجيش. تعتبر القوات البحرية المصرية الأكبر في أفريقيا والشرق الأوسط والسادسة عالمياً من حيث عدد السفن، ومن أعرق وأقدم الأسلحة البحرية في العالم. يتسم أسطول

¹ القوات المسلحة النظامية لجمهورية مصر العربية تعد أقدم الجيوش النظامية في التاريخ، حيث بدأت أولى حروبها عام 3400 ق.م. على يد الملك مينا من أجل توحيد مصر. لمعلومات أكثر أنظر: جيمس هنري برستد، "تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي"، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، 1996، ص 409.

² محمد الجوادى، الطريق إلى النكسة: مذكرات قادة العسكرية المصرية 1967، دار الخيال، مصر، 2000، ص 455.

³ القوات المسلحة المصرية: الرتب العسكرية، وزارة الدفاع، على الموقع الإلكتروني الرسمي للوزارة: <https://bit.ly/32YX25r>

⁴ في عام 2019 جاءت مصر في طليعة أكبر مستوردي الأسلحة الألمانية بين الدول العربية، إذ حلت في المرتبة الثانية، بواردات أسلحة ألمانية بلغت قيمتها 802 مليون يورو. للمزيد من المعلومات أنظر: إيمان ملوك، كريستين كنيب، تفوق الجيش المصري إقليمياً.. قوة تتزايد في وجه التهديدات؟، DW، 06 فيفري 2020، الرابط: <https://bit.ly/2ZchCy5>

⁵ داليا عثمان، قائد القوات الجوية: نحن الأقوى بالمنطقة.. ولا نعتد على دولة واحدة في التسليح، جريدة المصري اليوم، الإثنين

14/10/2013، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Za0TeZ>

القوات البحرية بالتنوع ما بين حاملات مروحيات، طرادات، فرقاطات، غواصات، سفن إنزال، سفن مضادة للغواصات، سفن نقل، سفن تدريب، ناقلات وقود، كاسحات ألغام، زوارق مدفعية، زوارق صواريخ، زوارق طوربيد، زوارق دورية، قاطرات، وتعتمد على سلاح الجو للاستطلاع البحري والحماية ضد الغواصات¹.

القوات الجوية: هي أحد الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، ساهمت منذ إنشائها في أغلب الحروب والنزاعات التي خاضتها مصر. وتعد الأكبر حجماً في أفريقيا والشرق الأوسط، أما بالنسبة للقدرة القتالية فتعتبر الأقوى في أفريقيا وأقوى أسلحة الجو في المنطقة بعد إسرائيل وتركيا.

يتنوع أسطولها الرئيسي ما بين الطائرات المقاتلة وطائرات النقل وقاذفات القنابل والمروحيات المقاتلة ومروحيات النقل والطائرات بدون طيار. تتمركز القوات الجوية في 17-20 قاعدة جوية رئيسية من أصل 40 منشأة جوية، ويتمثل عمودها الفقري المقاتل في مقاتلات F 16 الأمريكية، داسو رافال الفرنسية، ميج 35 SU- الروسية، ومروحيات أبانشي الأمريكية، كاموف كا-52 الروسية².

قوات الدفاع الجوي المصرية: هي أحد الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، وتعد القوة الرابعة في الترتيب من حيث النشأة، وهي المسؤولة عن حماية المجال الجوي المصري. تتبع قوات الدفاع الجوي المصري في نظام تسليحها إطار ممنهج ومنظم وتتبع سياسة متوازنة في تنوع مصادر أسلحتها ومعدات ما بين صواريخ، مدفعية، رادار، حرب إلكترونية، مقذوفات، وسائل استطلاع وإنذار، كما تتعاون قوات الدفاع الجوي مع باقي أفرع وهيئات وأسلحة وإدارات وأجهزة القوات المسلحة، وتتسق بشكل رئيسي ومتكامل مع القوات الجوية وإدارة الحرب الإلكترونية، بهدف تحقيق الحماية الكاملة للمجال الجوي المصري³.

الجيش والمناطق العسكرية (القوات البرية)

وهي التشكيل الأكبر والأقدم في الهيكل التنظيمي بالجيش المصري وتتوزع على سبع مناطق عسكرية رئيسية هي على التوالي: القيادة الموحدة لمنطقة شرق القناة، الجيش الثاني الميداني، الجيش الثالث

¹ محمد محمود فايد، القوات البحرية المصرية السادسة عالمياً والأولى عربياً وإفريقياً، جريدة أخبار اليوم، الجمعة 22 سبتمبر 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/35886jj>

² محمد محمود فايد، القوات الجوية المصرية: تعرف على أهم أنواع الطائرات التي تمتلكها القوات الجوية، أخبار اليوم، السبت 14 أكتوبر 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2R0fZz7>

³ قائد قوات الدفاع الجوي لـ "الأهرام": تحديث المنظومة بأرقى الأسلحة في الترسانة العالمية، جريدة الأهرام، 10 جويلية 2016، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z6v5r1>

الميداني، المنطقة الجنوبية العسكرية، المنطقة الشمالية العسكرية، المنطقة الغربية العسكرية، المنطقة المركزية العسكرية.1

_ نظام الخدمة العسكرية: للذكور من سن 18-30 سنة، الخدمة الاجبارية 18-36 شهراً، يليه التزام احتياطي لمدة 9 سنوات، التجنيد الطوعي ممكن من سن 15 (2017)،² أما الأفراد المتاحون للخدمة فعددهم يقارب (36.075.104)، بزيادة سنوية تقدر بـ (1.551.229).

_ وبالنسبة لأعداد أفراد الجيش تكون في مجموعها كالتالي: (440.000) جندي فاعل/ (480.000) جندي في الإحتياط/ ومجموع أفراد الجيش: (920.000) جندي. وهي تقديرات عام 2019.³

وفي إحصائيات موقع "GFP" العالمي المختص بالشأن العسكري للدول فقد ورد، أن الجيش المصري جاء ضمن أقوى 10 جيوش لعام 2020، في تقدم ملحوظ بعدما قفز تصنيفه من المركز الـ12 عالمياً لعام 2019 إلى المركز 9 عالمياً ومن المركز الثاني إقليمياً إلى المركز الأول متفوقاً على جيوش كبيرة أخرى في المنطقة، أبرزها نظيره التركي الذي كانت له الصدارة في قائمة أقوى جيوش العالم لعام 2019.

ووفق التصنيفات الجديدة باتت مصر تتفوق عسكرياً على كل من تركيا وإيران وإسرائيل، حيث تراجع تصنيف تركيا إلى المركز 13 هذا العام بعدما كان يحتل جيشها المركز 9 عالمياً والأول في المنطقة. وأظهر مؤشر القوة، تفوق الجيش المصري أيضاً على الجيشين الإيراني الذي جاء في المركز 14 والإسرائيلي الذي حل في المركز 18.

وبحسب الموقع تركزت قوة الجيش المصري في القوات البرية التي بلغ مجمل تعدادها 920 ألف جندي من بينهم 440 ألف جندي فاعل.

وبشكل ملحوظ قفز تصنيف سلاح الدبابات لدى الجيش المصري إلى المرتبة 4 عالمياً بعدما كان في المرتبة 14 عالمياً خلال العام الماضي، ووفقاً للبيانات الجديدة يمتلك الجيش المصري قرابة 4300 دبابة في زيادة مضاعفة عن بيانات العام الماضي التي كانت تشير إلى امتلاكه قرابة 2160 دبابة،

¹ القيادة الموحدة لمنطقة شرق القناة: هي القيادة الموحدة للجيشين الثاني والثالث وأنشأت اعتباراً من 1 فبراير 2015 ليكون الجيشان تحت قيادة ضابط برتبة فريق. لمزيد من المعلومات أنظر لـ: صحيفيو رويترز، السياسي يشكل قيادة موحدة لشرق القناة ومكافحة الإرهاب، Reuters الشرق الأوسط، 31 جانفي 2015، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3btrZT4>

²The World FACTBOOK, EGYPT (Military and security) 2019, 12 May 2019, link: <https://bit.ly/3i3NE6K>

³ Egypt Military Strength 2019, Op cit.

كما أصبح جيش مصر السادس عالمياً في عدد العربات المدرعة، بعدما كان يحتل المرتبة 13 عالمياً العام الماضي، وبات في المرتبة السادسة عالمياً في عدد قطع المدفعية الذاتية.

أما من حيث القوة البحرية، فحصل الجيش المصري على تقييم مرتفع في قوة الألغام البحرية، وجاء بالمركز الثاني عالمياً، وعلى صعيد القوة الجوية، حل سلاح الجو المصري في المركز 5 عالمياً من حيث عدد المقاتلات التدريبية، التي يمتلك منها 387 طائرة بينما حل في المرتبة 8 عالمياً من حيث عدد المروحيات الهجومية، في حين حل سلاح الجو المصري بالمركز 10 عالمياً في مجمل عدد الطائرات العسكرية.

من جهته حافظ الجيش الإيراني على تصنيفه 14 كقوة عالمية وإقليمية، وبقي متقدماً على كل من السعودية وإسرائيل وفقاً لـ (Global Firepower)

وقفز تصنيف الجيش السعودي من المركز 25 عالمياً و5 إقليمياً لعام 2019 إلى المركز 17 عالمياً و4 إقليمياً في قائمة هذا العام، متقدماً على إسرائيل التي تراجعت من المركز 17 عالمياً و4 إقليمياً عام 2019 إلى المركز 18 عالمياً و5 إقليمياً وفق آخر إحصائية¹.

3_ نظام التسليح المصري:

خلال الفترة التي أعقبت انقلاب 2013، اتجهت القوات المسلحة المصرية لتنويع مصادر تسليحها بشكل كبير. واستحوذت شركات السلاح الروسية، ثم الأوروبية على نصيب الأسد من مشتريات السلاح المصرية، مع تطرق المشتريات لدول مثل الصين وكوريا الشمالية وحتى كرواتيا.

غير أن خريطة مصادر التسليح المصري تكشف عن مفاجأة كشفتها صحيفة "معاريف"، من أن مصر أصبحت واحدة من أهم زبائن الأسلحة الإسرائيلية²، وهو الباب الذي فتحه الرئيس الأسبق "مبارك"، وأوقفته ثورة 25 يناير/جانفي 2011، إلا أنه عاد ليفتح مجدداً على يد رأس "سلطة 3 يوليو" الانقلابية، وأن صادرات الأسلحة الإسرائيلية لمصر تأتي تحت بند معدات الهايتك (التقنية العالية) والسايبر والاستخبارات، وأنها مبيعات تتم بالمخالفة لقانون إسرائيلي يحظر توريد وبيع الأسلحة للدول العربية

¹ Middle East Military Strength (2020), GFP Strength in Numbers, link: <https://bit.ly/35ad2Ew>

² خلال الفترة التي أعقبت انقلاب يوليو/جويلية 2013، انتابت القوات المسلحة المصرية حمى شراء الأسلحة، وهو الأمر الذي يثير علامات استفهام، بالنظر لكون مصر - بحسب تصريحات خبراء - وكذلك بحسب رؤية الخبراء العسكريين الأمريكيين أنفسهم - تواجه تهديدات أمنية تقليدية محدودة من جيرانها، وأن توجهها القتالي الحالي ومشترياتها من السلاح، في ظل حالة السلام مع إسرائيل، غير ملائمة لموقفها الجيو إستراتيجي المستقر في أفضل الأحوال. هذا فضلاً عن أن الجل الساحق من الأسلحة التي اشترتها مصر مؤخراً لا يمكن استخدامها في مجال مكافحة الإرهاب. لمعلومات أكثر أنظر: مجموعة محررين، اتفاقية "سيسموا" .. هل أصبح الجيش المصري تحت تصرف واشنطن؟، ميدان، 2018/4/2، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z9zh9v>

المعادية. غير أن الصحيفة لم تكشف عن نوعية هذه الأسلحة ولا عن قيمة الصفقات التي تمت بين الجانبين.¹

وحسب تقارير مصرية لسياسات التسليح العسكرية²، فإن ادخال أحدث الفرقاطات ولنشات الصواريخ والغواصات وحاملات المروحيات المسترال بما لها من خواص استراتيجية وتكتيكية تعزز من القدرات الهجومية والدفاعية للقوات المسلحة، وكذلك ادخلت أحدث اجيال المقاتلات متعددة المهام القادرة على الردع والوصول للأهداف المخططة لها على مدد بعيدة وتحت مختلف الظروف، كذلك أحدث منظومات الدفاع الجوي، بالتزامن مع اعادة تسليح ورفع كفاءة التشكيلات التعبوية بجميع وحداتها والاسلحة المعاونة وعناصر الدعم وتطوير الوحدات الخاصة بما يتناسب مع تطور نظم واساليب القتال الحديثة.³

وتشمل الصفقات التي عُقدت مختلف أنواع التسليح والذخائر والاحتياجات الفنية الخاصة بالطائرات، وفي هذا المجال حصلت مصر على عدد من الطائرات الفرنسية من طراز رافال متعددة المهام والتي بدأت تعمل بكفاءة في خدمة القوات الجوية، كذلك الطائرات الروسية المقاتلة والمتقدمة من طراز Meg29، وطائرات أخرى من طراز كاسا C-295 كذا الحصول على عدد من الطائرات الأمريكية من طراز F16، وعدد من أنظمة الطائرات الموجهة بدون طيار. وحرصت على تزويدها بأحدث الأسلحة البحرية المستخدمة في جيوش الدول المتقدمة، حيث زودت بفرقاطة فرنسية من طراز FREMM لدعم أسطول الفرقاطات المصرية في البحرين الأبيض والأحمر، وتوج تسليح البحرية المصرية بالحصول على حاملات الهليكوبتر الفرنسية من طراز ميسترال، والتي اصبحت تمثل قوة هائلة متعددة القدرات ومتنوعة المهام في المنظومة القتالية للبحرية المصرية وبالغواصات الألمانية S-43 من طراز 209 / 1400⁴، وهي تعد الأحدث والأكثر تطوراً في عالم الغواصات..

¹ عبد الله المصري، مصر تشتري الأسلحة من (إسرائيل).. هذه أبرز المخاطر، موقع عربي، 21، القاهرة، في 12 جوان 2019، على الرابط: <https://bit.ly/2QYX7k0>

² للتدقيق أكثر في الموضوع أنظر: محمود جمال، مصر: سياسات التسليح العسكري 2018 (تقارير 5 أبريل 2019)، المعهد المصري للدراسات، تركيا، 2019. متوفر بصيغة PDF، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h5HoKq>

³ بهاء المهدي، عمر جلال، مرجع سبق ذكره.

⁴ تعد الغواصة S-43 مع مثيلاتها نقلة غير مسبوقة للقوات البحرية المصرية مما سيساهم في رفع تصنيفها عالمياً، وقد تم تأهيل الأطمق الفنية والتخصصية العاملة علي الغواصة في وقت قياسي وفقاً لبرنامج متزامن بكلاً من مصر وألمانيا حيث تم تدشينها في مايو 2019. وتعتبر الغواصة من أحدث الطرازات الهجومية على مستوى العالم حيث لديها القدرة على إطلاق صواريخ مضادة للسفن كما أنها تقوم بزراعة الألغام البحرية، واستهداف المواقع البرية الساحلية ولها دور مهم في مرافقة وحماية حاملات الطائرات، وتستطيع الإبحار لمسافة 11 ألف ميل بحري وتبلغ سرعتها تحت الماء 40 كيلو متر/ساعة وتغوص حتى عمق 500 متر تحت سطح الماء، وتضم الغواصة ثمانى أنابيب طوربيد ومخزن يسع أربعة عشر طوربيد مزوده بأحدث أنظمة الملاحة والاتصالات، وتمتلك حزمة كبيرة

واشتمل نظام التسليح والتطوير على تنظيم تشكيلات جديدة داخل القوات المسلحة من بينها قوات التدخل السريع المحمولة جواً، وإنشاء الاسطول الجنوبي لتأمين مسرح العمليات البحري بنطاق البحر الأحمر، وإعادة تجميع بعض التمرکزات العسكرية في شكل قواعد عسكرية متكاملة تتوافر فيها جميع الخدمات الإدارية والمعنوية للفرد المقاتل.

وفي منظومة التطوير والتسليح التي تتبعها القوات المسلحة حظي التصنيع الحربي باهتمام كبير في تلك الرؤية، خاصة في مجال التصنيع المشترك والذي يتركز في الدبابة A1 M1 للوفاء باحتياجات القوات المسلحة من الدبابات الحديثة، ليشمل كذلك العديد من الأسلحة الرئيسية والكثير من المعدات الفنية والصواريخ المضادة للدبابات والذخائر الثقيلة ولنشات المرور السريعة والطائرات الموجهة بدون المركبات والجرارات الخاصة بحمل الدبابات وبعض المعدات الهندسية¹.

وفي الأخير يقدر إجمالي عدد الأسلحة التي تمتلكها القوة المصرية حسب إحصائيات (GFP) لعام 2019:

_القوة البرية: بالدبابات: 2.160 / المدفعية: 5.735 / مدفعية ذاتية الدفع: 1000 / مدفعية مقطورة: 2189 / راجمة مدفعية صاروخية: 1100.

_القوة الجوية: الصواريخ: 253 / الصواريخ المضادة 341 / طائرات نقل: 59 / المروحيات: 293 / المروحيات الهجومية: 64 / الطائرات الهجومية: 319.

_القوة البحرية: حاملات الطائرات: 2 / البوارج: 7 / فرقاطات: 9 / الغواصات الهجومية: 4 / الزوارق الدورية: 50 / سفن حرب الألغام: 31 / محطات وموانئ: 9.²

وفي الأخير، واعتماداً على مجموعة من البيانات والتجهيزات العسكرية المصرية، يمكن القول ان القوة المصرية العسكرية إذا ما قورنت بالقوات الإقليمية الأخرى إيران، تركيا، و(إسرائيل)، فإنها تمثل في الآونة الأخيرة قوة لا يستهان بها، تداركت الأوضاع المحيطة بها وأثبتت ثقلاً لا بأس به، محاولة بذلك استرجاع مكانتها في حسابات التوازن الإستراتيجي بمنطقة الشرق الأوسط، التي خسرتها من قبل جراء الأوضاع السياسية والأمنية الداخلية التي عاشتها. واليوم أصبحت تمثل هاجساً أمنياً لبعض الدول الإقليمية، ويبقى لها دور هام في تحقيق أهدافها وحماية مصالحها في المنطقة.

من الأجهزة الفنية والإجراءات الدفاعية. للمزيد انظر: وصول الغواصة s-43 الألمانية إلى قاعدة الإسكندرية لتنظم إلى القوات البحرية، وزارة الدفاع، أخبار القوات المسلحة المصرية، 2020/05/06، على الموقع الرسمي للوزارة: <https://bit.ly/3i1ybnX>¹ المرجع السابق ذكره.

²Egypt Military Strength, Op cit.

إلا أنه ومن وجهة نظر أخرى فإن مصر في عهد السيسي بقيت تسجل مستويات متدنية للدخل الفردي، وسجلت أعلى معدل للدين الخارجي في تاريخ البلاد، في حين تحولت مصر إلى واحدة من أكبر مستوردي السلاح في العالم، فأنفقت مليارات الدولارات على أسلحة ومعدات من روسيا وفرنسا وألمانيا وغيرها من الدول دون حاجة فعلية لذلك، على اعتبار أن مصر ليست في حالة حرب أو صراع حتى تستورد هذا الكمّ المكلف من المعدات، فضلاً عن أن زيادة القدرات القتالية التقليدية ليس بالضرورة أمراً مفيداً في محاربة الإرهاب. علاوةً على ذلك، فإن تنويع مصدر أنظمة القتال ليس أمراً مفضلاً لدى الدول للوصول إلى كفاءة قتالية عالية. لذلك، فإن الهدف لم يكن رفع كفاءة القوات المسلحة المصرية أو جاهزيتها بقدر ما كان شراءً لشرعية سياسية من الخارج.

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي المصري في سورية والشرق الأوسط

أولاً: الإستراتيجية المصرية بين الاتجاهات والأولويات في ظل التحولات الإقليمية الجديدة

1: القوة المصرية في بحثها عن دور القيادة الإقليمية

تكمن أهمية مصر الجيوبوليتيكية في كونها منفتحة على أبعاد جيوسياسية مختلفة في آن واحد، فهي تشرف على منطقة شمال إفريقيا من الشرق، وتتصل بالعمق الإفريقي من الشمال، وتخولها سبيل الاتصال بالشرق الأوسط وبلاد الشام برّاً وبحراً من خلال البحر الأحمر والبحر المتوسط، وهي مُطلّة في نفس الوقت على شبه الجزيرة العربية من خلال البحر الأحمر قبالة غرب السعودية، وهو ما يعطيها الخيارات للعب أدوار على أكثر من منصة إقليمية في وقت واحد. وتمتلك مصر ثروات طبيعية أهمها الغاز والنفط والقطن، وتعتبر واحدة من أغنى دول العالم بالآثار التاريخية الأمر الذي يؤهلها لأن تحتل مراتب متقدمة عالمياً لناعية جذب السياح وتالياً العملات الصعبة، كما تمتلك قناة السويس التي تدر عليها دخلاً منتظماً إضافة إلى كونها الأكبر في العالم العربي من حيث عدد السكان، وتمتلك قوة عسكرية لا يستهان بها.

إلا أنها وبسبب توقيعها على اتفاقية كامب ديفيد للسلام مع (إسرائيل). ومنذ تلك الفترة -أي العام 1990 وحتى العام 2011- بقي لمصر تأثير على بعض الملفات الإقليمية، لكنها (أي مصر) كانت بمثابة عامل توازن وإدارة وليس قوة إقليمية مهيمنة.¹ بمعنى آخر، لم تكن تمتلك القدرة التي تؤهلها لأن تعكس قوتها المفترضة إقليمياً لكي تحصل على النتائج التي تريدها لصالحها.

¹ Abdou, Mahmoud, *Is Egypt a Regional Hegemon?* LSE Student Union – Politics and Forum Journal, May 2014, p. 64 – 69.

فقد عانت السياسة الخارجية المصرية في ظل نظام ما قبل ثورة يناير/جانفي 2011، إختلالات هيكلية كبيرة أفقدت مصر حركتها عربياً وأفريقياً، وتجلت ذلك في تراجع التأثير في أكثر من قضية إقليمية وثنائية كبرى، تداخلت بعمق مع الأمن القومي المصري، وأدت إلى إثارة المزيد من التحديات الأمنية والإستراتيجية.¹

كما أن مصر عانت من مسألة عدم توازن المكانة في عهد النظام السابق، لذلك تسعى مصر اليوم من خلال تفاعلاتها الإقليمية والدولية، إلى تعظيم مكانتها الدولية، وصولاً إلى حالة توازن المكانة. ولذا فإن المهمة الأساسية لمصر بدأت تظهر نتائجها في المرحلة الحالية حيث عملت في السنوات القليلة الأخيرة على إعادة بناء المكانة الإستراتيجية، من خلال بعث حقيقي لعناصر القوة المصرية بما يتناسب مع إمكاناتها ومكانتها الإقليمية والدولية، ومن خلال تشكيل موقعها في البيئة الإقليمية بالطريقة التي تعظم من المصالح المصرية. ونلمس ذلك جلياً فيما سبق ذكره من الإحصائيات الأخيرة التي أبرزت طفرة كبيرة لمؤشر قوة الدولة لمصر.

وكمؤشر قوي أيضاً على استعادة مصر لدورها الإقليمي، فقد احتفلت مصر بمرور 150 عاماً على إنشاء قناة السويس وفي العام ذاته تبوأَت رئاسة الإتحاد الإفريقي بعد أن علّق الإتحاد عضويتها منذ بضع سنوات.

ويبدو أن التزامن بين الحدثين يُظهر كيفية تأثير الجغرافيا المصرية على تاريخها. فمصر أهم من أن يتم تجاهلها أو مقاطعتها، ولكن أحياناً تكون أضعف من أن تتحكم في محيطها.² وفي حين أنّ مقدار أهمية مصر بالنظام الإقليمي والعالمي ربما يكون موضع جدل، فقليلون في الشرق الأوسط سوف يجادلون في محورية دورها بالمنطقة. ومع ذلك، فإنّ رغبة مصر في إشراك نفسها بالشؤون الإقليمية تزيد وتتقص وفقاً لمدى استقرارها في الداخل.

¹حسن أبو طالب، الدبلوماسية الشعبية وإعادة الاعتبار للمكانة المصرية، مجلة السياسة الدولية، العدد (186)، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2011، ص 54.

²غياب مصر الإقليمي لم يكن الدليل الوحيد على ضعفها، إذ إن هناك مؤشرات أخرى تفيد بأن فقدانها للقوة وفشل استغلال ما لديها واعتمادها على الآخرين دفعها للتنازل عن سيادتها لقوى أخرى وجعل منها مجرد تابع إقليمي للمرة الأولى تاريخياً. وفي هذا السياق، يُضرب المثال بتنازل السلطات المصرية عن جزيرتي تيران وصنافير في البحر الأحمر للمملكة العربية السعودية؛ ففي 8 أبريل/نيسان 2016، وأثناء زيارة الملك سلمان لمصر، تم توقيع اتفاقية تتخلى القاهرة بموجبها عن الجزيرتين للرياض، وتم التصديق على هذه الاتفاقية في 14 يونيو/حزيران 2017. علاوةً على ذلك، هناك من يشير إلى أن النظام المصري قد تنازل أيضاً عن حقوق مصرية (إسرائيل) في غاز شرق المتوسط ومنح مساحة بحرية واسعة لليونان أيضاً. للمزيد انظر: علي حسين باكير، المكانة الإقليمية المصرية في الذكرى الثامنة لإندلاع الثورة المصرية: هل مصر قوة إقليمية؟، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، نشر في

2019/01/29، ص 8، متوفر PDF، على الرابط التالي: <https://bit.ly/32XPkbS>

وفي نفس السياق، فقد عقد معهد الشرق الأوسط بواشنطن بالتعاون مع المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية مؤتمراً يوم 25 سبتمبر 2019 في نيويورك، تحت عنوان "مصر في شرق أوسط متغير"، وفي مداخلة "بول سالم" ¹ مدير مركز الشرق الأوسط بواشنطن، دعا: "إلى أن تقود مصر المنطقة وتأخذ دور القيادة، حتى لا تظل المنطقة معتمدة على السياسة الأمريكية.... فقد جاء الوقت الذي يجب أن تأخذ فيه مصر دور الريادة.. لأنها أكبر دولة عربية".²

ثانياً: أهداف ومحددات السياسة الخارجية المصرية في الشرق الأوسط بعد 2011

تستند السياسة الخارجية المصرية تجاه الازمات في منطقة الشرق الأوسط الى عدة مرتكزات، تتلخص في الحفاظ على الأمن القومي المصري وما تمثله تلك الملفات من تهديد لأمن واستقرار مصر بالإضافة الى الالتزام التاريخي لمصر تجاه الدول العربية. وتتبع مصر سياسة استراتيجية تقوم على مساعدة الدول العربية لتخطي أزماتها بما يحقق الأمن والاستقرار في المنطقة وانعكاس ذلك على الأمن القومي المصري، مع التأكيد على مبدأ تسوية المنازعات بالطرق السلمية، وينطبق هذا المبدأ على قضايا رئيسية كالقضية الفلسطينية التي قامت الدبلوماسية المصرية فيها -على حسبها- بجهد ناجح لوضع المصالحة الوطنية الفلسطينية موضع التطبيق.³

لا شك أن منطقة الشرق الأوسط أكثر المناطق عرضة لمخاطر تفكك الدول الوطنية، وما يعقبها من خلق بيئة خصبة للإرهاب وتفاقم الصراعات الطائفية. وبعد الحفاظ على قوام الدولة وإصلاحها أولوية أساسية لسياسة مصر الخارجية في المنطقة العربية، فلا مخرج من الأزمة في سوريا واليمن، إلا باستعادة الدولة الوطنية، والحفاظ على سيادتها وسلامة مؤسساتها وتحقيق التطلعات المشروعة لمواطنيها، ومصر في طليعة الداعمين للحل السياسي الذي تقوده الأمم المتحدة في هذين البلدين.

وفي سوريا عندما اتخذت الأزمة الاتجاه الرامي الى التهدئة لعبت مصر دور الوساطة بين الاطراف الدولية والجيش السوري وفصائل المعارضة فيما عدا جبهة النصرة وفيلق الرحمن لاستبعاد مصر الفصائل

¹ وأضاف "بول سالم" في الجلسة الافتتاحية "يجب أن يكون هناك تحالف عربي يضم مصر والسعودية والإمارات، وأن يقوم هذا التحالف بالتعامل مع الانقسام العربي الداخلي خاصة في الخليج، مشيراً إلى أن مصر في وضعية تسمح لها بلعب هذا الدور، خاصة أن لديها سلاماً مع إسرائيل وعلاقات مع دول المنطقة، وبالتالي فإنها قادرة على القيادة، حتى لا تظل المنطقة معتمدة على الولايات المتحدة. وهنا نتوضح لنا مسألة التكليف الأمريكي لمصر بمهمة القيادة الإقليمية للمنطقة بدلها لتخفيف الأعباء عنها ولضمان مصالحها فيها.

² شادي عبد الله زلطة، مدير مركز الشرق الأوسط بواشنطن: جاء الوقت الذي يجب أن تأخذ فيه كثر دور الريادة، بوابة الأهرام، نيويورك، 2019/9/25، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h3Yj07>

³ أمال الشيخ، السياسة الخارجية المصرية تجاه الازمات العربية، في 19 ماي 2020، على الرابط: <https://bit.ly/2DwH6i2>

المصنفة ضمن التنظيمات الإرهابية المتطرفة، ويحكم العلاقات المصرية السورية عدد من الثوابت أهمها التأييد المطلق لحل الأزمة بشكل سياسي سلمي.

ويتسم الموقف تجاه الأزمة اليمنية بالثبات منذ اندلاع الصراع، حيث تدعم مصر المؤسسات الشرعية ورموز الدولة في اليمن وتشدد على ضرورة التزام أطراف الصراع في اليمن بالحل السياسي المبني على أساس المبادرة الخليجية وآلياتها وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، باعتبار أن أمن الخليج العربي جزء لا يتجزأ من الأمن القومي المصري، ولتأمين المصالح المصرية في مضيق باب المندب. والمبدأ نفسه ينطبق على سياسة مصر تجاه ليبيا، التي تظلع مصر فيها بدور مركزي لدعم إعادة بناء الدولة، خاصة فيما يتعلق بتوحيد المؤسسة العسكرية لتوفير بنية قادرة على الدفاع عن ليبيا ومواجهة مخاطر الإرهاب، وتعمل مصر على مستويات عدة تجاه الأزمة الليبية أولها يتعلق بالشق الأمني بتأمين المناطق الحدودية ومراقبة نشاط التنظيمات الإرهابية، للحفاظ على تأمين الشريط الحدودي .

كما تعمل مصر أيضا على منع تحول ليبيا إلى بؤرة جديدة لاستقطاب الإرهابيين والمتطرفين في المنطقة، خاصة في ظل الخسائر التي مني بها تنظيم داعش في كل من العراق وسوريا وخسارته لمساحات شاسعة كان يسيطر عليها جغرافيا¹.

1- دوافع وأهداف السياسة الخارجية المصرية تجاه الأزمة السورية

تباينت رؤى ومواقف الدول حول الأزمة السورية ومنها موقف مصر الذي تباين واختلف خلال تلك الفترة وفقا لرؤية النظام السياسي المصري وما يتناسب مع مصلحته حيث كانت تطورات الأحداث وما شهدته مصر خلال تلك الفترة وتغيرات الحكم هو العامل الحاسم في موقف السياسة الخارجية المصرية حيال تلك الأزمة. وبذلك تشكلت ثلاثة مواقف متباينة إزاء تلك الأزمة وذلك وفقا لفترات الحكم في مصر خلال تلك الفترة. فلا شك أن الموقف المصري تجاه القضية السورية قد اختلف بشكل جذري ما بين عهد الرئيس "محمد مرسي" والرئيس "عبد الفتاح السيسي". فالرئيس "مرسي" قطع العلاقات الدبلوماسية مع نظام "الأسد"، بل ودعم بكافة الأشكال جميع التحركات التي من شأنها إسقاط حكمه، وقال إنه "لا مجال ولا مكان للنظام السوري الحالي في سوريا مستقبلا" معتبرا أنه "ارتكب جرائم ضد الإنسانية".

بينما كانت أهم تصريحات الرئيس "السيسي" هي أن مصر تدعم الجيوش الوطنية في المنطقة العربية لحل الأزمات ولحفظ الأمن والاستقرار"، في رسالة لم يخطئها أحد بشأن دعم الجيش العربي السوري، ومن خلفه الرئيس "بشار الأسد" في الحرب ضد الجماعات الإسلامية المسلحة؛ ضماناً لوحدة الأراضي السورية.

¹ أمال الشيخ، المرجع السابق.

ومع بداية حكم السيسي لمصر، نأت الدبلوماسية المصرية بنفسها عن الانخراط بقوة في الملف السوري، وأخذت تراقب الوضع وتدرس مواقف الحلفاء، خصوصاً مع تنامي دور تركيا، المنافس الأول للنظام المصري الحالي، وسيطرتها بشكل كبير مع إيران على الكثير من الملفات المتعلقة بالأزمة السورية. وبعد ترقب للموقف وخلافات مع السعودية بشأن بقاء "بشار" ونظامه من عدمه وتصويت في الأمم المتحدة آثار جدلاً شديداً، توسطت مصر وبمباركة سعودية وروسية في إبرام اتفاق الهدنة في الغوطة الشرقية ثم اتفاق الهدنة شمالي حمص فيما يبدو أنه محاولات مصرية حثيثة لتوسيع دورها في الأزمة السورية، بالتنسيق مع قوى إقليمية ودولية ما قد يعزز من رغبة الفاعلين في الملف السوري في تعظيم الدور المصري على حساب دور تركي أو إيراني يبدو أنه فشل حتى الآن في تهدئة الأوضاع على الأرض.

أ_ مصر في دور الوساطة لحل الأزمة السورية

يرى تيار "الغد السوري" المعارض، المقيم بالقاهرة، أن مصر طرف مقبول من جانب طرفي الصراع في سوريا خاصة وأنها ليس لها أي أطماع أو مصالح خاصة وتهدف إلى الحل السياسي السلمي، بحسب ما يرى التيار. "أحمد الجربا"، رئيس تيار الغد السوري قال إن "اختيار مصر كدولة راعية لاتفاقيتي وقف إطلاق النار في الغوطة الشرقية وريف حمص الشمالي، كان نتيجة طبيعية وضرورية لدورها الفاعل باعتبارها الأكثر حرصاً على حرمة الدم السوري". وأضاف أن "مصر لم تشارك بأي وسيلة من الوسائل في سفك الدماء، وتعتبر سوريا جزءاً لا يتجزأ من تاريخها وسلامة أمنها القومي كما أنها أكثر الدول التزاماً بحل الأزمة السورية بالطرق السلمية ولم تشارك نهائياً في سفك الدماء بسوريا¹".

الرئيس السوري بشار الأسد من جانبه يرتاح لدور مصر الحالي، التي أعلنت أكثر من مرة مساندتها لوحدة الدولة السورية وتأييدها للجيش الوطني، حيث عقدت العديد من الاجتماعات بين القاهرة ودمشق، حضرتها وفود أمنية رفيعة المستوى من الدولتين لم يعلن عن أغلبها، كما قدمت مصر مساعدات فنية وخبرات أمنية كبيرة لسوريا².

ويلاحظ هنا أن تأكيد مصر على البعد السياسي لحل الأزمة يتفق نسبياً مع ما يطرحه نظام الأسد الذي ما يزال يخشى حدوث تدخل عسكري لفرض مناطق حظر جوي في سوريا، كما أنه أيضاً لا يشترط رحيل الأسد كما تطالب المعارضة السورية، ولكنه في الوقت نفسه يرضي المعارضة كونه لم يعد العلاقات الدبلوماسية مع نظام الأسد، أي أن الموقف المصري يحتوي نقاطاً في صالح النظام، وأخرى في صالح المعارضة؛ بما يجعل دوره في التوسط بين الطرفين أمراً مقبولاً على الأقل من الناحية النظرية.

¹الدور المصري في سوريا.. وساطة نزيهة أم بحث عن زعامة غائبة؟، DW، في: <https://bit.ly/2F66vzy>:2017/08/07

²المرجع السابق بالذكر.

وقد بدا بوضوح أن الجهد المصري يتركز في محاولة جمع المعارضة السورية وإقناعها بتوحيد موقفها أولاً قبل الدخول في حوار مع النظام. ولكي لا تستفز خطوة استضافة مصر لمؤتمر المعارضة السورية نظام الأسد، اقترح السفير بدر عبد العاطي إمكانية إقامة حوار سوري - سوري، يستضيفه أحد مراكز الأبحاث بالقاهرة بين الأطراف السورية المعارضة؛ للتوصل إلى وثيقة موحدة تعكس رؤيتهم لكيفية التوصل إلى حل سياسي في سوريا.¹ وما جعل أيضاً من مصر وسيطاً نزيهاً هو أن الحكومة المصرية لم تتورط في مساندة أي من الحركات التي تناهض حكم "الأسد"، خصوصاً الحركات الإسلامية المسلحة، وقد حاولت مصر مساندة بعض القوى السياسية المعارضة لنظام الأسد، لكنها كانت قوى معتدلة لا ترفع السلاح ولا ترفع راية الإسلام السياسي.

كما أن مصر تربطها علاقات جيدة إلى حد ما مع معظم الأطراف المنخرطة في الصراع بسوريا باستثناء الأطراف التي تدعمها كل من تركيا وإيران وحتى بعد تولي الرئيس "السيسي" الحكم صدرت بعض تعبيرات الود والتقدير من جانب الرئيس "الأسد" تجاه مصر.

لا يعتقد أن دور مصر مركزي في القضية السورية لكنها في الأشهر الأخيرة أرادت أن تلعب دور تهدئة، وبسبب علاقاتها الجيدة مع روسيا ربما قررت الخارجية الروسية إتاحة هذا الدور لها بحيث تكون مصر فاعلة بشكل أو بآخر في القضية السورية. فلا يمكن لمصر أن تتدخل بهذا الشكل دون موافقة الولايات المتحدة وروسيا المسيطرتين على المحاور الإقليمية والدولية الفاعلة في سوريا اليوم².

ويبدو أن نشاط مصر والتحالف الثلاثي الخليجي - السعودية والامارات والبحرين - قد امتد ليصل نفوذه إلى سوريا، وأن الأمر لم يعد مقتصرًا على مقاطعة قطر أو التضييق عليها في محيطها الإقليمي فقط وإنما امتد إلى الجهات التي تدعمها هي وتركيا في الداخل السوري، في تنسيق واضح واتفاق معلن بين الدول الأربعة، التي ما كانت اتفاقات التهدئة في سوريا لتتم دون وجود اتفاقات بينها في خلفية المشهد.

فهناك نوعاً من التطور حدث في مواقف الدول المنخرطة في النزاع، فالحكومة الروسية لا تريد اتساع نفوذ تركيا وإيران في سوريا ولذلك تسعى لإدخال أطراف أخرى في المشهد، كما أنها تخشى من نوايا تركيا في الملف السوري، ونظراً لحالة التوتر بين مصر وتركيا فمن مصلحة روسيا إدخال مصر إلى المشهد - ومن خلفها دول الحلف الخليجية الثلاثة - كما ان السعودية يبدو أن موقفها قد تغير من بقاء بشار الأسد وبالتالي فلم تعد مصر تخشى من تأثير علاقاتها القوية معها إذا ما دخلت في تسوية المشكلة السورية، كل

¹ سعيد عكاشة، التوافقات الصعبة: هل تقود القاهرة مبادرة لحل الأزمة السورية؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة،

الجمعة، أبو ظبي، 02 جانفي/يناير 2015، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jMfhli>

² الدور المصري في سوريا... مرجع سابق.

هذه العوامل جعلت مصر مرشحة للدخول بقوة في بعض الترتيبات التي قد تفضي الى احتواء النزاع في سوريا.

ب_ دور مصري على حساب تركيا وإيران؟

تحاول الدبلوماسية المصرية شيئاً فشيئاً الإمساك بزمام عدد من الملفات في سوريا، مع علمها اليقيني بأن ذلك سيزيد من التوترات مع تركيا، فليس هناك أمل في تحسن العلاقات المصرية مع تركيا في المستقبل القريب ولذلك لم تنتظر تركيا للدور المصري بعين الارتياح أو الرضا لكن الدور المصري إلى الآن يتمثل في تيسير الوصول إلى مناطق معينة وخفض التوترات في بعض المناطق الأخرى وهي مسألة وافقت عليها كل من تركيا وإيران بالاتفاق مع روسيا.

أما فيما يتعلق بالعلاقات المصرية الإيرانية فإنه لا يبدو واضحاً تماماً أنها على القدر نفسه من التوتر لكن ما يخرج عن الجانب الإيراني تجاه مصر هو دائماً إشارات طيبة، رغم أنه من المؤكد أن إيران تدرس حالياً نتائج توسع الدور المصري في المشهد السوري وتأثيرات ذلك عليها، لكنه لن يكون أبداً بالقدر نفسه من القلق الموجود لدى تركيا¹.

ثالثاً: آليات توظيف القوة المصرية لتفعيل إستراتيجيتها بمنطقة الشرق الأوسط بعد 2011

إعتمدت الإستراتيجية المصرية في منطقة الشرق الأوسط - إلى غاية الآن - على تفعيل خط واحد لتمير سياساتها بالمنطقة، وهو القوة المرنة بممارسة دبلوماسية أمنية تخدم مصالحها وتحفظ أمنها.

1: إستراتيجية توظيف القوة الناعمة في سياسة مصر الخارجية تجاه منطقة الشرق الأوسط ظهرت تحركات دبلوماسية مصرية لدفع العملية السياسية في سوريا بموجب القرار الدولي 2254، من خلال عضوية القاهرة في "المجموعة المصغرة" التي تضم دولاً عربية وعربية وتواصلها مع قوى المعارضة المعتدلة².

كما تمتلك مصر من القوة والمكانة والموقع الجغرافي والدور التاريخي ما يمكنها من لعب دور رئيسي تجاه الأزمات والصراعات داخل الدول العربية لاسيما الأزمة السورية، والدور المصري في الأزمة السورية نابع من التزامها التاريخي بسلامة الأمن القومي العربي، فالأمن القومي المصري واستقراره يبدأ من سوريا، وتدعو مصر إلى خروج كافة الميليشيات المسلحة المتواجدة على الأراضي السورية باعتبارها الخطوة الأساسية للقضاء على ذرائع الجماعات الإرهابية في التواجد بسوريا، وتتلخص الرؤية المصرية في

¹سعید عكاشة، مرجع سابق.

²سوسن أبو حسين، مصر تدعم حلاً سياسياً في سوريا يحفظ وحدتها ويعيد موقعها الطبيعي، الشرق الأوسط، رقم العدد [15122]،

الخميس - 29 شعبان 1441 هـ - 23 أبريل 2020م، القاهرة، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Za9ZIG>

التعامل مع الازمة السورية في ايجاد حل سياسي بالأساس وليس عسكريا، من أجل الحفاظ على الدولة السورية، مع ضرورة وضع الطموحات المشروعة للشعب السوري محل اهتمام .

الجهود المصرية في المصالحة بين الفصائل السورية

تؤدي مصر دورا فاعلا في مسار "التسويات المنطقية" في سوريا كخطوة يمكن البناء عليها في التسوية الشاملة من أجل الحل السياسي، وتم توقيع عدة اتفاقيات للمصالحة برعاية مصرية على النحو التالي¹ : يوليو 2017: نجحت القاهرة في الوساطة وتوقيع اتفاق هدنة في "الغوة الشرقية" أبرز معاقل المعارضة في دمشق، بالتنسيق مع وزارة الدفاع الروسية، وتضمن الاتفاق وقف جميع أنواع العمليات القتالية من قبل الجيش السوري وقوات المعارضة.

أوت 2017 :توقيع هدنة في "ريف حمص الشمالي"، أدت الى وقف الأعمال القتالية والعدائية والسماح بوجود ممرات آمنة وإدخال المساعدات والمعونات الإنسانية من قبل هيئات دولية .

سبتمبر 2017 :استضافت القاهرة العديد من مؤتمرات المعارضة السورية، وعقدت مجموعة من الاجتماعات التشاورية لعدد من القوى السياسية والقبائل المقيمة في مناطق الشرق السوري وهي مناطق الجزيرة (الحسكة) في الشمال الشرقي، ومحافظة "دير الزور والرقعة في الشرق" .

أكتوبر 2017 :اتفاق وقف إطلاق النار في جنوب العاصمة دمشق "حي القدم" بعد أن كان سكانه مهددين بالتهجير القسري من قبل النظام .

خلال العام 2017 :نجحت مصر في رعاية اتفاق لوقف إطلاق النار بين النظام والمعارضة المعتدلة في ثلاثة مناطق هي بعض أحياء الغوة الشرقية وريف حمص الشمالي وجنوب العاصمة دمشق².

¹أمال الشيخ، الرؤية المصرية في التعامل مع الأزمة السورية، الهيئة العامة للاستعلامات، في 19 ماي 2020، القاهرة، على

الرابط التالي: <https://bit.ly/3jQmm4w>

²بدأت مصر تدخل على خط الأزمة السورية في 20 يوليو 2017، وسيطاً بين الفصائل المسلحة ونظام الأسد، وذلك برعاية هدنة بمنطقة الغوة الشرقية، والتي أدت إلى وقف إطلاق النار بالمنطقة، ونشر قوات روسية تكون مسئولة عن رعاية الاتفاقية، وتأمين وصول المساعدات الإنسانية، وعمل ممرات لعبور المدنيين. دخلت روسيا ضامناً لهذه الاتفاقية، وفاعلاً أساسياً فيها، من خلال نشر قواتها لرعاية الاتفاقية، فضلاً عن تولي وزارة الدفاع الروسية إعلان نتائج مفاوضات الأيام الثلاثة التي انعقدت في القاهرة بحضور ممثل لوزارة الدفاع الروسية، وآخر من الجانب المصري، وممثل من جيش الإسلام، ونيار الغد السوري. ووجدت الاتفاقية قبولاً من الجانب السوري، الذي تعهد بوقف كافة الأعمال القتالية بمنطقة الغوة الشرقية، بينما بارك جيش الإسلام، أحد الفصائل السورية المسلحة، الوساطة المصرية، وأعلن التزامه الكامل بكافة التوصيات التي خرجت من هذه المفاوضات. جددت مصر مساعيها في الأزمة السورية عبر رعايتها لوساطة جديدة تتعلق بوقف إطلاق النار بمدينة حمص السورية، جرى توقيع بنوده في 31 يوليو (تموز)، بمشاركة نفس أطراف اتفاقية الغوة الشرقية، وتضمنت بنوده وقف إطلاق النار بين المعارضة المسلحة «المعتدلة» وقوات النظام في ريف حمص الشمالي، بضمانة وزارة الدفاع الروسية، عبر نشر قوات الشرطة العسكرية الروسية بمنطقة التسوية، ووساطة الجانب المصري الذي انعقدت المفاوضات على أرضه. وعادت مصر مرة أخرى وسيطاً للأزمة السورية في نفس الشهر، برعايتها اتفاقية هدنة

يوليو 2018: توقيع اتفاقات للمصالحة في مناطق الساحل السوري بين عدد من الفصائل المعارضة المعتدلة وبين النظام بنهاية الشهر، بضمانة روسيا ووساطة رئيس تيار الغد السوري أحمد الجريا. **أغسطس 2018**: توقيع اتفاقات للمصالحة في مناطق الشمال والشرق.

- ونص اتفاق المصالحة الذي رعته القاهرة بين المعارضة وبين النظام السوري في مناطق الساحل السوري على وقف إطلاق النار، ومشاركة الفصائل في محاربة الإرهاب، ودعم الاستقرار في مناطقها عبر تشكيل قوة أمنية من أهالي المناطق التي يشملها الاتفاق، على أن يتم ذلك برعاية النظام، وضمان العودة الآمنة للنازحين واللاجئين إلى ديارهم وأراضيهم، والإفراج عن المعتقلين .

- تعتبر التسويات "المناطقية" مكملًا لاتفاقات مناطق خفض التصعيد والتوتر التي ترعاها روسيا في سوريا مع ملاحظة أن المصالحات السورية سواء أكانت من قبل النظام السوري، أو برعاية مصرية لا تطرح حلاً نهائياً للأزمة الذي لا يزال يواجه تعقيدات إقليمية ودولية متعددة، ولكنها تسهم في خلق حلول جزئية لها عبر تطويق الأزمة بقدر من التسويات الداخلية.

وفى سبتمبر 2019 أعرب الرئيس السيسي، خلال كلمته الرسمية في الدورة الـ74 للجمعية العامة للأمم المتحدة، عن ترحيب مصر بالإعلان عن تشكيل اللجنة الدستورية في سوريا، مطالباً ببدء عملها بشكل فوري ودون إبطاء، كخطوة ضرورية نحو التوصل لتسوية سياسية شاملة، وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم (2254)، وبما يحقق وحدة سوريا وسلامتها الإقليمية وسلامة مؤسساتها، ووقف نزيف الدم، والقضاء التام على الإرهاب، كما أكد على أن الحل السياسي في سوريا، بات ضرورة ملحة لا تحتل المزيد من ضياع الوقت، والاستمرار في الحلقة المفرغة، التي تعيشها سوريا منذ 8 أعوام.

وفى أكتوبر 2019 ناقش الرئيس "عبد الفتاح السيسي" في قمته مع نظيره القبرصي، "نيكوس أناستاسيادس"، و"كيرياكوس ميتسوتاكيس" رئيس الوزراء اليوناني المستجندات السورية، وتم التأكيد على جهود المبعوث الأممي في سوريا وصولاً للتسوية السياسية المنشودة، مع الرفض التام لمحاولات استخدام

جديدة وقف إطلاق النار في جنوب العاصمة السورية دمشق من جانب فصائل كل من «جيش الإسلام» و«جيش الأبايل» و«أكناف بيت المقدس» برعاية مصرية وضمانة روسية كحال الاتفاقيات السابقة. وتضمنت بنود الاتفاق «استمرار فتح المعابر في جنوب العاصمة دمشق لدخول المساعدات الإنسانية ورفض التهجير القسري. وسبق دخول مصر وسيطاً لمبادرات وقف إطلاق النار، رعايتها أكثر من مؤتمر المعارضة السورية المعتدلة لتوحيد صفوفها، وبلورة مطالبها في المفاوضات، فضلاً عن احتضانها مؤتمر تأسيس تيار الغد السوري المعارض. لمعلومات أكثر أنظر: 3 اتفاقيات وقف إطلاق نار في أقل من عام.. الوسيط مصري والضامن روسي،

ساسة بوست، 15 أكتوبر 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QZs47u>

القوة واستقطاع جزء من الأراضي السورية أو فرض أمر واقع جديد في المنطقة بما يعد انتهاكاً للأعراف والقوانين الدولية¹.

وهنا يمكن التعقيب، ان ما يجري بخصوص الوساطة المصرية عملية معقدة تدخل فيها حسابات وتقديرات مختلفة، ربما يكون الدور الروسي مفهوماً بحكم العلاقات الوثيقة بين موسكو والقاهرة، والتي تمتد وتشمل قضايا وملفات تتعدى حدود سوريا، لكن هناك ثلاثة عوامل تلعب دوراً مهماً في تعزيزه خلال الفترة المقبلة.

العامل الأول: أن مصر تتحرك في سوريا بموجب تفاهم وتعاون وتنسيق مع كل من السعودية والإمارات والبحرين، يعني ضمن التحالف الرباعي الصاعد وليست منفصلة عنه كما يتصور البعض، الأمر الذي يفسر التقدم الذي أحرزته حتى الآن.

كما أن لقاءات وزراء خارجية الدول الأربع لا تقتصر فقط على الأزمة القطرية وطرق مواجهتها وأدوات ردع الدوحة، فالاجتماعات التي عقدت في كل من القاهرة وجدة والمنامة مؤخراً، تطرقت إلى حزمة قضايا إقليمية، أبرزها الأزمة السورية، والتي ليست بعيدة عن مجال المواجهة مع قطر، وجرى الاتفاق على أن تكون القاهرة رأس الحربة في هذا التحالف والتمهيد للتسوية، بحكم مؤهلات كثيرة تملكها مصر حالياً.

العامل الثاني: أن الرئيس السوري بشار الأسد يرتاح لدور مصر التي أعلنت أكثر من مرة مساندتها لوحدة الدولة السورية وتأييدها للجيش الوطنية وعقدت سلسلة طويلة من الاجتماعات في القاهرة ودمشق، حضرتها وفود أمنية رفيعة المستوى من الدولتين، ومعظمها لم يتم الإعلان عنه، والقليل تم الكشف عنه، وقدمت مصر مساعدات فنية وخبرات أمنية كبيرة لسوريا².

فقبول وارتياح دمشق لدور القاهرة كان الفيصل في نجاح اتفاق الغوطة ثم حمص، لأن الأسد يدرك أن مصر حليف رئيسي له، ولديهما قواسم مشتركة تعزز أواصره، كما أن الإدراك التاريخي بأن أمن مصر

¹ أمال الشيخ، الرؤية المصرية في التعامل مع الأزمة السورية، مرجع سبق ذكره.

² المخابرات العامة.. الراعي الرسمي لوساطات مصر في سوريا: حضر جهاز المخابرات العامة المصرية (الجهاز السادي) راعياً رسمياً للمفاوضات والوساطات في الأزمة السورية في الشهور الأخيرة، واحتضان مقره الرسمي بشرق العاصمة المصرية اجتماعات مُمثلة الأزمة السورية، وكذلك اختصاصه بتوجيه الدعوات لمُثلي الأزمة السورية، دون حضور لمُثلي وزارة الخارجية المصرية، التي يندرج هذا الملف ضمن اختصاصاتها. ويتجلى كذلك إسناد هذا الملف كاملاً للجهاز الأمني المصري منذ البداية إلى أن أحد أبعاد هذا الدور يرتبط بشكل أساسي بالتنسيق الأمني بين الجانب المصري والسوري، وأن مسألة الدعم الأمني المصري لنظيره السوري، لا تتفصل عن رعاية القاهرة لهذه المبادرات وترحيب النظام السوري بها، بل والتزام قواته بوقف إطلاق النار في المناطق المحددة وفقاً للاتفاقيات. ويتسم الجهاز في تسويته ورعايته لهذه المفاوضات وغيرها بعدم إصدار بيانات تشرح أدواره أو طبيعة ودوافع هذا الدور، خلافاً لما تقوم به وزارة الخارجية من إصدار بيانات توضيحية عن تفاصيل اجتماعات مُثليها مع دبلوماسيين أو مُثلي دول أخرى بشكل دوري. للمزيد: المخابرات المصرية.. أذرع السبسي الناجحة في 5 دول عربية، 2018/1/17: <https://bit.ly/3jHxYqm>

يبدأ من سوريا يسيطر على التقديرات الإستراتيجية للجيش المصري¹، لذلك يتم الدفاع، بوسائل مختلفة، عن عدم سقوط النظام السوري، خوفاً من انهيار مكونات الدولة، ووصول تداعياتها للعمق المصري. **العامل الثالث:** لدى المصريين اعتقاد جازم أن سوريا مفتاح حقيقي للدور الإقليمي لمصر، والنجاح في الوساطة يمكن أن يكون مقدمة لأدوار أخرى أكثر أهمية في المنطقة، وكل تقدم معنوي يتحقق للقاهرة يمثل مكسباً له ويساعد على توسيع نطاق دور بلاده.

لهذه الأهمية أصبح الملف السوري في حوزة الرئيس "عبد الفتاح السيسي" شخصياً ويولي له اهتماماً خاصاً، ويأمل أن يصل الآخرون لقناعات بأن مصر وسيط يستطيع تذليل الكثير من العقبات، ليس من واقع الخبرة في هذا الفضاء فقط، لكن بحكم الدراية بتفاصيل عديدة في سوريا، والرغبة في تطويق ارتدادات الأزمة هناك على المنطقة، من خلال عمليات نشر الإرهاب وعودة المتشددين من سوريا، والتي تجد من يرفعونها ويقدمون الدعم اللازم لها.

وتظل التحديات التي تواجه القاهرة، وتتمثل في القوى الراضية لتواجدها (تركيا وقطر والفصائل الإرهابية التي تدور في فلكهما) عاملاً جوهرياً في تحديد مصير الدور المصري في سوريا².

المطلب الثالث: تقييم فعالية الأداء الإستراتيجي المصري في سورية والشرق الأوسط

لكي تتجح مصر في جعل دورها محورياً في الأزمة السورية، لابد من معرفة مواقف القوى الإقليمية والدولية من حدود هذا الدور. ولنبدأ بالموقفين الروسي والإيراني على اعتبار أنهما جزء من الأزمة بسبب تأييدهما المطلق لنظام الأسد، بمعنى أن معارضة أي من روسيا وإيران للدور المصري يمكن أن يكون عائقاً حقيقياً أمامه. ولقد شهدت العلاقات الروسية-المصرية تحسناً ملحوظاً في أعقاب سقوط محمد مرسي، ومن المتوقع أن تتسع آفاق التعاون بين البلدين في السنوات المقبلة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري (هناك تقديرات تشير إلى أن مصر جادة في شراء بعض أنواع السلاح الروسي للتغلب على الصعوبات التي واجهتها مع المورد الرئيسي للسلاح للجيش المصري، أي الولايات المتحدة الأمريكية)؛ ومن ثم لا يتوقع أن تعترض روسيا على قيام مصر بجهد رئيسي في الأزمة السورية، وقد تتنازل عن

¹ يبدو أن القاهرة ما زالت تنظر إلى الجيش السوري بوصفه 'الجيش الأول' كما كان يطلق عليه أيام الوحدة بين البلدين (1958-1961)، واحتفظ الجيش المصري ولا يزال إلى الآن بلقب الجيشين الثاني والثالث. وتعتبر مصر حالياً أن هناك عناصر مشتركة بينها وبين النظام في دمشق تستدعي التنسيق والتقارب على رأسها القتال ضد التنظيمات الإرهابية. "ويبقى السؤال حول حدود الدعم المصري للجيش الأول، هل يرقى إلى مستوى الدعم المقدم للجيش الليبي والجيش العراقي بالعتاد والتدريب؟" لمزيد من المعلومات

أنظر: موقف مصر من الصراع السوري في صحف عربية، BBC، 26/11/2016، على الرابط: <https://bbc.in/3i5Rv3a>

² محمد أبو الفضل، دور مصر يتصاعد في سوريا.. وسيط معترف به من قوى فاعلة في الأزمة، العرب، الجمعة 4/8/2017،

على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IPToU2>

عرضها استضافة الحوار بين أطراف الأزمة السورية، وتقبل بأن تكون القاهرة هي المقر المحتمل لاستضافة هذا الحوار.

أما فيما يتعلق بإيران، فإن العلاقات المصرية - الإيرانية لم تشهد تطوراً كبيراً، بل ربما تراجعت بعد سقوط محمد مرسي، ولكن يبدو أن هناك جهود تبذل في الوقت الحالي لتحسين العلاقات بين البلدين، حيث ذكر رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية في القاهرة، محمد محموديان، في تصريحات له، أن "بلادته تحترم وجهة نظر ورؤية الشعب المصري وتسعى لإقامة العلاقات الدائمة مع القاهرة على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في شؤون بعضهما البعض". ومن جانبها ما تزال القاهرة متمسكة بموقفها الخاص بحق إيران في الحصول على التقنية النووية السلمية وتدعم الحوار القائم بين إيران والدول الكبرى من أجل حل الخلافات بين الجانبين حول الملف النووي الإيراني.

إن عدم اعتراض إيران على اضطلاع مصر بدور كبير في الأزمة السورية قد يقتضي رفع مستوى العلاقات بين البلدين كبادرة من جانب مصر على أمل أن تتطور العلاقات لاحقاً إلى مرحلة "التطبيع"، ولو شبه الكامل بين البلدين. وبطبيعة الحال لا تريد مصر الابتعاد بأي حل مقترح عن السعودية، الحليف المركزي لمصر منذ ثورة 30 يونيو، حيث لا تتفصل فاعلية الدور المصري مؤخرًا، في الأزمة السورية عن حالة التماهي في المواقف بينها وبين دولتي الإمارات والسعودية حيال قضايا الشرق الأوسط، وخصوصاً موقفها من دولة قطر في الأزمة الأخيرة، فضلاً عن المسعى الإماراتي السعودي في الدفع بمصر نحو الأزمة السورية كممثل لها، والدفاع عن مصالحهم في أي مفاوضات تشمل تسوية للأزمة، خصوصاً بعد استحالة الإطاحة ببشار الأسد، حسبما سعت كلتا الدولتين منذ البداية.

وتحولت الخصومة بين السعودية ومصر على خلفية التباين في المواقف حيال الأزمة السورية، إلى حالة دعم سعودي للموقف المصري، على خلفية استقرار الدول الكبرى كأمريكا وروسيا على وجود الأسد ضمن أي تسوية قادمة للأزمة السورية. وتجلت ملامح الدفع الخليجي من كلتا الدولتين لمصر في احتضان مصر تأسيس تيار الغد السوري، الممول إماراتياً، الذي كان أول الحاضرين لأي اتفاقية هدنة ترعاها القاهرة، وكان الممثل الحصري للمعارضة السورية، الذي اختارته القاهرة مُعبراً عن وجهة نظر المعارضة السورية، وكذلك احتضان مصر جيش الإسلام، الفصيل السوري المسلح في كل المفاوضات، وهو المدعوم سعودياً سواء سياسياً أو مالياً.

الدعم الخليجي والدفع بالدور المصري تجلى كذلك في القبول اللافت من «جيش الإسلام» أحد أكبر فصائل المعارضة في الغوطة الشرقية، المدعومة سعودياً، بالمبادرات المصرية، فضلاً عن اختصاص

مصر بدعوة مُمثل لجيش الإسلام لحضور جلسة المفاوضات في القاهرة، في دلالة واسعة على الدعم السعودي غير المعلن للدور المصري.

يظهر ذلك في تصريحات لرئيس الهيئة السياسية في «جيش الإسلام» محمد علوش، يدعم فيها الدور المصري لوساطات التهدئة في الأزمة السورية، فضلاً عن التأكيد على الالتزام بما ستنتهي إليه الوساطة المصرية. وجيش الإسلام هو فصيل سوري مُسلح تأسس لتجميع كافة القوى السلفية التي تحارب على الأرض تحت لوائه، وبنحرف التنظيم في المواجهات مع الجيش السوري، منذ اندلاع الأزمة، ويلقى دعماً بالمال والسلاح من النظام السعودي أو من رجال قبليين، يكونون مُمثلين للمخابرات السعودية¹. لتتحول بذلك مصر ممثلاً رسمي للإمارات والسعودية في الأزمة السورية، ومكلفة بمهمة رسمية أيضاً من قبل روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، للتدخل في الأزمة وذلك خدمة لترتيبات أمنية واستراتيجية بالشرق الأوسط. وبالنسبة لمصر تعد سورية المفتاح الحقيقي للدور الإقليمي لمصر، والنجاح في الوساطة يمكن أن يكون مقدمة لأدوار أخرى أكثر أهمية في منطقة الشرق الأوسط.

المؤشرات	إيران	السعودية	تركيا	مصر	(إسرائيل)
مؤشر القوة	0.2191	0.3034	0.2098	0.1872	0.3111
الترتيب العالمي	14	17	11	9	18
القوة البشرية					
عدد السكان	83.024.745	33.091.113	81.257.239	99.413.317	8.424.904
صالح للعمل	47.324.105	17.703.745	41.847.478	42.946.553	3.647.983
صالح للخدمة العسكرية	39.842.164	16.198.927	35.151.882	36.075.104	3.027.826
زيادة سنوية لأفراد يصلون لسن الخدمة	1.394.476	583.161	1.406.075	1.551.229	121.113
الأفراد النشطين	523.000	478.000	355.000	440.000	170.000
الأفراد الإحتياط	350.000	325.000	380.000	480.000	445.000
المالية					
ميزانية الدفاع	19.600.000.000 \$	67.600.000.000\$	\$19.000.000.000	\$11.200.000.000	\$20.000.000.000
الديون الخارجية	7.995.000.000\$	205.1	\$452.400.000.00	\$77.470.000.000	\$88.660.000.000

¹م وراء الدور المصري في الأزمة السورية: السعودية والإمارات في الظل، ساسة بوست، 15 أكتوبر 2017، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/2QZs47u>

		0	00.000.000\$		
\$113.000.000.00	\$35.890.000.000	\$107.700.000.00	496.400.000.000	120.600.000.00	الاحتياط الخارجي
0		0	\$	0\$	
\$328.000.000.00	\$1.252.000.000.	\$2.300.000.000.	1.782.500.000.0	1.757.500.000.	القوة الشرائية
0	000	000	00\$	000\$	
القوة الجوية					
589	1054	1055	879	509	مجموع الطائرات
259	215	206	270	155	الطائرات القتالية
18	88	0	81	23	الهجومية
15	59	80	49	62	الناقلة
154	387	276	208	94	التدريبية
23	11	18	13	9	المهام الخاصة
146	294	497	283	100	مروحيات
48	81	100	34	12	مروحيات هجومية
القوة البرية					
2760	4295	2622	1062	2056	الدبابات القتالية
10.275	11.700	8.777	12.825	4300	مركبات المدرعة
650	1139	1278	705	570	مدفعية ذاتية الدفع
300	2189	1260	1818	2088	مدفعية ميدان
100	1084	438	122	1935	أجهزة كشف الصواريخ
القوة البحرية					
65	316	149	55	308	سلسلة الأسطول
0	2	0	0	0	حاملة طائرات
5	8	12	0	34	غواصات
0	0	0	0	0	الدممرات
0	7	16	3	7	فرقاطات
4	7	10	4	3	طرادات
45	45	35	9	342	دورية ساحلية
0	31	11	3	8	مفجرات الغام
لوجستيك					
47	83	98	214	319	مطارات
42	389	1277	380	720	سفن تجارية
5	11	10	5	4	موانئ ومحطات

4.021.000	29.950.000	31.300.000	12.340.000	30.500.000	تغطية الطريق
18.290 كم	65.050 كم	352.046 كم	221.372 كم	172.927 كم	السكك الحديدية
975 كم	5.083 كم	8.699 كم	1.348 كم	8.442 كم	مطارات صالحة للاستعمال
مصادر طبيعية					
390bbl	589.400bbl	245.000bbl	10.130.000bbl	4.469.000bbl	إنتاج النفط
250.000bbl	832.000bbl	845.000bbl	4.000.000bbl	2.000.000bbl	استهلاك النفط
12.730.000bbl	4,400.000.000bbl	388.500.000bbl	266.500.000.000 bbl	158.400.000.000 bbl	احتياطي
الجغرافيا					
20.770 كم	1.001.450 كم	783.562 كم	2.149.690 كم	1.648.195 كم	المساحة
1.068 كم	2.612 كم	2.816 كم	4.272 كم	5.894 كم	الحدود البرية
0 كم	3.500 كم	1.200 كم	0 كم	850 كم	السواحل المائية
237 كم	2.450 كم	7.200 كم	2640 كم	2440 كم	الممرات المائية

جدول للمقارنة بين مقومات القوة للقوى الإقليمية المؤثرة في الشرق الأوسط

المصدر: من إعداد الباحثة، تجميع احصائيات من مواقع الكترونية مختلفة.

استنتاجات الفصل

- من خلال دراسة ومراجعة إحصائيات تقرير الموقع الدولي "جلوبال فاير باور"، بشأن تصنيفات جيوش العالم وترتيبهم، نجد انها مسيّسة ومخادعة، بغرض بث بعض الأفكار المغالطة، التي توجي بالطمأنينة لدى بعض الدول، فمثلا: تُظهر من خلال الأرقام والترتيب أن القوة المصرية، تتفوق كثيرا على القوة الإسرائيلية، وبالتالي يجب على القوة الأمريكية دعم القوة الإسرائيلية بأسلحة هجومية لتعديل التوازن في المنطقة. وهي طبعاً أفكارا مغالطة، فحسابات الموقع تركّز على تعداد الأسلحة وليس نوعيتها، وتتجاهل عنصرين مهمّين لقياس التوازن العسكري وتصنيف قوة الجيوش وجاهزيتهم، والتي تعود بالأساس أولاً: للقدرات التدريبية للجيوش، مثلا (من خلال عدد المناورات في السنة التي تمكّن الجيش من رفع القدرات التدريبية، أو من خلال عدد مشاركته في الحروب سواء كانت نظامية أو غير نظامية أي ضد دولة/إرهاب...)، وثانياً: حجم الحرب أو التهديد الموجود.
- إن التفاعلات السياسية في المنطقة في السنوات العشر الأخيرة، أوضحت أنه لا توجد دولة واحدة تملك معظم المقومات التي تمكّنها من السيطرة أو التأثير في الإقليم بشكل منفرد، فنتوزع الخصائص ما بين أكثر من دولة، فكل دولة تستخدم أدواتها للتأثير والتحرك وتقابلها أدوات مضادة من الأطراف الأخرى، لكن من غير ما يكون لديها مشروع حقيقي أو تمثل المنطقة دوليا على المستوى المؤسسي

أو تقدم حلا لصراعاته، أي يمكن أن نقول هناك حالة من توازن الضعف بين كل القوى الإقليمية، أو ما يطلق عليه البعض تشتت مصادر القوة بين القوى الإقليمية، ولا يوجد طرف ينفرد في تأثيره بالإقليم من دون الآخرين أو يدعى أن الشرق الأوسط مساحة نفوذه.

- كما يجب التنبيه إلى أمرين، أولاً هناك فارق شديد بين الزعامة والسيطرة، فالقيادة مفهوم مدلولاتها إيجابية تدل على دولة، تقبل الدول الأخرى قيادتها وأن تتبعها، كما تحترم رؤيتها ومبادراتها ولديها مشروع يقتدى به كثيرون، مع اعتراف إقليمي ودولي بدورها حتى لو رفضته القوى الأجنبية. أما السيطرة فتعني السعي للتأثير لتحقيق المنافع الخاصة للدولة على حساب الغير.

- ثانياً هناك مؤشرات يمكن أن نقيس بها حدود قيادة أو سيطرة أي قوى إقليمية، منها القبول الإقليمي لدور تلك الدولة أو سياستها الخارجية، ومن ثم وجود تابعين لتلك الدولة أم لا، ومدى تنفيذ وقبول مبادراتها ورؤيتها لحل صراعات وأزمات الإقليم، ومدى اعتماد الخارج عليها في حل قضايا المنطقة، وتمثيلها، وهل تستطيع تلك الدولة تنفيذ سياستها الخارجية بأقل تكلفة عبر استخدام القوة الناعمة بدلا من اللجوء للقوة العسكرية...

- نستنتج أيضا عدم قدرة أي من تلك القوى الإقليمية الشرق أوسطية على تقديم مشروعها للإقليم، أي عدم تقديم تصور لترتيبات أمنية تحقق استقراره. أو تقدّم من خلاله منافع عامة تبنى أمانا واستقرارا وتدعم الدول الأضعف به. بل على العكس إن بعض دول المنطقة تقدّم دعما عسكريا أو اقتصاديا فقط للفواعل التي تعتبرها أدوات تنفذ سياستها في إطار سعيها للسيطرة. أما ثالث الملاحظات فهي إطالة أمد صراعات الإقليم وتعقدها على غرار الأزمتين السورية والليبية، نتيجة لاستمرار حالة ضعف تأثير دول المنطقة، ومن ثم تدخل القوى الخارجية مثل روسيا والولايات المتحدة. أما الملاحظة الرابعة، أن (إسرائيل) هي القوة الإقليمية الوحيدة التي استفادت من ذلك الوضع المضطرب فقد نجحت في تقديم ذاتها باعتبارها "دولة مرساة" Anchor State، مستقرة سياسيا واقتصاديا وعلميا، ويمكن لدول المنطقة الاعتماد عليها في بناء علاقات تضمن لهم الاستقرار الاقتصادي والتنمية. حدث ذلك على الرغم من أن (إسرائيل) لم تقدم نفسها باعتبارها قائدا أو مسيطرًا في الإقليم، لأنها تدرك جيدا سداجة ذلك الادعاء في محيط عربي مسلم. بل إنها اهتمت أكثر بالاستفادة من الأوضاع المضطربة لتحقيق منافعها الاقتصادية.

- نستنتج أيضا أن هناك تباين في تصور القوى الإقليمية بالشرق الأوسط للمصالح والتهديدات، ما بلور لدينا عدة ملاحظات أولها، هو فشل تشكيل تحالفات دائمة بين الأطراف المتوافقة. فلم تتشكل مثلا تحالفات قائمة فعلا من الدول الإسلامية السنية في مواجهة إيران الشيعية، تتكون من دول الخليج

- ومصر وتركيا، ولم تتشكل تحالفات ثابتة وحقيقية أيضا في مواجهة داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى، ولا يوجد موقف عربي موحد تجاه (إسرائيل). أي ان هناك تحالف مفقود في المنطقة.
- وعلى أية حال، ترجع سيناريوهات صعود أو هبوط قوة إقليمية في منطقتها إلى مجموعة من العناصر (مقومات ومعوقات) تحدد فرص كل دولة، تتمثل في قدرة الدولة على تحمل القيادة انطلاقاً من مقومات القوة التي تحوزها (قد تكون جغرافية، أو ديمغرافية، أو عسكرية، أو اقتصادية)، ودرجة استقرارها السياسي والأمني، ورصيدها القيادي التاريخي ونفوذها الرمزي (الثقافي والديني)، وموقفها من القضايا المحورية في المنطقة (القضية الفلسطينية، حركات المقاومة الفاعلة إقليمياً، الملف النووي الإيراني، الازمات منها السورية)، ومدى القبول الإقليمي بالدور القيادي لكل دولة، وأخيراً علاقاتها مع بعض القوى الدولية الصاعدة كروسيا والصين.
- إن القوى الإقليمية في الشرق الأوسط تخضع لمتغيرات وتحولات، فهي ليست ثابتة؛ فإيران -على سبيل المثال- كانت مجهدة بسبب المواجهة مع "عراق صدام"، وهي اليوم تعد نفسها قوة إقليمية غير قابلة للمقارنة بجيرانها، فالأزمة السورية أتاحت لها فرصة لتوسيع نفوذها في أنحاء المنطقة، حيث اعتبرت امتداداً لثورتها الإسلامية، فهي تحاول التوسع في المنطقة، باعتبارها مؤثرة بقوة في عواصم عربية تاريخية هي بغداد ودمشق وصنعاء وبيروت وتمارس فيهم نفوذاً واسعاً لكن يواجه نفوذها المتزايد عوامل داخلية واقتصادية تعوق التوسع، إضافة للعقوبات الأمريكية التي أثبتت التجربة أنها لا تحد من الطموحات الإقليمية الإيرانية وتساعد دورها كمنافس إقليمي.
- وكذلك كانت "مصر الناصرية" قوة إقليمية مؤثرة في ستينات وسبعينات القرن الماضي، لكن توارى دورها وخفت صوتها، لتخرج من ثورتها بنية استرجاع قوتها فاستغلت الوضع لإعادة إحياء قوتها والأخذ بمكانة ودور فاعلا لها في الإقليم، لكن اليوم قد تعتبر مصر قوة متوسطة بالرغم من انها تمتلك من المصادر القوة الصلبة والناعمة فهي تمتلك مقومات القوة التي قد تجعل منها قوة إقليمية صاعدة ويجعلها قادرة على التصرف في قضايا النظام الإقليمي والتأثير فيه لكنها تفتقد لعنصر القيادة، فيقتصر دورها على تشكيل ائتلافات بالإضافة الى محاولة الخروج بحلول توافقية وقائمة في الأساس على مبدأ الشراكة لتحقيق مصالح مشتركة، لتبقى قوة إقليمية منقوصة التأثير. والدولة التركية التي انشغلت لعقود عدّة في البناء الداخلي قد أطلت على الشرق الأوسط بدرجة عالية من الانفتاح، خصوصاً في العقد الأخير، وتريد إعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية، ولكن بعضوية "الأطلنطي" والتحالف مع "واشنطن" وتعمل مع روسيا. وتوازن العلاقة مع (إسرائيل). وما يؤكده التدخل العسكري التركي في سوريا ما هو إلا فرصة من أزمة، تريد من خلالها تركيا ان تثبت دورها الوازن في سوريا

ومنطقة الشرق الأوسط، بدورٍ لا يمكن تجاوزه ولا إلغاؤه بمكائد سياسية أو بأحلاف أضحت فيها المصالح المتضاربة تهزّ أساساتها، وقد تجلّى ذلك بوضوح في التعامل الذي بدا أكثر جرأة مع الملف السوري سياسياً وعسكرياً، من خلال العمليات العسكرية التي قادتها في جرابلس "عملية درع الفرات"، والتي قدّمت فيها الدّعم لفصائل الجيش السوري الحر وفيها حاربت تنظيم الدولة، لتعيد الكرة ثانية وفق ما هو متاح لها في عملية "غصن الزيتون" بمدينة عفرين" رغم المخاطر وما قد واجهته من صعوبات لتنتقل إلى ساحة عملية ثالثة "تبع السلام" شرق الفرات، لتبين هذه العملية صعود الخط البياني التركي، وإعلاء شأن مؤسسة الجيش السوري الحر كقوة بديلة عن جيش النظام، وقد تتابع بعدها تركيا الصعود نحو أكبر في النسق الدولي، مثبتة بذلك قدرتها على تجاوز الظل الأمريكي، ولو ضمن إطار تكتيكي، مفلتةً من العديد من القيود التي تعترضها، في حماية أمنها القومي، وبناء مشروعها الإقليمي الذي ترى في سوريا بعد إسقاط الأسد عمقها الإستراتيجي فيه.

وفي حين تبرز السعودية في الفترة الأخيرة كقوة محورية وفاعلة في المنطقة العربية، خاصة بعد الثورات العربية، وتحولت إسرائيل من دولة لا ينتقدها أحد إلى محطّ نقدٍ كبير من الدول والمنظمات الدولية في الفترة الأخيرة، لكنها بقيت المستفيد الأكبر من الأوضاع بعد الأزمة السورية، وتعمل بأريحية أكثر من غيرها، ما عدا انشغالها مؤخراً بالنفوذ الإيراني في سورية الذي استغلت علاقتها بروسيا لحل المسألة.

- إن أهم المنافسات التي تحدد المشهد الاستراتيجي للشرق الأوسط هي الحاصلة الآن بين إيران والسعودية؛ فصحيح أن التنافس بين هاتين الدولتين قديم، لكنه اكتسب أهمية كبيرة في الوقت الراهن، لاسيما مع المحاولات التي تقوم بها إيران لفرض نفسها كقوة إقليمية مؤثرة في المنطقة على حساب السعودية، كما وتسعى لتكون هي القوة التعديلية لتوازن القوى الإقليمية الإستراتيجي.
- استخدم الطرفان الهوية الدينية كأدوات لتوسيع نفوذهما، في حين تستخدم القوى العالمية مثل الولايات المتحدة وروسيا موارد سياسية واقتصادية وعسكرية.
- أن السعودية كانت دائماً منافساً رئيسياً وكقوة قائدة بالمنطقة، نظراً لسلطتها الدينية وتحكّمها بالنفط، غير أنها فشلت في القيام بهذا الدور، ولم تتأثر بالانتفاضات التي وقعت في الدول العربية إلى حدّ كبير، بينما سعت ومعها دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى إلى ضم الأردن والمغرب إلى المنظومة الخليجية، في محاولة لتقوية ممالك المنطقة لمواجهة الانتفاضات.
- على طول خطوط الصدع تقريباً، تحالفت إيران مع الجماعات الشيعية، بينما احتضنت السعودية قوى سنية أخرى. وأصبحت المنافسة بين الاثنتين السمة المميزة للصراع والأمن في الشرق الأوسط.

- ويكاد التنافس بين السعودية وإيران أن يتحول إلى صراع. فكلتاها دولة غنية بالنفط وذات حجم جغرافي كبير لكن إيران تفوق المملكة من حيث الخصائص الطبيعية للقوة. ولكن لسوء حظ إيران، تتدخل الولايات المتحدة و(إسرائيل) لإضافة ثقل استراتيجي كبير إلى قوة المملكة.
- تساهم المنافسة بين الجهات الفاعلة الرسمية والجهات غير الرسمية، وفيما بين دول الخليج في إذكاء الطائفية والراديكالية داخل المعارضة السورية.
- من جهة أخرى نستنتج أنه لا توجد منافسة تركية سعودية حقيقية على الزعامة، هناك تنافس على قضايا وملفات، وهناك توافق على أخرى، فكما سبق ذكره الزعامة الحقيقية نتيجة نهائية وليست قراراً رئاسياً، تعكسها قدرة الدولة على تفوق اقتصادي وعلمي وتقني وصناعي وعسكري وثقافي ودبلوماسي، ولا يمكن أن تتجح دولة وحدها ما لم تصل نجاحاتها إلى المنطقة أيضاً.
- يمكن استنتاج أن النمط القيادي الأكثر ترجيحاً في المنطقة هو صعوبة بروز دولة بمفردها تهيمن على الشرق الأوسط بسبب عدم توافر أغلب مقومات القوة في دولة بعينها. كما أنه إلى جانب عدم رغبة كل دولة في صعود دولة أخرى لقيادة المنطقة، إلا أن معوقات الواقع تحول دون استئثار دولة واحدة بدور القيادة، أضف إلى ذلك الدور الأميركي المانع لكل طموح مستقل، فليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تظهر في الشرق الأوسط قوة مستقلة استراتيجياً عن المنطق الأميركي.
- إذاً لا توجد موازين ثابتة للقوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، بل هي متغيرة وفقاً لتداخلات مع القوى الكبرى ولارتباط المنطقة بكيانات خارجية ذات تأثير واضح على المنطقة. وإذا كنا نقوم حالياً بعملية رصد لموازن القوى الإقليمية، فإن كلاً من: إيران وتركيا ومصر والسعودية و(إسرائيل) تمثل ركائز لقوى مؤثرة من النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية. فالأقاليم الجغرافية والمناطق الاستراتيجية تقبل التغيير من وقت لآخر.
- والخلاصة العامة من الفصل الأول ان الثورة السورية أثرت بشكل كبير على الخيارات الإستراتيجية لدول المنطقة، وقد انعكست تطورات الاحداث فيها على أولويات وتوجهات القوى الإقليمية في الشرق الأوسط، حيث وجدت القوى الإقليمية المؤثرة في الإقليم من الأزمة السورية فرصتها المناسبة للنفوذ والتوسع كل منها على حساب الاخرى، مستغلة قوتها الكامنة والمتغيرة بالوسائل المتاحة لها لتعظيم مصالحها. فجعلت المنافسة والتسلح السمة الأولى الغالبة بين تلك القوى. ومن جانب آخر شكلت الأزمة تهديداً مباشراً على أمن دول المنطقة وهاجسا أمنياً صعب الخروج منه، كما اثرت الأزمة في الميزان الإستراتيجي للمنطقة، ليبقى في حالة خلل وعدم توازن وفوضى عارمة تحكم الإقليم.

الفصل الثاني

مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى
الدولية الفاعلة في التوازن الإستراتيجي
الشرق أوسطي

المبحث الأول: دور إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في توازن الشرق الأوسط ما بعد 2011

يعد الربط بين جدلية ما هو كائن وما يجب أن يكون، فيما يتعلق بمكانة القوة في المدرك الإستراتيجي الأمريكي وإشكالية توظيفها، من المتلازمات الذهنية الراسخة في التفكير الإستراتيجي الأمريكي، لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وحربي أفغانستان والعراق، والتي حفزت المفكر والمخطّط الاستراتيجي الأمريكي للبحث عن توظيف بدائل أو وسائل فاعلة تعزّز مخرجات الأداء الإستراتيجي الأمريكي بما يصبّ في المحصلة النهائية من جانب تكثيل القدرات الشاملة وإحداث توازن في كيفية توظيف القوة، مما يضفي إلى إستمرارية الهيمنة الأمريكية وفق صياغات فلسفة جيواستراتيجية جديدة اعتنقها صانع القرار الأمريكي. وهنا تندرج مفاهيم عديدة لكيفية توظيف القوة وفق منسجمات جديدة تتلاءم مع طبيعة التحولات الدولية، فبرزت مفاهيم "القوة الناعمة" و"القوة الصلبة" كمفردات تصبّ في خانة ما يسمى التوظيف المتوازن للقوة، تحت مسمى "القوة الذكية" لتحقيق أهداف الإستراتيجية الأمريكية، كونها تقدم رؤية تحليلية مقارنة لأثر توظيف القوة الذكية في الإستراتيجية الأمريكية وحداثة استخدامها في أنساق التفاعلات الدولية، ويبين لنا طبيعة العلاقة الارتباطية بين القوة الناعمة والصلبة، وحسابات صنّاع القرار الأمريكي حيال التعامل مع الوحدات الدولية وغير الدولية المكونة للنظام العالمي الجديد، الأمر الذي يميز الفكر الإستراتيجي الأمريكي عن غيره أنه ذو أبعاد ودلالات حركية وديناميكية عالية، ولا يهمل أبداً البعد المستقبلي واحتمالاته القادمة، ولعلّ من أبرز المهام الصعبة التي يمكن أن تفهم من خلالها تفاعلات القوة بمجمل متغيراتها الحالية والقادمة تكمن في بناء تفكير جديد وبلورة الإدراك الإستراتيجي المتبادل لما هو عليه طبيعة التفاعلات العالمية بشقيها الدولي والإقليمي¹، لذا يعد مبحثنا هذا دراسة لمقومات القوة الأمريكية وحسابات التوظيف الإستراتيجي الجديد لها، من خلال طرح مضامينها وآليات عملها وتقييم دورها بناء على متغيرات وتطورات الأزمة السورية وما خلفته من تحولات جيوسياسية أثرت على فعالية وأداء الإستراتيجية الأمريكية في سورية ومنه الشرق الأوسط وهيكلية النظام الدولي أيضاً.

¹عمار حميد ياسين، مكانة القوة في المدرك الإستراتيجي الأمريكي: دراسة في التأصيل النظري والتوظيف الإستراتيجي، المجلة السياسية، العدد 35-36، العراق، 30 جوان 2017، ص 391.

المطلب الأول: مقومات القوة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية

أولاً: المقوم الجيوسياسي

-الولايات المتحدة الأمريكية هي جمهورية اتحادية دستورية، تتألف من خمسين ولاية ومنطقة العاصمة الاتحادية. تقع معظم البلاد في وسط أمريكا الشمالية، حيث تقع 48 ولاية وواشنطن العاصمة بين المحيط الهادئ والمحيط الأطلسي وتحدها كندا شمالاً والمكسيك جنوباً. تقع ولاية ألاسكا في الشمال الغربي من القارة، وتحدها كندا شرقاً وروسيا غرباً عبر مضيق "بيرينغ"، أما ولاية هاواي التي تعد أرخبيلًا فتقع في منتصف المحيط الهادئ. كما تضم الدولة عدداً من الأراضي والجزر في الكاريبي والمحيط الهادئ.¹

-تعد الولايات المتحدة الأمريكية ثالث أو رابع دولة من حيث المساحة بعد روسيا وكندا وأمام أو بعد الصين. يختلف الترتيب بتفاوت حساب مساحة المنطقتين المتنازع عليهما بين الصين والهند، وكيفية حساب المساحة الإجمالية للولايات المتحدة الأمريكية: تبلغ المساحة 9,826,630 كلم² طبقاً لكتاب حقائق العالم التابع لوكالة المخابرات المركزية.² و9,522,055 كلم² طبقاً لما ذكرته الموسوعة البريطانية.³ وبذلك تحتل الولايات المتحدة في المركز الرابع من حيث المساحة بعد روسيا والصين وكندا.⁴



خريطة توضح: الموقع الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية

المصدر: <https://www.britannica.com/place/United-States>

1 J. Q. Adams, Pearlie Strother-Adams, **Dealing With Diversity: The Anthology**, Publisher: Kendall Hunt Pub Co, Chicago, July 1, 2001, p 102.

2 **United States (Geography)**, Central Intelligence Agency (CIA), updated on June 14,2020, link: <https://bit.ly/3hY59FI>

3 Paul H.Oehser, Richard R.Beeman and others, **United States of America U.S.A**, BRITANNICA, last updated: Jun 21,2020, link: <https://bit.ly/3hX4vrZ>

4 World Factbook: **Area Country Comparison Table**, Central Intelligence Agency, Washington D.C, link: <https://bit.ly/2EVU4qj>

- تمتلك الولايات المتحدة معظم أنواع المناخ وذلك بسبب مساحتها الكبيرة وتنوعها الجغرافي. كما منحها موقعها الجغرافي المنعزل والمجاور لدول مسالمة كندا والمكسيك قوة مميزة استندت عليها أفكار الجيوبولتيكيين في تبرير قوة السيطرة العالمية.¹

ثانياً: المقوم الديمغرافي

وتحتل المرتبة الثالثة من حيث عدد السكان 331.002.651 نسمة. حسب احصائيات عام 2020، ما يعادل نسبة 4.27% من إجمالي سكان العالم.² تتفاوت النسب بين البيض 72.4%، والسود بـ 12.6%، آسيويين 4.8%، السكان الأصليين من الهنود وألاسكا 0.9%، الأصليين في هاواي جزر الباسيفيك 0.2%، وآخرون 6.2%، من اثنين أو أكثر من أصل 2.9% لعام 2010.³ إذ تتميز الولايات المتحدة بأنها واحدة من أكثر دول العالم تنوعاً من حيث العرق والثقافة⁴، وجاء ذلك نتيجة الهجرة الكبيرة إليها من بلدان مختلفة.⁵

1 إن مفهوم العولمة لم يتطور من فراغ، بل يعد نتاج للسياسات الجيوبولتيكية الحديثة، قدمت المدارس الجيوبولتيكية إسهامات في إعادة رسم خريطة العالم باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية القوة الأعظم في العالم القادرة على الهيمنة. فقدم سبيكمان مبادئ الجيوبولتيكا الأمريكية لعزل وتطويق قلب الأرض والسيطرة على العالم في ظل القوة البحرية الأمريكية. ارتبط سقوط الاتحاد السوفيتي بارتقاء النموذج الجيوبولتيكي الأمريكي تحت دعوات الحرب لجماعات المحافظين الجدد وتبنيها لأفكار سياسية قائمة على الأفكار الجيوبولتيكية. ومن ثم أصبحت العولمة عملية جغرافية بمقدمات اقتصادية تهدف للسيطرة على العالم. ارتبطت فيه الاتجاهات السياسية بالحقائق الجغرافية. فهناك اتفاق تام بين واضعي الاستراتيجيات الحديثة على أن أفكار ماكيندر عن قلب الأرض ذات التأثير الأكبر في استراتيجيات الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. وأفكار ماهان حول السيطرة البحرية ودور الولايات المتحدة باعتبارها جزيرة ضخمة آمنة، وأفكار سبيكمان حول الهلال الهامشي المحيط بقلب الأرض كمفتاح للسيطرة على العالم. ومن هنا فإن جميع المقدمات الجيوبولتيكية جوهرها السيادة وهدفها السيطرة على العالم، وإن العولمة المعاصرة تمثل المرحلة العليا للجيوبولتيك. لمعلومات أكثر في الموضوع طالع كتاب: محمد أحمد عقلة المومني، الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا في القرن الواحد والعشرين، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2005.

2 United States, Census 2020, <https://bit.ly/31TxA1M>

3 United States population (Ethnic groups), CIA, July 2020, link: <https://bit.ly/3hY59FI>

4 تمتلك الولايات المتحدة تنوعاً كبيراً في المجموعات السكانية حيث يبلغ تعداد واحد وثلاثين مجموعة عرقية أكثر من مليون شخص. "الأمريكيون البيض" هم أكبر تلك المجموعات؛ يشكل الأمريكيون من جنور ألمانية وإيرلندية وإنجليزية ثلاثة من الأعراف الأربعة الكبرى في البلاد. يشكل "الأمريكيون الأفارقة" أكبر الأقليات في البلاد وثالث أكبر المجموعات العرقية. بينما يعد "الأمريكيون الآسيويون" ثاني أكبر أقلية، أكبر ثلاث مجموعات عرقية أميركية آسيوية هم الأمريكيون الصينيون والأمريكيون الفلبينيون والأمريكيون الهنديون.. يعد نمو السكان من أصل هسباني أو لاتيني (هذان التعريفان متبادلان رسمياً) اتجاهاً ديموغرافياً كبيراً. يعرف الأمريكيون من أصل هسباني، بأنهم يتقاسمون عرقية متميزة من قبل مكتب الإحصاء؛ 64% من الأمريكيين من أصل هسباني هم من أصل مكسيكي. انظر لـ: <https://www.census.gov/prod/2004pubs/c2kbr-35.pdf>

5 J. Q. Adams, Pearlie Strother-Adams, Op cite, page 305.

ثالثاً: المقوم الاقتصادي

- يحمل الإقتصاد الأمريكي الكثير من مقومات القوة الداخلية والخارجية، كما يعد الأساس الأكثر متانة الذي قامت عليه قوتها، بوصفها دولة عظمى منذ القرن العشرين وصولاً الى القرن الحادي والعشرين استناداً إلى معطيات شاملة جغرافية وبشرية وتكنولوجية اضفت خاصية مميزة على الإقتصاد الأمريكي.¹

- يصنّف الإقتصاد الأمريكي أكبر اقتصاد عالمياً²، كما أنه اقتصاداً رأسمالي مختلط تغذيه وفرة الموارد الطبيعية والبنية التحتية المتطورة والإنتاجية العالية³، يجمع بين أكثر من نوعٍ ونظامٍ اقتصاديٍّ، عائد هذا النوع للدستور الأمريكي فهو أسسه ويحميه⁴.

- ظلّ الإقتصاد الأمريكي محتفظاً بمكانته الكبيرة في الإقتصاد العالمي، حيث يمثل حوالي 20 % من إجمالي الناتج العالمي، ولا يزال متفوقاً على اقتصاد الصين. بالإضافة إلى ذلك فإن الولايات المتحدة لديها سادس أعلى ناتجٍ محليٍّ للفرد⁵. (PPP)

- حسب احصائيات المعدلات السنوية التي أُجريت في الربع الأول من عام 2020 فقد أظهرت أن:

1. الناتج المحلي الإجمالي: 21.5 تريليون دولار (المعدل الاسمي السنوي للربع الأول 2020)⁶
2. معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي: -5.0% (المعدل السنوي للربع الأول 2020)⁷
3. نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي الحقيقي: 57,581 دولارًا أمريكيًا (الربع الأول 2020)⁸
4. الدخل القومي الإجمالي: 20.8 تريليون دولار تعادل القوة الشرائية (2018)⁹
5. معدل البطالة: 13.3% لشهر ماي 2020¹

1محمد عبد الشفيق عيسى، المواقع الراهنة للقوى في النظام الاقتصادي العالمي.. قراءة في التقارير الدولية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 173، يوليو/جوان 2008، ص 56.

2 Centre for Economics and Business Research. "World Economic League Table 2020." Page 226. Accessed May 20, 2020. Pdf, link: <https://bit.ly/3gXHy6s>

3 Lederman, Daniel, and William Maloney, **Natural Resources: Neither Curse nor Destiny**, World Bank, p 185.

4United States Senate. "Constitution of the United States." Accessed May 20, 2020. <https://bit.ly/3hVFp2>

5U.S. Economic Outlook, Focus Economics, June 2,2020, link: <https://bit.ly/3jDiBeO>

6 Bureau of Economic Analysis. "National Income and Product Accounts Tables: Table 1.1.5. Gross Domestic Product", Accessed May 20,2020. Link: <https://bit.ly/2EZMdb4>

7 Bureau of Economic Analysis. "National Income and Product Accounts Tables: Table 1.1.1. Percent Change From Preceding Period in Real Gross Domestic Product." Accessed June 1, 2020 <https://bit.ly/2Dsxxwqf>

8 Federal Reserve Bank of St. Louis. "Gross Domestic Product Per Capita." Accessed June 1, 2020, link: <https://bit.ly/3brDU3D>

9The World Bank. "GNI, PPP (Current International \$)." Accessed May 20, 2020.link: <https://bit.ly/3h1It5T>

6. الحد الأدنى للأجور: 7.25 دولار للساعة.²
7. تحويل اليورو إلى الدولار: 1.11 دولار اعتباراً من 20 جوان 2020.³
8. التضخم: 1.4% المعدل الأساسي على أساس سنوي لشهر أبريل 2020.⁴
- تعد الولايات المتحدة أكبر مستورد للسلع وثالث أكبر دولة مصدرة، تعتبر كل من والصين واليابان، كندا والمكسيك على التوالي أكبر الشركاء التجاريين للولايات المتحدة⁵. تأتي الولايات المتحدة في المرتبة الثانية بعد سنغافورة بمعدل 83.7، وذلك لما جاء في تقرير التنافسية العالمية الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي لعام 2019.⁶
- كما شهدت الولايات المتحدة الأمريكية تطوراً كبيراً في قدرتها التكنولوجية، إذ تعد في مقدمة الدول الرأسمالية الأخرى التي دشنت ما يسمى بـ (عصر الثورة الصناعية الثالثة)، أو ثورة المعلومات، وهو ما يعني ريادتها وتقدمها في مجالات التكنولوجيا المعقدة كالتكنولوجيا العسكرية وتكنولوجيا الفضاء والاتصالات والعقول الإلكترونية والهندسة الوراثية وغيرها. وبذلك تعد التكنولوجيا الحديثة واحدة من أهم ميادين القوة الأمريكية المؤثرة سواء على الصعيد المدني أو الصعيد العسكري.⁷
- يعد الاقتصاد الأمريكي ما بعد صناعي حيث يساهم قطاع الخدمات بنسبة 67.8% من إجمالي الناتج المحلي إلا أن الولايات المتحدة لا تزال تعد من القوى الصناعية الكبرى.
- إلا أنه وفي الفترة الأخيرة كشفت بيانات رسمية، انكماش اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية خلال الربع الأول من 2020 بنسبة 4.8 بالمئة على أساس سنوي⁸. ويأتي ذلك الانكماش بضغط من حالة الإغلاق الكبير التي يشهدها الاقتصاد بسبب تفشي فيروس "كورونا". وقالت وزارة التجارة الأمريكية في بيان، إن

1 U.S. Bureau of Labor Statistics. "Employment Situation Summary." Accessed June 5, 2020. Link: <https://bit.ly/2QRGFC1>

2 U.S. Department of Labor. "Minimum Wage." Accessed May 20, 2020. link: <https://bit.ly/3i3rNww>

3 TransferWise. "1 Euro to US Dollar." Accessed June 1, 2020. link: <https://bit.ly/3548GhS>

4 Federal Reserve Bank of Cleveland. "Median CPI." Accessed May 20, 2020. Link: <https://bit.ly/3hZ46Fh>

5 طالع: إدارة السياسات التجارية والمنظمات الدولية، قطاع التجارة الخارجية، قراءة في تقرير مراجعة السياسة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية 2018، وزارة الاقتصاد، ص4. متوفر PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bx84mo>

6 Klaus Schwab, **The Global Competitiveness Report 2019**, World Economic Forum, Switzerland, 2019, P 15.

7 جوزيف س. ناي، حتمية القيادة: الطبيعة المتميزة للقوة الأمريكية، ترجمة عبد القادر عثمان، مركز الكتب الأردني، عمان، 1991، ص 72.

8 لتفاصيل أكثر في الموضوع بالبيانات والأرقام انظر في الملحق رقم: والمعنون بـ:

Matthew Budman, Abrar Khan, and Aparna Prusty, **United States Economic Forecast, 2nd Quarter 2020**, Deloitte Insights Contributors, 2020. link: <https://bit.ly/2GtxENC>

النتائج المحلي الإجمالي انكمش 4.8% في الربع الأول من العام الحالي، مقارنة مع نمو بنسبة 2.1% بالربع الأخير من 2019، وفقاً للقراءة الأولية الصادرة عن مكتب التحليل الاقتصادي. وجاء انكماش الاقتصاد الأمريكي بأعلى من التوقعات التي قدرته بنحو 4%، وهو الأكبر منذ الأزمة المالية العالمية في 2008¹.

وخلص القول، ان الاقتصاد الأمريكي بنموه الداخلي، وبسوقه المالية المتطورة وبتطوره العلمي والتكنولوجي وحجم التجارة الخارجية والسيطرة على الشركات المتعدية الجنسية، وقيادته للنافتا التي تعود لعام 1994، أو ما أصبح يحمل اسم "اتفاق الولايات المتحدة والمكسيك وكندا" أو USMCA إختصاراً، والهيمنة على المنظمات الاقتصادية العالمية، مضافاً إليها قوة الدولار الأمريكي، كل ذلك قد عضد من استقامة الأداء الاقتصادي الأمريكي في إطار العولمة الاقتصادية التي تعد وسيلة لتحقيق المصالح الأمريكية من خلال التأثير الأمريكي عالمياً بواسطة قدراتها الاقتصادية الشاملة.

ومع ذلك لا يخلو الجسد الأمريكي موضوعياً من اختلالات هيكلية متعددة تفرض قيوداً ضمناً أو صراحة على مجمل الأداء الإستراتيجي². وسنتناول بشيء من التفصيل هذه الاختلالات في المباحث الموالية.

رابعاً: المقوم العسكري

- تتألف القوة العسكرية الأمريكية من أربع قطاعات: الجيش - سلاح البحرية - قوات المارينز - وسلاح الجو. وتضاف إليها قوات خفر السواحل (القطاع الخامس)، ويعتبر الجيش الأمريكي الأقوى عالمياً بالنظر إلى حجمه وتطور معدّاته وحجم ميزانيته، ونفقاته وميزانية الجيش هي الأولى والأضخم عالمياً.

- وتقع القيادة العامة لهذه القطاعات أو شعب القوى المسلّحة بيد الرئيس الأمريكي الذي يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو مدني، وتعتبر كل الفروع الأخرى ما عدا خفر السواحل جزءاً من وزارة الدفاع التي تقع تحت مسؤولية وزير الدفاع وإدارته، وهو أيضاً مدني، أما خفر السواحل فهي تقع ضمن نفوذ دائرة الامن القومي.

- وتتميز القوى المسلحة الأمريكية بقدرتها العالية جداً على التحرك والانتقال ونقل الذخيرة والعتاد والجنود بسرعة عالية جداً إلى أي مكان يحتاج ذلك، وهو ما يسمى "اللوجستيات" في العرف العسكري، أما تلك

1 Ben Casselman, **Worst Economy in a decade. What's Next? Worst in Our Lifetime**, April 29, 2020, link: <https://nyti.ms/3bpo0Xw>

2 محمد وائل القيسي، الأداء الإستراتيجي الأمريكي بعد العام 2008: إدارة باراك أوباما أنموذجاً، العيبان للنشر، ط1، الرياض، السعودية، 2016، ص75.

القدرة فإنها تتبع من ان لأمريكا مصالح عدة حول لعالم تستوجب التدخل العسكري السريع أحيانا لحفضها، ولها جنود منتشرون حول العالم وقادرون على الوصول إلى أي نقطة في أسرع وقت ممكن¹. إذن تتمتع الولايات المتحدة بقدرة عسكرية ضخمة لا يمكن مقارنتها مع اية دولة أخرى، مما مهد لها الاحتفاظ بمركز مؤثر في السياسة الدولية.

_ اما من الناحية النووية فإن الولايات المتحدة تأتي في المرتبة الثانية بعد روسيا إذ تحتفظ بحوالي (6800) رأس نووي.²

_ كما تمتلك الولايات المتحدة 66 من الغواصات المتطورة في العالم كما لها عدد من الغواصات النووية،³ فضلا عن امتلاكها لحوالي 20 حاملة طائرات، كما انها الدولة الوحيدة التي تمتلك برنامج حرب النجوم الذي يوفر لها دون غيرها من دول العالم حماية ضد أي هجوم نووي من الخارج.

1 هادي زعرور، توازن الرعب، مرجع سبق ذكره، ص 56.

2 بالرغم من المساعي الدولية الحثيثة لحظر الأسلحة النووية، إلا أنها موجودة بحوزة 9 دول حول العالم، في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا اللتان تمتلكان 93 % منها. ومع أن عدد هذا النوع من الأسلحة شهد تراجعاً خلال 2017، مقارنة بعام 2016، لكن هناك بعض الدول وسعت من ترسانتها النووية.

وبناء على معطيات معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (غير حكومي)، ومنظمة الحملة الدولية للقضاء على الأسلحة النووية، ترصد وكالة الأناضول كميات الأسلحة النووية حول العالم. ووفقاً لهذه المعطيات، يبلغ عدد الرؤوس النووية حول العالم حوالي 15 ألف رأس، تمتلك الولايات المتحدة وروسيا منها قرابة 14 ألفاً. وتأتي روسيا في المرتبة الأولى عالمياً بـ 7 آلاف رأس نووي، والولايات المتحدة ثانية بـ 6 آلاف و800. في حين تشير التوقعات إلى أن فرنسا تمتلك 300 رأس نووي، تليها الصين بـ 270، ومن ثم بريطانيا بـ 215، وباكستان بـ 140، ثم الهند بـ 130، وإسرائيل بـ 80، وأخيراً كوريا الشمالية بـ 60 رأساً نووياً.

وأعلن معهد "ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام" في تقرير له عام 2017، أن عدد الأسلحة النووية التي بحوزة الدول الـ 9، تراجع إلى 14 ألفاً و935 سلاحاً، بعدما كان عام 2016 يبلغ 15 ألفاً و395. وأشار التقرير إلى أنه بالرغم من تقليص الولايات المتحدة وروسيا لترسانتيهما النووية، إلا أنهما أطلقتا حملة تحديث نووية بميزانيات ضخمة. إذ أوضح التقرير أن الولايات المتحدة ستنتفح قرابة 400 مليار دولار لتطوير وتعزيز برنامجها النووي في الفترة بين 2017 و2026. من جانبها، تسعى الصين إلى التركيز على تعزيز ترسانتها النووية على المدى البعيد، فيما تعمل كل من الهند وباكستان على توسيع مخزونهما من الأسلحة النووية وتطوير إمكانات صواريخهما.

في حين رفعت كوريا الشمالية من عدد أسلحتها النووية ما بين (10 . 20) في عام 2016، كما أجرت في العام نفسه الكثير من التجارب النووية غير المنتظرة. ونفذت إدارة بيونغ يانغ تجربتها النووية الكبرى في شهر سبتمبر/ أيلول 2017، إذ وصلت طاقة الصاروخ إلى 160 كيلو طن، ما تسبب في هزة أرضية بقوة 6.1 درجات على مقياس ريختر.

3 نشر الجيش الأمريكي سلاحاً نووياً جديداً منخفض المدى يطلق من غواصة، وهو أمر يرى البنثاغون أنه مهم لمواجهة التهديد الذي تشكله ترسانة روسيا من الأسلحة النووية التكتيكية الأصغر، غير أن العديد من كبار المسؤولين السابقين في الإدارة قالوا إن الأسلحة تزيد من احتمال نشوب صراع نووي، البحرية الأمريكية أرسلت رأساً صاروخياً من طراز W76-2، ويعد السلاح النووي الجديد، تعديل للرأس الحربي W-76 الموجود مسبقاً، والذي يستخدم لتسليح غواصة أطلقت صواريخ D-5 Trident II وتعد الرؤوس الحربية الجديدة، أول سلاح نووي أمريكي جديد منذ عقود، تم إنتاجها لأول مرة في فبراير 2019. للمزيد انظر في: الولايات المتحدة تطور

سلاحاً نووياً جديداً لمواجهة تهديدات روسيا، CNN، 2020/2/5، على الرابط التالي: <https://cnn.it/3jGKUwA>

وتقتزن القدرات العسكرية الامريكية بقدرة تدميرية واسعة النطاق، ففي الوقت الذي تقتزن فيه الأسلحة التقليدية بمختلف صنوفها القتالية بقدرتها على التدمير والذي يساوي أكثر من (50) كيلو طن، أي ما يعادل أضعاف جميع القدرات التدميرية التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية، حيث تحتوي الترسانة النووية الأمريكية ومن جملة الأسلحة على قنبلة B61-12، التي أعلنت عنها مؤخراً، وتعد من أخطر الأسلحة الموجودة في حوزتها حالياً.¹

فضلاً عما تقدم، تتمتع الولايات المتحدة بتأثير عسكري فعال من خلال نظام تحالف استراتيجي عالمي لا يزال متماسكاً حتى بعد انتهاء الحرب الباردة، فحلف الناتو يعدّ الآلية التي تعبر بواسطتها الولايات المتحدة عن دورها العسكري ليس في أوروبا فحسب، وإنما على الصعيد العالمي، جاعلاً الولايات المتحدة مشاركاً رئيساً حتى في الشؤون الداخلية الأوروبية. بل إن طبيعة الدور الذي يقوم به هذا الحلف اختلف عن السابق إذ تقتصر على الجوانب الأمنية فقط، وانما شملت جوانب أخرى، منها تأمين تدفق الموارد الحيوية وخاصة البترول إلى الدول الأعضاء.²

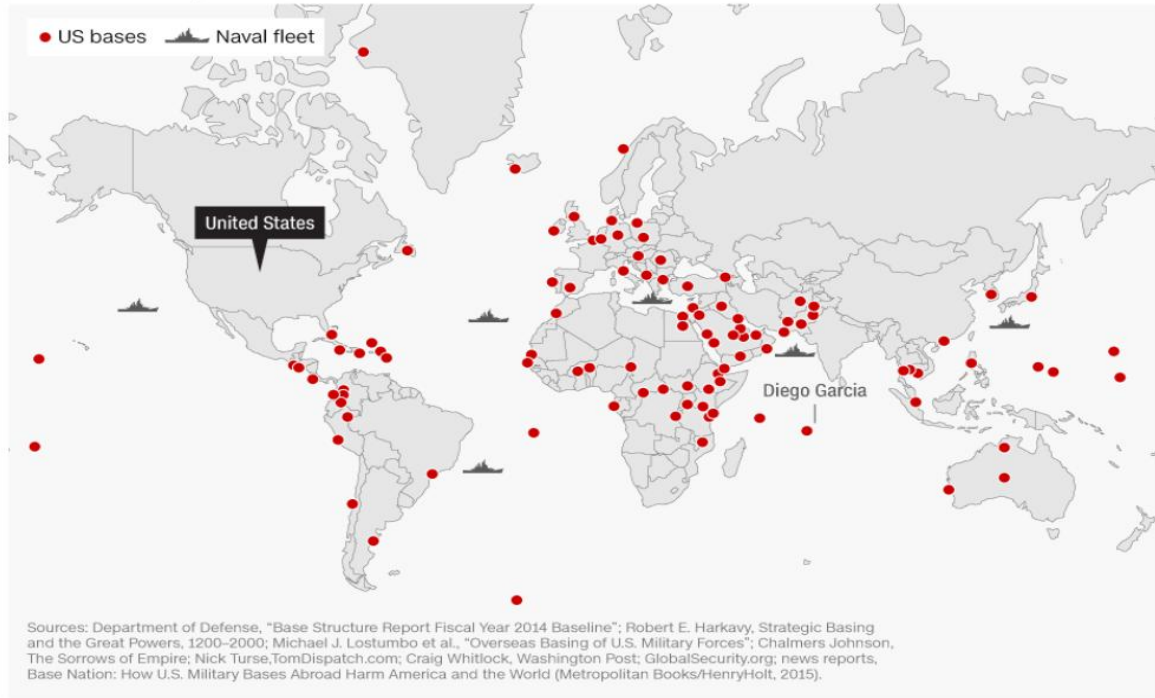
كما تحتفظ القوات الأميركية بنحو 800 قاعدة عسكرية في أكثر من 70 دولة من دول العالم، تنتوع مهامها المعلنة من القيام بالواجبات العسكرية المباشرة أو أعمال الدعم والإسناد اللوجستي أو القيام بعمليات "حفظ السلام" تحت مظلة الأمم المتحدة. وخلال العقدين الأخيرين، كسبت القوّات الأميركية قواعداً عسكريّة أكثر من أيّ وقت مضى في التاريخ.³

1وفق " ناشيونال إنترست فإن دقة قنبلة "بي-61-12" وقوتها التدميرية المحدودة نسبياً تجعلها القنبلة النووية الأكثر قابلية للاستعمال. ويمكن أن تتراوح قوة قنبلة B61-12 بين 0.3 و 50 كيلو طن في حين تقدّر قوة قنبلة "بي-83"، مثلاً، بـ 1.2 ميغا طن. لهذا فإن استعمال القنبلة الأخيرة موضع شك. وإلى جانب القوة التدميرية "المقبولة" التي لا تعرض العالم لخطر الهلاك تملك قنبلة B61-12 قدرة تمكّنها من تدمير منشآت استراتيجية محددة بدقة كبيرة. فمثلاً، لو أن الضرورة تقتضي أن تدمر الولايات المتحدة منصات إطلاق الصواريخ في الصين بالصواريخ البالستية ذات الرؤوس النووية فإن ذلك يؤدي إلى إبادة ثلاثة إلى أربعة ملايين شخص. أما إذا تم استخدام قنبلة B61-12 فإن عدد الضحايا يبلغ نحو 700 شخص حسب تقديرات خبراء. راجع: الولايات المتحدة تعلن عن أخطر سلاح في حوزتها، سبوتنيك، 2018/10/10، على الرابط التالي: <https://bit.ly/33abE27>

2 زيغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية، ترجمة أمل الشرقي، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص 46.

³ David vine, Where in the World is the U.S Military ?, Politico magazine, July / August 2015, link : <https://politi.co/2Z46ymq>

US military bases abroad, 2015



خريطة توضح: مواقع التواجد العسكري الأمريكي في العالم

المصدر: <https://www.basention.us/maps.html>

_ ونقترن قدرة الولايات المتحدة العسكرية من الناحية التقليدية بالحجم الإجمالي للقوات المسلحة الأمريكية التي تأتي في المرتبة الثالثة عالمياً من حيث العدد، إذ يبلغ عددها نحو 119.664.970/زيادة سنوية تقدر بـ: 4.188.274/ إجمالي أفراد الجيش: 2.260.000/ أفراد في الخدمة: 1.400.000/ أفراد في الاحتياط: 860.000. _ أما من حيث إجمالي الإنفاق العسكري، فتعد الولايات المتحدة الدولة الأعلى إنفاقاً في العالم، فقد بلغ إنفاقها العسكري (750) مليار دولار عام 2020¹.

المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة في سوريا والشرق الأوسط

أولاً: القوة الأمريكية والهيمنة العالمية

من أهم حقائق النظام الدولي الثابتة على مدى تاريخ العلاقات الدولية هي التغير المستمر في أنماطه وأشكاله والوحدات السياسية الفاعلة فيه، وبذلك عندما استحوذت إحدى الوحدات السياسية على مجمل

¹United States of America, Military Strength 2020, Global fire Power, link : <https://bit.ly/31UkvW0>

مقومات القوة الأساسية التي تؤثر في شكل وصياغة النظام الدولي فهذا يعني حتماً قيام نظام دولي أحادي القطبية أو نظام دولي قائم على الهيمنة.¹

ويرى ميرشايمر أن القوى العظمى تتحدد بالدرجة الأولى بناء على قدرتها العسكرية النسبية، فالدولة لكي تتأهل كقوة عظمى يجب أن تمتلك أصولاً عسكرية تكفي لخوض معركة كبرى في حرب تقليدية شاملة ضد أقوى دولة في العالم. ولا يشترط أن تمتلك الدولة المرشحة القدرة على هزيمة الدولة القيادية، بل يكفيها القدرة على تحويل النزاع إلى حرب استنزاف تضعف الدولة المهيمنة إلى درجة كبيرة، حتى وإن رحبت الدولة المهيمنة الحرب في النهاية. وفي العصر النووي ينبغي أن تمتلك القوى العظمى ردعاً نووياً يستطيع أن ينجو من أية ضربة نووية ضدها، فضلاً عن قوة تقليدية هائلة، وإذا حققت دولة واحدة تفوقاً نووياً على منافسيها، وهو أمر غير وارد، فإنها ستكون أقوى من الجميع إلى درجة تجعلها القوة العظمى الوحيدة في النظام، وإذا ظهرت دولة مهيمنة نووية، فسيكون توازن القوة التقليدية غير ذي شأن.²

فمثلاً أهمية العنصر العسكري كمقوم للزعامة وبسط الهيمنة لا تتأتى من خلال امتلاك الولايات المتحدة لهذه الإمكانيات فحسب، والتي قد تتسنى لدولة مثل روسيا امتلاك معظمها وإن بنسبة أقل، على سبيل المثال، ولكن من خلال القدرة على توظيف هذه القدرات والإمكانيات في تدبير القضايا والأزمات الدولية والإقليمية بشكل مباشر أو غير مباشر خدمة للمصالح القومية والوطنية على الوجه الأكمل، وهو ما تتوفر به الولايات المتحدة الأمريكية دون سواها حتى الآن.³

فالهيمنة قبل كل شيء هدف استراتيجي كبير تطمح إليه الوحدات السياسية وتعمل كمحفز غريزي للدولة الكبرى وبشكل مستمر لكسب لمزيد من القوة التي يمكن أن توظف كقدرة إسناد للفعل الاستراتيجي ويحشد الإمكانيات ويحدد المسار نحو الهدف وعليه لا بد أن تكون الهيمنة في قمة أولويات الأهداف الاستراتيجية لتلك القوى الكبرى.

لقد كانت الهيمنة الأمريكية استثنائية بكل المقاييس. إذ لم يشهد العالم منذ عهد الإمبراطورية الرومانية كما مثلته الولايات المتحدة الأمريكية كقوة مهيمنة عالمياً. بما احتوت عليه هذه الهيمنة من شمولية مقوماتها وفعاليتها والقدرة على التأثير في سياسات وخيارات بقية وحدات النظام الدولي. وتعد الهيمنة ظاهرة قديمة

1 سمي أمين، الفيروس الليبرالي: الحرب الدائمة وأمركة العالم، مركز البحوث العربية والأفريقية، 2006، ص 19.

2 عن مقدمة كتاب، جون ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ترجمة مصطفى محمد قاسم، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012. "ص - ي".

3 بشير عبد الفتاح، أزمة الهيمنة الأمريكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، جانفي 2010، ص 51.

في توصيفها ونموذجها لكنها جديدة في شكلها الراهن من ناحية القوة الدولية التي تمثلها وهي الولايات المتحدة التي ارتكزت عليها هيمنتها (سياسية واقتصادية وعسكرية وتكنولوجية ... الخ) وأساليب الأداء الاستراتيجي (التواجد والتدخل والاحتلال والتحالف..) والتي أطرت هذه الهيمنة الأمريكية بما اشتملت عليه الولايات المتحدة الأمريكية من مقومات للقوة ومرتكزات للفعل الاستراتيجي وآليات توظيف متهمه علمياً لاستغلال عامل الوقت الذي عدّ بمثابة فرصة سانحة.¹

يبدو أن ميركنتيلية الرئيس ترامب، وبراغماتية العقل الأمريكي، ونظريات القوة الواقعية القديمة (مورغانثو ونيبور) والواقعية الجديدة (كينيث والتز وتلاميذه) لم تُجد نفعاً في أخذ المكانة الأمريكية للأمام وتحدي نظرية "بول كينيدي" (صعود وهبوط القوى العظمى)، ولا نظرية "جوهن غالتنغ" حول تراجع الولايات المتحدة بل واحتمال تفككها.

إنّ رصد مؤشرات التراجع الاقتصادي الأمريكي والذي توضح لنا فيما سيق في بيانات واحصائيات العجز التجاري وحجم الديون، والعجز في الموازنة العامة...ماهي إلا مؤشرات تثبت ان الانسحاب الأمريكي من غرب آسيا، ما هو إلا نتيجة ضعف بنيوي وليس ترجمة "لنزعة سلمية" استيقظت فجأة في الوجدان الأمريكي.

بالمقابل نجد ان الولايات المتحدة ما تزال تحتل مراتب أولى في قطاعات اقتصادية وعلمية وتقنية، لكن هذه المراتب إما ثابتة لسنوات أو -الأكثر ترجيحاً- أنها تتراجع ولو ببطء نظراً للإرث الغني لهذه الدولة، لكن المزاحمة لها تزداد وبوتيرة عالية، خاصة أن القدرة على إحتمال التمدد الزائد (over stretch) في أقاليم العالم أصبح مكلفاً للغاية بشرياً واقتصادياً واجتماعياً.²

وبعد الأحداث والتطورات الاخيرة التي مر بها العالم من أزمات اقتصادية وصحية ومجتمعية وبيئية و..، ندرك من خلال الخطابات المتكررة والتهديدات بفرض العقوبات الاقتصادية على دول منافسة لها مثل الصين وروسيا ماهي إلا دليل يثبت إصرار الولايات المتحدة على إطالة عمر إمبراطوريتها بما استطاعت

1 ريتشارد نيكسون، ترجمة أحمد صدقي مراد، الفرصة السانحة: التحديات التي تواجه أمريكا في عالم ليس به الا قوة عظمى واحدة، دار الهلال للطباعة، ط1، عمان، 1992، ص 45.

²وليد عبد الحي، منحنى القوة وأزمة الاقتصاد السياسي الأمريكي، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2019/03/11، على الرابط التالي: <https://bit.ly/352FbNr>

إلى ذلك سبيلا، ولذلك فهي تحاول تأييد زعامتها للعالم بكل الوسائل والطرق، إلى حد الإساءة إلى شعوب وأمم أخرى.¹

والظاهر أن هذه الإمكانيات الفريدة التي اجتمعت وتوافرت لهذه الدولة من مقومات عسكرية وسياسية وثقافية واقتصادية مدعمة بقدرات تكنولوجية هائلة وإمكانيات بشرية مدربة ومتطورة مستندة إلى مؤسسات سياسية وقانونية داخلية وفعالة، إضافة إلى الإمكانيات الإعلامية الواسعة والمؤثرة، والتي كانت وراء حضورها الدولي الفاعل وانفرادها بالشؤون الدولية بمختلف تجلياتها.²

ثانياً: أولويات وتوجهات استراتيجية الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2011

شهدت السنوات الأخيرة تصاعداً للجدل في الدوائر السياسية والفكرية الأمريكية حول أهمية منطقة الشرق الأوسط، وتشكلت وجهتنا نظر حول هذه القضية، ترى أولهما استمرار الأهمية الاستراتيجية للمنطقة، بينما تقلل الثانية من تلك الأهمية بسبب تغير أولويات ومصادر تهديد الامن القومي. وعلى الرغم من انتصار الاتجاه الأول، الذي ينادي بأهمية الانخراط الأمريكي في المنطقة، فإن هناك قناعة أمريكية بأن الشرق الأوسط يعاني مشكلات وأزمات هيكلية، وأنه يجب على الولايات المتحدة أن تعيد التفكير في كيفية التعامل مع أزمات وصراعات هذا الإقليم المضطرب، من دون أن يفرض ذلك عليها أعباء أمنية واقتصادية.

وفي ضوء هذا التقييم الاستراتيجي، سعت إدارة "أوباما" إلى إعادة هيكلة السياسة الأمريكية تجاه المنطقة، من خلال التركيز على التوجه نحو آسيا (Asia Pivot)، وتقليل الانخراط في الشرق الأوسط وكان الاتفاق النووي مع إيران أحد مداخلها لتقليل حدة الصراع الإقليمي، وإعادة صياغة التوازنات في هذا

1يقول الدكتور وليد عبد الحي، في احدي دراساته: " لا أدري إلى أي مدى يدرك القادة العرب أن بنية النظام الدولي وأنماط تفاعلاته ليست مستقرة أو ثابتة للأبد، ولعل إيقاع التغيير المتسارع يعزز ذلك، وهو ما يستدعي التفكير في نسج شبكة علاقات دولية جديدة على المستويين الإقليمي والدولي.. وإدراك أن القوة المالية امر مهم لكنها قاصرة إذا لم تتكامل مع متغيرات القوة الأخرى وتوظيف الموقع الجيوستراتيجي والجيوسياسي للإصطفاف الدولي الذي يلوح في الأفق. لكن الضرورة تقتضي التنبيه إلى ان "الدولة في مراحل تراجعها" قد تصبح أكثر عدوانية وشراسة في إدارة علاقاتها الدولية على امل المحافظة على موقعها في سلم القوى الدولي، وثمة نماذج تاريخية على ذلك..". تعقيب: هذا فعلا تحليلا واقعيًا لما ستؤول إليه حالة الدول العربية، بعد الجائحة التي أصابت العالم بالفيروس التاجي (Covid-19)، والأزمة الاقتصادية التي تعاني منها جراء الخسائر المتراكمة بعد تفشي الفيروس، ليكتمل المشهد بالإحتجاجات الشعبية.. كلها احداث تنذر بالشؤم على دولنا في المستقبل القريب..

2بشير عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 53.

الجزء من العالم.¹ وجاءت إدارة ترامب لتلغي الاتفاق النووي وتتبنى مقاربة مختلفة، تتأسس على تبني سياسة التحالفات كآلية لإعادة صياغة التوازنات في المنطقة، وتقليل الأعباء الأمنية والعسكرية الأمريكية. ومع أن سياسة تقليل الانخراط الأمريكي في الشرق الأوسط وتبني اقتراب جديد للتعامل مع المنطقة، بدأت تدريجياً منذ عام 2012، فإن عام 2018 شهد مؤشرات واضحة على هذا التوجه، ويمكن رصد هذه المؤشرات في الجوانب التالية:

ـ التركيز على التهديدات الروسية والصينية:

نصت الاستراتيجية الدفاعية التي نشرتها وزارة الدفاع الأمريكية في جانفي/يناير 2018، على أن "المنافسة الاستراتيجية طويلة المدى مع الصين وروسيا تعتبر في قمة الأولويات الأساسية لوزارة الدفاع"، وأشارت إلى ضرورة "تشكيل ائتلافات دائمة في الشرق الأوسط" حيث نصت على: "سنعمل على تعزيز شرق أوسط مستقر وآمن، يمنع وجود ملاذات آمنة للإرهابيين، ولا تهيمن عليه أي قوة معادية للولايات المتحدة الأمريكية، ويساهم في استقرار أسواق الطاقة العالمية وتأمين طرق التجارة، وسنعمل على تطوير دائم للتحالفات لتعزيز المكاسب التي حققناها في أفغانستان والعراق وسوريا وأماكن أخرى، لدعم الهزيمة الدائمة للإرهابيين وقطع مصادر قوتهم وإحداث توازن مع إيران"².

ـ **تقليل الانخراط العسكري في الشرق الأوسط:** وهذا ما شهدناه في عام 2018، حيث ظهرت مؤشرات على اتجاه واشنطن لخفض انخراطها العسكري في المنطقة، والتي تمثلت في سحب أنظمة صواريخ باتريوت من الكويت، الأردن، البحرين، واستدعاء القوات الأمريكية من سوريا، وتخفيض عددها في أفغانستان، وذلك على النحو التالي:

- أكتوبر 2018: قامت وزارة الدفاع الأمريكية، بنقل أربعة أنظمة صواريخ باتريوت من منطقة الشرق الأوسط وتحديداً من الأردن والكويت والبحرين، وإعادة توزيعها على مناطق أخرى من العالم، وأشار المسؤولون إلى أن هذه الخطة تتوافق مع إعادة التركيز عسكرياً على تهديدات الصين وروسيا.³

¹ Jeffrey Goldberg, **The Obama Doctrine, R.I.P.**, *The Atlantic Magazine*, April 7, 2016, accessible at: <https://bit.ly/2R5IP1b>

² **Summary of the 2018 National Defense Strategy**, US Department of Defense, January 19, 2018, p. 4 & 9, accessible PDF at : <https://bit.ly/353bw72>

³ Gordon Lubold ; **U.S. Pulling Some Missile-Defense Systems Out of Mideast**, *Wall Street Journal*, September 26, 2018, accessible at : <https://on.wsj.com/2EZ3rFA>

- 19 ديسمبر 2018: أصدر الرئيس ترامب، قراراً بسحب القوات الامريكية من سوريا، والذي باء عليه سيتم سحب ألفي جندي امريكي من القوات الخاصة الامريكية العاملة في سوريا لتقديم الدعم اللوجستي والتدريب لقوات سوريا الديمقراطية.¹ وعلى الرغم من أن هذا القرار قد يعكس تراجع الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، فإن إعادة نشر هذه القوات إلى قاعدة أربيل في شمال العراق يكشف عن استمرار الاهتمام الأمريكي بمحاربة النفوذ الإيراني في المنطقة.²
- 20 ديسمبر 2018: إعلان إدارة ترامب سحب 7000 جندي من أفغانستان خلال شهرين، وذلك استناداً إلى اثنين من المسؤولين العسكريين الأمريكيين.³

السعي لتأسيس "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي": حيث أعلن ترامب عن فكرة تأسيس التحالف رسمياً لأول مرة خلال زيارته للسعودية في ماي 2017، وكشفت الولايات المتحدة أن الأطراف التي ستتنضم للتحالف هي دول مجلس التعاون الخليجي بالإضافة إلى مصر والأردن، وتأخر إطلاق التحالف، والذي كان من المفترض أن يتم الإعلان عنه في أكتوبر 2018، خلال القمة الخليجية-الامريكية في كامب ديفيد، والتي تم تأجيلها لأسباب تتعلق بالأوضاع في المنطقة.⁴ وعلى الرغم من غياب وثائق رسمية حول هذا التحالف وطبيعته والترتيبات ذات الصلة به، فإنه يمكن القول إن الولايات المتحدة تسعى لقيادة هذا التحالف الأمني، وذلك بمراجعة النقاش الدائر في الأوساط الفكرية الامريكية حول هذا التحالف منذ عام 2011.⁵

إلا انه وفي عام 2019 أعطت التحركات العسكرية الأمريكية مؤشرات عكسية تثبت إعادة هيكلة الدور الأمريكي في المنطقة من جديد. في خطوة لوقف تمدد وافشال سياسة ملء الفراغ للقوى المنافسة لها في المنطقة وفي خطوة أيضا للحفاظ على مصالحها ومناطق نفوذها. لتعود من جديد لبسط قواتها وبناء قواعد عسكرية جديدة في سوريا مؤكدة تواجدها في المنطقة. وسنفسر في ذلك لاحقا.

¹ Mark Landler, Helene Cooper and Eric Schmitt, **Trump Withdraws U.S. Forces From Syria, Declaring « We Have Won Against ISIS »**, New York Times, December 19, 2018, accessible at : <https://nyti.ms/2F4R4HK>

² القوات الأمريكية تخرج من سوريا إلى قاعدة بالعراق، سيوتنيك، 23 ديسمبر 2018، على الرابط : <https://bit.ly/31SLYaG>

³ Thomas Gibbons-Neff and Mujib Mashal, **U.S. to Withdraw About 7,000 Troops From Afghanistan, Officials Say**, New York Times, December 20, 2018, accessible at : <https://nyti.ms/2Z27YOk>

⁴ Yara Bayoumy, Jonathan Landay, Warren Strobel, **Trump seeks to revive « Arab NATO » to confront Iran**, Reuters, July 27, 2018, accessible at : <https://reut.rs/3btOcjR>

⁵ Florence Gaub, **An Arab NATO in the Making, Middle East Military Cooperation Since 2011**, Strategic Studies Institute, September 2016, accessible pdf at : <https://bit.ly/2EVZhyyn>

لا يمكن فصل توجهات الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط عن الرؤية التي تبنتها إدارة ترامب للعالم، والتي استندت بشكل أساسي على مبدأ "أمريكا أولاً"، وحديث ترامب عن أنه مع كل قرار وكل عمل ستقوم به إدارته، ستضع مصالح الولايات المتحدة في المقدمة.

وتركز استراتيجية ترامب تجاه منطقة الشرق الأوسط على عدد من القضايا الرئيسية، حضر بعض منها في خطابات وكلمات الرئيس ترامب، خلال مدة حكمه، مثل الحرب على الإرهاب وتنظيم "داعش"، واتفاق البرنامج النووي الإيراني، والعلاقات مع الدول الخليجية ومصر، وموضوع الصراع العربي الإسرائيلي وصفقة القرن، والتحالف الاستراتيجي للشرق الأوسط، وكما أظهرت تلك المواقف توجهها نحو إحداث تغييرات على الاستراتيجية الأمريكية تجاه قضايا وملفات الشرق الأوسط، فما هي ملامح وحدود هذا التغيير؟

1_ الحرب على الإرهاب: تنتظر الولايات المتحدة للمنظمات الإرهابية الجهادية على أنها تشكل أخطر تهديد إرهابي للأمة الأمريكية وأسلوب الحياة الأمريكي، وأن منطقة الشرق الأوسط لا تزال موطناً لأخطر المنظمات الإرهابية في العالم، وتبنت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي هدف هزيمة تنظيم "داعش" كهدف رئيسي ضمن أولوياتها.¹

رأى ترامب أن الاجتياح الأمريكي للعراق عام 2003 كان السبب في ظهور تنظيم "داعش"، لافتاً إلى أن الانسحاب من العراق عام 2011 أيضاً كان خطأ كبيراً من جانب أمريكا، لأنها لم تترك أي جندي في العراق، وأن من أحد أخطاء أمريكا بالعراق أيضاً هو تركها للبترو، وهو المصدر الذي اعتمد عليه التنظيم الإرهابي لكي يوفّر مصادر مالية للتمويل. لذلك، انطلق "ترامب" من موقف مبدئي مناهض للإرهاب وداعش، واتّهم كلاً من "أوباما" و"هيلاري كلينتون" بأنهما يدعمان داعش، وأبدا موقفاً مغايراً عن النهج الأمريكي، حيث اقترح حلاً جذرياً للقضاء على "داعش".²

لكن "ترامب" لم يطرح رؤية استراتيجية شاملة وآليات محدّدة لمحاربة الإرهاب. كما أن موقفه من التطرف الإسلامي يتسم بالعمومية، وغياب الرؤية المحددة، ويمثل تكراراً لاستراتيجية جورج بوش الابن. كما أن هناك تحديات تواجه إدارة ترامب في محاربة تنظيم "داعش". فالغارات الجوية لم تقلح في القضاء على التنظيم بشكل نهائي، وهذا يتطلب إرسال قوات برية لمحاربتة على الأرض، وعبر استراتيجية حرب العصابات والمدن، وهو ما يضع قيوداً على إمكانية إرسال الولايات المتحدة لقوات برية، والذي أعلنه في

1 Ali Soufan, **Anatomy of Terror: From the Death of bin Laden to the Rise of the Islamic State**, New York: W.W. Norton and Company, 2017, P321.

2 Louis Jacobson, Amy Sherman, **Donald Trump's Pants on Fire claim that Barack Obama founded' ISIS, Hillary Clinton was 'cofounder'**, PolitiFact, 2016, at: <https://bit.ly/3gXohCv>

برنامج الانتخابي، وسيكون الاعتماد على قوات من الدول الإقليمية بمساعدة أمريكية، وهو ما يعني أن استراتيجية ترامب بشأن محاربة الإرهاب وتنظيم "داعش" في العراق وسوريا ستكون امتدادا لاستراتيجية إدارة أوباما، مع اختلافات طفيفة في الحلفاء، حيث سيعتمد ترامب بشكل أكبر على روسيا وتركيا¹.

ومع نهاية عام 2018، أعلن الرئيس ترامب هدف القضاء على تنظيم "داعش" قد تحقق، وبناء عليه أصدر قراره بسحب القوات الأمريكية من سوريا. ومن ثم، فمن المتوقع انخفاض اهتمام الولايات المتحدة بقضية مكافحة الإرهاب في المنطقة بدءا من عام 2019، خاصة مع تزايد الإحساس الأمريكي بالأمان من العمليات الإرهابية في الداخل، والاعتقاد بأنه تمت هزيمة داعش بعد طردها من غالبية الأراضي التي كانت تسيطر عليها في العراق وسوريا².

2_ الاتفاق حول البرنامج النووي الإيراني : أعلن ترامب، أكثر من مرة، رفض اتفاق البرنامج النووي مع إيران، وعدّه تهديدا لأمن الولايات المتحدة، وأمن إسرائيل، ووعده بإلغاء هذه الصفقة، والبحث عن صفقة جديدة بشروط أفضل للولايات المتحدة، حيث رأي أن الشركات الأمريكية لم تستفد من رفع العقوبات على إيران، خاصة في مجال استخراج النفط، وإنما استفادت منها الشركات الأوروبية والروسية³.

لكن اتضح هناك قيودا أيضا على إلغاء صفقة البرنامج الإيراني، تتمثل في كونها تمت تحت رعاية الأمم المتحدة، وتصديق مجلس الأمن الدولي، ضمن صفقة "الخمس+واحد"، وقد أعلنت الدول الخمس الأخرى الموافقة على الاتفاق عن تحفظها على توجه ترامب نحو إلغائها. من ناحية أخرى، فإن تقاطعات السياسة، ودور إيران البارز في سوريا قد يدفعان إلى إجراء اتصالات وتفاهات بين البلدين فيما يتعلق بتنظيم "داعش". كما أنه ليس بمقدور ترامب بناء إجماع دولي لمواجهة إيران، حتى لو صدق على إلغاء الاتفاق النووي، على عكس الرئيس أوباما الذي تمكن من بناء تحالف دولي داعم لسياسته تجاه إيران فيما يخص الملف النووي، والتوصل لهذا الاتفاق.

كما اتهم ترامب إيران بدعم ورعاية التنظيمات المسلحة في المنطقة، وأكد إعادة تشديد العقوبات الاقتصادية على طهران. ولذلك، فإن تلك المواقف ستؤدي إلى زيادة العلاقات الأمريكية - الإيرانية توترا، بعد أن شهدت حالة من التقارب الحذر في عهد أوباما، بعد توقيع الاتفاق النووي⁴.

1 مجموعة مؤلفين، الشرق الأوسط في ظل أجندة السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما وترامب، المركز الديمقراطي العربي، ط1، برلين، 2017، ص432.

2 Bob Woodward, **Fear: Trump in the White House**, New York, 2018, P115.

3 محمد الشراوي، ترامب والاتفاق النووي الإيراني: تبريرات أمنية أم استراتيجية اقتصادية؟، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 21 ماي 2018، متاح PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gWBbAG>

4 Peter Beaumont, Saeed Kamali Dehghan, **Donald Trump focuses fire on Iran's support for 'terrorists and militias'**, The Guardian, at: <https://bit.ly/3bpy56P>

وفي هذا الإطار كان الخروج الأمريكي من الاتفاق النووي مع إيران، وعودة الولايات المتحدة لتطبيق عقوبات اقتصادية صارمة على إيران، منها وضع قيود صارمة على صادراتها البترولية بهدف حرمانها من المصدر الرئيسي للدخل. ومن المتوقع أن تقوم الولايات المتحدة خلال عام 2019 بإعطاء أولوية للملف الإيراني وأن تقوم بتصعيد العقوبات الاقتصادية تجاهها.

وفي كل الأحوال، فإن العلاقات بين البلدين ستظل في حالة من الشد والجذب، وفقا لحسابات المصالح والتفاعلات الإقليمية، وملفات وأزمات المنطقة في العراق وسوريا، ومعادلة العلاقات بين أمريكا ودول الخليج من ناحية، وأمريكا وإيران من ناحية أخرى.

3_ العلاقة مع الحلفاء:

تحدث ترامب أكثر من مرة عن أن دول المنطقة يجب أن تدفع مقابلا عادلا لقاء دفاع الولايات المتحدة عنها، وأن الولايات المتحدة لا يجب أن تتحمل المسؤولية عن هذه التكلفة الهائلة، وعلى دول المنطقة دفع هذا الثمن. وقد أعلن الرئيس الأمريكي في نهاية 2018، أن المملكة العربية السعودية سوف تتحمل جانبا كبيرا من إعادة الإعمار في سوريا.

لكن كثيرا من مواقف ترامب، وقناعاته السياسية، خاصة فيما يتعلق بالاستغناء عن الحلفاء، وخصخصة الأمن، وإلزام الدول الحليفة بدفع تكلفة الدفاع عن مناطقها، سواء في منطقة الخليج، أو كوريا، أو اليابان، تقتقد الواقعية، وعدم فهم تعقيدات العلاقة بين أمريكا وهذه الدول، التي تقوم على تبادل المصالح بأشكالها المختلفة، حيث إن التعاون العسكري الأمريكي مع الخليج يستهدف بالأساس تحقيق المصالح الأمريكية، وجني العديد من المنافع الاقتصادية، وصفقات الأسلحة، والتعاون الاستخباراتي والأمني في مكافحة الإرهاب.¹

ولنأخذ الحليف السعودي على سبيل المثال الذي لديه العديد من أوراق الضغط التي تمكنه من مواجهة تداعيات أي تطورات سلبية في العلاقات، مثل التهديد بسحب الاستثمارات السعودية الضخمة في الولايات المتحدة، ووقف التعاون الأمني والاستخباراتي في مكافحة التنظيمات المتطرفة. من ناحية أخرى، فإن مواقف ترامب المتشددة ضد إيران، وتهديده بإلغاء الاتفاق النووي، الذي عارضته معظم دول الخليج، قد يدفعان إلى التقارب الخليجي-الأمريكي لاحتواء التهديدات الإيرانية في المنطقة، خاصة في العراق، واليمن، والتعاون لحل الأزمة السورية. ولذا، من غير المتوقع حدوث تباعد أو توتر في العلاقات الأمريكية-الخليجية، رغم تصريحات ترامب المتشددة.

1 احمد سيد احمد، ادارة ترامب وقضايا الشرق الاوسط: حدود التغيير، السياسة الدولية، العدد 207، 2017/1/22، متاح على

الرابط التالي: <https://bit.ly/3jHxArR>

وقد استمرت الإدارة الأمريكية في هذا النهج حتى عام 2019، من خلال مطالبة حلفائها في منطقة الشرق الأوسط بدفع فاتورة تنمية الأراضي الفلسطينية أو إعادة الإعمار في سوريا واليمن.¹ من جانب آخر، وفي ضوء استمرار التحديات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، سواء تلك المتعلقة بالإرهاب الدولي، الذي يمثله تنظيم "داعش"، وجبهة النصرة (فتح الشام)، وبقايا القاعدة في بلاد الشام، والمنظمات المتطرفة في ليبيا، والمخاطر المحيطة بسلامة الملاحة الدولية في مضيقي هرمز وباب المندب، أتجه الرئيس الأمريكي ترامب إلى تصحيح الخلل الذي أصاب العلاقات المصرية - الأمريكية في عهد أوباما.

والمواقع أن العلاقات بين البلدين تحكمها مصالح إستراتيجية متبادلة، وضعت دائما سقفا وحدودا لمستوى التصاعد أو الصدام بينهما، وتتمثل في المحافظة على معاهدة السلام المصرية- الإسرائيلية، والمرور العسكري الأمريكي في قناة السويس، والتعاون الأمني والاستخبارات في مكافحة الإرهاب، لكنها شهدت شدا وجذبا، نتيجة لأجندة أوباما بشأن الديمقراطية والإصلاح السياسي في مصر بعد 30 يونيو، ومع ذلك، ظل التعاون العسكري بين البلدين مستمرا، وظلت المساعدات العسكرية، التي تقدر بـ 1.3 مليار دولار، كما هي دون تغيير. كما أفرجت إدارة أوباما عن المساعدات العسكرية التي جمعتها في، عقب فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة في أغسطس 2013، بينما شهدت المساعدات الاقتصادية تراجعا منذ عهد بوش الابن.²

ولذلك، فقد تراجعت المطالب الأمريكية في عهد ترامب بشأن الإصلاح وتحقيق الديمقراطية في مصر، والتي كانت سببا في توتر العلاقات بين البلدين، سواء في عهد بوش الابن، أو في عهد أوباما، حيث تغلب على ترامب حسابات الواقعية، وتحقيق المصالح، والتخلي عن المثالية. كما أن تنويع مصر لسياستها الخارجية، والاتجاه شرقا صوب روسيا والصين يعطيان لها استقلالية وندية أكبر في التعامل مع الولايات المتحدة، على خلاف ما كان سائدا من علاقات تبعية، إبان عهد مبارك.

وبذلك مثلت العلاقات المصرية- الأمريكية أحد مجالات التغيير في إستراتيجية إدارة ترامب، خاصة على مستوى الخطاب السياسي، حيث انتقلت من مرحلة البرود والفتور، التي شهدتها إبان إدارة الرئيس أوباما، نتيجة لمواقفه من ثورة 30 يونيو 2013، وقضية الديمقراطية والحريات في مصر، إلى مرحلة من التقارب

1 محمد كمال، أمريكا والشرق الأوسط بين عامين، مركز المصري للدراسات والمعلومات، مقال منشور بتاريخ 2019/1/1، متاح

على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gYCKrp>

2 Roberta Rampton, Steve Holland, Trump seeks to 'reboot' U.S. relationship with Egypt in Monday talks, Reuters, MARCH 31, 2017, at: <https://reut.rs/351v4sf>

والتنسيق مع الرئيس السيسي بشأن القضايا الإقليمية، خاصة ملف مكافحة الإرهاب، والوضع في ليبيا وسوريا.

4_ صفقة القرن: تراجعت الإدارة الأميركية عن كونها وسيطاً محايداً في عملية السلام بين الشعب الفلسطيني وإسرائيل وعليه فقد تبنت سياسات غير متوازنة ومغايرة لإدارة "أوباما" التي حاولت عدم المواجهة مع دول المنطقة من خلال الانحياز تجاه إسرائيل، حيث قامت إدارة "ترامب" بالاعتراف بالقدس الشرقية عاصمة لإسرائيل وأمرت بنقل السفارة الأميركية إليها في خطوة مفاجئة تراجع عن تنفيذها العديد من الرؤساء الأميركيين، مما أدى إلى زيادة وتنامي الانتهاكات ضد الفلسطينيين نتيجة تخلي الولايات المتحدة عن كونها وسيط محايد في إدارة عملية السلام إلى كونها طرف متحيز يساهم على تصفية القضية، فضلاً عن استمرار الضغط الأميركي بوقف المساعدات المقدمة إلى وكالة الأونروا للقضاء على حلم العودة للاجئين الفلسطينيين في المقابل أصدرت إسرائيل قانون القومية اليهودية.¹

وفي سبتمبر 2018، أعلن الرئيس ترامب وعلى هامش اجتماعه مع رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو، أن إدارته ستطرح خطة سلام فلسطينية إسرائيلية في الشهور المقبلة (ما بين شهرين أو أربعة)، وبذلك أعاد موضوع "صفقة القرن" للصدارة مرة أخرى بعد أن ساد اعتقاد أن الولايات المتحدة قد تخلت عنه، وأشار ترامب إلى أن "حل الدولتين" يمثل الخيار الأفضل لاتفاقية سلام فلسطينية إسرائيلية، وأنه يأمل إبرامها قبل نهاية فترته الرئاسية الأولى، وبالرغم من أنه لم تتضح بعد تفاصيل الرؤية الأميركية لتسوية قضايا الحدود والمستوطنات والقدس واللاجئين وغيرها، فمن المتوقع أن تطرح الولايات المتحدة هذه الرؤية خلال العام الحالي، وبالرغم من أن الإعلان عن انتخابات جديدة في إسرائيل في إبريل المقبل قد يؤجل إطلاق هذه المبادرة، فسوف يعول الأمريكيون على قيام الدول العربية الصديقة للولايات المتحدة بإقناع وتشجيع الفلسطينيين على التفاوض بشأن الأفكار التي سترد في هذه المبادرة، وعدم رفضها من البداية.²

5_ تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي: (Middle East Strategic Alliance) أعلن الرئيس الأمريكي ترامب في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة (سبتمبر 2018) أن بلاده تعمل مع دول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن لإقامة تحالف استراتيجي إقليمي لتحقيق الأمن في الشرق الأوسط، وأعقب ذلك قيام وزير خارجيته بالاجتماع مع نظرائه من هذه الدول للتحضير لقمة سوف

1 Ishaan Tharoor, For Palestinians, Trump is all pain and no peace, The Washington post August 28, 2018, at: <https://wapo.st/2Dx8NYc>

2 Steve Holland, Yara Bayoumy, Trump says he wants two-state solution for Middle East conflict, Reuters, SEPTEMBER 26, 2018, at: <https://reut.rs/3bxcfyA>

تستضيفها الولايات المتحدة لمناقشة إنشاء هذا التحالف الذي بات يعرف باسم "التحالف الاستراتيجي للشرق الأوسط".

وتشير الأخبار الأولية إلى أن التحالف يتضمن ليس فقط التعاون العسكري ولكن يمتد أيضا للتعاون الاقتصادي والدبلوماسي، وتنسيق العمل من أجل إنهاء الصراع في سوريا واليمن، ومواجهة إيران، والتصدي للتهديدات الجديدة، مثل الهجمات الإلكترونية على البنية التحتية. في حين أوباما لم يكن متحمسا لهكذا نوع من التحالفات خصوصا إذا كانت تستهدف التهديدات الإيرانية للمنطقة فتوجهه كان من أجل التفاهم وليس المواجهة مع إيران لحل المشاكل.¹

ولكن هناك أيضا عددا من الأسئلة التي ربما لا تزال محل النقاش حول طبيعة وحدود التعاون في المجالات الأخرى، ومن المتوقع أن يتم طرح المبادرة المتعلقة بإنشاء هذا التحالف في نهاية هذا العام. إن توجهات استراتيجية إدارة ترامب تجاه الشرق الأوسط قد شهدت بعض التغيرات النسبية عن توجهات استراتيجية إدارة أوباما، في ضوء تصريحاته ومواقفه، لكنها لن تكون استنساخا من توجهات استراتيجية إدارة بوش الابن، وتجربة المحافظين الجدد. كما أن هناك حدودا لحجم ومدى التغيير في الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة في عهد إدارة ترامب، نتيجة لتعقيدات وتشابكات المصالح، وتطورات الأحداث على الأرض، وظهور متغيرات جديدة، مثل تصاعد الإرهاب، وبروز لاعبين فاعلين، وخريطة التحالفات الجديدة بالمنطقة، وتغيرها بشكل مستمر. وسيكون التغيير محدودا مقارنة بالتحويلات الأخرى المتوقعة من جانب الإدارة على المستوى الدولي، سواء في علاقات الولايات المتحدة مع أوروبا، وحلف الناتو، والمحيط الهادي، أو موقفها من العولمة.

كما سيكون التغيير محصورا في الآليات، حيث سيكون الاعتماد بشكل أكبر على الآليات الصلبة، مثل استخدام القوة العسكرية، والغارات الجوية، والعقوبات. كما سينحصر التغيير في قضايا محددة، مثل الحرب على الإرهاب، ومواجهة "داعش"، حيث سيكون ترامب أكثر حزم وتشدد عن سلفه أوباما في التعامل مع قضايا الإرهاب والجماعات المتطرفة، وفيما يتعلق بالملف النووي الإيراني، فقد تبنى ترامب هدف مواجهة إيران، واعتبره التوجه الرئيسي للاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، وهو بالتأكيد تحول نوعي، كما يؤمن ترامب أيضا بالتعامل مع الدول ويعتبرها محور الاستقرار في المنطقة، كالتقارب مع روسيا في سوريا، والانفتاح على مصر. مختلفا عن أوباما الذي جاء إلى القاهرة ليوجه خطاباً "للشعوب الإسلامية". لكن من غير المتوقع حدوث تغييرات جذرية فيما يتعلق ببقية القضايا. وفي كل

1 Yara Bayoumy, Jonathan Landay, Warren Stobel, **Trump seek to revive 'Arab NATO' to confront Iran**, Reuters, JULY 28, 2018, at: <https://reut.rs/331zywG>

الأحوال، فإن إدارة ترامب سوف تشكل مرحلة جديدة، ومختلفة في الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.

من جانب آخر، فإن الشرق الأوسط وأزماته ستظل ضمن أولويات الاستراتيجية الأمريكية، ويصعب فك الاشتباك معها بشكل كامل، أو الانسحاب منها، نتيجة لحسابات المصالح الأمريكية في المنطقة، ونتيجة لتعاظم الدور الروسي فيها بما قد يؤثر سلبا في نفوذ الولايات المتحدة ومصالحها في الكثير من مناطق العالم الأخرى، مثل شرق أوروبا، ووسط آسيا.

وبالتالي هذا التوجه لم ولن يعني انسحاب الولايات المتحدة بالكامل من الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة ستحافظ على قدر من الاهتمام بهذه المنطقة لعدة أسباب، أولها يتعلق بكون الولايات المتحدة قوة كبرى في العالم وستظل مهتمة بأن تلعب دورا ما في الشرق الأوسط. السبب الثاني يتعلق بإسرائيل، وتعهدتها بالحفاظ على وجود وأمن الدولة العبرية، وهو أحد ثوابت الاستراتيجية الأمريكية. والسبب الثالث يتعلق بسعر النفط وتأثيره على الاقتصاد العالمي. فما زالت منطقة الخليج تلعب دورا مهما في تحديد سعر النفط كسلعة عالمية تخضع لمتطلبات العرض والطلب.

ولكن المؤكد أن أهمية المنطقة للولايات المتحدة في تراجع مستمر، ومن ثم فإن رغبتها في التورط في شؤونها أو لعب دور قيادي بشأن قضاياها هي أيضا في تراجع مستمر.

3: أهداف استراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بعد 2011

تمحورت الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بعد عام 2011 حول مجموعة من الأهداف الأساسية وهي كالتالي:

_ تحجيم نفوذ أية قوة دولية أو إقليمية أخرى بالمنطقة سواء روسيا أو الصين أو إيران، أو أية قوة أخرى.

_ احكام سيطرتها على نفط المنطقة بوصفه شريان الحياة الاقتصادية في العالم، وهذا ما عملت باتجاهه من خلال غزو العراق مباشرة بعد أن كانت تسيطر على نفط الخليج العربي، ولقد اختير العراق هدفا أوليا ومباشرا لأنه الحلقة الأهم في نفط المنطقة لجهة أن مخزونه النفطي يعادل ما نسبته 11% من مجمل الاحتياطي العالمي للنفط وهذا يجعله خزانا متدفقا لمائتي عام مقبلة أو أكثر.¹

1 Le billon, P,el khatib. F, **From free oil to freedom oil: terrorism, war and U.S Geopolitics in the Persian Gulf**, Geopolitics, volume 9, Issue 1, March 2004, p109.

ـ تدفق النفط بأسعار مناسبة: يوجد في منطقة الشرق الأوسط أكبر مخزون نفطي في العالم يفى بحاجة الولايات المتحدة من الطاقة اللازمة لتفوقها العسكري والاقتصادي والسياسي، لهذا تحرص واشنطن على تدفق النفط من الشرق الأوسط وبأسعار مناسبة.

وتطلبت سياسة الهيمنة على النفط ضرورة التدخل في شؤون منطقة الشرق الأوسط، واعتبرت الولايات المتحدة منظمة أوبك المصدرة للنفط مصدر تهديد لاقتصاديات السوق الحر ورأت ضرورة الحد من تأثيرها من خلال الضغط على الدول النفطية لتقوم بتعديل سياستها النفطية بما يتواءم ومصالح الولايات المتحدة. وفي هذا الصدد ربط ترامب ما بين الدعم الأميركي لدول الشرق الأوسط وخفض أسعار النفط، داعياً الدول الخميس في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) إلى خفض أسعار الخام، قائلاً "إن بلاده توفر الأمن لدول الشرق الأوسط المنتجة للنفط بينما تقوم هذه الدول بدفع الأسعار للارتفاع"¹.

ـ تأمين حماية (إسرائيل) والعمل على إحياء دورها الوظيفي لجهة أن أمريكا لا تستطيع أن تظل دولة محاربة في الشرق الأوسط إلى الأبد.² وقد اهتمت الولايات المتحدة طويلاً بأمن (إسرائيل) لأنها الدولة الوحيدة التي تمارس الديمقراطية الغربية ومنحازة للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، لهذا تعمل الولايات المتحدة على تثبيت هذه الدولة وتهيئة الظروف مع العرب والمسلمين لإنهاء حالة الصراع العربي الإسرائيلي وإقامة سلام دائم في المنطقة. كما تلعب (إسرائيل) بحكم موقعها الجغرافي في المنطقة كحارس استقرار للأنظمة القائمة وفي منع أي تحول راديكالي أو ديني قد يضر بمصالحها ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة. بالنسبة للرئيس الأميركي ترامب يعتبر أحد أكثر الرؤساء الأمريكيين تعبيراً عن الانحياز (إسرائيل)، والسعي نحو تقوية التحالف معها. فقد كتب ترامب في أكتوبر 2016 على حسابه بموقع التواصل الاجتماعي: "لقد قلت في مناسبات عديدة إنه في عهد إدارة ترامب، فإن الولايات المتحدة ستعترف بأن القدس هي العاصمة الوحيدة والحقيقية (إسرائيل)."³ وهو ما تم بالفعل في العام 2018 ونقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، كما انه يدعم تحالفاً قوياً بين بلاده و(إسرائيل)."

1 Tim Daiss, **How much does the U.S. spend on defending global oil supplies?**, 24 September 2018, at, <https://bit.ly/3jGc8n9>

2 وهذا ما عملت باتجاهه أيضاً من خلال غزو العراق والذي كان (إسرائيل) الدور الأكبر في التحريض عليه، فالعراق بحكم موقعه وغناه النفطي والإقتصادي والبشري، وتأصل الروح القومية في فكر وثقافات شعبه، يشكل عمقا إستراتيجيا للأمة العربية في معركتها القومية ضد المشروع الصهيوني والدور الوظيفي (إسرائيل)، الأمر الذي جعل (إسرائيل) تركز على ضرب العراق وتدميره، وتضغط بالتالي على أمريكا من أجل تنفيذ هذا الهدف الحيوي لها، وكان لها ما طلبت عبر وكلائها الجدد والموالين لها في دوائر صنع القرار الأمريكي من مجلس النواب إلى مجلس الشيوخ إلى وزارات الخارجية والدفاع والإقتصاد فالبيت الأبيض. لمعلومات أكثر انظر أيضاً:

Immerman R.H, Theoharis, A.G. **Security under Scrutiny U.S**, The Central Intelligence Agency, Greenwood Press, 2006. p 314.

3 **Statement by President Trump on Jerusalem**, December 6, 2017, at: <https://bit.ly/31WPtNb>

كما اتهم ترامب سلفه أوباما بتخريب العلاقات مع (إسرائيل). وشدد على التزامه بأمن (إسرائيل)، مؤكدا ضرورة اعتراف السلطة الفلسطينية (بإسرائيل) كدولة يهودية، ووقف جميع الهجمات الإرهابية ضدها.¹

ـ **استقرار الأنظمة الصديقة:** حرصت الولايات المتحدة على إبقاء علاقات الصداقة مع الأنظمة السياسية في الخليج العربي ومصر والأردن والمغرب، وتحرص تلك الدول على إرضاء المطالب السياسية الأمريكية بالمنطقة فتقابلها واشنطن بالتأييد والمساندة.

بالنسبة لترامب فإن موقفه من تلك الأنظمة الصديقة يتمثل في أهمية مشاركة دول المنطقة، خاصة الغنية منها، في تحمل أعباء التكلفة المالية المتعلقة بقضايا المنطقة، وذكر أن الولايات المتحدة أنفقت 7 تريليونات دولار في الشرق الأوسط على مدى 18 عاما، وأن الولايات المتحدة لا يجب أن تتحمل المسؤولية عن هذه التكلفة الهائلة، وعلى دول المنطقة دفع هذا الثمن.²

ـ **إعادة بناء الشرق الأوسط** وهذا ما حاولت الإدارة الأمريكية العمل من اجله عبر شعارات نشر الحرية والديمقراطية وبعث التنمية والتطوير وتعزيز حقوق الانسان في المنطقة وقد جرى تجسيد هذا التوجه عبر طرح مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي يتجاوز المفهوم التقليدي المتداول لمصطلح الشرق الأوسط والذي يضم الوطن العربي وتركيا وإيران ويشمل الحيز الجغرافي الممتد من اقصى شمال إفريقيا إلى عمق آسيا متضمنا دول شمال افريقيا والعراق والخليج والجزيرة العربية وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان اندونيسيا أي العالم الإسلامي برمته تقريبا.

طرحت الولايات المتحدة مشروعها الشرق الأوسطي بالتنسيق مع (إسرائيل) هادفة من ورائه إلى تغيير البنى الهيكلية فيه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودوليا، بمعنى تجاوز اتفاقية ساكس بيكو إلى ما هو اخطر منها بكثير وعلى قاعدة تجزيء المجزأ وتفتيت المفتت وإدخال النواتج السياسية الجديدة في حالة صراعات تتاحرية فيما بينها، من أجل أن تسود (إسرائيل) ويكون لها الكلمة الأولى والنفوذ الأوسع في المنطقة، وفي مثل هذا المناخ من الصراعات تكون فكرة القومية العربية قد تلاشت من عمق الذهن العربي لتحل محلها الولاءات الضيقة (قبلية وعشائرية واثنية وطائفية) فتضيع الهوية مع رياح التغيير الوافدة من الخارج وتصبح مفاهيم مثل الوحدة العربية والوطن العرب والأمة وحتى الشعب والوحدة الوطنية من منسيات الماضي.

1 Adam Entous, Donald Trump's New World Order: How the President, Israel, and the Gulf States, plan to fight Iran—and leave the Palestinians and the Obama years behind. June 18, 2018 Issue, at: <https://bit.ly/2F68JPF>

2 Z. Byron Wolf, Trump keeps saying the US has spent \$7 trillion in the Middle East, April 25, 2018, at: <https://cnn.it/2Gpva2F>

بالرغم من ان هذه المطالب محقة وعادلة، إلا أنه يجري استغلاله هنا لغايات تناقض مضمونها لجهة ان الذي يطالب بها هو من يسعى في الوقت نفسه إلى مصادرة إستقلال شعوب المنطقة والدوس على حرياتهم وامتهان كرامتهم بقوة المدفع والدبابة والصاروخ والإحتلال الغاشم لأراضيها.¹

– منع انتشار أسلحة الدمار الشامل: تعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق في العالم التي تثار فيها المسألة النووية بين الحين والآخر، وذلك لأهميتها سياسياً واقتصادياً وجغرافياً في المدرك الاستراتيجي للقوى الكبرى، ورغم تعدد المحاولات والجهود الرامية لإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط، فإن تلك الجهود والمحاولات في سبيل جعل هذه المنطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل قد باءت بالفشل. ومن المعروف أن أغلب دول المنطقة عدا (إسرائيل) موقعة على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، وأن أغلبها ليس فقط لا تملك أسلحة دمار شامل بل لا تملك حتى القدرة النووية للأغراض السلمية عدا إيران.

ومن بين الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، منع انتشار أسلحة الدمار الشامل بكل أنواعها، كما أن انتشار هذه الأسلحة يهدد أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة لا سيما الخليج وإسرائيل وكذلك القوات الأمريكية المنتشرة حول المنطقة، وتحت هذه الذريعة، قامت الولايات المتحدة باحتلال العراق عام 2003، كما تعمل الولايات المتحدة على منع إيران من امتلاك تلك الأسلحة.²

– مواجهة إيران: تنظر الولايات المتحدة أن مصلحة العالم هي في منع وتطوير انتشار أسلحة الدمار الشامل، ولذلك تستهدف استراتيجيته في منع هيمنة أي قوة مُعادية للولايات المتحدة على الشرق الأوسط، وركزت إدارة ترامب بشكل رئيسي على مواجهة إيران، واعتبرتها الدولة الرائدة في العالم في رعاية الإرهاب من خلال تقديم السلاح والتمويل، كما إتهمتها أيضاً بمواصلة تطوير برنامج صواريخ باليستية طويلة المدى، وتنفيذ أنشطة إلكترونية خبيثة، والعمل على استدامة دائرة العنف وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط وتهديد حلفاء الولايات المتحدة بالمنطقة.³

– مكافحة الإرهاب: مواجهة ما يعرف بالإرهاب أخذت اهتماماً أمريكياً كبيراً في الشرق الأوسط خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر، وقد اعتمدت تلك التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم

1 السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.. أهدافها ووسائل تنفيذها: العراق أنموذجاً، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2019/06/14. على الرابط التالي: <https://bit.ly/352FbNr>

2 Gregory L. Schulte, **Stopping Proliferation Before It Starts: How to Prevent the Next Nuclear Wave**, Foreign Affairs, July/August 2010 Issue, at: <https://fam.ag/3hXeOfR>

3 Michael R. Pompeo, **Confronting Iran: The Trump Administration's Strategy**, October 15, 2018, at: <https://bit.ly/2DsCA4f>

الدولة الإسلامية في العراق والشام(داعش) في تمويل نشاطاتها وتطوير قدراتها على العالم الإسلامي وكان من أهدافها تقويض أنظمة الشرق الأوسط المتحالفة مع الولايات المتحدة، لذا سعت الولايات المتحدة على مواجهة تهديدات تلك التنظيمات التي تستهدف أصدقائها وتقديم المساعدات اللازمة لها لحفظ استقرار المنطقة.¹ وأعلن الرئيس ترامب أن هذا الهدف قد تحقق، وبناء عليه أصدر قراره بسحب القوات الأمريكية من سوريا. ومن ثم، فمن المتوقع انخفاض اهتمام الولايات المتحدة بقضية مكافحة الإرهاب في المنطقة في عام 2019، خاصة مع تزايد الإحساس الأمريكي بالأمان من العمليات الإرهابية في الداخل، والاعتقاد بأنه تمت هزيمة داعش بعد طردها من غالبية الأراضي التي كانت تسيطر عليها في العراق وسوريا.²

وبالنسبة لاستراتيجية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في مكافحة الإرهاب تطالب بأن يتحمل حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط مزيداً من العبء في مكافحة "الإسلاميين المتشددين" مع الإقرار بأن تهديد الإرهاب لن يتم القضاء عليه نهائياً، كما ينبغي على الولايات المتحدة أن تتجنب الالتزامات العسكرية المكلفة "المفتوحة".³

– تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان: توظف الولايات المتحدة موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان كأحد الوسائل التي تخدم مصالحها في الشرق الأوسط، وهي تستخدم هذه الوسيلة تحديداً بما يخدم أهدافها، فقد ترى الولايات المتحدة أن تدعيم الديمقراطية قد يضر بمصالحها عندما تصل إحدى التيارات الإسلامية إلى الحكم عن طريق الانتخابات.

يرى ترامب أن دعم الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، والتقارب مع التيارات الإسلامية أديا إلى عدم الاستقرار، وانتشار الحروب الأهلية في العديد من الدول العربية، وصعود التنظيمات الإرهابية مثل "داعش"، وجبهة النصرة وغيرها. ولذلك، فقد تبنى ترامب منظوراً واقعياً في التعامل مع قضايا المنطقة مما يعني تراجع الترويج للديمقراطية في أجندة إدارة ترامب تجاه الشرق الأوسط. كما يرفض ترامب فكرة "الاستثناء الأمريكي"، والدور القيادي الأخلاقي الأمريكي للعالم. ومن ثم، يرفض مبدأ تغيير الأنظمة بالقوة، ونشر الديمقراطية، أو حقوق الإنسان، والميل للانعزالية، والتركيز على الشأن الداخلي.⁴

1 Daniel L. Byman, **Comparing Al Qaeda and ISIS: Different goals, different targets**, Brookings, at: <https://brook.gs/2EZ2ItF>

2 محمد كمال، أمريكا والشرق الأوسط بين عامين، مرجع سبق ذكره.

3 Jonathan Landay, Warren Strobel, **Trump counterterrorism strategy urges allies to do, more**, at: <https://reut.rs/3brdHTa>

4 LEON HADAR, **Give Trump a Chance in the Middle East: Bush and Obama already helped destroy the region and damage U.S. interests there. How much worse could it get?** Foreign Policy, JUNE 27, 2017, at: <https://foreignpolicy.com>

ومن المتوقع أيضا أن يزداد اهتمام الكونجرس الأمريكي الجديد (ذو الأغلبية الديمقراطية في مجلس النواب) بقضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، والسعي لتبني تشريعات تربط التعاون الاقتصادي والعسكري مع دول المنطقة بشروطه سياسية، في المقابل سوف تقوم إدارة الرئيس ترامب بالتأكيد على مصالح الولايات المتحدة بحلفائها في المنطقة في إطار استراتيجية "أمريكا أولاً"¹.

ثالثاً: محددات استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط

هناك عدد من المحددات الداخلية والخارجية التي تشكل إطاراً حاكماً لاستراتيجية الولايات المتحدة تجاه منطقة الشرق الأوسط، وتؤثر بشكل كبير في توجهات تلك الاستراتيجية، وحدود التغيير فيها.

1- المحددات الداخلية:

أ- مؤسسية صنع الاستراتيجية الأمريكية: رغم أن شخصية الرئيس ترامب، وسماته الشخصية واقتناعاته تلعب دوراً مؤثراً في توجهات الاستراتيجية الأمريكية، إضافة إلى أن سيطرة الجمهوريين على الكونجرس الأمريكي، بمجلسيه النواب والشيوخ، تعطي حركة ومرونة أكبر لترامب في التعامل مع القضايا الاستراتيجية، فإن عملية صنع واتخاذ قرارات تلك الاستراتيجية هي نتاج التفاعل والتوافق بين المؤسسات الأمريكية، التي تشمل الرئيس، ومستشاره للأمن القومي، ووزارتي الخارجية والدفاع، وكذلك الكونجرس، وجماعات الضغط، ومراكز الأبحاث، وهي عملية معقدة يحكمها حجم وتشابكات المصالح الأمريكية في المنطقة، والتي تفرض حدوداً على إمكانية حدوث تغييرات جذرية، في ظل ضعف خبرة ترامب السياسية، وعدم درايته بتعقيدات أزمات الشرق الأوسط.²

وقد أبرزت تعيينات ترامب لطاقتهم وزرائه ولاحقاً التغييرات التي طالت عدداً منهم، أن هناك توجهاً من جانب إدارة ترامب لاتخاذ مواقف مختلفة تجاه أزمات وقضايا منطقة الشرق الأوسط.

وليس من المتوقع أن يؤدي سيطرة الديمقراطيين في مجلس النواب الجديد إلى تحول هيكلي في توجهات الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، وسوف يستمر الرئيس ترامب في لعب الدور الأكبر في مجال السياسة الخارجية. بالمقابل، من المتوقع أن يقوم مجلس النواب الجديد بوضع قيود على مبادرات الرئيس التي تتطلب موافقة مجلسي الكونجرس (النواب والشيوخ)، خاصة تلك التي تتطلب موازنات مالية، مثل تمويل برامج المعونات الخارجية. وأن يسعى للتأثير بشكل أكبر على السياسة الخارجية من خلال دوره الرقابي. وسوف يستخدم أدوات الرقابة، مثل التحقيقات وطلب المعلومات وجلسات الاستماع لتوجيه أسئلة واستفسارات للمسؤولين التنفيذيين عن السياسة الخارجية تجاه المنطقة وبلدانها.³

1 محمد كمال، مرجع سبق ذكره.

2 Statement by President Trump on Jerusalem, Op cite.

3 Adam Entous, Op cite.

ب- الاتجاه الانعزالي في الاستراتيجية الأمريكية: يتبنى ترامب سياسة العزلة البناءة، ومبدأ "أمريكا أولاً"، والتي تمثل تحول كبير في الاستراتيجية الأمريكية على نمط ما قام به الرئيس الأسبق مونرو عام 1821. وتقضي هذه الاستراتيجية بتفعيل الموارد الكامنة. سواء كانت طبيعية، أو بشرية، أو تكنولوجية، لإعادة بناء الولايات المتحدة كفاعل رئيسي في النظام الدولي، وعدم الانغماس في الصراعات الإقليمية، كما يحدث في منطقة الشرق الأوسط.¹

ج- عقيدة ترامب ومفهوم الصفقة: تقوم عقيدة ترامب على مبدأ ومفهوم الصفقة في التعامل مع قضايا السياسة الخارجية، ويرتكز على أن حجم انخراط أمريكا في قضايا العالم، ومنطقة الشرق الأوسط تحديداً، سوف يرتبط بمقدار ما تحققه من منافع اقتصادية للولايات المتحدة، وهذا نابع من عقلية رجل الأعمال الذي يتعامل بمنطق المكاسب والخسائر، والذي برز في تصريحاته في مراجعة التعاون مع حلف الناتو، والدفاع عن الدول الصديقة، وصفقة البرنامج النووي الإيراني، والانفتاح على كوبا، والشراكة مع المحيط الهادي، وموقفه الراض للعوامة، حيث رأي ترامب أنها كانت عبئاً على الولايات المتحدة ولم تحقق لها المزايا المرجوة.²

د- التغيير في الآليات لا الأهداف: هناك ثوابت في الاستراتيجية الأمريكية تشكل استمرارية لها، بغض النظر عن طبيعة الإدارة الأمريكية، جمهورية كانت أو ديمقراطية، وأن التغيير فقط دائماً ما يكون في الآليات، ما بين اللجوء إلى الآليات الصلبة كالحرب، والتدخل العسكري، والعقوبات، وهي غالباً مرتبطة بالجمهوريين، وما بين الآليات الناعمة، مثل الدبلوماسية، والمفاوضات، والمساعدات، وهي غالباً مرتبطة بالإدارات الديمقراطية. لكن هناك اتفاقاً بين كل الإدارات على تحقيق تلك الثوابت، التي ترتبط بكيفية تحقيق المصالح الأمريكية.³

ورغم أن مواقف وتصريحات ترامب تتبني بعزمه إحداث تغيير كبير في توجهات الاستراتيجية الأمريكية في العالم باتجاه الانعزال، ورفض العوامة، واتفاقيات التجارة الحرة، وإعادة النظر في شراكات الولايات المتحدة الخارجية، فإن الشرق الأوسط يمثل أحد جوانب الاستمرارية في الإستراتيجية الأمريكية، نظراً لتشابك المصالح الأمريكية فيها، وأن التغيير سيكون في نطاق الآليات، والاعتماد على الآليات الصلبة، خاصة استخدام القوة العسكرية في محاربة الإرهاب، وتنظيم "داعش" عبر الغارات الجوية مع تجنب التدخل

1 LEON HADAR, op cite.

2 Mira Rapp-Hooper, **Deciphering Trump's Asia Policy: What "America First" Will Mean for Regional Order**, Foreign Affairs, November 22, 2016, at: <https://fam.ag/3i0uhLO>

3 Aaron Blake, **President Trump's full Washington Post interview transcript, annotated**, The washingtonpost, November 27, 2018, at: <https://wapo.st/2F69lip>

العسكري المباشر، كذلك استخدام أداة العقوبات ضد بعض الدول، ومنها إيران، بدلا من آليات الدبلوماسية والمساعدات.

2_ المحددات الخارجية:

أ- تراجع الطلب على النفط: شهد عام 2018، وصول الولايات المتحدة لمكانة أكبر دولة منتجة للبتترول في العالم، وزيادة صادراتها البترولية عن وارداتها، نتيجة للاكتشافات النفطية الجديدة في النفط الصخري وهو تحول تاريخي سوف يؤثر بالتأكيد على توجهاتها تجاه منطقة الشرق الأوسط، وقد أعلن الرئيس الأمريكي ترامب، في حوار له مع جريدة الواشنطن بوست، في ديسمبر 2018 "البتترول يفقد أهميته شيئا فشيئا كسبب لبقاءنا في المنطقة، لأننا ننتج المزيد منه.. لذا، وكما تعلمون، قد نصل فجأة إلى نقطة لا نحتاج فيها إلى البقاء في هذه المنطقة.¹

وفى هذا الإطار شهد عام 2019 استمرار الجدل الأمريكي داخل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية حول الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، وجدوى العلاقة مع الحلفاء الرئيسيين في المنطقة العربية. لكن من المتوقع أيضا استمرار الهدف الأمريكي في استثمار العلاقة مع الدول العربية المنتجة للبتترول لتحقيق هدف الحفاظ على سعر معقول لهذه السلعة وتجنب الاضطراب وعدم الاستقرار في الأسواق العالمية للبتترول.

ب- التوجه نحو آسيا: مثل سعى الولايات المتحدة نحو زيادة الاهتمام بالقارة الآسيوية سواء للمشاركة في ثمار النمو بهذه القارة الواعدة اقتصاديا، أو لمواجهة تصاعد النفوذ الاستراتيجي الصيني بها، والذي يهدد الوجود الأمريكي في القارة الآسيوية.² وجاء إبرام اتفاق سلام مع كوريا الشمالية بشأن برنامجها النووي من خلال الضغط عليها عبر العقوبات الاقتصادية التي أتت ثمارها في سياق القمة الأميركية الكورية في سنغافورة، وعليه فقد أعلن الزعيم الكوري وقف التجارب النووية والبدء في تفكيك بعض المنشأة الخاصة بالتجارب النووية، كما طالب "ترامب" بالعودة إلى اتفاقية الشراكة عبر الهادي مع بعض القوى الآسيوية بعد انسحابه منها إبان توليه الحكم في يناير 2017.

وبالتالي يمكن القول أن التوجه الأمريكي نحو آسيا الذي بدأ في عهد أوباما واستمر في عهد ترامب يعني بالضرورة إعادة ترتيب الأولويات الأمريكية في العالم، وإعادة توزيع درجة الاهتمام والإمكانات الاستراتيجية الأمريكية بعيدا عن الشرق الأوسط وقريبا من آسيا.³

1 Mohamed Kamal & Khalid Hashim Mohammed, **Obama and transformation strategy from the Middle East to the Asia – Pacific Region**, Asian Social Science, 6 June 2017, p48.

2 Donald Trump focuses fire on Iran's support for 'terrorists and militias', Op cite.

3 Roberta Rampton, Steve Holland, Op cite.

جـ_ **محدودية التأثير**: لم تعد الولايات المتحدة اللاعب الوحيد في الشرق الأوسط، بخلاف ما كان في السنوات، التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفيتي. فقد برز في السنوات الخمس الأخيرة لاعبون رئيسيون، مثل روسيا التي أصبحت فاعلا في الكثير من الأزمات والقضايا مثل الأزمة السورية. وهذا الصعود الروسي كان نتيجة مباشرة لاستراتيجية إدارة أوباما المتخبطة، وعقيدته بعدم الانخراط المباشر في الصراعات في الشرق الأوسط، وإعادة التموضع في مناطق أخرى من العالم، مثل شرق وجنوب آسيا.¹

ولا شك في أن محدودية الدور الأمريكي ستقرض قيودا على حركة وخيارات الاستراتيجية الأمريكية، وتدفعه إلى التقارب والتنسيق مع اللاعبين الدوليين، كروسيا، واللاعبين الإقليميين، كتركيا ودول الخليج عند التعامل مع أزمات وقضايا المنطقة، مثل مشكلة الإرهاب واللاجئين. فموسكو على سبيل المثال اتخذت من سوريا موطئ قدم لها أدى إلى زيادة تواجدها من الناحية العسكرية من خلال إقامة قواعد عسكرية جديدة يمكن استخدامها كمحاور استراتيجية في نقل الطاقة من موسكو نحو الغرب الأوروبي عن طريق سوريا، فضلا عن نشر منظومات الدفاع الجوي (s400) و(s300).² لكن من جانب آخر في حالة إبداء ترامب ثقة أكثر من سلفه أوباما تجاه موسكو، وسعيه لبناء علاقات أقوى معها، فإن الفجوة بينه وبين النخبة العسكرية والاستخباراتية الأمريكية ستزداد.

إضافة لذلك، فإن منطقة الشرق الأوسط، التي تعد أكثر ساحات العالم سخونة، تمر بحالة شديدة من السيولة والهلامية، خاصة بعد مرحلة اندلاع الثورات العربية، ونشوب الكثير من الأزمات والحروب الأهلية في العديد من الدول، مثل اليمن، وليبيا، وسوريا، والعراق، وتتسم تلك الأزمات بأنها بلا أفق واضح نحو الحل السياسي، كما تتشابك أطرافها الداخلية مع الأطراف الإقليمية والدولية، وتغيرت معها أنماط التحالفات والخريطة الجيوستراتيجية.

ولذلك، فإن حالة عدم الاستقرار وتبدل قواعد اللعبة يضعان قيودا على الدور الأمريكي في التعامل مع تلك المشكلات، ويجعلانها أقل تأثيرا في توجيه مساراتها العسكرية أو تسويتها السياسية، وهو ما يفرض على الإدارة الأمريكية بناء تحالفات مع الأطراف الفاعلة في الإقليم، كروسيا، وتركيا، وإيران، والسعودية، ومصر، وهو أمر يواجه أيضا تحديات عديدة، في ظل تعارض المواقف والمصالح بين هذه الدول في

1 Ishaan Tharoor, Op cite.

2 آية عبد العزيز، استراتيجية ترامب في الشرق الأوسط ما بين الابتزاز والمهادنة، المركز العربي للبحوث والدراسات، الإثنتين 15 أكتوبر 2018، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3546IOA>

الكثير من تلك الأزمات، كما يبرز بشكل جلي في الأزمة السورية، إضافة إلى أن تعدد الجبهات المفتوحة أمام ترامب في داخل أمريكا وفي العالم سوف يحد من خياراته بشأن الشرق الأوسط¹. هذه الأسباب مجتمعة أصبحت محددات إمام توجه الولايات المتحدة لتقليل ارتباطها بالشرق الأوسط، بمعنى تجنب التورط في مشكلات المنطقة وعدم لعب دور قيادي بالنسبة لها. وبالتالي، فإن هذا الإطار سوف يؤثر بشكل كبير في توجهات إدارة ترامب، ونمط تعامله مع قضايا الشرق الأوسط وتفاعلاته، ونمط آلياته وتحالفاته، ونوعية الخيارات المتاحة أمامه. اذن تبنت الإدارة الأميركية الجديدة برئاسة "ترامب" مبدأ التواجد في المنطقة بدون تحمل أعباء التواجد، علاوة على منع أي قوى إقليمية أو دولية في ملئ الفراغ استراتيجي يمكن أن تتركه واشنطن.

رابعاً: آليات تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بعد 2011

إن رصد آليات عمل الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة يتوضح لنا أنها سياسة متغيرة ومرنة، فهي تعمل وفقاً لما تقتضيه المصلحة الوطنية الأمريكية، وعلى ذلك فقد استخدمت عدة وسائل لتنفيذ استراتيجيتها في المنطقة وهي:

- _ التدخل العسكري المباشر وهذا ما مارسه في أفغانستان والعراق وسورية.
- _ سياسة الضغوط المنظمة وهذا ما مارسه ضد سورية وإيران ودول عربية أخرى، وبدأت بممارسته ضد تركيا في محاولة لضرب علاقاتها مع سورية وروسيا وصولاً إلى تشديد الحصار عليها.
- _ سياسة الفوضى الخلاقة كبديل لإخفاق سياستي الغزو المباشر والضغوط.
- _ تفعيل القوة الناعمة والقوة الذكية في تمرير سياساتها بالمنطقة.

1: توظيف القوة الذكية للولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط:

في البداية، لا بد من معرفة الجذور الفكرية للقوة الذكية والتي تتم من خلال دمج القوتين الناعمة والصلبة بحيث لا يمكن الاستغناء عن إحدهما من أجل التعامل بالقوة الذكية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية. من هنا تعتبر القوة الذكية "Smart Power" من أهم المفاهيم العصرية التي طُرحت في الفكر الاستراتيجي الأمريكي "American Strategic Thought" الذي يسعى إلى التغيير المتجدد لبناء استراتيجيات عملية تستخدم من قبل الحكومات الأمريكية المتعاقبة على سدة الحكم، ويأتي ظهور

1 Steve Holland, Yara Bayoumy, Op cite.

مصطلح القوة الذكية بعد الفشل الذي نتج عن استخدام القوة الصلبة في منطقة الشرق الأوسط لا سيما في أفغانستان والعراق خلال إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش¹. ان الممارسات العملية للقوة الذكية " في السياسة الخارجية الأمريكية قد يكون من الصعب كشفها، لأنها تشكل نوع من سياسيات التفاعل في النظام الدولي، إذ أن الممارسات العملية لتطبيق القوة الذكية يعتمد على ما يشهده النظام العالمي من توفر هائل بالمعلومات التكنولوجية التي قلصت الوقت للحصول على المعلومات بين دول العالم، مع انها زادت الفجوة بين دول الغنية ودول الفقيرة، ولا سيما دول منطقة الشرق الأوسط، ولما تحتويه المنطقة من موقع وعمق استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، وبالإشارة إلى تلك الاستراتيجية، عمدت الولايات المتحدة الأمريكية على ربط الأمن العالمي بأمن منطقة الشرق الأوسط². وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض النماذج في منطقة الشرق الأوسط التي استخدمت فيها القوة الذكية من أجل التغيير سواء كان بوسائل القوة الناعمة أو بالقوة الصلبة. بداية القوة الذكية "الناعمة" كنموذج على الممارسات العملية في التغيير في منطقة الشرق الأوسط. فمثلاً مصر وتونس والإطاحة بأنظمة الحكم في كلتا الدولتين، والجدل القائم بين الأوساط الرسمية والشعبية العربية حول ما حدث في مصر وتونس هو ثورة حقيقية أم مؤامرة أمريكية لإعادة تقسيم المنطقة العربية. وبالإشارة للقوة الذكية وممارساتها العملية، إن ما حصل في تلك الدولتين من تعبئة شعبية خلال فترة الثورة وقبلها من خلال وسائل الاتصال السريع والتي ترتبط بشكل مباشر بالشبكة الدولية للمعلومات "الإنترنت" وما هو معلوم بارتباط تلك الشبكة بأجهزة التجسس الأمريكية بشكل أو بآخر، وتعتبر مواقع الاتصال السريع من أهم المواقع في الحصول على المعلومات عن الجماهير، وكان لتلك المواقع دوراً هاماً في عمليات تجييش الجماهير ضد أنظمة الحكم في مصر وتونس³. من هنا لا بد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت سياسة القوة

1 انظر أيضاً ل: سيف الهرمزي، مقتربات القوة الذكية كآلية من آليات التغيير الدولي: الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص 124-126.

2 رايق البريزات، القوة الذكية والسياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، 2020/1/5، متوفر على بوابة المنهل للكتب والدراسات العلمية، PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3hS1Lfr>

3 منذ بداية تسعينيات القرن الماضي تناول المفكر "جوزف س. ناي" في كتابه المعنون بالقوة الناعمة الذي خط فيه أولى خطواته الفكرية بعد الإنفراد الأمريكي بالهيمنة على العالم. كذلك عمل "جوزيف ناي" Joseph Nye " على حث الولايات المتحدة من أجل العمل بسياسة القوة الذكية "Smart Power" والتي تعني استخدام الوسائل الدبلوماسية والسياسية والثقافية وغيرها من وسائل الإتصال، فضلاً عن الدبلوماسية الشعبية والتي تعد إحدى أهم وسائل القوة الناعمة فيما يخص مختلف الثقافات في أنحاء المعمورة من أجل إمكانية الإشتراك في حل القضايا العالمية، وهي إحدى الوسائل التي تحث الجماهير على المشاركة السياسية من خلال الترويج لمفهوم الديمقراطية والحرية، مع عدم التخلي عن القوة العسكرية، فضلاً عن الدفع بالأقليات التي تبحث عن التحرر والإنفصال كما يحدث مع الأقليات الكردية في كل من العراق وسوريا، إضافة إلى المؤسسات الداعمة لتعليم في أمريكا من خلال مشاريع متنوعة كمشروع فولبرايت في العراق وغيرها من المشاريع التي تسعى إلى نشر المفاهيم الأمريكية في المنطقة. والمراقب للإستراتيجية الأمريكية

الذكية (الناعمة) في سياستها الخارجية لتحقيق هدفها بالإطاحة ببعض أنظمة الحكم في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما أشار إليه جوزف ناي في كتابه حول استخدام القوة الناعمة دون اللجوء إلى القوة الصلبة المباشرة. القوة العسكرية في بعض الدول العربية كنموذج عملي على ممارسات القوة الذكية "الخشنة أو الصلبة" مثلاً على وضع ليبيا من العمليات العسكرية التي جرت وتجري على الساحة توضح مدى استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقوة الذكية "الصلبة"، إلا أن العمليات العسكرية في ليبيا لم تكن أمريكية بصورة مباشرة بل كان من يقود حرباً بالوكالة عنها، فضلاً على أن هدف العمليات العسكرية لم يكن فقط الإطاحة بنظام القذافي بل أيضاً باختبار قوة القائمين على الناتو وعلى العمليات العسكرية في ليبيا.¹ أما فيما يخص الحالة الإيرانية، فقد صرح باراك أوباما منذ توليه الرئاسة إلى اتباع سياسة جديدة اتجاه إيران يهدف إلى إبقاء العامل العسكري معلقاً "القوة الصلبة"، وإعطاء أفضلية لاستخدام العمل الدبلوماسي "القوة الناعمة" بشأن ملف إيران النووي. إذ أن الإدارة الأمريكية آنذاك فضلت استخدام القوة الناعمة والإبقاء على القوة الصلبة معلقة تجاه إيران نظراً لحسابات كثيرة تعاطت معها السياسة الخارجية الأمريكية، ومنها إذ تم ضرب المفاعلات النووية الإيرانية، قد تتعرض المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط لهجمات انتقامية من قبل إيران. من هنا قدمت القوة الذكية في التعاطي مع الأزمة الإيرانية، من خلال العمل الدبلوماسي المباشر من أجل إنهاء تلك الأزمة والإبقاء على العقوبات الاقتصادية على إيران في حال لم تتوصل القوى الكبرى وإيران إلى حل نهائي للأزمة الإيرانية، فضلاً عن عدم التخلي عن القوة العسكرية.

يجد بأنها تحتوي على وثيقة الأمن القومي الأمريكي لعام 2010 والتي أطلقها الرئيس باراك أوباما وأعلن فيها بالقول "الاداة العسكرية ليست هي الخيار الوحيد في حفظ الأمن، ولكن تبقى خياراً فاعلاً في الإستراتيجية الأمريكية"، أنظر: رايك البريزات، المرجع السابق. 1. تبنت الإدارة الأمريكية خيار رحيل الرئيس الليبي معمر القذافي، وتأتي هذه الرغبة من أجل السيطرة على النفط والغاز الليبي، لتأمين مصادر الطاقة إلى أوروبا، الأمر الذي سينعكس على تماسك حلف الناتو وتفعيل مهامه الإستراتيجية مستقبلاً، فضلاً عن أنه سيؤدي إلى قطع الطريق أمام القوى المنافسة في هذه المنطقة، ولاسيما الصين التي سمح لها القذافي بدخول شركاتها إلى قارة إفريقيا من خلال البوابة الليبية، حينما نجحت الصين بالحصول على استثمارات هائلة للطاقة في مدينة بنغازي حيث يقدر عدد العاملين في قطاع الطاقة الليبية 30 ألف صيني، فدخول الولايات المتحدة تجعلها أقل قدرة على منافستها في ظل عالم يتسم بالتحول. قررت الولايات المتحدة اعتماد استراتيجية القوة الذكية لإضعاف قدرات النظام الليبي وذلك عن طريق اعتماد أربع آليات:

1. توظيف وسائل القوة الناعمة الأمريكية لتدريب الناشطين الليبيين وتمويلهم.
 2. شن حملة دبلوماسية لعزل نظام القذافي أو تطويقه إقليمياً ودولياً تمهيداً للإطاحة به.
 3. توظيف تكتيك القيادة من الخلف.
 4. تقديم المساعدات والحوافز لإعادة إعمار ليبيا.
- انظر ل: أيمن الفيصل، القوة الناعمة وتوظيفها في الإستراتيجية الأمريكية الشاملة تجاه الشرق الأوسط، مركز البيان للدراسات والتخطيط، مقال نشر بتاريخ 2016/07/28، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gXvbrg>

بينما الحالة السورية التي بدأت مجريات وقائعها منذ عام 2011 فقد تمثلت بوجود عدة أطراف دولية في الصراع السوري-السوري، وتلك الأطراف جميعها داعمة لنظام السوري باستثناء تركيا التي تقف قريبة من خط المعارضة السورية، وبالنظر إلى ما يحدث في سوريا جعل الولايات المتحدة الابتعاد عن استخدام القوة العسكرية المباشرة "القوة الصلبة" للإطاحة بنظام بشار وذلك بسبب: الدعم المقدم من الصين وروسيا إلى النظام السوري واستخدامهما لحق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن ضد أي عمل أمريكي تجاه سوريا. لذا عمدت الولايات المتحدة على تأخير الخيار العسكري في سوريا واستخدام وسائل القوة الذكية من خلال:

_ الدعوة إلى التغيير السياسي، وإقامة دولة مبنية على الديمقراطية للشعب السوري أجمع.

_ فرض مزيداً من العقوبات الاقتصادية.

_ عزل سوريا دولياً وإقليمياً.

_ دعم وتسليح مجموعات من المعارضة وخاصةً الموالية منها للولايات المتحدة مثل قوات سوريا الديمقراطية "الكرديّة".

وبناء على ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت " القوة الذكية " تجاه الملف السوري لتحقيق مساعي أخرى، مثل العمل على تقويض قدرات وإمكانيات الدولة السورية وحلفائها، وتقسيم سوريا إلى دويلات عن طريق خلق العداء والكراهية بين طوائف الشعب السوري، إضافة إلى إضعاف قوة وقدرة الدولة السورية لتضمن سلامة وأمن (إسرائيل)، ناهيك عن استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقوة العسكرية " القوة الصلبة" ضد قوات النظام السوري.¹

حينما تولت إدارة الرئيس باراك أوباما الحكم بأسلوب مغاير لما كانت عليه إدارة الرئيس بوش الابن، فقد انتهجت أسلوباً استراتيجياً من ناحية تطبيق القوة الذكية (Smart Power) التي كانت بمنزلة عامل مساعد لتطبيق القوة الناعمة تجاه الشرق الأوسط²، نهج واصلت بتفعيله إدارة الرئيس ترامب فيما بعد. وتؤكد هذا النهج، من خلال ما جاء في مضمون الوثائق الاستراتيجية التي طرحتها المؤسسات الحكومية الأمريكية المختلفة (وزارة الدفاع، ووكالة الاستخبارات المركزية...إلخ)، بعد تولي باراك أوباما لمنصبه بأشهر، إضافة إلى وثيقة "استراتيجية الامن القومي" لأعوام 2010، 2012، 2015، على التوالي.

1 رايق البريزات، مرجع سابق ذكره.

2 Pierre Guerlain, **Obama's Foreign Policy: "Smart Power", Realism and Cynicism**, The Society Journal, vol 51, no 5, October 2014, pp 482-491.

وبوجه عام يمكن القول إن "استراتيجية القوة الذكية" التي انتهجتها الولايات المتحدة ابتداء من عام 2010 والتي حددتها هذه الوثائق، تقوم على خطوط عريضة تضم:¹

1_ تحقيق الانتعاش الاقتصادي عن طريق خطة اقتصادية تشمل حزمة حوافز لمواجهة الأزمة المالية والركود الاقتصادي الذي أصاب الاقتصاد الأمريكي، بعد أن استطاع الرئيس أوباما إقناع الكونغرس بالموافقة على خطة إنقاذ للأزمة المالية التي تبلغ كلفتها (825) مليار دولار.

2_ تأمين مصادر الطاقة، حيث أشار تقرير أعدّه مجلس الاستخبارات الوطنية الأمريكية عام 2010 إلى أن السنوات الخمس عشرة المقبلة ستشهد صراعاً محتدماً على الطاقة، نظراً لتغيير موازين القوى العالمية واعتماد الكثير من الدول في صعودها على القوة الاقتصادية.

3_ مواجهة القوى والتكتلات الاقتصادية الكبرى من خلال توظيف الهيمنة الرضائية في السياسة الخارجية الأمريكية التي من خلالها يمكن إطالة أمد السيطرة الأمريكية إلى مدى أبعد.

4_ إنهاء عسكرة السياسة الخارجية وإعادة الاعتبار للقوة الناعمة، وهذا ما صرح به وزير الدفاع السابق "روبرت غيس" الذي دعا إلى تكريس المزيد من المال والجهد لتنمية القوة الناعمة، وقد أشار أيضاً إلى أن المؤسسة العسكرية وعلى الرغم من أنها تتمتع بقدرة هائلة فيما يتعلق بالقوة العسكرية إلا أن الركون إلى وزارة الدفاع بحجة قدرتها على تحقيق الأهداف لأبد من أن يشوه صورة السياسة الخارجية الأمريكية.

5_ إدامة التفوق العسكري الأمريكي، إذ اتجهت الإدارة الأمريكية نحو إدامة تفوق القوات المسلحة، وتطوير خبراتها، وإعادة بعض التعديلات على تشكيلاتها، وحجمها، وتسليحها بغية التقليل من الإنفاق عن طريق بناء جيش ذكي وصغير الحجم يعتمد على الجانب التكنولوجي والبرامج المتطورة، وهذا من شأنه أن يخلق بيئة عسكرية ملائمة لأداء المؤسسة العسكرية التي من شأنها الحفاظ على الأمن القومي.²

6_ ضرورة العمل على الحد من سياسات الهيمنة المطلقة، والجنوح المفرط نحو التدخل العسكري في مختلف مناطق العالم، والعمل على إحياء وبعث دور التحالفات والشراكات التقليدية، مع إيجاد صيغ الإجماع العالمي لتنمية التقنيات الإبداعية اللازمة في التعامل مع القضايا الدولية ذات التهديد المشترك، كالتغيرات المناخية وانتشار أسلحة الدمار الشامل وانتشار الجريمة المنظمة العابرة للحدود، إضافة إلى الإرهاب الدولي.

1 Joseph S. Ney, Jr, **Get Smart: Combining Hard and Soft Power**, Foreign Affairs, vol,88, no4, July-August 2009, pp 160-163.

2 رشا العشري، القوة الذكية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط... هل تغيرت من "أوباما" إلى "ترامب"؟، كتابات، 16 أوت 2017، على

الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z3BhIL>

7_ إعلاء دور التنمية الاقتصادية لمساعدة الولايات المتحدة على التوفيق بين مصالحها ومصالح الشعوب الأخرى، في جميع أنحاء العالم.

8_ الإستثمار في الدبلوماسية العمومية (الشعبية) التي تركز بصورة أقل على الأضواء الإعلامية وتهتم بالاتصالات المباشرة، والتعليم وأشكال التبادل المختلفة مع الشعوب الأخرى، والتي تضم المجتمع المدني وتستهدفه.

9_ مقاومة الجروح غير المحدود إلى فرض إجراءات الحماية ودعم المشاركة المستمرة لمعالجة مشكلات الاقتصاد العالمي، وهو الأمر الذي يمثل أهمية كبرى للنمو والرخاء بالنسبة للولايات المتحدة، مع الحرص على إشراك الآخرين في ذلك.

10_ النأي بالقوات العسكرية الأمريكية عن أي تدخلات أو حروب فردية مباشرة قصيرة أو طويلة الأمد في أي منطقة بالعالم، والاستعاضة عن ذلك بالتدخلات الثنائية أو المتعددة، والحروب بالوكالة، فضلاً عن توظيف الطائرات الجوية في استهداف مصادر التهديد الحربية: كالجماعات الإرهابية.. إلخ، عن الهجوم الميداني، أو ما يعرف في الاصطلاح المعاصر بأساليب "الحروب الذكية".¹

وخلاصة القول إن ما تناوله مصطلح القوة الذكية، يدلّ على أن الخيار العسكري ما زال فاعلاً في السياسة الخارجية الأمريكية، والشاهد على ذلك العمليات العسكرية التي جرت في كل من العراق وليبيا وسوريا والتي تبين الممارسة العملية لاستخدام القوة الذكية "الصلبة". في حين ان سياسة القوة الذكية "الناعمة" استُخدمت عملياً في تغيير بعض أنظمة الحكم العربية من خلال ما يسمى بـ "الربيع العربي" بوسائل القوة الناعمة من خلال الإعلام ووسائل الاتصال السريع مثل مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما يؤكد نجاحها في بعض الأمور، ولكن ليس بالشكل الكلي، وهو ما يحتاج إلى فترة من الزمن لتشهد القوة الذكية نجاحاً شاملاً في منطقة الشرق الأوسط.

أ_ تطورات الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه الأزمة السورية منذ 2011:

يمكن استعراض الاستراتيجية الأمريكية تجاه الأزمة السورية على ثلاث مراحل:

1_ المرحلة الأولى: منذ 2011 حتى جوان 2014:

جاءت الثورة السورية لتبيّن بوضوح حال الانكفاء الأميركي عن التدخل المباشر كنهج واستراتيجية لكنّها، من جهة أخرى، فرضت على واشنطن إعادة النظر في سياستها الخارجية في الشرق الأوسط، والتي بدأت في عهد "أوباما" تتجه نحو الحفاظ على الوضع القائم Status Quo في الأنظمة العربية. فمنذ وصوله

1 The White House, **National Security Strategy of the United States of America**, December 2017, pp 1-15.

إلى البيت الأبيض، اتجه الرئيس أوباما إلى إعادة الاعتبار لتحالفات بلاده مع نظم الاستبداد العربية، بعد أن أدت محاولات سلفه في فرض التغيير إلى توريث الولايات المتحدة في مغامرات عسكرية عالية التكلفة من ناحية، وإلى خلق أجواء توتر مع بعض الأطراف العربية الحليفة من ناحية أخرى. لكن الثورات العربية التي فاجأت الأميركيين وغيرهم، قلبت الوضع القائم، ودفعت نحو إعادة النظر في هذه السياسة للتأقلم مع التغيرات الحتمية وليس تشجيعاً لحصولها. وفي الوقت الذي تخلت فيه الولايات المتحدة عن تبرير سياساتها التدخلية بتصدير الديمقراطية، أضحت لزاماً عليها أن تبرر موقفها من ثورات وطنية تقوم بها شعوب تواقفة إلى الديمقراطية. وحالما حاولت أميركا التأقلم مع الوضع الجديد، تعرضت سياستها لنقد حلفاء خليجيين يحذرون من تساهلها مع صعود الإسلاميين، ومن عواقب تخليها بسهولة عن حليفها مبارك، بسبب انعكاسات ذلك على حلفائها الآخرين. ومن أولئك من جعل مهمته إفشال التجارب الديمقراطية.

لم يخرج موقف الولايات المتحدة الأميركية من الثورة السورية عن هذا الإطار، فهي لم تكن راغبة في التغيير، لكنّها لم تعتمد أيضاً إلى منعه، بل حاولت التأقلم معه في سياق استراتيجية لا تؤدي إلى جر واشنطن إلى تدخل عسكري مباشر لكنّها، في الوقت نفسه تمكّنتها عبر أدوات مختلفة من التحكم بمسارات التغيير ونتائجه.¹

ركزت الإدارة الأمريكية في عهد أوباما على تقليل الانخراط العسكري الأمريكي في صراعات الشرق الأوسط مع الحفاظ على نهج الولايات المتحدة في دعم الحريات وحقوق الإنسان ونشر الديمقراطية عبر الوسائل السلمية واستخدام الضغوط الدبلوماسية وسياسة فرض العقوبات الاقتصادية بالأخص مع دخول القوى الإقليمية والدولية على خط المواجهة في سوريا كإيران (وروسيا فيما بعد ظهور تنظيم داعش).² لذلك حرصت الولايات المتحدة منذ البداية على دعم المعارضة المسلحة لخلق حالة من التوازن مع النظام السوري والحد من نفوذ إيران المتنامي في سوريا وتمدد المجموعات الموالية لها وتأكيد إلزام الولايات المتحدة بأمن حلفائها في الخليج و(إسرائيل).

وفي أعقاب الهجوم الكيماوي على أحياء الغوطة بدمشق، بدأ الرئيس السابق "أوباما" في خطابه متردداً عن وضع خطة عمل واضحة المعالم تضمن دعم ومساندة الولايات المتحدة لحلفائها من المعارضة السورية، معرباً عن استبعاده الحل العسكري لإنهاء الحرب الأهلية، مع تأكيده على أولوية القضاء على

1 تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية، وحدة تحليل السياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فيفري 2013، الدوحة، قطر، ص4.

2 Jumma Qadir Hussein, Critical Discourse Analysis of Western Newspapers' Articles on **the Alleged arming of Syrian Rebels and the U.S. President Barack Obama's Speech on Syria**, Anbar University Journal of Language & Literature, No. 16, 2014.

مخزون الأسلحة الكيماوية لدى الجيش السوري وإن إضطره ذلك لشن ضربات محددة لهذا الغرض، ورغم تأكيد إدانته للنظام السوري ووصف الرئيس بشار بالطاغية، وفي أوج التصعيد الأمريكي ضد النظام السوري جاءت المبادرة الروسية لنزع السلاح الكيماوي السوري تقادياً للضربة العسكرية المحتملة. هذه المبادرة أتاحت لأوباما أن يبتعد عن التورط في المأزق السوري ويتجنب تداعيات محتملة لتوسع الضربة العسكرية لحرب واسعة¹

2_ المرحلة الثانية: منذ صعود تنظيم "داعش" أواخر جوان 2014 وحتى نهاية عام 2016:

تغيرت أولويات الإستراتيجية الأمريكية في تلك الفترة² مع بروز تنظيم داعش واستيلائه على الموصل وضم الأراضي الخاضعة لسيطرته في الشرق السوري، لتقرر إدارة الرئيس أوباما إنشاء تحالف دولي للقضاء على تنظيم داعش وتقديم الدعم العسكري لقوى المعارضة المعتدلة وبالخصوص للجماعات التي تواجه التنظيم على الأرض. وبانت محاربة الإرهاب والحفاظ على المؤسسات الحكومية ومنع انهيارها موضع توافق بين الولايات المتحدة وحلفائها من جانب وروسيا على الجانب الآخر، بما يتماشى بحاجة الطرفين إلى التعاون، وهو ما أكدته حرص الجانبين على إنشاء مركز تنسيق لتبادل المعلومات الاستخبارية فيما يخص خطوط سير الضربات الجوية للطرفين بما يضمن سلامة الطيران وتركيز الضربات على معقل الجماعات الإرهابية.

وبالتالي كان هدف الولايات المتحدة في عهد أوباما هو إدارة الصراع السوري فضلاً عن السعي لحله، مع التركيز على مكافحة الإرهاب وتزويد المعارضة المعتدلة بالسلاح، والالتزام بأمن (إسرائيل) ومنع وصول الجماعات الإرهابية إلى حدودها واستنزاف إيران وحزب الله في الصراع.³

3_ المرحلة الثالثة: منذ نهاية 2016 إلى يومنا هذا:

حملت تصريحات "ترامب" اثناء الحملة الانتخابية طابعا انعزالياً يركز على القضايا الداخلية والاقتصادية منها بالأخص لاستعادة هيبة الولايات المتحدة كقطب أوحده على الساحة الدولية الصعود الصيني وتعظيم

1 نهال أحمد سيد أحمد إبراهيم، تحولات السياسة الخارجية الأمريكية في دول الربيع العربي دراسة حالة: اليمن - سوريا " 2010-

2015"، المركز الديمقراطي العربي، 29 يوليو 2016، مقال متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/32XtlSa>

2 لقد استخدمت الإستراتيجية الجديدة مصطلح إعادة التوازن والتركيز على منطقة شرق آسيا والباسيفيكي وقواه الآسيوية الصاعدة القوية فقد تصدرت هذه المنطقة المرتبة الأولى في اولويات الولايات المتحدة، ولكن هذا لا يعني أن الولايات المتحدة قد حذفت منطقة الشرق الأوسط من حساباتها فمازالت لديها بعض الأهمية فقد أشارت الوثيقة إلى منطقة الشرق الأوسط في حديثها عن قضية الإرهاب والنفط والامن والاستقرار. للمزيد انظر ل: شيري ميخائيل يونان ميخائيل، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية في ضوء إستراتيجية "الأمن القومي الأمريكي"، المركز الديمقراطي العربي، 20 أوت 2016، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2EZ3qBJ>

3 حيدر صلال، التنافس الروسي - الأمريكي في سوريا، مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد الثالث يونيو-جوان 2017. ومتوفر

أيضا بإحدى اصدارات المركز الديمقراطي العربي، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3lR4sQH>

المصالح الأمريكية من خلال مبدأ "أمريكا أولاً" والذي يربط بين حضور الولايات المتحدة على الساحة الدولية وحجم المنفعة الاقتصادية والمصالح الاستراتيجية لها.¹ وفي الأشهر الأولى لتولي الرئيس ترامب السلطة بدا واضحاً أن الإدارة الأمريكية الحالية لا تملك رؤية شاملة للتعامل مع أزمات السياسة الخارجية، وانعكس ذلك على تباين الرؤى بين الرئيس وأفراد إدارته والمؤسسات الأمنية والاستخباراتية، فمسؤولية الرئيس وأولويات عمله وثوابت السياسة الأمريكية نفسها تمنع تحقيق كثير من وعوده الانتخابية، وانتقاداته لسياسات سلفه أوباما، إذ لا يمكن عملياً تغيير أهداف السياسة الخارجية الأمريكية جذرياً، وإنما يكون تغييراً في وسائل هذه السياسة لتحقيق أهدافها. لا يبدو إلى الآن أن استراتيجية على هذا المستوى قد تشكلت بعد، فما زال عدم الوضوح، بل والتضارب في بعض الأحيان، هو الانطباع السائد حول سياسة ترامب الشرق أوسطية. ربما يكون عدم الوضوح أو عدم القدرة على التنبؤ، بسياسة الرئيس ترامب اجراء مقصود في حد ذاته كما صرح ترامب بذلك أكثر من مرة، ولكن هذه السياسة لا يمكن أن تشكل ضماناً لحماية المصالح الأمريكية في ظل حالة اللابيقين التي تسود الفضاء السياسي العالمي.² وعلى الرغم من ذلك يمكن رصد تغير في أولويات السياسة الأمريكية تجاه سوريا:

– شدد الرئيس ترامب على أولوية تعزيز التحالفات القائمة وبناء تحالفات جديدة لمحاربة ما أسماه "إرهاب الإسلام المتطرف" ومحوه من الخريطة، وتأكيداً فيما بعد أنه الهدف الوحيد لسياسة الولايات المتحدة في سوريا.

– مراجعة وإلغاء برامج تسليح ما يسمى "المعارضة المعتدلة" لعدم جديتها في محاربة تنظيم داعش، وهي الفصائل العسكرية التي تشكلت كرد فعل للحملة العسكرية التي يقودها الجيش السوري والمليشيات الشيعية ضد المعارضين، وترى النظام السوري هو العدو الأول وليست التنظيمات الإرهابية.

– التراجع عن مطلب رحيل "بشار الأسد" بشكل مؤقت واعتباره شريك محتمل في محاربة تنظيم داعش، غير أن ذلك لا يعد اعترافاً بشرعية وجود بشار الأسد على رأس السلطة، إنما يعكس ذلك نتيجة لقرار البيت الأبيض تبني سياسة واقعية في الشرق الأوسط ومحاولة الرئيس الأمريكي طمأننة الجانب الروسي بشأن تغير السياسة الأمريكية ورغبته في تجسير الفجوة بين الرؤيتين الأمريكية والروسية ودعم محاربة

1 عمرو دزاج، نبيل عوده، ترامب بعد مائة يوم: المسارات والسيناريوهات، المعهد المصري للدراسات، 10 ماي 2017، ص 14.

2 المرجع نفسه، ص 14-15.

الإرهاب والحفاظ على مؤسسات الدولة السورية من الانهيار، فالولايات المتحدة ترى أنه لا تسوية سياسية ممكنة في ضوء استمرار بشار في سدّة الحكم.¹

_ فحسب استراتيجية ترامب فإن التحرك ضد "الأسد" إذا ما تم فعلياً إدراجه ضمن الأولويات الأمريكية في المنطقة يجب أن يأتي ضمن استراتيجية كبرى للتعامل مع قضايا الشرق الأوسط من جانب، وروسيا من جانب آخر.²

_التزام الولايات المتحدة بالرد المناسب على استخدام الأسلحة الكيماوية: كانت الضربة الأمريكية على مطار الشعيرات الذي يعقد انه كان منطلق الطائرات التي قصفت خان شيخون بمحافظة إدلب. كانت تأكيداً على تنفيذ تهديدات الولايات المتحدة لما يعد تجاوزاً للخطوط الحمراء التي لم تحترم من قبل في عهد الرئيس أوباما.

وبالتالي يتبين من خلال قرارات ومواقف الإدارة الأمريكية الجديدة سعيها لاستعادة هيبة ومكانة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط³ بدافع الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية وما يفرضه عليها دورها التاريخي في المنطقة والتزاماتها الأمنية تجاه حلفائها من دول الجوار السوري. وهو ما يتطلب في رؤية "ترامب" الموازنة بين الفرص والخيارات المتاحة للتدخل من ناحية، والتكلفة والمنفعة الناتجة وحجم المخاطر التي يخلفها كل خيار من ناحية أخرى، وذلك استناداً إلى مبادئ "ترامب" التي تعظم من شأن المتغيرات الاقتصادية والتي تخدم أجندته السياسية الداخلية بالأساس، كما أن النظرة الواقعية للإدارة تدفع باتجاه المزج بين الوسائل العسكرية والدبلوماسية والاعتماد على أقل حد من الانخراط العسكري كوسيلة لخدمة وتسهيل الجهود الدبلوماسية والتأثير في هيكليّة توازن القوى في المنطقة.

على الرغم من ان خطابات "ترامب" تتسم بالميل نحو الانعزالية والتركيز على الملفات الداخلية استناداً على مبدأ أمريكا أولاً، وانتقاده لسياسات الإدارات السابقة في دعم الحريات العامة والترويج للديمقراطية واستنزاف قدرات الجيش الأمريكي في صراعات خارجية كان من الممكن تجنبها، إلا أن الإدارة الجديدة

1 لماذا تخلت واشنطن عن مطلب رحيل الأسد؟، دام برس، 2017/03/31، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3213HNn>

2 عمرو دراج ونبيل عودة، مرجع سبق ذكره، ص 15.

3 الرغبة الأمريكية بأن تثبت لحلفائها في المنطقة أنها ما زالت تملك قدرة الفعل المباشر، وبذلك يمكنها إعادة تشكيل الأحلاف والمحاور من جديد، من خلال إعادة بناء الثقة بالقدرة الأمريكية، التي اهتزت كثيراً في فترات سابقة، وأن تشكيل هذه المحاور ذو أهمية بالغة لدى العقل الاستراتيجي الأمريكي، الذي يمكن من خلاله قيادة المنطقة والتعامل مع الدول بالجملة، وبشكل أسرع وأكثر مرونة، إرسال رسائل ضمنية إلى الروس والإيرانيين، بأن حجمهم الحالي إنما هو نتيجة انسحاب أمريكي من المنطقة، وإلى المعارضة السورية بأن ممنوع هو الكيماوي فقط، وما دونه مسموح القتل به. للمزيد أنظر: حدود التحول الأمريكي في سوريا وإمكانية البناء عليه، مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، تركيا، 2017، ص 7.

تبنى سياستها تجاه الشرق الأوسط في ضوء زيادة الانخراط العسكري لحماية المصالح الأمريكية في المنطقة وتأكيد سيادتها في النظام العالمي كقطب واحد.¹ يعكس ذلك رؤية إدارة "ترامب" للشرق الأوسط كنقطة ارتكاز للسياسة الخارجية الأمريكية تستطيع من خلالها مجابهة تحديات الداخل، حيث أن الرئيس "ترامب" يدير السياسة الخارجية لخدمة التدخل الأمريكي قبل أي اعتبار آخر، وبذلك تتمثل الانعزالية- الحمائية في تعزيز المصالح الأمريكية وفرض نفوذ الولايات الأمريكية وفرض نفوذ الولايات المتحدة وليس فرض القيم الأمريكية أو التدخل في شؤون الدول الأخرى. وبالتالي "تشير تصريحات ومواقف الرئيس ترامب إلى تغليب الواقعية في إعلاء المصالح الأمريكية والميل نحو الاستقرار والتعاون مع الأنظمة الحاكمة لمحاربة الإرهاب.² ومن ثم يبدو أن التوجه الاستراتيجي الأمريكي في الشرق الأوسط يتجه نحو صياغة توازنات أو على الأقل ترتيبات جيو-أمنية جديدة تكون الولايات المتحدة فيها بمثابة حامل الميزان.³

تتأسس سياسة ترامب تجاه سوريا إجمالاً على مقارنة رئيسية تتمثل في القضاء على إرهاب الإسلام المتطرف وإسراع وثيرة العمليات العسكرية ضد تنظيم داعش في الشرق السوري وبالتحديد محافظة الرقة التي تمثل معقل التنظيم الرئيسي في سوريا، وهو ما يمكن تفصيله في المحددات التالية:

_ إنشاء مناطق آمنة في سوريا ووقف تدفق اللاجئين لأوروبا: هدف الولايات المتحدة من إنشاء مناطق

آمنة في سوريا هو تخفيف الضغط على دول الجوار السوري وإعادة اللاجئين إلى بلادهم فضلاً عن وقف تدفق اللاجئين إلى أوروبا أو لجوء بعضهم إلى الولايات المتحدة خاصة بعد تصاعد الأعمال الإرهابية في أوروبا لترجع المخاوف الأمنية من اندساس العناصر الإرهابية في صفوف اللاجئين.

_ تثبيت أركان الدولة الوطنية في الشرق الأوسط بشكل عام وفي سوريا بوجه خاص: كان للفاعلين غير الرسميين (التنظيمات الإرهابية السنية والشيوعية) حسب الولايات المتحدة، دور نشط في إعادة صياغة التوازنات الإقليمية وتغيير شكل النظام الإقليمي للشرق الأوسط في ضوء الأطروحات الإيرانية والتركية لبناء شرق أوسط إسلامي بما يهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ويزعزع استقرار حلفائها ويشكل تهديد حقيقي لأمن (إسرائيل) في المستقبل. وبالتالي تسعى الإستراتيجية الأمريكية إلى التأكيد على مركزية الدولة الوطنية كفاعل رئيسي على الساحة الدولية.⁴

1 أحمد سيد أحمد، إدارة ترامب وقضايا الشرق الأوسط.. حدود التغيير، مصدر سبق ذكره.

2 المرجع السابق بالذکر.

3 فراس إلياس، الترامبية الجديدة والشرق الأوسط الملتهب، مركز انقرة لدراسة الأزمات والسياسات، يوليو، 2017. ص10.

4 أحمد سيد أحمد، مرجع سابق.

ـ تعزيز النفوذ الأمريكي وتقوية علاقات الولايات المتحدة مع شركائها الإقليميين وفي الداخل السوري: تعد الساحة السورية مرآة لهياكل التحالفات الإقليمية تعكس حجم المخاطر الأمنية في كامل الإقليم، وبالتالي كان للأزمة السورية أهمية كبرى لإدارة "ترامب" لإعادة ترتيب المعادلة الإقليمية وإيجاد شبكة جديدة من التحالفات وربطها بالاستراتيجية الأمريكية الجديدة لخلق إجماع إقليمي تجاه مهددات استقرار المنطقة.

وعلى الرغم من عدم وجود استراتيجية أمريكية شاملة لحل الأزمة السورية، إلا أن واشنطن تركز مرحلياً على محاربة التنظيمات الإرهابية عبر تسليح قوات سوريا الديمقراطية "قسد" وإرسال عدد من الجنود الأمريكيين على الأرض يمنح الإدارة الأمريكية حيزاً من المناورة ويكسبها قدراً من النفوذ في سوريا فيما بعد القضاء على تنظيم "داعش"، فمنذ عام 2015 وحتى الآن والولايات المتحدة تعزز من حضورها في الشمال السوري، حيث تتواجد عشرة منشآت أمريكية من بينها قاعدتين جويتين إحداهما في محافظة "الحسكة" والأخرى في محافظة "إدلب".¹

وتعتمد تحركات الولايات المتحدة على سياسة بناء التحالفات السياسية والعسكرية سعياً لكسب قبول المجتمع الدولي لأجندتها وتحقيق درجة من الشرعية على مواقفها وسياساتها، وبالتالي فإن امتلاكها لأوراق ضغط مهمة في سوريا يعتمد بدرجة أساسية على توحيد حلفاء الولايات المتحدة من دول الجوار السوري، وتحقيق التوافق على ركائز محددة وعلى رأسها القضاء على لإرهاب والحرص على أمن واستقرار تلك الدول. كما أن دعم الولايات المتحدة لبعض مجموعات المعارضة والمجموعات الكردية يأتي تأكيداً على التزام الولايات المتحدة بتلك الركائز، حيث يتحدد حجم الدعم بأولوية محاربة تنظيم "داعش" وجبهة النصرة وبالتمركز في مواقع استراتيجية تتعلق بالمصالح الأمريكية الدائمة في المنطقة، ومنها ضمان أمن (إسرائيل) وإعاقة تقدم الميليشيات الشيعية المدعومة في الشرق السوري وعرقلة أي تواجد إيراني في المناطق الحدودية مع العراق أو الأردن.

ـ مواجهة تمدد إيران والجماعات الموالية لها في سوريا وحماية حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة: يرى الرئيس ترامب، أن إيران هي الدولة الإرهابية الأولى في العالم وذلك لإسهامها في تأجيج الصراعات في المنطقة وسعيها لبسط نفوذها في سوريا والعراق، كما أن تراخي إدارة أوباما في التعامل مع خطر التمدد الإيراني وتوقيع الاتفاق النووي ساهم في إطلاق يد إيران في المنطقة وشرعنة دورها ونشاط

¹يمني سليمان، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية والإستراتيجية إسطنبول، تركيا، 21 ماي 2016، ص 10.

الجماعات الموالية لها في سوريا، وما ينطوي عليه ذلك من تهديد لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة وتهديد مباشر لأمن حلفائها في الأردن و(إسرائيل).¹

ـ التعاون وتنسيق الجهود العسكرية مع الجانب الروسي:

دخلت روسيا على خط المواجهة في سوريا في سبتمبر عام 2015، بهدف رئيس هو إنقاذ نظام "بشار الأسد" والحفاظ على ما تبقى من الجيش السوري، بدعوى محاربة التنظيمات الإرهابية مستغلة بذلك جنوح إدارة "أوباما" في ذلك الوقت عن التدخل العسكري المباشر على الأرض ورغبة الرئيس "بوتين" في الحفاظ على موطنه في لروسيا في المنطقة وحلم الوصول إلى المياه الدافئة، كما أن احتمال وجود أمريكي دائم في سوريا يساهم في بسط هيمنة الولايات المتحدة على الشرق الأوسط وما ينطوي عليه ذلك من تهديد اقتصادي وسياسي لمكانة روسيا على المستوى الدولي وفي محيطها الإقليمي.²

وفي ضوء امتلاك روسيا نفوذ قوي في سوريا، ساهم التدخل الروسي في قلب الموازين العسكرية على الأرض وتحويل موقف الدول الغربية من النظام السوري من مطلب رحيل النظام ودعم المعارضة المسلحة، إلى ضرورة الخروج من الأزمة بتسوية سياسية والرغبة في التفاوض مع النظام السوري دون شروط مسبقة برحيل الأسد من السلطة. ومن ثم حرص ترامب على تجنب أي مواجهة مع روسيا وسلم بالنهج الروسي في محاربة الإرهاب ودعم مؤسسات الدولة في سوريا، والتأكيد على أن معركة الولايات المتحدة في سوريا ضد التنظيمات الإرهابية وليست ضد النظام السوري. وبالتالي كان ضروريا مع وجود القوات الجوفضائية الروسية ومقاتلات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في الأجواء السورية تعزيز الاتصالات العسكرية بين الجانبين لتجنب احتمالات الصدام المباشر والالتزام باتفاقيات خفض التصعيد.³ إذن من خلال ذكر محددات الاستراتيجية الأمريكية في سوريا تتلخص منها أهداف استراتيجيتها في التالي:

ب_ أهداف الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في سوريا:

تتمثل أهداف الاستراتيجية الأمريكية المعلنة في تدمير ما تبقى من عناصر تنظيم "داعش"، والحيلولة دون عودته من جديد، ومواجهة النفوذ الإيراني المتزايد، والحيلولة دون سيطرة قوات النظام وحلفائه على كامل الأراضي السورية، والعمل على انتقال سوريا لمرحلة جديدة بدون الأسد، وإعادة اللاجئين لموطنهم

1 للمزيد انظر: نزار عبد القادر، الإستراتيجية الأمريكية وعقيدة ترامب في الشرق الأوسط، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 108، نيسان/أفريل 2019. متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3lXNfr>

2 رشدي مسعود، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الحرب السورية في عهد ترامب، ساسة بوست، 14 ديسمبر 2017، مقال متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3lNfXc2>

3 انظر: روسيا مستعدة لدراسة مقترح أمريكي لتكثيف التعاون العسكري في سوريا، روسيا اليوم، بتاريخ 2016/06/30، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3lVNtF1>

والعمل على إعادة إعمار هذه المناطق، وعدم المشاركة في إعمار المناطق الخاضعة لسيطرة النظام حتى رحيل الأسد. ويمكن إجمال أهداف الولايات المتحدة داخل سوريا كما يلي:

1_ مشاركة التحالف الدولي في القيام بالعمليات القتالية ضد المجموعات الإرهابية، إضافة إلى تقديم الدعم العسكري والإمداد والتموين، كما تمتلك الولايات المتحدة العديد من القواعد العسكرية في سوريا منها (قاعدة المبروكة، مطار روبريا، تل بيدر، تل أبيض، الجلبية)، وتضطلع القواعد الأمريكية بالعديد من المهام أبرزها قطع الطريق عن إيران من إنشاء خط تواصل بين العراق وسوريا وخاصة المجموعات الشيعية.

2_ التوازن العسكري مع العديد من القوى المنخرطة في الصراع داخل سوريا، خاصة التواجد الروسي، والعمل على موازنة هذا الدور، خاصة في ظل امتلاك روسيا العديد من القواعد العسكرية في ميناء طرطوس وقاعدة حميميم عوضاً عن القاعدة الجوية الدائمة في اللاذقية.

3_ دعم القوات الكردية في مواجهة التنظيمات الإرهابية المسلحة، وإيجاد حلفاء جدد على الأرض، ومواجهة النظام السوري من خلال دعم فصائل منوثة له وتقديم كافة الدعم اللوجستي والعسكري، عوضاً عن الإشراف والتوجيه للقوات الموالية لها، وخاصة قوات سورية الديمقراطية، في معركتها مع تنظيم داعش.

إن التواجد العسكري والحضور الأمريكي في سوريا يخدم الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة بشكل عام خاصة في ظل توتر العلاقات التركية الأمريكية في ظل الدعم الأمريكي للقوات الكردية المصنفة في داخل تركيا على أنها إرهابية، خاصة وأن الولايات المتحدة تحاول أن تخلق بديلاً احتياطياً عن قاعدة أنجريك التركية التي تستخدم كمنصة انطلاق العمليات ضد التنظيمات الإرهابية.¹

ج: آليات تنفيذ استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في سوريا بعد عام 2011:

ولتحقيق هذه الأهداف، فإن الولايات المتحدة اعتمدت على مسارين: الأول مسار دبلوماسي، من خلال دعم المفاوضات الأممية في "جنيف" في مواجهة الجهود الروسية "أستانا وسوتشي"، الثاني مسار عسكري لوجستي، من خلال تشكيل قوة حدودية من 30 ألف مقاتل، تشكل الميليشيات الكردية عمادها الأساسي، تتمركز في الشمال والشرق السوري²، والإعلان عن تواجد عسكري أمريكي طويل الأمد في

1مصطفى صلاح، الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في سوريا: انسحاب أم مزيد من الحضور؟، المركز العربي للبحوث والدراسات (تقديرات موقف)، أبريل 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/31Ui71q>

2الأهمية الاستراتيجية لمنطقة شرق الفرات بالنسبة للولايات المتحدة: بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، تمكنت ميليشيات (بي ج) التابع لمنظمة (بي كا كا) الإرهابية عام 2014 من السيطرة على مناطق شرق الفرات وأجزاء من غربي النهر، تحت غطاء قوات سوريا الديمقراطية، فيما لا يزال نظام الأسد يحتفظ بمرعين أمنيين في مدينتي القامشلي والحسكة، وأجزاء من ريف المحافظة.

سوريا، فهناك 2000 جندي أمريكي متواجدون في الداخل السوري، فضلاً عن قوات ومعدات وطائرات وقواعد عسكرية أمريكية، تصل لـ 10 قواعد.¹

1: المسار السياسي والدبلوماسي

في السياق السياسي، يبدو الأمر أكثر إشكالية وتحدياً: فهل هناك في الأصل رؤية سياسية استندت إليها الدبلوماسية الأمريكية، وتموضعت في إطارها؟ أم أنها دبلوماسية فرضت ذاتها كنتيجة لغياب هذه الرؤية؟ لعل الكثير من المحللين في الولايات المتحدة وخارجها يرون أن السياسة الأميركية في سوريا عبارة عن سلسلة إجراءات تتغير في الغالب بحكم تطورات ظرفية ذات صلة بالأزمة السورية، أو بالفاعلين الأساسيين.

وفي العموم، فإن الدبلوماسية الأميركية قد انتهت اليوم للتأكيد على أولوية المسار السياسي، والقول إنه لا أفق للمقاربات الأمنية للأزمة السورية، وإنه لا فرصة لنجاح هذه المقاربات مهما بلغ نطاقها. وهذه القناعة لم تكن سائدة لدى واشنطن في السنوات الأولى للأزمة.

وبالطبع، لم يكن انتهاء السياسة الأميركية للأخذ بهذا المنطق بالأمر العابر أو العفوي. بل جاء، بالتأكيد، كنتيجة لحسابات معقدة، أو -نقل- نتاجاً لقراءة أخذت في حسابها المعطيات الثابتة والمتغيرة في الأزمة، وفضائها الجيوسياسي الأوسع مدى.²

تعتمد الولايات المتحدة في تحقيق أهداف استراتيجيتها تجاه سورية، من خلال دعم المفاوضات الأممية في "جنيف" في مواجهة الجهود الروسية "استانا وسوتشي". والجدير بالذكر، أن مسار المفاوضات في

وتُعد منطقة شرق الفرات "سوريا المفيدة" لاحتوائها على الثروات المائية والزراعية، إضافة إلى حقول النفط والغاز الطبيعي، وهو ما جعل الولايات المتحدة تضع يدها عليها، علاوة على موقعها الاستراتيجي الذي يمكن واشنطن من التمرکز وسط منطقة الشرق الأوسط، قريبا من دوله الرئيسية، تركيا والعراق وإيران والخليج العربي، وتأمين حماية إضافية لإسرائيل. بعد اختيارها من طرف واشنطن شريكا استراتيجيا فيما سمي بالحرب على الإرهاب، باتت ميليشيات "قسد" الذراع البرية لواشنطن في المنطقة، وهو ما فتح الطريق أمامها للمضي قدما وراء تحقيق حلم الانفصاليين الأكراد بإنشاء إقليم/ دولة ذات صبغة إثنية، بعد سلسلة من عمليات التطهير العرقي والتغيير الديمغرافي التي مارسته تلك القوات ضد المكونات الأخرى من عرب وتركمان وأسوريين، وحتى ضد الأكراد الذين يرفضون الفكر الأوجلاني الانفصالي. للمزيد أنظر: محمود عثمان، الأبعاد الإستراتيجية للعمليات العسكرية التركية في شرق الفرات (تحليل)، الأناضول، إسطنبول، تركيا، 19/ 12/ 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jELpqQ>

1 القواعد العسكرية الامريكية في سورية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، وحدة دراسة السياسات، قطر وتركيا، 07 ماي 2018، ص9.

2 عبد الجليل زيد المرهون، سوريا في السياسة الأمريكية، مركز الجزيرة، 17/ 11/ 2015، على الرابط: <https://bit.ly/31SQTzc>

جنيف¹ مرتبط بوضوح الرؤية الأمريكية في الأزمة السورية ومآلات تدخل الإدارة الأمريكية الجديدة في الملف.

الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها لجولات جنيف التفاوضية

بدأت مؤتمرات جنيف الخاصة بالأزمة السورية في عام 2012، اتفق المتفاوضون فيها على ضرورة الحل السياسي للأزمة السورية، وشاركت فيها وفود من الحكومة السورية ووفود للمعارضة السورية، ولطالما طالبت وفود المعارضة السورية المشاركة في تلك اللقاءات بتشكيل هيئة حكم انتقالي كاملة الصلاحيات، وبالتحديد في مؤتمر جنيف الثاني في فبراير عام 2014، وهو ما رفضه الوفد الحكومي السوري، طالباً وضع قضية الإرهاب على رأس جدول الأعمال.

ثم تأجلت الجولة الثالثة من جنيف أكثر من مرة؛ بسبب خلافات بين الوفد الحكومي والمعارضة، حول بعض مواد قرار الأمم المتحدة 2254، الخاص بسوريا، والذي نص على أن تتم المفاوضات بين السوريين برعاية أممية، مع وضع دستور جديد لسوريا خلال 6 أشهر، وانتخابات خلال 18 شهراً، تحت إشراف الأمم المتحدة؛ حيث كانت لاتزال المعارضة ترفض بقاء الرئيس بشار الأسد في السلطة ما بعد التوصل لحل سياسي محتمل للأزمة، ثم انطلقت الجولة الرابعة من جنيف في فبراير 2017 على أساس وقف إطلاق النار، الذي تم التوصل إليه في جولة أستانا الأولى، ودارت نقاشاتها الرئيسية حول مسودة الدستور الجديد، وكيفية إجراء انتخابات في البلاد؛ ليناقد المجتمعون في الجولة الخامسة من المباحثات في أبريل 2017، أربعة موضوعات رئيسية، هي: الحكم، والدستور، والانتخابات، ومكافحة الإرهاب.

ثم مرت مؤتمرات جنيف 6 و 7 و 8 دون أن يتحقق أي تقدم ملموس بين المعارضة والحكومة السورية، وكان آخر المؤتمرات في فيينا 25 يناير 2018، وقدمت فيه الدول المشاركة ورقة غير رسمية عن العملية السياسية في سوريا، ولم تستطع الأطراف المتفاوضة حينها التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في الغوطة الشرقية، التي تسيطر عليها المعارضة المسلحة؛ لتنتهي الجولة الأممية التاسعة بخيبة أمل في فيينا، التي استضافت اللقاء لدواعٍ لوجستية علمًا أنها تُعقد في جنيف بصفة دائمة.²

1بدأت مؤتمرات جنيف الخاصة بالأزمة السورية في عام 2012، وتحديدًا في 30 يونيو/حزيران، وذلك من خلال عدة دول، بعضها لا يشارك في محادثات أستانا، وهي "الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وروسيا، وفرنسا، والمملكة المتحدة، وألمانيا، وتركيا، وجامعة الدول العربية، وتعد المفاوضات في مدينة جنيف السويسرية. لمعرفة المزيد حول مسار مفاوضات الأمم المتحدة وتقييمها انظر في كتاب ل: علاء عبد الحميد عبد الكريم، دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2018، ص95-124.

2مسلم محمد هنيدي، "المرجع" يرصد أبرز محطات التسوية السياسية للأزمة السورية، دراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، يصدر عن مركز سيمو -باريس، 07 نوفمبر 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IYfZxU>

وإجمالاً، ربما كان السبب المباشر وراء نجاح اجتماعات أستانا، في التوصل إلى نتائج ملموسة على الأرض، هو رعاية عدد من الدول المهمة والفاعلة في الملف السوري، وهي روسيا وإيران وتركيا، بينما فشلت جنيف كثيراً؛ لوجود رغبة في تخريب المشهد العام لدى أمريكا وحلفائها، فقد كان لكل منهما هدف منفصل تماماً، وهناك فارق كبير بين البحث عن تهدئة، قد تستفيد منها الفصائل المسلحة مثلما تستفيد منها الدولة السورية، وبين البحث عن حلٍّ جذري للأزمة.

ومن ثم افتقدت اجتماعات جنيف للجدية في حلّ الأزمة السورية واتضح الأمر أكثر في العامين 2016 و2017 عندما كانت الولايات المتحدة توعد لبعض فصائل المعارضة بالتراجع عن اتفاقاتها السابقة، وتطرح أمور من شأنها أن تثير رفض الإدارة السورية، مثل الإصرار على مناقشة مصير الرئيس بشار الأسد، حيث لم تكن تستقيم حينها مع السعي وراء التوصل إلى حل للأزمة السورية تحت رعاية ومظلة أممية.

في حين ركزت مفاوضات أستانا على ما يحدث في الأرض السورية والتحرك في سياق تبعاته وترتيباته، واهتمت بالمدنيين بشكل كبير، واستطاعت التوصل لاتفاقات جدية حول وقف إطلاق النيران في عدد من المناطق إدلب، وحلب، واللاذقية، وريف دمشق «لمدة 6 أشهر»، وذلك نتيجة تمثيل فصائل أكثر من تلك التي شاركت في لقاءات جنيف، كفيلق الشام، وفرقة السلطان مراد، والجبهة الشامية، وجيش العز، وجيش النصر، والفرقة الأولى الساحلية، ولواء شهداء الإسلام، وتجمع فاستقم، وجيش الإسلام، ومن ثم أسهمت أستانا في منع دخول الأسلحة إلى سوريا بعد أن كانت تأتي من أكثر من مكان.

ثم انطلقت الجولة العاشرة من مفاوضات أستانا بمدينة سوتشي نهاية يوليو 2018 لإنهاء أزمة الوضع المشتعل في سوريا، وركز اللقاء على النتائج الأخيرة لعمليات مكافحة الإرهاب، إضافة إلى بحث الوضع الإنساني في البلاد، بما في ذلك حالة النازحين والمعتقلين، ولم تشارك الولايات المتحدة في تلك الجولة؛ حيث أعلنت الخارجية الأمريكية، عدم المشاركة في هذا اللقاء، معللة ذلك بأنها تركز على التفاوض تحت مظلة الأمم المتحدة في مسار جنيف، داعية الأطراف المشاركة في مسار أستانا إلى إعادة توجيه جهودهم إلى عملية جنيف، ودعم جهود المبعوث الأممي الخاص "دي ميستورا" دعماً كاملاً.¹

2: المسار العسكري:

أ_ محطات التدخل العسكري الأمريكي في سوريا منذ عام 2011

تحولت مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الأزمة السورية، من العمل بهدوء خلف الكواليس إلى دعم الفصائل السورية المختلفة بالمال والعتاد، وصولاً إلى الاستعراض العلني للقوات الأمريكية، لتترك في

1 المرجع السابق بالذكر.

نهاية المطاف بصماتها التي تتسع تدريجياً في محاولة لتشكيل المعركة في مواجهة أطراف إقليمية ودولية أخرى.

مع ذلك، ربما تنتهي قريباً مشاركة القوات الأمريكية المستمرة منذ ما يقرب من 5 سنوات في الحرب بسوريا، بعد أن أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مؤخرًا انسحاب القوات الأمريكية من أجزاء من شمال سوريا وإفساح المجال لهجوم عسكري تركي.

في ضوء هذا التحول، نستعرض فيما يلي ملخصاً لتدخل واشنطن في الحرب السورية التي اندلعت في مارس/آذار 2011، بدءاً من الإجراءات التي اتخذتها لمعاقبة المسؤولين السوريين في أبريل/نيسان 2011 إلى خطط سحب القوات الأمريكية من المنطقة الحدودية، وحتى نوايا إبقاء قوات لحماية المنشآت النفطية في سوريا.¹

***في 29 أبريل/أبريل 2011** : بعد شهر من أول تظاهرات سلمية قمعها النظام، فرضت واشنطن عقوبات اقتصادية على العديد من المسؤولين السوريين.

***في 19 ماي/مايو** : دعا الرئيس السابق باراك أوباما الرئيس بشار الأسد إلى قيادة عملية الانتقال أو الانسحاب. وكانت واشنطن قررت قبل ذلك فرض عقوبات على الأسد شخصياً.

***مطلع جوان/يوليو** : تحدى السفير الأمريكي روبرت فورد النظام، وتوجه إلى حماة المحاصرة من الجيش إثر مظاهرة ضخمة.

***في 18 أوت/أغسطس** : دعا أوباما والحلفاء الغربيون للمرة الأولى الأسد الى الرحيل.

***في أكتوبر/تشرين الأول** : غادر السفير الأمريكي سوريا "لأسباب أمنية". واستدعت دمشق سفيرها لدى واشنطن.

***في صيف 2013** : وجهت اتهامات للنظام بشن هجوم كيميائي قرب دمشق أودى بنحو 1400 شخص، وفقاً لواشنطن. وتراجع أوباما في اللحظة الأخيرة عن قصف البنى التحتية للنظام، بعدما كان هدد بالتحرك إذا تجاوزت سوريا "الخط الأحمر" المتمثل باستخدام الأسلحة المحظورة، وذلك نتيجة اتفاق في أيلول/سبتمبر مع موسكو حول تفكيك الترسانة الكيميائية السورية.

***في عام 2014** : سيطر الجهاديون على مساحات شاسعة من الأراضي شمال وغرب بغداد وكذلك في شمال وشرق سوريا، حيث استغلوا الفوضى التي أثارها الحرب.

1النقاط المذكورة بخصوص مراحل التدخل العسكري الأمريكي في تسلسلها الزمني، من تجميع الباحثة بالإعتماد على مجموعة مصادر مختلفة تخص بالموضوع.

*في أوائل أيلول/سبتمبر : تعهد أوباما بإحاق هزيمة بالجهاديين مع "تحالف دولي واسع النطاق"¹. وفي 23 أيلول/سبتمبر، بدأت واشنطن بمساعدة حلفائها أولى ضرباتها في سوريا بعد العراق. ونشرت واشنطن أكبر شريك في التحالف 2000 جندي في سوريا، معظمهم من القوات الخاصة، كما حشدت طائرات وقطع بحرية مهمة.

*في 22 سبتمبر/ أيلول 2014 : شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها غارات جوية في سوريا ضد تنظيم الدولة "داعش" لتوسيع نطاق الحملة الجارية في العراق المجاورة منذ يونيو/حزيران 2014. حتى الآن، شن التحالف غارات جوية على ما لا يقل عن 17 ألف موقع في سوريا منذ بدء العملية.

*في تشرين الأول/أكتوبر 2015 : تم تشكيل قوات سوريا الديمقراطية، من 25 ألف كردي وخمسة آلاف عربي، جميعهم سوريون. وتلقت هذه القوات التي تهيمن عليها وحدات حماية الشعب الكردية مساعدات من الولايات المتحدة في السلاح ودعمًا جويًا حاسمًا.

وكانت أولى محطات الدعم الأمريكي للأكراد في سورية معركة التصدي لهجوم تنظيم الدولة على مدينة عين العرب (كوباني)، التي كانت تحت سيطرة "وحدات حماية الشعب" التي انتهت بصد الهجوم بعد معارك جاوزت ثلاثة أشهر، خسر فيها التنظيم مئات من مقاتليه لتستمر وحدات حماية الشعب بالنزوح والسيطرة على مدن أخرى انطلق من عين العرب، من بينها "تل أبيض" على الحدود التركية في جوان 2015، و"منبج" و"الرقّة" و"دير الزور" وفي محافظة "الحسكة" منطقة "تل حميس" ومنطقة "الهول" و"الشدادي".

في هذا الجهد ساعدت الولايات المتحدة في تشكيل القوات السورية الديمقراطية (SDF)، وهي قوة تقودها "وحدات الحماية الشعبية" الكردية السورية، ولمنها تضم أيضاً مقاتلين عرباً ومسيحيين وتركمانيين. واليوم توسعت التدخلات الأمريكية في سورية من الضربات الجوية والإمدادات لتشمل القواعد العسكرية والمستشارين الميدانيين في "روج آفا"، الشمال السوري ذي الأغلبية الكردية.²

1 بنت الولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجيتها في محاربة "داعش" بالإعتماد على بلدان أخرى في محاربة التنظيم ومنعه من توسيع نطاق سيطرته ونفوذهم وتوظيف قوات محلية في محاربة التنظيم في معاقله، ثم الإشتباك العسكري السريع لتجريد التنظيم من مكاسبه كافة والقضاء عليه. وتطبيق برنامج ملء الفراغ الناتج من تقويض التنظيم وإعادة بناء ما تهدم من العمليات ومكافحة الإرهاب.

إلا أن القوة الجوية التشغيلية على الرغم من أدائها ولكنها تظل قليلة الفاعلية على الأرض، في ظل عدم وجود قوات برية تستطيع ملء فراغ تحطيم العدو. ومع عدم وجود قرار أمريكي وقتها في التدخل الفعلي في سورية كان لابد من البحث عن شركاء محليين يقومون بهذه المهمة. لمزيد من لمعلومات انظر: آدم ر. غريسون وكارل بي. مولير، القوة الجوية في عمليات مكافحة الإرهاب: تحقيق التوازن

بين الأهداف والمخاطر، مؤسسة راند، ص56. متوفر بصيغة PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jKrvLj>

2 لم يكن التعاون العسكري بين (القوات الكرية) والولايات المتحدة ممثلاً في التحالف ضد داعش نتيجة مفاوضات كما هو الحال عادة في التعاون العسكري، إلا ان واشنطن أنشأت قواعدا عسكرية معظمها في المنطقة التي تسيطر عليها القوات الكردية، من دون

***تشرين الثاني 24, 2016** : سقوط أول جندي أمريكي ضد داعش، قُتل كبير الضباط سكوت كوبر دايتون (42 عامًا) في انفجار عبوة ناسفة بالقرب من بلدة عين عيسى في شمال سوريا، ليصبح أول ضحية أمريكية في القتال ضد داعش في سوريا.

***في نيسان/أبريل 2017** : أمر الرئيس الأميركي دونالد ترامب بتوجيه ضربات ضد قاعدة الشعيرات الجوية السورية في محافظة حمص، بعد هجوم بغاز السارين أوقع حوالي 80 قتيلًا ونسب إلى النظام في خان شيخون، التي تسيطر عليها فصائل مسلحة ومجموعات جهادية في محافظة إدلب.

***كانون الثاني 30, 2017** : دعم القوات الكردية بالسلاح، زودت الولايات المتحدة التحالف الجديد (قوات قسد) بمركبات مدرعة حديثة لأول مرة، في خطوة هي الأولى بعد وصول ترامب إلى سدة الحكم.

***نيسان 7, 2017** : أول هجوم عسكري لترامب، بعدما قال ترامب إن حكومة الأسد "تجاوزت الكثير من الخطوط" مع الهجوم الكيميائي المشتبه به في سوريا، أطلقت القوات الأمريكية وابلًا من 59 صاروخ كروز على قاعدة شعيرات الجوية السورية، والتي يُعتقد أنها موقع إطلاق هجوم كيمياوي أسفر عن مقتل 88 شخصًا في محافظة إدلب.

***آذار/مارس 14, 2018** : هجمات انتقامية جديدة، أطلقت الولايات المتحدة بدعم من فرنسا وبريطانيا ضربات موجّهة ضد النظام السوري، بعد اتهامه بهجوم كيميائي للحكومة على مدينة دوما التي كانت خاضعة لسيطرة الفصائل المعارضة، وسقط ضحيته نحو 40 شخصًا.

***نيسان/أفريل 15, 2018** : هجمات صاروخية على دمشق، شنت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا هجمات صاروخية على العاصمة السورية دمشق ومحافظة حمص الوسطى ردًا على هجوم دوما.

***في 19 كانون الأول/ديسمبر** : أعلن ترامب على تويتر عن نيته بسحب القوات الأمريكية المنتشرة في سوريا، معتبرا أنها هزمت الجهاديين. ودفع القرار المثير للجدل وزير الدفاع "جيم ماتيس" إلى الاستقالة. وأوضح ترامب بعد بضعة أشهر أن حوالي 400 من هؤلاء الجنود سيقون في سوريا "لبعض الوقت".

We have defeated ISIS in Syria, my only reason for .being there during the Trump Presidency

[December 19, 2018](#)

[Donald J. Trump @realDonaldTrump](#)¹

باقي المناطق الأخرى، وهو ما يؤكد حجم الثقة التي توليها واشنطن لتلك القوات، ويتجسد ذلك في حجم التدريب والتزويد بالسلاح. لمزيد من المعلومات أنظر لـ: **القواعد العسكرية الأمريكية في سورية**، مرجع سابق، ص 8.

1 لا شك أن ترامب قد أحدث بعض التغييرات الطفيفة على منصب الرئاسة من خلال تجاوزه بعض البروتوكولات أو اعتماده المفرط على الأوامر التنفيذية وتغريدات #تويتر سواء عبر حسابه الشخصي، أو الحساب الرسمي، ولكن في المقابل فإن مؤسسة الرئاسة

***كانون الثاني/جانفي 6, 2019:** فرملة انسحاب ترامب، صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي جون بولتون خلال زيارة لـ(إسرائيل) بأن القوات الأمريكية لن تغادر شمال شرق سوريا حتى يتم هزيمة مقاتلي داعش وحماية المقاتلين الأكراد المتحالفين مع الولايات المتحدة.

***في 16 كانون الثاني/يناير 2019:** قُتل 19 شخصا بينهم أربعة أميركيين، في هجوم انتحاري ضد التحالف في منبج، شمال سوريا. وكان الهجوم الذي تبناه تنظيم داعش الأكثر دموية ضد القوات الأميركية في سوريا منذ عام 2014.

***شباط 21, 2019:** الإبقاء على جزء من القوات الأمريكية، أعلنت واشنطن الإبقاء على 200 جندي أمريكي في سوريا كـ «قوة حفظ سلام»، الأمر الذي أثار التساؤلات عما إذا طرأت تغييرات على قرار الرئيس ترامب بسحب كامل قوات بلاده من سوريا.

***في 7 آب/أغسطس:** قررت أنقرة وواشنطن إنشاء "مركز عمليات مشترك" لتنسيق إنشاء "منطقة أمنية"، وهي منطقة عازلة بين الحدود التركية والمناطق السورية، التي تسيطر عليها وحدات حماية الشعب الكردية.

***في 6 تشرين الأول/أكتوبر:** أعلنت واشنطن سحب قواتها من النقاط الواقعة قرب الحدود التركية، مفسحة المجال لهجوم لطالما لوحث به تركيا وباشرتها بعد ذلك بثلاثة أيام، ضد وحدات حماية الشعب الكردية التي تعتبرها أنقرة "إرهابية".

***وفي 12 تشرين الأول/أكتوبر:** التخلي عن الأكراد، أعلنت واشنطن سحب حوالي ألف عسكري أمريكي منتشرين في شمال وشرق سوريا. بعد أن علمت الولايات المتحدة أن تركيا تعتزم توسيع عملياتها في سوريا بشكل أكبر من المتوقع.

***وفي 21 تشرين الأول/أكتوبر:** خطة لإبقاء قوات في سوريا، أعلن ترامب أنه ما زال هناك عدد "ضئيل" من الجنود الأميركيين قرب حدود الأردن و(إسرائيل)، فيما أعلن البنتاغون بعد ثلاثة أيام إرسال تعزيزات إلى شمال شرق سوريا، لحماية حقول النفط من السقوط مجددا بأيدي تنظيم داعش.

***في 27 تشرين الأول/أكتوبر:** أفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان صباحا أن مروحيات أميركية أنزلت وحدات كومندوس، على الأرض بعد منتصف الليل في محافظة إدلب (شمال غرب)، في إطار عملية استهدفت قيادات في تنظيم داعش.

استطاعت أيضا أن تؤثر على ترامب وتعمل على ضبطه بالقدر الكافي الذي يجعله يعمل بالحد الأدنى لما تتطلبه قواعد العمل السياسي، من خلال المؤسسة التقليدية.

وأعلن دونالد ترامب مقتل البغدادي. وقال "لم يقتل كبطل، قتل مثل جبان"، موضحاً أن البغدادي فجر "سترتة" الناسفة، بعدما لجأ مع ثلاثة من أولاده إلى نفق حُفر لحمايته، فقتل معهم. وأكد ترامب مقتل "عدد كبير" من مقاتلي التنظيم في العملية الأميركية.

ب_ القواعد العسكرية الأمريكية في سوريا:

ازداد عدد القوات الأمريكية بشكل تدريجي في سوريا اعتباراً من 2016 ليصل تعدادها رسمياً إلى 2000 جندي يتمركزون في قواعد عسكرية بمناطق شرق وشمال البلاد حسب ما كشفت عنه صحيفة نيويورك تايمز¹. حوالي 850 من قوات المارينز الأمريكية و250 من قوات رينجرز لدعم عملية الإصلاح المترابط، وهي تنتزع في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من سورية وفي البادية السورية. إذ تتمركز في قواعد منتشرة في هذه المناطق².

وفي تصعيد جديد للتوتر في العلاقات بين أنقرة وواشنطن بسبب دعم الأخيرة للمقاتلين الأكراد في سوريا، كشفت وكالة "الأناضول" التركية الحكومية عن مواقع 10 قواعد أمريكية في الأراضي السورية³.

صرحت الوكالة، في تقرير خاص أعدته بهذا الصدد، إن القوات الأمريكية تستمر، منذ العام 2015، بتوسيع وجودها العسكري في المناطق الخاضعة لتحالف "قوات سوريا الديمقراطية"، التي تشمل في هيكله العسكري الأساسي "وحدات حماية الشعب" الكردية، في الشمال السوري.

وأوضحت "الأناضول" أن الولايات المتحدة أقامت قاعدتين جويتين الأولى في منطقة "رميلان" بمحافظة الحسكة شمال شرق البلاد في أكتوبر/تشرين الأول من العام 2015 والثانية في بلدة خراب عشق جنوب غربي مدينة كوباني (عين العرب) في محافظة حلب شمال البلاد. وأشارت الوكالة إلى أن القاعدة في رميلان كبيرة بقدر كاف لاستقبال طائرات شحن، فيما لا تستخدم القاعدة في خراب عشق إلا لهبوط

1 THOMAS GIBBONS-NEFF, JEREMY WHITE and DAVID BOTTI, **The U.S. Has Troops in Syria. So Do the Russians and Iranians. Here's Where.** APRIL 11, 2018, link: <https://nyti.ms/3553Zoi>

2 للتفصيل أكثر في الموضوع أنظر: **القواعد العسكرية الأمريكية في سورية**، مرجع سبق ذكره، ص9.

3 وفي تعليقها على ما نشرته وكالة "الأناضول"، أعربت الولايات المتحدة عن غضبها، أمس الأربعاء، وادعت أن "هذه الخطوة تعرض سلامة الجنود للخطر". واعتبر المتحدث باسم البنتاغون أديان رانكين-غالواي أن الكشف عن هذه المعلومات السرية يعرض قوات التحالف ضد تنظيم الدولة الإسلامية لمخاطر لا لزوم لها"، وفقاً لما ذكرته وكالة الأنباء الفرنسية.

وقال: "سنشعر بقلق شديد إذا أقدم مسؤولون في بلد حليف عضو في منظمة حلف شمال الأطلسي على وضع جنودنا في خطر بشكل متعمد من خلال نشر معلومات سرية". وأضاف: "أبلغنا قلقنا إلى الحكومة التركية"، رافضاً التعليق على مدى دقة المعلومات التي كشفتها "الأناضول". أنظر: **10 قواعد عسكرية أمريكية في سوريا.. وغضب أمريكي من التسريب، وطن أف أم**، على الرابط

التالي: <https://bit.ly/3IPzQ2c>

المروحيات العسكرية¹. مطار رميلان موجود في منطقة تضم عددا من الآبار النفطية، تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية (تجمع قوات عربية وكردية) التي تشكل أحد أهم عناصر التحالف العسكري الذي تقوده واشنطن ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"².

كما أوضحت أن قاعدة رميلان تعتبر نقطة مهمة تجري عبرها إيصال المساعدات العسكرية للقوات الكردية في سوريا، فيما يأتي جزءها الآخر عبر الحدود السورية العراقية. وأشارت الوكالة التركية الحكومية في هذا السياق إلى أن مثل هذه القواعد الميدانية يجري دائما إخفاؤها بصورة جيدة لأسباب أمنية، مما يصعب تحديد مواقع وجودها.

المواقع العسكرية الأمريكية شمال سوريا وبالإضافة إلى القواعد المماثلة، تستخدم القوات الأمريكية أيضا كمراكز للقيادة كلا من المباني السكنية ومعسكرات "قوات سوريا الديمقراطية" والمصانع المتنقلة. وفتت "الأناضول" في تقريرها إلى أن القوات الأمريكية، وبغرض ضمان أمن هذه المواقع العسكرية، تعلن في محيطها ما يسمى بـ "الأراضي المحظورة".

وتحتضن هذه المواقع العسكرية، التي يبلغ عددها 8، حسب معلومات الوكالة، عسكريين معنيين بتنسيق عمليات القصف الجوي والمدفعي للقوات الأمريكية، وضباط مسؤولين عن تدريب الكوادر العسكرية الكردية، وضباط مختصين في تخطيط العمليات، وكذلك وحدات عسكرية للمشاركة في أعمال قتالية مكثفة.

أما المعدات العسكرية، التي تم نشرها في هذه المواقع، فتشمل بطاريات مدفعية ذات قدرات عالية على المناورة، ومنظومات لراجمات الصواريخ، والمعدات المتنقلة لتنفيذ عمليات الاستطلاع وعربات مصفحة مثل مدرعات "Stryker" للقيام بدوريات وضمان أمن هذه المراكز.

الحسكة: أوضحت الوكالة أن 3 مواقع عسكرية أمريكية تم إقامتها في أراضي محافظة الحسكة. وأشارت "الأناضول" إلى أن الأحدث منها يقع في بلدة تل بيدر شمال المحافظة ويحتضن مئة من عناصر القوات الخاصة الأمريكية تم نشرهم في إطار محاربة تنظيم "داعش". الموقع الثاني تم إنشاؤه في منطقة الشدادي جنوب الحسكة ويوجد فيه نحو 150 مقاتلا من القوات الخاصة الأمريكية بهدف دعم عمليات قوات سوريا الديمقراطية ضد "داعش". أما الموقع الثالث فيقع في منطقة تل تامر الزراعية على الحدود السورية

1 رفعت سليمان، تركيا تكشف معلومات سرية عن 10 قواعد أمريكية في سوريا (بالخارطة)، 2017/07/19، المصدر:

<https://bit.ly/2Gjb3TJ> الأناضول+ وكالات، روسيا اليوم، على الرابط:

2 انظر لـ فؤاد حسن، الوجود الأمريكي في سوريا: المقرات العسكرية وتداعيات الانسحاب المرتقب، فرانس 24، مقال نشر في

<https://bit.ly/2DseG8Z>، على الرابط التالي: 2018/12/21

التركية ويعمل فيه عدد غير محدد لعسكريين من التحالف الدولي المناهض لـ"داعش" والذي تقوده الولايات المتحدة.

منبج: كما أقامت الولايات المتحدة مركزين لقيادة العمليات في مدينة منبج عام 2016 بعد أن انتزعت "قوات سوريا الديمقراطية" السيطرة عليها من تنظيم "داعش". الموقع الأول يقع في بلدة عين "دادات" قرب المدينة، وتعتبر "الأناضول" أن هذا المركز قد يستخدم من قبل القوات الخاصة الأمريكية لمراقبة تحركات فصائل "الجيش السوري الحر"، التي تحظى بدعم من القوات التركية. فيما يقع مركز القيادة الثاني في بلدة "أثرية" ويستخدم من قبل الولايات المتحدة لضمان أمن عناصر "قوات سوريا الديمقراطية" أمام "الجيش السوري الحر".

الرقعة: كما ذكرت "الأناضول" عن وجود موقعين عسكريين أمريكيين في أراضي محافظة الرقعة الشمالية. النقطة العسكرية الأولى تقع في نل Mistanur جنوبي عين العرب وتحتضن، فضلا عن عناصر من القوات الخاصة الأمريكية، مقاتلين من نظيرتها الفرنسية. ويوجد الموقع العسكري الثاني في مدينة عين عيسى شمالي الرقعة، والتي تسيطر عليها "قوات سوريا الديمقراطية"، ويعمل فيها، حسب الوكالة التركية الحكومية، 200 عسكري أمريكي و75 عنصرا من القوات الفرنسية.

صرين: كما أقامت القوات الأمريكية موقعا عسكريا كبيرا في مدينة صرين شمال غربي مدينة عين العرب في محافظة حلب ويجري استخدامها لاستقبال طائرات الشحن العسكرية. وأشارت "الأناضول" إلى أن هذا الموقع تجري عبره عمليات توريد الأسلحة والمعدات العسكرية لمقاتلي "قوات سوريا الديمقراطية". كما تستخدم القوات الأمريكية هذا الموقع كمركز للتواصل بين قوات التحالف الدولي ضد "داعش" ولتخريب الاتصالات بين مسلحي التنظيم.

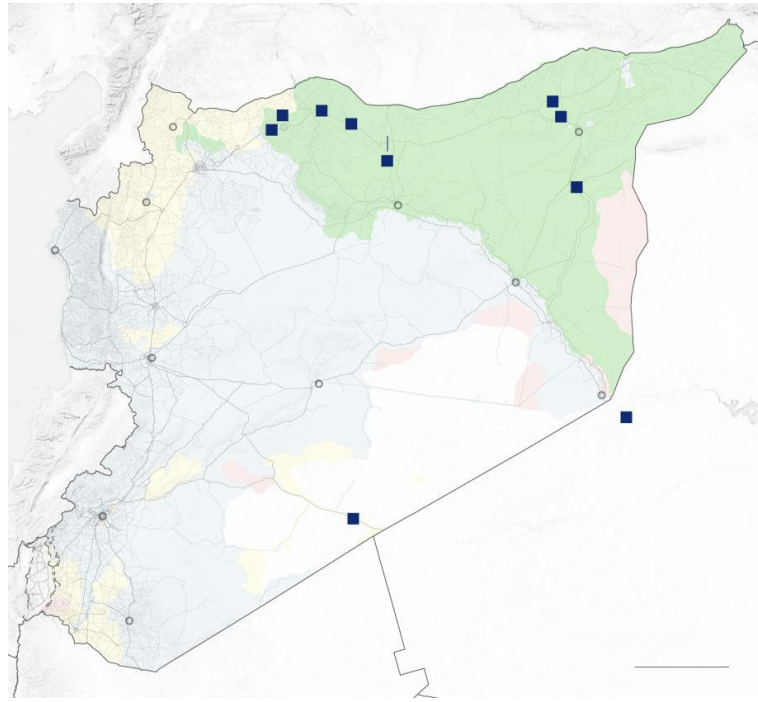
ويجري نشر هذه المعلومات السرية من قبل الوكالة الحكومية التركية في خطوة تعتبر إشارة جديدة إلى استياء السلطات التركية من السياسات الأمريكية في سوريا لا سيما اعتمادها في القتال ضد "داعش" على القوات الكردية في البلاد¹.

المواقع العسكرية الأمريكية جنوب سوريا:

النتف: القاعدة ذات الأهمية الاستراتيجية عند المثلث الحدودي بين سوريا والعراق والأردن، والتي كانت محور توتر عدة مرات بين الولايات المتحدة والنظام السوري عندما قامت القوات الأمريكية بقصف قوات

1 رفعت سليمان، مرجع سابق.

مالية للنظام على مقربة من القاعدة. وأنشأت قاعدة التنف على بعد 70 كيلومترا إلى الشمال الشرقي منها بهدف دعم هذه القاعدة لإيجاد منطقة عدم اشتباك في المثلث الحدودي¹.



خريطة توضح: مناطق تموقع القواعد العسكرية للولايات المتحدة الامريكية في سوريا

المصدر: نيوزغرافيك، 10.04.2018، على الرابط: <https://bit.ly/2JcxID9>

كان للحضور الأمريكي في سوريا العديد من المهام والأهداف، سواء على المستوى الأمريكي أو على مستوى التحالف الدولي والقوات الحليفة لها من داخل سوريا كالقوات الكردية أو فصائل المعارضة المعتدلة المسلحة، وتقديم كافة سبل الدعم والإمداد.

يُعتبر التواجد العسكري الأميركي في سوريا ضمن سياسة بسط النفوذ العسكري والمُسابقة لامتلاك قواعد جوية وصاروخية، تؤمّن لها تفوقاً استراتيجياً عالمياً، حيث إن طبيعة الجغرافيا السورية مناسبة لذلك بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب. خاصة بعدما أدركت واشنطن فقدانها أوراقها الإرهابية في الشمال السوري وتحديداً حلب، فقد سارعت إلى التحرك في المنطقة الشرقية من سوريا وتحديداً منطقتي البادية والحدود السورية مع العراق.

ان دور هذه القواعد مهم بالنسبة للعمليات العسكرية للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في سوريا، تأمين طرقات سريعة للإمداد والتموين والخدمات الأخرى المختلفة للقوات الأميركية والغربية بحسب ما

1 انظر لـ فؤاد حسن، الوجود الأمريكي في سوريا: المقرات العسكرية وتداعيات الانسحاب المرتقب، المرجع السابق بالذکر.

تزعّمه، ولكن الواقع هو الدعم المباشر للإرهاب بغية تحقيق التناؤس مع الروسي في المنطقة¹ وإعادة سيناريو أفغانستان، خاصة بعد انطلاق العمليات العسكرية الروسية في 30 أيلول/ سبتمبر 2015، وإن كان خجولاً زمن باراك أوباما كأول تواجد عسكري أميركي على الأرض منذ بدء الحرب على سوريا، وتشكيل التحالف الدولي في آب/أغسطس 2014 بعد أحداث الموصل. قد بدأ يحظى بدفعة قوية من إدارة دونالد ترامب ليُتضح الهدف الرئيس الاستراتيجي هو التناؤس مع روسيا لتقسيم مناطق النفوذ في المنطقة العربية، ظل الانهيار الذي تشهده بعض الدول في المنطقة.

جـ_ استراتيجية الولايات المتحدة في سوريا وقرار انسحابها وتقييم دورها في المنطقة:

قرر الرئيس الأميركي دونالد ترامب الأربعاء سحب القوات الأميركية المتواجدة في سوريا عبر تغريدة على حسابه على تويتر قال فيها بأن الولايات المتحدة هزمت تنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا، وأن ذلك الهدف كان المبرر الوحيد لوجوده هناك².

أثارت هذه التصريحات التي أعلنها في 29 مارس 2018، العديد من التساؤلات حول مستقبل الوجود الأميركية في سوريا وما يترتب عليه حال غياب هذا الدور، في ظل وجود العديد من الفرضيات المتعلقة بأن انسحاب القوات الأميركية من سوريا سيفسح مجالاً واسعاً لتركيا وروسيا وإيران لإعلان انتصارها على الولايات المتحدة.

وبالرغم من تصريحات ترامب اعتزله انسحاب القوات الأميركية من سوريا، إلا أنه تبع ذلك تصعيد جديد من جانبه تجاه النظام الشوري وحلفاءه، ففي 8 إبريل 2018 هاجم الرئيس الأميركي ترامب بشدة روسيا وإيران وسوريا في أعقاب ما يشتبه بأنه هجوم كيميائي في مدينة دوما بالغوطة الشرقية، وهدد ترامب بأن سوريا ستدفع ثمن باهظ للهجوم بالأسلحة الكيميائية على المدنيين في سوريا مع تصاعد احتمالية توجيه ضربة عسكرية لمواقع النظام السوري.

1 تقول الولايات المتحدة إنها لا تستخدم جميع هذه القواعد العسكرية الأميركية لشن هجمات، وإنما لقيادة الهجمات وتنسيقها، وتوفير الدعم لحلفائها في (قوات سورية الديمقراطية)، وتدريب بعض المقاتلين السوريين الذين درّبهم لحماية بعض قواعدها في شرق سورية، وهي في واقع الأمر ليست في حاجة إلى شن هجمات من هذه القواعد باعتبار أن لديها قواعد عسكرية جوية ضخمة في تركيا وفي المتوسط، ووجودها في هذه القواعد رمزي، يؤكد للجميع أن هذه مناطق أميركية لا يجب الاقتراب منها. وبالفعل استخدمت القوات الأميركية القوة المفرطة في منع تقدّم مقاتلين روس (مرتزقة من مجموعة واغتر الروسية)، ومقاتلين تابعين للنظام وميليشيات تابعة لإيران، من دون أن تضع في الحسبان ردة الفعل الروسية الممكنة، ما يعني أنها جدية في رسم حدودها داخل سورية بشكل لا تنازل عنه بالمطلق، ومن هنا تبرز أهمية القواعد العسكرية الأميركية. للمزيد انظر: حرب الولايات المتحدة "غير المحدودة" في سورية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 4 ديسمبر 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/351XIPo>

2 انظر لـ فؤاد حسن، مرجع سابق.

الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية أقدمت في شهر مارس 2017 على نشر قوات وآليات عسكرية لها في مدينة منبج السورية شمال شرق حلب، الخاضعة لسيطرة مجلس منبج العسكري، التابع لقوات سوريا الديمقراطية الحليف الأبرز لواشنطن في سوريا.

إن الوجود الأمريكي في سوريا يتشابه مع الكثير من الملفات هناك خاصة فيما يتعلق بمواجهة تنظيم داعش وكذلك دعم حلفاءها من الأكراد والمعارضة المسلحة. ومن قبل ركزت الاستراتيجية الأمريكية جهودها في سوريا نهاية أكتوبر 2015، على تقديم الدعم اللوجستي للقوات الحليفة سواء الكردية أو قوات المعارضة المسلحة بإمدادات عسكرية أو معلومات استخباراتية وقصف مدفعي أو اسناد جوي من طائرات التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة؛ وهي ذات الاستراتيجية التي اتبعتها القوات الأمريكية في معارك استعادة المدن في العراق.¹

وفق تصريحات البيت الأبيض على لسان المتحدث باسم البيت الأبيض "سارة ساندرز"، أن إعلان الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب"، جاء على خلفية خسارة داعش لما يقارب 98% من الأراضي التي كانت تسيطر عليها في سوريا، يذكر أن هذا الإعلان جاء من دون أن يشير إلى أي جدول زمني محتمل لانسحاب القوات الأمريكية، إلا أنه يقيّم الوضع من منظور الفوز بالمعركة والتأكيد على الانتصار، أي إعلان نهاية المهمة في سورية؛ المهمة التي كان يقرر مدة استمرارها ما هو أهم من قتال داعش. وتابع ترامب في كلمة له في أوهايو "انفقنا 7 تريليونات دولار في الشرق الأوسط ولم نجن شيئاً، مضيافاً إن بلدنا الآن يبدو في كثير من الحالات كأنه بلد من العالم الثالث، وإنه لأمر محرج، وأن انسحاب القوات الأمريكية يوفر الكثير علينا وعلى الحلفاء من خوض معارك طاحنة تستجذب المزيد من الأطراف الدولية لتلك المعارك، مما يلقي بدوره على عملية توفير التكاليف المادية والبشرية.

وعلى خلفية هذا الإعلان أصدر الرئيس الأمريكي ترامب أمر لوزارة الخارجية بتجميد أكثر من 200 مليون دولار من الأموال المخصصة لجهود التعافي في سوريا مع قيام إدارته بإعادة تقييم دور واشنطن في الحرب الدائرة هناك منذ فترة طويلة، بعد أن تعهد "ريكس تيلرسون" وزير الخارجية الذي سيغادر منصبه في مايو 2018، بمؤتمر بالكويت للتحالف ضد داعش في فبراير من نفس العام، وذلك لتحقيق الاستقرار وإعادة الإعمار في المناطق التي تم استعادتها من تنظيم داعش.²

ولعل هذا القرار المفاجئ جاء على خلفية زيارة ولي العهد السعودي "محمد بن سلمان" وما تبعه من توقيع صفقات متعلقة بالتسليح، ووفق إعلان "ترامب" فإنه طالب السعودية بتحمل تكاليف الوجود الأمريكي في

1 مصطفى صلاح، الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في سوريا، مرجع سبق ذكره.

2 مصطفى صلاح، مرجع سبق ذكره.

سوريا في حال أرادت ذلك، وهو ما يفسر على أنه نوع من الابتزاز وحتى المساومة على من يدفع أكثر، وإذا ما وجد أن هناك من يمول فلن يتردد في مسح تصريحاته ومواقفه، في إشارة منه إلى التركيز على نقل المسؤوليات إلى القوات المحلية لضمان عدم عودة ظهور تنظيم داعش مجدداً، في حين أعلن ولي العهد السعودي "محمد بن سلمان" عن تمنيه من الرئيس الأمريكي إعادة النظر بقرار الانسحاب القريب من سوريا.¹

ويرى مراقبون أن الانسحاب سيصب بمصلحة تركيا وإيران وروسيا والنظام السوري، بينما سيكون الأكراد هم الخاسر الأكبر. فالانسحاب الأمريكي من سوريا يؤثر على مستقبل الأكراد في سوريا بل وعلى القضية الكردية برمتها لأنهم بذلك باتوا صيد ثمين أمام تركيا، وبالتالي قد يجد الأكراد أنفسهم مجرّين بالتخلي عن حلم إقامة دولتهم والتقارب مع الدولة السورية والوصول إلى قدر من التوافقات فيما بينهم.² فقرار ترامب أعطى الضوء الأخضر لتركيا للقيام بعملية عسكرية ضد الأكراد، الذين سيكونون "الضحية الأولى والمباشرة" للقرار. وسيقود هذا الأمر الأتراك للتعامل مع نظام الأسد لضبط الأكراد، وهو الأمر الذي تريده روسيا وإيران، وسيستعيد النظام السوري السيطرة عاجلاً أم آجلاً على المناطق التي ينسحب منها الأكراد.³ وعلى العكس من ذلك يمكن أن يكون للولايات المتحدة دوراً جديداً في سوريا، يتمثل في إعادة تقييم هذا الدور في ظل التصعيد الأمريكي تجاه النظام السوري وحلفاءه، خاصة بعد اتهام المجتمع الدولي النظام السوري بالتورط في هجمات كيميائية في دوما، والتي قد تتسبب في انخراط وحضور أقوى من ذي قبل. أن القوات الأمريكية الموجودة في سوريا والمقدر عددها بـ2000 جندي، لم تحصل على الموافقة من النظام السوري الحالي، وهو ما يلقي بظلاله على أن الوجود العسكري الأمريكي يختلف كثيراً عن الوجود العسكري الروسي والإيراني، خاصة وأن الوجود العسكري الأمريكي لا يستند إلى أي قانون دولي. إن تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ألقت الضوء مجدداً على مستقبل الاستراتيجية الأمريكية في سوريا، كقاعدة للانطلاق في منطقة الشرق الأوسط، بيد أن هذه التصريحات بتأثيراتها على حدود الدور الجديد لها وآليات تحركها، خاصة في ظل انخراطها في العديد من الملفات الشائكة في المنطقة والملف السوري في مقدمة هذه الملفات.

كما أن تطور الموقف حيال الوضع في سوريا، قد يدفع العديد من الدول الأخرى كتركيا إلى جانب روسيا، في زيادة حضورها في مواجهة الأكراد المصنفين كمنظمة إرهابية في تركيا والحليف الأكبر

1مصطفى صلاح، المرجع السابق.

2 محمد عادل عثمان، عندما لا تدوم المصالح: هل تخلت الولايات المتحدة عن الأكراد بسوريا؟، المركز الديمقراطي العربي، برلين،

26 ديسمبر 2018، على الرابط: <https://bit.ly/2QUByBc>

3 فؤاد حسن، مرجع سبق ذكره.

للولايات المتحدة، حيث قامت تركيا بتنفيذ عملية غصن الزيتون في 20 يناير 2018، التي كانت امتداداً لعملية درع الفرات التي أطلقها الجيش التركي في 24 أغسطس 2016.¹

إن انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من سوريا قد يكون بمثابة الفرصة الذهبية للعديد من القوى الإقليمية والدولية الأخرى التي تسعى لتعظيم حضورها هناك، مما يعني أن هناك تراجعاً في الدور الأمريكي لصالح قوى إقليمية ودولية أخرى.

نشر موقع روسيا اليوم، تقريراً أوضح فيه أعداد القواعد الأمريكية المتبقية في سوريا، وذلك بعد إعلان الولايات المتحدة سحب قواتها من سوريا على خلفية معركة "نوع السلام" التركية.

وتزامناً مع عملية "نوع السلام" التركية بشمال شرق سوريا، عملت الإدارة الأمريكية على سحب قواتها من القواعد التي كانت أنشأتها في المناطق التي سيطرت عليها ميليشيا "قسد".

ومن القواعد التي تم إخلاؤها: قاعدة كوباني، أو عين العرب في ريف حلب الشمالي، وتعرف باسم قاعدة "خراب العشاق"، وقد تم إخلاؤها بعد تعرضها لقصف تركي، وصفه ضباط أمريكيون بأنه قصف متعمد. وقاعدة تل أبيض على الحدود السورية مع تركيا، وقد تم إخلاؤها بالكامل في الأسبوع الجاري. إضافة إلى ذلك، قاعدة عين عيسى، وقاعدة المبروكة غرب رأس العين، تم إخلاءهما.

والقواعد التي لا زالت قائمة: قاعدة رميلان، شرق القامشلي، وقاعدة تل بيدر شمال محافظة الحسكة، وقاعدة عسكرية أخرى في الحسكة. إضافة إلى قاعدة الشدادي، والتي تم نقل 250 من نساء داعش من مخيم الهول، إلى هذه القاعدة. وقاعدة التنف العسكرية التي تقع على الحدود العراقية السورية الأردنية، وهي القاعدة الأمريكية الأكبر في سوريا.²

1 مصطفى صلاح، مرجع سابق.

2 القوات الامريكية تنسحب من قواعدها العسكرية شمال سوريا وتدمر ما تبقى، ستاب نيوز، 17/10/2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3i3zgyv>



خريطة توضح أماكن القواعد الأمريكية التي مازالت في الشمال السوري بعد عملية نبع السلام 2019-10-08

المصدر: <https://stepagency-sy.net/2019/10/08/>

الجيش الأمريكي يعيد تموضع قواته في سوريا:

لجأ الجيش الأمريكي إلى تغييرات في خارطة انتشار قواته في سوريا، وتعزيز وجوده قرب حقول النفط، إثر عملية "نبع السلام" التي نفذتها تركيا في منطقة شرق نهر الفرات، لتطهيرها من إرهابيي تنظيمي PKK / YPG و "داعش"، وإنشاء منطقة آمنة لعودة اللاجئين السوريين.

وكانت القوات الأمريكية أخلت أكثر من نصف قواعدها في سوريا خلال "نبع السلام"، إلا أنها عادت مجدداً إلى بعض تلك القواعد. ومن خلال وحدات خاصة ومعدات موجودة في تلك القواعد والنقاط العسكرية، قدمت الولايات المتحدة الدعم لعمليات "PKK / YPG" ضد داعش، ووفرت الحماية له.

ورغم إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عام 2018 رغبته في سحب الجنود الأمريكيين من سوريا، إلا أن الوجود العسكري ما يزال متواصلاً هناك.

كانت القوات البرية الأمريكية منتشرة في 22 نقطة داخل سوريا تستخدمها كقواعد ونقاط عسكرية قبل انطلاق عملية نبع السلام في 9 أكتوبر/ تشرين الأول 2018، تضم نحو 2000 عسكري¹. وبحسب مراسلي الأناضول في المنطقة، ومصادر محلية، فإن القوات الأمريكية انسحبت من 16 قاعدة ونقطة عسكري خلال عملية "نبع السلام"، ابتداءً من منبج مروراً بعين العرب والرقعة وصولاً إلى الحسكة.

1 محمد مستور، عمر قوباران، أدهم كاكو، الجيش الأمريكي يعيد تموضع قواته في سوريا (انفوغرافيك)، وكالة الأناضول، أنقرة،

2019/11/09، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3215hih>

ومع انسحاب القوات الأمريكية من كافة قواعدها ونقاطها في الرقة ومنبج وعين العرب، أبقى على وجودها في دير الزور الغنية بالنفط، وقواعدها في الحقول النفطية بالحسكة. وانسحبت من قواعد ونقاط تل البيدر وصوامح صباح الخير والوزير في الحسكة، والطبقة وحاوي الهوا، وجزرا، ومعمل السكر وعين عيسى في الرقة، وخراب العشق والجلبية والسبت، ومشتى نور وصرين في عين العرب، إضافة إلى السعيدية والدادات، والصوامح في منبج.

وقبل نبع السلام بأيام، أخلت القوات الأمريكية 4 نقاط مراقبة على الحدود مع تركيا. الجيش الأمريكي عاد إلى 6 قواعد ونقاط عسكرية بعد توقف "نبع السلام"، بالتزامن مع توقف عملية نبع السلام، عاد الجنود الأمريكيون إلى بعض القواعد والنقاط العسكرية التي أخلاها خلال العملية. وعادت القوات الأمريكية إلى كافة قواعدها في الحسكة، وقاعدة صرين جنوبي عين العرب، مع توقعات بانسحابها من الأخيرة لغموض الوضع حولها. كما أعادت قواتها إلى قاعدة جزرا في الرقة، وأرسلت عددا قليلا من الجنود من أجل حماية قاعدة معمل السكر، في وقت لم تعد فيه إلى منبج أبداً.

كما أعلنت وكالة الأناضول في 4 نوفمبر/ تشرين الأول 2019، بدء الولايات المتحدة، في بناء قاعدتين بدير الزور، وإرسال تعزيزات إلى تلك المناطق بلغ قوامها ما بين 250 و300 جندياً، إضافة إلى آليات ومصفحات وراجمات صواريخ. ومع كل هذه التطورات، يواصل الجيش الأمريكي تسيير دورات في مناطق حقول النفط الواقعة تحت احتلال "بي ب ك/ بي كا كا" الإرهابي في سوريا¹.

وأفادت وكالة "الأناضول" الرسمية التركية أيضاً، بأن الولايات المتحدة تنشئ قواعد عسكرية جديدة لها بمحافظة الحسكة بغية ترسيخ تواجدتها في المناطق النفطية بشمال شرق سوريا.

وذكرت الوكالة في تقرير أعدته استناداً إلى مصادر وصفتها بـ"الموثوقة"، أن الأمريكيين باسروا "على عجل" بناء قاعدة في قرية تل براك التي تبعد 40 كم عن مدينة الحسكة.

وأشار التقرير إلى أن الهدف من وراء بناء هذه القاعدة هو سعي الجيش الأمريكي إلى قطع الطريق أمام العسكريين الروس إلى أحد أهم مراكز إنتاج النفط في سوريا في حقل الرميلان بريف الحسكة الشمالي الشرقي².

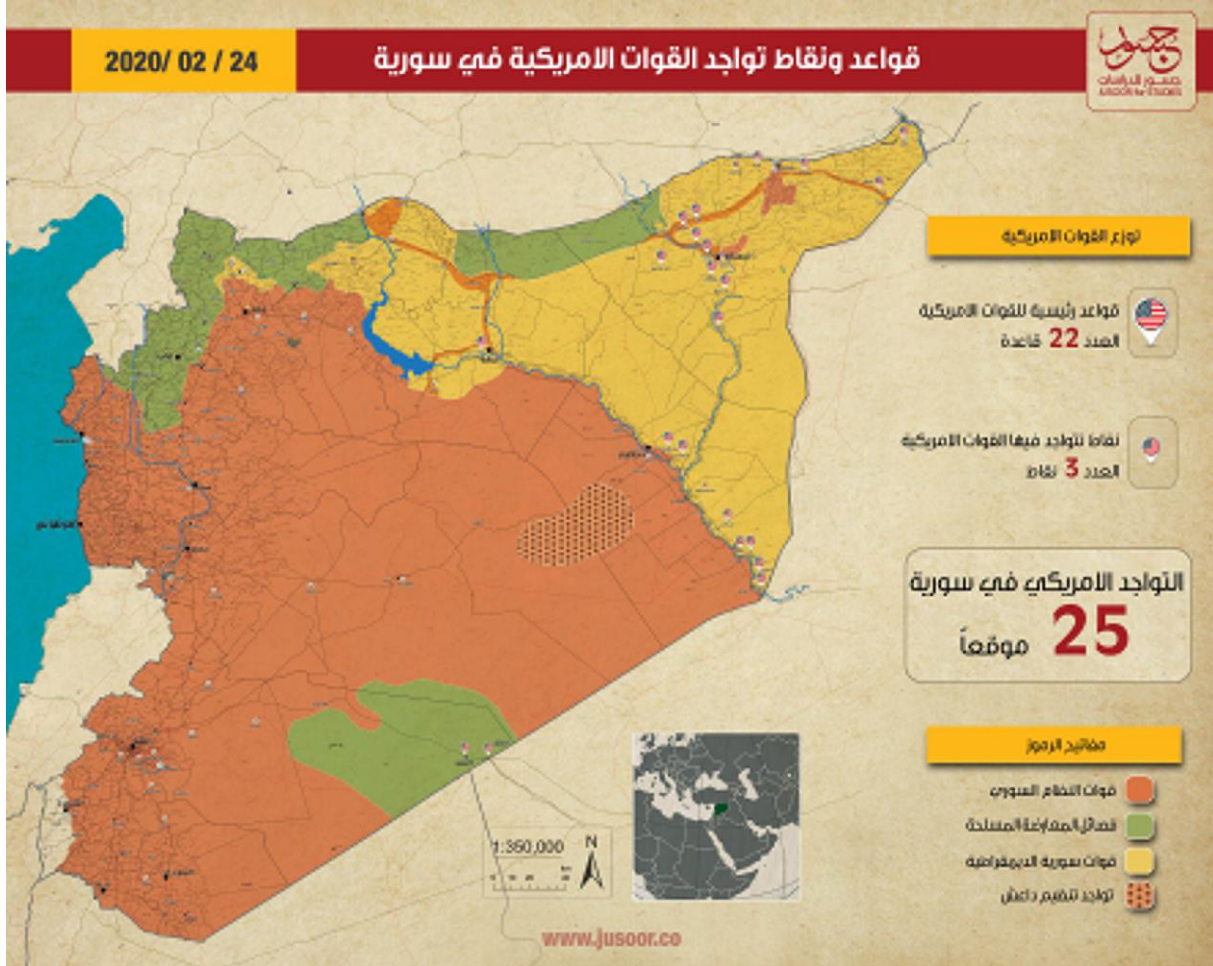
وبالتوازي مع ذلك، بدأت القوات الأمريكية المتمركزة في محافظة دير الزور بتحويل أحد المباني في حي غويران بالحسكة إلى موقع عسكري، بهدف الرقابة على إنتاج النفط في محافظة دير الزور.

1 المرجع السابق.

2 تقرير: واشنطن تنشئ قواعد عسكرية جديدة لها بشمال شرق سوريا، روسيا اليوم، بتاريخ 2020/02/08، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3h14pOG>

وأعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في نهاية أكتوبر 2019 عن سحب قوات بلاده من منطقة عملية "نبع السلام" التركية، مؤكداً أن واشنطن تنوي الحفاظ على سيطرتها على حقول النفط في شمال شرق البلاد. وحتى الفترة الأخيرة، كانت القوات الأمريكية موجودة في 11 قاعدة عسكرية في محافظة الحسكة والرقعة ودير الزور¹.



خريطة قواعد ونقاط تواجد القوات الأمريكية في سورية 2020/02/24

المصدر: جسور للدراسات، تركيا، على الرابط: <https://bit.ly/2V1Rx2b>

وفي الأخير يمكن القول، ان الولايات المتحدة تتمتع بحضور عسكري معتبر في سورية؛ حيث تقود التحالف الدولي ضد الإرهاب، وتسيطر بشكل كامل على المجال الجوي في شرق الفرات الذي يُعتبر منطقة عمليات لها. وقد أصدر مركز جسور للدراسات في 24 شباط/ فبراير 2020، خريطة لقواعد ونقاط تواجد الولايات المتحدة في سورية وشملت الخريطة 25 موقعاً منها 22 قاعدة عسكرية، و 3 نقاط تواجد.

1 المرجع السابق ذكره.

وتظهر الخريطة انتشار القواعد العسكرية الأمريكية في محافظات الحسكة، الرقة، دير الزور وريف دمشق، في حين تتوزع نقاط التواجد بين محافظتي دير الزور والحسكة¹.

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي الأمريكي في سوريا والشرق الأوسط لما بعد عام 2011

يمكن تقييم الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه الأزمة السورية من خلال النظر لأهدافها وأدواتها المعلنة، وذلك بالتطرق إلى:

فشل احتواء إيران: أعلن "دونالد ترامب" منذ وصوله للبيت الأبيض عن استراتيجية تصعيدية في مواجهة إيران، وقد سعى منذ البداية لاحتواء النفوذ الإيراني في سوريا، من خلال فك الارتباط بين روسيا وإيران في سوريا، وفق مقايضة القبول ببقاء الأسد في مقابل تخلي روسيا عن إيران في سوريا، ليسهل على "ترامب" احتواء نفوذها وانهاؤه، لكن يبدو أن مساعي "ترامب" قد باءت بالفشل وذلك لعدة أسباب:

أ_ اتفاق خفض التصعيد في الجنوب السوري الذي توصلت إليه واشنطن مع موسكو بمشاركة عمان في ماي 2017، والذي نص على جلاء جميع القوات الأجنبية عن جنوب سوريا، بما فيها الميليشيات الإيرانية، واستطاعت إيران التحايل عليه، وذلك من خلال التفافها على حضورها المباشر في الجنوب السوري، وكذلك الالتفاف على الاتفاقيات الأمريكية الروسية التي من الممكن أن تتم على حساب الجانب الإيراني.² ومن ثم قامت إيران بتشكيل مليشيات محلية تتبع مباشرة لـ "الحرس الثوري"، وهي "اللواء 313" الذي تنتشر قواته في مدينة درعا والحواجز المحيطة بها، والمقر الرئيس لها في مدينة إزرع، الخاضعة لسيطرة النظام³.

ومن ثم، إذا ما تم إبعاد الميليشيات الأجنبية الإيرانية عن الحدود، أو حتى تم إخراجها تماماً من سوريا، تظل لإيران ميليشيات محلية حليفة في الداخل السوري، ترتبط بها مباشرة وتؤتمر بأوامرها.

ب_ استناداً للسيطرة الجوية الروسية في سوريا، والسيطرة البرية لإيران ومليشياتها، فإن حاجة الطرفين الروسي والإيراني لبعضهما البعض مستمرة وستظل مستمرة، حتى بعد تحرير سوريا من تنظيم "داعش" بشكل نهائي. فمن ناحية تحتاج روسيا لإثبات قدرتها وسيطرتها على أكبر قدر ممكن من الأرض إبان اتفاقاتها مع أمريكا حول التسوية السياسية، ومناطق تقسيم النفوذ والتي يبدو أنها ستستمر طويلاً، ومن ناحية أخرى تحتاج روسيا للمليشيات الإيرانية حتى بعد التسوية؛ من أجل ضبط الأمن والاستقرار على الأرض، إلا إذا كانت روسيا ستستعيز عنها بقوات روسية وهو أمر غير مرجح. وحسب ما نقله

1 خريطة توزيع القوات الأمريكية في سورية 24-02-2020، جسر للدراسات، إسطنبول، تركيا: <https://bit.ly/2Z3DM5D>

2 النص الكامل لإتفاق "وقف التصعيد" بسوريا، مركز الجزيرة، 2017/5/7، على الرابط التالي: <https://bit.ly/32Ui05x>

3 سمير السعدي، "اللواء 313" والتدخل الإيراني في درعا، جريدة المدن، السبت 2017/11/11، الرابط:

<https://bit.ly/3IPABs4>

التلفزيون الرسمي الإيراني عن قائد الحرس الثوري "محمد علي جعفري" في 23 نوفمبر 2017، إعلانه عن إبقاء قوات الحرس الثوري في سوريا، حتى بعد انتهاء المعارك، حيث اعتبر أنها ستلعب دوراً نشطاً في تحقيق وقف إطلاق نار دائم هناك. كذلك الأمر لا يتعلق فقط بالرغبة الروسية، بل أيضاً بعدم قدرتها بالأساس على إنهاء الوجود الإيراني في سوريا¹.

جـ_ التوتر الأمريكي الروسي، على وقع اتهامات موجهة "لدونالد ترامب" وأعضاء من إدارته وحملته الانتخابية بالتواصل مع روسيا إبان حملته الانتخابية، والحديث عن دور روسي في إنجاح "ترامب" في الانتخابات الأمريكية الأخيرة. لقد كان أول ضحايا هذه الاتهامات "مايكل فيلين"، الذي اختاره "ترامب" مستشاراً للأمن القومي وقد تمت إقالته، وتلاحق ذات الاتهامات حالياً مستشاره وصهره "جاري كوشنر". وهو ما عرقل جهود "ترامب" الساعية لتحسين العلاقات مع روسيا، والتي كان من الممكن أن تلعب دوراً إيجابياً في هذا الصدد.

د_ العداة التاريخية المشترك الذي تحمله إيران وروسيا تجاه الغرب والولايات المتحدة، وكذلك التصعيد الأمريكي ضد البلدين. ففي يوليو الماضي، وافق مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية ساحقة على فرض عقوبات جديدة على روسيا وإيران وكوريا الشمالية، رغم اعتراضات البيت الأبيض². كلها عوامل تدفع روسيا لعدم التخلي عن الحليف الإيراني، الذي تربطه معه علاقات اقتصادية وسياسية جيدة، لصالح طرف غير موثوق فيه "الولايات المتحدة"، وتكتنف علاقاتها معه توتر حاد على وقع العديد من الملفات. واستناداً لذلك، تنظر روسيا لمسألة إضعاف النفوذ الإيراني في المنطقة بمثابة إضعاف لها أيضاً لصالح النفوذ الأمريكي.

ومن ثم فشلت الولايات المتحدة في فك الارتباط بين روسيا وإيران، ومن ثم في احتواء النفوذ الإيراني في سوريا، فلجأت للانخراط المباشر طويل المدى من خلال استراتيجيتها الجديدة.

_ الحليف التركي: الاستراتيجية الأمريكية إذا كانت موجهة لخصومها روسيا وإيران ونظام بشار وتنظيم "داعش"، فإنها في ذات الوقت تراها حليفها تركيا مهددة لأمنها القومي، في ظل الحديث عن تشكيل قوة حرس حدودية قوامها الأساسي من الأكراد على الحدود التركية السورية. وبرغم النفي الأمريكي لاعتزامها تشكيل هذه القوة³ إلا أن الوقائع على الأرض واستمرار الدعم العسكري واللوجستي للأكراد لا ينبئ بذلك.

1 إيران تؤكد الإبقاء على الحرس الثوري في سوريا، العربية، 23 نوفمبر 2017، على الرابط: <https://bit.ly/3hWW7c7>

2 وفد المعارضة ينسحب من مؤتمر سوتشي، سكاى نيوز عربي، 2018/1/30، على الرابط: <https://bit.ly/2Z4GA2x>

3 لولايات المتحدة تنفي اعتزام تشكيل قوة حرس حدود كردية في سوريا، BBC عربي، 2018/1/18، على الرابط التالي:

<https://bbc.in/32W511N>

وهو أمر يقلل من فاعلية هذه الاستراتيجية ونجاحها، فالبيئة المحيطة بها صراعية غير مستقرة، خاصة وأن الولايات المتحدة في حاجة لحليف لها كتركيا على الأرض في مواجهة الروس والإيرانيين معاً. ومن ثم فالأمر لا يتعلق فقط بخسارتها للحليف التركي، بل يصل الأمر للتحالف التركي مع الروس والإيرانيين في الملف السوري في بعض النقاط، كاتفاقيات خفض التصعيد ومسار "أستانا" ومؤخراً "سوتشي"، فضلاً عن المقايضات السياسية حول جغرافية النفوذ.

ويبدو أن الولايات المتحدة محتفظة بورقة منبج حتى الآن برغم تضائل أهميتها في الاستراتيجية الأمريكية في سوريا، لتكون وسيلة لإعادة تحسين علاقاتها مع تركيا متى أرادت، فمن الممكن إذا أرادت أمريكا أن تمحو التوتر الطاغي على علاقاتها مع تركيا، أن تسلمها مدينة منبج الواقعة غرب الفرات، خاصة وأن الاستراتيجية الأمريكية تركز فقط على المناطق الواقعة شرق الفرات، وهو ما دفعها لإعطاء الأتراك الضوء الأخضر في عملية عفرين، كما كانت هناك وعوداً أمريكية سابقة لتركيا، بخروج الأكراد من المدينة بعد تحريرها من "داعش"، وأخيراً فإن هذه المنطقة عربية ذات أغلبية سكانية عربية. إن الولايات المتحدة تقف اليوم أمام إشكالية معقدة، في ظل مراوحتها بين تركيا والأكراد، والتي تتحاز فيها غالباً بشكل واضح للأكراد، ولم تستطع التوصل إلى الآن لصيغة توافقية، تحفظ بها على علاقاتها الاستراتيجية مع الطرفين في آن واحد.

_ الحليف الكردي: كان اللجوء الأمريكي لأكراد سوريا ودعمهم عسكرياً ولوجستياً إيجابياً لحد كبير، خاصةً فيما يتعلق بالمواجهة الماضية مع تنظيم "داعش"، في عين العرب "كوباني" والرقعة ودير الزور. كما أن الاعتماد الأمريكي على الأكراد في المواجهة القادمة مع بقايا تنظيم "داعش" ستكون ضرورية وهامة جداً، خاصةً مع تحول التنظيم من نمط حروب المدن والجيوش النظامية لنمط حروب العصابات والكر والفر، وهو ما تجيده القوات الكردية جيداً، وهي ميزة تفضيلية لا تستطيع تركيا تقديمها للولايات المتحدة كقوات تتبع الحروب التقليدية¹.

لكن الأمر ليس كذلك عند الحديث عن دور الأكراد في الاستراتيجية الأمريكية الساعية لمزاحمة النفوذ الروسي واحتواء ومواجهة النفوذ الإيراني. وذلك لسببين رئيسيين: الأول أن الدعم الأمريكي للأكراد يُشكل سبباً رئيسياً لتوتر العلاقات الأمريكية التركية، بما يدفع تركيا للتقارب مع روسيا وإيران، ومن ثم يقلل من فاعلية الاستراتيجية الأمريكية وموقفها في الملف السوري.

1 انظر أيضاً: تحالفات تكتيكية: أنماط وتحديات الدعم الأمريكي للأكراد في سوريا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 21

ماي 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/32TF8B3>

الثاني أن هناك شك كبير في رغبة القوات الكردية في مواجهة النفوذ الإيراني، على عكس المعارضة السورية المسلحة، التي تتظر للمواجهة مع إيران في إطار مواجهتها الشاملة مع نظام بشار، في ظل محاولات أمريكا قطع الطريق البري الواصل من طهران لبيروت. فالأكراد ليس لديهم عداة تجاه إيران، وتمت توافقات على الأرض بينهم وبين الميليشيات الإيرانية وحلفائها، ولدى حزب "الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري" مكتب تمثيلي في موسكو، وهم متقلبون في تحالفاتهم، خاصة إذا سعت الولايات المتحدة لإعادة ترميم وتحسين علاقاتها بتركيا، فإن ذلك قد يأتي على حساب التحالف الأمريكي مع الأكراد، خاصة وأن هذا التحسن سيتضمن ضمان وتوافق أمريكي تركي على تحجيم الأكراد، ومنعهم من تحقيق أحلامهم الانفصالية، بما قد يدفعهم للتوجه من جديد نحو الروس والإيرانيين، وقد يكون ذلك أحد أسباب رغبة الولايات المتحدة في عدم التخلي عن الأكراد.

لقد حققت الولايات المتحدة تقدماً كبيراً على الأرض السورية، فهي تسيطر اليوم على أكثر من 25% من مساحة سوريا من خلال دعمها للقوات الكردية، كما حققت تركيا مكاسب سياسية وميدانية في مواجهة الأكراد، من خلال توافقاتها ومقايضاتها مع روسيا، ومن ثم من الصعب الآن على واشنطن أن تفك ارتباطها بالأكراد وكذلك أنقرة بروسيا، بما قد يعرضهما لخسارة ما حققوه من مكاسب سياسية وسيطرة جغرافية.

_ رحيل الأسد: الحديث الأمريكي المتكرر عن اشتراط رحيل الأسد لا يُعبر عن حقيقة الموقف الأمريكي على الأرض ونواياها الحقيقية، خاصة وأنها أكثر من يُدرك حقيقة موازين القوى على الأرض. ويبدو أن هذا الشرط لا يُعبر عن استراتيجية بقدر ما هو تكتيك؛ أولاً للضغط على نظام بشار من حين لحين؛ لترميم موازين القوى المنهارة، كلما مالت كثيراً لصالح قوات النظام وحلفائه، لدرجة يقترب فيها النظام من سحق المعارضة كليةً، وما يتبعه من توصل روسيا لحل سياسي يعبر عن هذا الوضع، مدفوعةً بهزيمة المعارضة ورغبة أنقرة في مقايضة موسكو في ظل حربها مع الأكراد، وهو وضع لا ترغب فيه الولايات المتحدة تماماً. وذلك ليس رغبةً في تحقيق انتصار للمعارضة، وإنما لإطالة أمد الأزمة، واستنزاف جميع الأطراف المتحاربة، فعلى ما يبدو أن توقيت الحل من وجهة النظر الأمريكية لم يأت بعد. ثانياً هذا الشرط أيضاً يأتي للضغط على روسيا، في ظل احتدام التنافس الأمريكي الروسي على رقعة سوريا الجغرافية، وفي ميادين الحل السياسي أيضاً.

وفي إطار هذه الاستراتيجية الجديدة، وفي ظل احتدام التنافس الأمريكي الروسي الحالي، يُرجح أن تكون الولايات المتحدة من دعمت "هيئة تحرير الشام" "هتس" في إلب بصوصارخ مضادة للطائرات، مكنتها من

اسقاط الطائرة الروسية "سوخوي 25" وقتل طائرها في 3 فبراير الماضي.¹ كما لا يستبعد أيضا توجيه الولايات المتحدة ضربات عسكرية للنظام مرة أخرى، خاصة مع وجود قرائن لاستخدامه أسلحة كيميائية من جديد، حيث استخدم الأسد في الأيام الماضية غاز الكلور السام في الغوطة الشرقية².

_ مواجهة إيران: مع فشل سياسة الاحتواء التي تبنتها الولايات المتحدة في مواجهة النفوذ الإيراني، لجأت الولايات المتحدة لسياسة الانخراط المباشر طويل الأمد في سوريا، بالأخص في الشرق والشمال الشرق والجنوب الشرقي. وبمنظرة جيوسياسية وهكذا تموضع، يبدو أنه لحد كبير منطقي وجيد في إطار المواجهة الأمريكية لتنظيم "داعش" وإيران، فداعش بعد فقدانه لمعاقله الرئيسية في الرقة ودير الزور، سوف ينتشر في جيوب متفرقة في البادية السورية وعلى الحدود العراقية السورية، أما إيران فإن الطريق البري التي تسعى لتأمينه، الواصل من طهران لبيروت يمر حتماً بأحد المعابر الحدودية بين سوريا والعراق. وبالتالي فإن تمركز التواجد الأمريكي في هذه المناطق؛ سيساعدها في مواجهة "داعش" وإيران معاً. ولكن هنا يجب الإشارة لمفارقتين بالغتا الأهمية:

_ فيما يتعلق بالتواجد الأمريكي في الشمال والشرق السوري، في هذه المنطقة يوجد منفذان حدوديان رئيسيان بين سوريا والعراق: الأول، البوكمال مقابل مدينة القائم العراقية، ويسيطر عليه من جهة سوريا قوات النظام والميليشيات المدعومة إيرانياً. الثاني، اليعربية في مدينة الحسكة مقابل منفذ ربيعة العراقي في نينوى، ويسيطر عليه من جهة سوريا قوات "سوريا الديمقراطية" المدعومة أمريكياً. كما قامت ميليشيات "الحشد الشعبي" في يونيو الماضي بفتح منفذ جديد بشكل غير رسمي بمنطقة البعاج، وهو ما يمكن طهران من ممر بري متواصل، من إيران مروراً بمحافظة ديالى ثم محافظة صلاح الدين وصولاً لمدينة البعاج ومنها للحدود السورية، ويسيطر على منفذ البعاج من جهة سوريا قوات النظام وميليشيات مدعومة إيرانياً.³

وبالتالي أمام إيران ممران بريان تسيطر عليه القوات والميليشيات الحليفة لها في الجانبين السوري والعراقي، الأول "القائم- البوكمال"، وهو ممر رسمي ومكتظ بالسكان، والثاني "البعاج"، وهو ممر غير رسمي ولا يخضع للرقابة، وهو طريق صحراوي يندر فيه تواجد سكاني. ومن ثم فالولايات المتحدة لم تستطع قطع

1 إسقاط مقاتلة روسية في إدلب ومقتل الطيار، العربية نت، 2018/2/3، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3JK18oS>

2 النظام يستهدف جبهات القتال في الغوطة الشرقية بـ "غاز الكلور"، أورينت نيوز، 2018/2/3، الرابط:

<https://bit.ly/2GtaBm5>

3 رائد الحامد، الممرات البرية الإيرانية لتعزيز النفوذ ومواجهة التحديات، المركز الديمقراطي العربي، 2017/12/26، على الرابط

التالي: <https://bit.ly/2F7WXE3>

الممرات البرية الإيرانية التي تصلها بشرق المتوسط بشكل كامل، إذ تسيطر الولايات المتحدة وحلفائها على معبر وحيد في الشرق.

فيما يتعلق بالتواجد الأمريكي بالجنوب السوري، في هذه المنطقة يوجد منفذ بري وحيد بين سوريا والعراق، وهو منفذ الوليد العراقي في مقابل منفذ التنف السوري، وتسيطر الولايات المتحدة وحلفائها من قوات الجيش الحر على منفذ التنف، حيث تتواجد قاعدة عسكرية أمريكية في هذه المنطقة، وبالتالي لا يوجد ممر بري إيراني يمر من إيران مروراً بالعراق عن طريق الجنوب السوري. لكن هناك إشكالية أخرى تتعلق بالجنوب السوري، وهي أن اتفاقيات خفض التصعيد برعاية الترويكا "أمريكا وروسيا والأردن"، لم تستطع إبعاد الميلشيات الإيرانية عن الجنوب السوري حيث التماس مع الحدود الإسرائيلية. فمازلت الميلشيات المدعومة إيرانياً "اللواء 313" متواجدة في مدينة درعا، والتي تبعد 12 كم فقط عن الحدود الإسرائيلية، وهي ميلشيات محلية أنشأتها إيران؛ للتحايل على الاتفاقيات الساعية لإبعادها عن الحدود.² كما تتواجد "لواء تحرير الجولان"، وهي ميليشيا عراقية شكلت في مارس 2017، مدعومة إيرانياً ومتواجدة في الجولان.³

ارتدادات الاستراتيجية الأمريكية على مسار حل الأزمة السورية:

يبدو أن الاستراتيجية الأمريكية الجديدة سوف تؤدي لمزيد من تعقيد الأزمة السورية، وإطالة أمدها والمزيد من استنزاف أطرافها، وعرقلة جهود التسوية الأممية والروسية من ناحية، واحتدام التنافس الجيوسياسي الإقليمي والدولي على الجغرافيا السورية من ناحية أخرى.

فقد أكدت الولايات المتحدة في استراتيجيتها الجديدة على مسارات حل أممية، بقيادة الأمم المتحدة، في إشارة لرفض مسارات الحل التي تنزعها موسكو ومعها أنقرة وطهران في "أستانا وسوتشي". ولا يبدو أن الولايات المتحدة ستسمح لروسيا بفرض رؤيتها للحل بشكل منفرد، ومن خلال مسارها الخاص، وهو كفيل بإفشال أي رؤية أو جهود للحل. جدير بالذكر أن "قوات سوريا الديمقراطية" "قسد" المدعومة أمريكياً، تسيطر على معظم المراكز الحضرية الرئيسية في منطقة شمال شرق سورية، وهي مدن القامشلي والرقّة والطبقة ومنبج وتل أبيض وعين العرب وعامودا والدراسية والشدادي والصور والبصيرة وغيرها، في حين تقتسم السيطرة على مدينة الحسكة مع قوات النظام، وتتضمن مناطق سيطرة "قسد" نحو 60% من آبار

1 المرجع السابق.

2 "اللواء 313" والتدخل الإيراني في درعا، مصدر سابق.

3 انظر أكثر: "اللواء تحرير الجولان" خدعة إيران الجديدة للبقاء بسوريا، العربية نت، 2017/3/31، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3jiTpqX>

النفط والغاز في سورية، إضافة إلى نحو 80% من المناطق القابلة للزراعة.¹ ومن ثم من الصعب استناداً لهذه الحقائق، إغفال الدور الأمريكي في الحل السياسي المحتمل للأزمة السورية. إن الحديث الأمريكي عن تموضع عسكري طويل الأمد في سوريا وربطها الخروج من سوريا، وكذلك مشاركتها في إعادة إعمار سوريا، خاصة في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام بمطلب رحيل بشار والقضاء على تنظيم "داعش" نهائياً، ترغب من خلاله تعديل موازين القوى نوعاً ما المنحازة لجهة نظام بشار وحلفائه، وما يترتب على ذلك من إطالة أمد الأزمة من جديد، واعطاء دفعة وهمية جديدة للمعارضة تشعرها بالقوة، بما يدفعها لرفض الحلول الروسية المبنية على موازين قوى مختلفة. ومن ثم فكل المسارات لا تؤدي لوضعية جيدة للمعارضة السورية، سواء انفردت روسيا بفرض رؤيتها للحل، أو تشابكت معها الولايات المتحدة، رافضةً رؤيتها. ففي الحالة الأولى المخرج هو حل غير عادل ينسف كل الحقوق التي طالب بها الشعب السوري منذ البداية، وفي الحالة الثانية إطالة أمد الأزمة ومزيد من الاستنزاف العسكري لجميع الأطراف، مع مزيد من الخسائر البشرية والبنية التحتية السورية. وعلى ما يبدو، وفي ظل التموضع العسكري الأمريكي الجديد طويل المدى في سوريا، واستمرار دعمها للأكراد، ورفضها لمسارات الحل الروسية "أستانا وسوتشي"، والرفض الروسي لمسارات الحل الأممية "جنيف"، فإنه على المدى القصير والمتوسط لن يكون هناك حل قريب للأزمة السورية بالأخص خلال العام الحالي، فأمد الأزمة السورية سيطول كثيراً. أما على المدى البعيد، فإن سيناريو الفدرلة، والمبني على تقاسم النفوذ لا التقسيم بين "الولايات المتحدة وتركيا وروسيا وإيران" هو المرجح حتى الآن، لكنه قد يتحول لخيار التقسيم الفعلي، إذا استمرت الأطراف الإقليمية والدولية في تنافسها البيئي المحتدم، ورفضها لمسارات الحل الأممية والروسية، وعدم توصلها لمسار توفيق للحوار والحل يدفع كل الأطراف المتصارعة للالتزام به.

بعد استعراض الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه الأزمة السورية، وتبيان مضامينها ودلالات توقيتها وتقييم مدى فاعليتها، وارتداداتها على الواقع السوري، فإننا نخلص إلى:

- منذ انطلاق الثورة السورية في مارس 2011، ثم تأزمها بعد ذلك، لم تكن هناك ثمة استراتيجية أمريكية واضحة للتعامل مع الملف السوري، ومن ثم فهذه أول خطوة تؤسس للتعامل الأمريكي مع الأزمة السورية من منظور استراتيجي بأهداف وأدوات واضحة، بغض النظر عن النتائج.

1 عبد الناصر العابد، خريطة السيطرة في شمال شرق سورية ومستقبل الوجود العربي فيها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018/1/31، ص 4.

-تأتي الاستراتيجية بعد فشل الجهود الأمريكية في احتواء النفوذ الإيراني، بالاعتماد على روسيا ومحاولة فك ارتباطها بإيران، لتلجأ للانخراط المباشر طويل الأمد، وبعد القضاء عسكرياً على تنظيم "داعش"، واستمرار خطره الأمني، وفي ظل تسابق النفوذ على الجغرافيا السورية، بإيصال رسالة للمعارضة، مفادها أن الولايات المتحدة مازالت تدعمهم في مطلب رحيل الأسد.

-لا يبدو الحديث الأمريكي عن رحيل بشار جاد، فهو يُعبر عن تكتيك أكثر منه استراتيجية. وتظل الولايات المتحدة متخبطة نتيجة عدم قدرتها على التوصل لصيغة توافقية، تحفظ بها علاقاتها الاستراتيجية بحلفائها الأتراك والأكراد معاً. وبرغم أن الأكراد كان ولازال لهم دور كبير في مواجهة "داعش"، إلا أن دورهم في الاستراتيجية الأمريكية، الساعية لمزاحمة النفوذ الروسي ومواجهة النفوذ الإيراني تظل محل شك لحد كبير. وبرغم التواجد الأمريكي في الشمال والشرق والجنوب السوري، إلا أن القدرة على مواجهة النفوذ الإيراني على الأرض السورية، وقدرتها على قطع الممر البري الإيراني من طهران لبيروت تظل ضعيفة، في ظل سيطرة حلفاء إيران على معابر رسمية وغير رسمية على الحدود العراقية السورية، وعدم وجود ثقة كاملة في القوات الكردية على الأرض في مواجهة روسيا وإيران.

-يبدو أن أمد الأزمة السورية سيطول، بعد الحديث عن تموضع عسكري أمريكي طويل الأمد، ورفض أمريكي أوروبي لطرائق الحل الروسية، والاكتفاء بالطريق الأممي، وأن سيناريو الفدرلة، والمبني على تقاسم النفوذ لا التقسيم هو المرجح حتى الآن، لكنه قد يتحول لخيار التقسيم الفعلي، إذا لم تتوصل الأطراف المتصارعة لمسار توفيقي للحوار والحل.

وفي تقييم التدخل العسكري الامريكى في سوريا: فإن عمليات الدعم والتسليح والتدريب التي تقدمها واشنطن لميليشيات بي كا كا/ ي ب ج الانفصالية الإرهابية، تعدت حدود الحرب على تنظيم إرهابي مطاردها هناك، حيث بلغت الأسلحة والمعدات التي قدمها الأمريكان حمولة آلاف الشاحنات وطائرات الشحن العسكرية، بما يكفي لتسليح جيش كامل العتاد والعدة، وبمختلف الأسلحة من الثقيل إلى المتوسط إلى الخفيف¹. وفي هذا السياق، فإن الرئيس رجب طيب أردوغان تحدث بعبارات واضحة عن أدلة ملموسة مسجلة، تملكها الدولة التركية، تشير إلى توظيف التحالف الدولي لتنظيم داعش وحمائمه لبعض قادة التنظيم، بدل هزيمته والقضاء عليه، وهذا يفند مقولة الأمريكان بأنهم باقون في الأراضي السورية من أجل محاربة الإرهاب، إلى حين القضاء على تنظيم داعش كلياً.

ذريعة الأمريكان الأخرى هي إخراج إيران من سورية.. لكن، ما عدا الضربات الإسرائيلية لبعض المواقع الإيرانية الحساسة، التي تتعدى حدودها بين الفينة والأخرى، لم نر حتى الآن جهوداً أمريكية حقيقية بهذا

¹تحالفات تكتيكية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، مرجع سابق بالذکر.

المضمار. كما ان الميليشيات الإيرانية منتشرة في جميع الجغرافيا السورية من درعا والسويداء إلى حلب وحماة وريف إدلب . برغم اتساع مساحة الانتشار الإيراني، إلا أنه لم يحدث أن قام الأمريكان بعرقلة تحركات الميليشيات الإيرانية فضلا عن استهدافهم، سوى صد الهجوم على قاعدة التي فور T4 العسكرية، الذي نفذته تلك الميليشيات بالتعاون مع مليشيات مرتزقة روسية، حيث قامت القوات الأمريكية بإبادة القوات المهاجمة بشكل كامل .

تعلم واشنطن وبروكسل أن ما يسمى بقوات سورية الديمقراطية "قسد" ما هي إلا ميليشيات تنظيم BKK المصنف كمنظمة إرهابية عندهم. هذا ما صرح به ضباط أمريكيان لطلال سلو عندما كان ناطقا رسميا بإسم تلك القوات قبل أن ينشق عنها .رغم هذه الحقيقة الدامغة فإن واشنطن ماضية في تدريب وتأهيل وتسليح هذه الميليشيات في الحسكة داخل سورية، وفي شمال العراق على شكل قوات كوماندوز خاصة.¹

المبحث الثاني: دور استراتيجية روسيا الاتحادية في الشرق الأوسط بعد عام 2011

يبدو أن التطورات المتسارعة في العالم تعيد رسم شكل العلاقات بين روسيا ومنطقة الشرق الأوسط، فلم يكن التاريخ أبداً مجرد مراحل وطوبت صفحاتها، لكنه رجع بقوة ليعيد نفسه ليقدر لدولة مثل روسيا أن تعود لممارسة دورها المعتاد كإحدى القوى الدولية ذات الثقل في النظام الدولي، حيث باتت أحد العناصر الأساسية المشكّلة لهذا النظام، وبرغم الخسائر التي لحقتها، إلا أنها اكتسبت حضوراً قويا استعادت من خلاله دورها المفقود في نظام عالمي لم يعد يتحمل قوة واحدة تهيمن على مجرياته. وقد وقعت منطقة الشرق الأوسط بما فيها من تطورات في القلب من هذا الدور.

وفي السنوات القليلة الماضية-خصوصاً بعد الثورة السورية- عاد الروس إلى نقاط شائكة عديدة في منطقة الشرق الأوسط، حيث أصبح لهم القول الفصل فيها، وتحول دورها من تدخل مؤثر في المنطقة إلى دور مبادر في ربط وحل قضاياها. وباستراتيجية حذرة تُجمع فيها المتناقضات، فقد اعتمدت روسيا اليوم على تحالفات جديدة ضمت فيها قادة يختلفون في السياسة والمصالح حتى العداء فيما بينهم، لكن الكل يتفق على قاعدة المصالح مع روسيا. حيث قدم الروس نموذجاً براغماتي في تعاملاته لكنه يبدو أكثر قوة وإصراراً ووضوحاً، ما كسب من خلاله جذب حلفاء قداماء وحاليين وأمريكا وأعداء لها في الآن نفسه.²

¹محمود عثمان، الأبعاد الإستراتيجية للعملية العسكرية التركية في شرق الفرات (تحليل)، مرجع سبق ذكره.

²مصطفى محمد صلاح، حدود التأثير ومستقبل الدور: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 29 جانفي/يناير 2018، مقال متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3i008e6>

اذن، عزز استعادة الحضور الروسي في المنطقة التعاون مع كل من القوى المضادة والمؤيدة للولايات المتحدة هناك، وهذا يعني دعم إيران في برنامجها النووي، وشطب ديون سوريا، وإزالة القيود على تصدير التقنيات الكيميائية والبيولوجية، إلى جانب تعزيز العلاقات الثنائية الموسعة مع تركيا ومصر و(إسرائيل) والمملكة العربية السعودية. وعلى هذا السياق فقد زوجت موسكو بين سياسة مبيعات الأسلحة ومصالحها السياسية الخارجية، وهذا دفع نائب رئيس مجلس الوزراء الروسي في 11 ديسمبر 2013، ديمتري روغوزين، إلى القول إن مبيعات الأسلحة الروسية هي العنصر الأكثر أهمية في تحديد علاقتها مع الدول الأخرى.¹ فروسيا الجديدة مع عهد الرئيس بوتين، ركزت في المقام الأول على الدعم السياسي والدبلوماسي لحلفائها الرئيسيين عبر الأسلحة والطاقة والتجارة.، ومع ذلك فإن الشرق الأوسط لا يزال هشاً، وروسيا لا تحتاج فعل الكثير حتى تؤكد نفوذها فيه، خاصة في سياق يُنظر فيه إلى تراجع التأثير الغربي في المنطقة. والواضح هنا ان موسكو قد سحبت البساط بشكل واضح على الساحة من واشنطن. عموماً تفاصيل الاستراتيجية الروسية المطبقة في المنطقة سوف نتطرق لها في النقاط المالية، لنطرح أولاً مقومات القوة التي رشحتها لتكون القوة الثانية عالمياً بمؤشر قوة قدره 0.0681، حسب احصائيات GFP، والتي استندت عليها كمحددات وعوامل داخلية سمحت لها بالتدخل وقلب الموازين الاستراتيجية في منطقة لشرق الأوسط، والتي من خلالها أيضاً تشارك اليوم في رسم وتغيير ملامح وأسس النظام الدولي الجديد.

المطلب الأول: مقومات القوة الدولية الروسية

أولاً: المقوم الجيوسياسي

تعد الجغرافيا العامل الأهم لفهم طبيعة السياسة الروسية²، حيث تلعب العوامل الجغرافية دوراً أساسياً في تحديد طبيعة النشاط الخارجي للدولة وفي رسم معالم سلوكيات الدول الأخرى، وتعرف هذه العوامل وما تقرزه من انعكاسات ونتائج في أدبيات العلاقات الدولية بالجغرافيا السياسية. تغطي دولة روسيا الاتحادية

¹ Anna Borshchevskaya , *The Tactical Side of Russia's Arms Sales to the Middle East* , Washington Institute, 22 /12/2017, p 1-2 .

²مفتاح فهم الجغرافيا السياسية لروسيا في معرفة أنها أرض مغلقة، لأن وصولها إلى المياه الدافئة ومعابر التجارة العالمية، مرهون بالمرور بممرات ملاحية تتحكم فيها قوى مختلفة.

للروس ثلاث طرق لبلوغ مياه التجارة العالمية:

1. طريق البحر الأسود مروراً بمضيق البسفور الذي تتحكم به تركيا ويسهل إغلاقه متى ما أراد الأتراك ذلك .
2. طريق من موانئ سانت بيترسبيرغ مروراً بالمياه الدنماركية وهذا الثاني يسهل التحكم فيه كذلك .
3. طريق المتجمد الشمالي الطويل الذي يبدأ من مورمانسك ويمتد إلى ما بين جرين لاند وآيسلندا والمملكة المتحدة. وفي الحرب الباردة رصدت كل من النرويج واسكتلندا وآيسلندا قوات بحرية تمنع مرور السفن الروسية إلى المحيط الأطلسي. وعليه فأزمة الروس في الوصول إلى المياه التجارية والممرات المائية الدولية أزمة واقعية وتشكل حاجساً دائماً للإدارة الروسية. كما أن هذا الانغلاق يشكل عقبات اقتصادية وأمنية وسياسية بالنسبة لها .

واحد من ثمانية من سطح الأرض وتمتد عبر شرق أوروبا وشمال آسيا حيث يمثل الجزء الأوروبي من روسيا ربع مساحة الدولة، أما الجزء الآسيوي فيمثل ثلاثة أرباع مساحتها، وتوصف روسيا باعتبارها أكبر دولة في العالم من حيث المساحة التي تقدر بـ 17.101.281 كم²، تليها كل من كندا والصين والولايات المتحدة.¹ يحدّ روسيا من الشمال المحيط المتجمد الشمالي وبحر البلطيق، ومن الجنوب البحر الأسود ومن الشرق الأقصى المحيط الهادئ، ومن شرق جبال الاورال تحدها كازاخستان والصين ومنغوليا. وتزخر روسيا بمجموعة كبيرة من الموارد الطبيعية منها النفط والفحم والغاز الطبيعي والعديد من المعادن كالماس والذهب والفضة والفوسفات والأخشاب في الغابات التي تمتد على مساحات واسعة، ويسود المناخ القاري القاسي معظم أنحاء البلاد والذي يتسم بفرق كبير في درجات الحرارة بين الصيف والشتاء حيث يكون بارد جداً في الشتاء وحار في الصيف وهي ظروف مناخية قاسية تعيق استغلال الموارد الطبيعية.² كما أن دراسة المقومات الجيوستراتيجية لروسيا، يبين لنا أن حدودها تعاني من ضعف طبيعي، يشكل تهديداً جدياً على أمنها القومي، فروسيا تواجه مشكلة جيوستراتيجية خطيرة نظراً لموقعها الجغرافي وهدودها الواسعة، إذ يبلغ طول حدودها البرية 20.241 كم، وحدودها البحرية 37.653 كم، وهذه الحدود غير مؤمنة عسكرياً بصورة جيدة، إذ انها تفتقر إلى وجود شبكة مواصلات استراتيجية تربط هذه الحدود. ومن وجهة النظر الروسية، ترى أن من المستحيل لأي دولة التفكير في غزو روسيا من هذه الجهة. فالشواهد التاريخية أثبتت فشل كل من حاول غزوها (نابليون، وهنتر) وتعرضه إلى عواقب وخيمة. لكن بالرغم من ذلك تفترض التطورات التي شهدتها العالم في القرن الحادي والعشرين في كافة المجالات والأصعدة. عدم الوثوق بهذه الرؤية لا سيما مع المشاكل الحدودية القائمة بين روسيا والدول المجاورة، ونظراً لحقيقة مخططات الحلف الأطلسي الذي ينوي جدياً التواجد عسكرياً في أوكرانيا والقوقاز-وأناً بالفعل قواعد عسكرية في دول البلطيق الثلاثة- أجبرت روسيا إلى التراجع في الجناح الشمالي الغربي، والجناح الجنوبي المحتمل تعرضه للخطر بمحاولة ضم أوكرانيا للحلف الأطلسي. لذا ترى روسيا الاتحادية في هذه الحقيقة كتحدٍ خطير وأنها يجب ألا تدع المبادرة تكون بيد خصومها بل يجب عليها التحرك وأخذ زمام المبادرة والقضاء على هذه المشاريع التي تشكل تهديداً جيوستراتيجياً لأمنها القومي، وإذا كان من غير الممكن لروسيا القضاء على هذه المشاريع فيجب عليها على الأقل الدفاع بحزم وثبات عن هذه الحواجز

¹ Yuri V.Medvedkov, **Russia**, Encyclopædia Britannica, Inc. last Updated, July 4, 2020, link : <https://bit.ly/3gXwhTN>

² See: Maria Sharmina & Others, **Climate Change Regional Review: Russia**, WIREs Clim Change, John Wiley & Sons Ltd., New Jersey, 2013.

الجغرافية (الجوار القريب)، والتركيز على ما لديها من قوة متاحة على سهل شمال أوروبا وعدم التقريط به.¹



خريطة روسيا الجغرافية

Source : Yuri V.Medvedkov, **Russia**, Encyclopædia Britannica, Inc. last updated, July 4, 2020

<https://www.britannica.com/place/Russia#ref38576> .

هذه المساحة الهائلة لدولة واحدة تفرض على روسيا عدة عوامل سياسية على رأسها أنها كدولة مترامية الأطراف هي في ذات الوقت دولة مستباحة الحدود، فمعضلة روسيا الاساسية انه ليس لها حدود دفاعية ولذلك ظلت وسيلة الدفاع الرئيسية لروسيا على مر العصور هو التوسع الجغرافي العسكري والسياسي خارج حدودها، ولكن نجاح روسيا في مد حدودها أو نفوذها إلى الغرب، لا ينهي أزمة الأرض المغلقة التي تعاني منها ومحدودية وصولها إلى المياه الدولية والدافئة.² فمشكلة روسيا الجوهريّة هي انها غير مستقرة من الناحية الجغرافية، وعليها أن تخوض صراعاً جيوسراتيجياً مستمراً لتأمين مجالها الحيوي. ولذلك فإنه رغم التغيير الإيديولوجي بدءاً من روسيا القيصرية مروراً بالثورة البلشفية والاتحاد السوفيتي وانتهاء بروسيا الاتحادية الجديدة يمكن للمتابع أن يستشف استمرارية نمط معين في سياسة روسيا نابع من المحددات الجيوسياسية التي تؤثر عليها.³

¹ George Friedman, “The Geopolitics of Russia: Permanent Struggle”, Stratfor Center, October 15, 2008, p.11.

² انظر: إسلام أحمد، جيوبوليتيك روسيا وسياستها الخارجية: استمرارية بلا إنقطاع، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، جوان 2016، ص.8. متوفر PDF، على الرابط التالي: <https://bit.ly/31TVUAM>

³ See more : Alexander Dugin, Last War of the World-Island : The Geopolitics of contemporary Russia, Kindle Edition, 2015.

ثانياً: المقوم المجتمعي (السكاني)

وبالنسبة للتكوين المجتمعي في روسيا الاتحادية، فيصل عدد سكانها حسب الإحصائيات الأخيرة للأمم المتحدة لعام 2020 حوالي 145.934.462 نسمة لتحل المرتبة التاسعة عالمياً¹، ويوجد الناظر للخريطة السكانية في روسيا بأن سكانها لا يتوزعون بشكل طبيعي على مساحتها ما يشكل مفهوم الأرض المهجورة على أغلب مساحتها، وفي ظل انخفاض معدلات الولادات وارتفاع معدلات الوفيات والهجرة ووضع اقتصادي متعثر، تعاني البلاد من خلل ديمغرافي خطير، إذا ما استمر هذا التناقص في عدد السكان، عندئذ يطبق على روسيا مقولة "انها أمة تتآكل ديمغرافياً" إذ يتعرض سكانها لخسارة سنوية². وتعاني روسيا من خلل ديمغرافي آخر يتمثل في ارتفاع معدلات الهجرة من وإلى روسيا الاتحادية، وما لهذه الهجرة من تأثيرات على سوق العمل في روسيا، إذ عانت روسيا من "هجرة الأدمغة" بهجرة أكثر من 1,5 مليون يهودي روسي إلى (إسرائيل)، غالبيتهم من ذوي الثقافة العالية من أطباء وعلماء وخبراء معلوماتية، وبالمقابل تعاني روسيا من وجود أكثر من 7 مليون مهاجر على أراضيها، حوالي 4 مليون منهم دخلوا البلاد بصورة غير شرعية، غالبيتهم من الصين وبنافس هؤلاء المهاجرين السكان الروس في سوق العمل في ظل ارتفاع معدلات البطالة وقلة فرص العمل. وقد بدأت الحكومة الروسية باتتباع سياسات تشجيع عودة المهاجرين الروس إلى البلاد من خلال تقديم الحوافز وتحسين ظروف المعيشية والصحية. ونجحت في عام 2007 بإعادة حوالي 20 ألف روسي إلى البلاد، وتطمح إلى رفع هذا العدد إلى 300 ألف بحلول عام 2025. كما اتبعت الحكومة الروسية سياسات تهدف إلى تنظيم الهجرة الشرعية وغير الشرعية وذلك من خلال الاستفادة من العمال الماهرين منهم وذوي المهن في تحريك السوق الروسية وتنشيط الاقتصاد³. والمجتمع الروسي مجتمع متعدد العرقيات حيث يصل عددها إلى 185 جماعة عرقية ويمثل الروس (السلاف) المجموعة الأكبر بنسبة 10.1 % من العدد الإجمالي⁴.

ثالثاً: المقوم الاقتصادي

لقد عانت روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي السابق، من تفشي ظاهرة الفساد السياسي في سنوات حكم الرئيس الأسبق "بوريس يلتسن"، وكانت هذه إحدى أسباب فشل عمليات الإصلاح الاقتصادي في ذلك

¹ Russia Demographics, Population of Russia (2020), WorldOmeter, view live population, link : <https://bit.ly/354ikB6>

² Russia, The World Fact book, Op cite.

³ ينظر: مروان إسكندر، الدب الروسي ينقلب نمراً، روسيا: الولادة الجديدة، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ص 134-135.

⁴ For more details about Ethnic Groups in Russia, See: Marjorie Mandelstam Balzer, **Religion and Politics in Russia: A Reader**, Routledge: Taylor & Francis, New York, 2015.

الوقت¹، إذ لم تسبق عملية الانتقال إلى اقتصاد السوق والخصخصة عمليات تهيئة للمجتمع والدولة، وتحضيرها لهذه التغييرات الجذرية قبل أي إجراء، وعند تولي الرئيس "فلاديمير بوتين" السلطة عام 2000، والذي اعترف في خطابه ان ديون روسيا الخارجية حتى عام 2000 بلغت نحو 341 مليار دولار، وأن هنالك نحو 40 مليون مواطن روسي يعيشون تحت خط الفقر، فعمل على انتهاج استراتيجية لإعادة البناء الداخلي والنهوض بالقدرات الروسية لاستعادة المكانة الدولية والإقليمية لها، ما ساعد على انتعاش الاقتصاد الروسي، والذي ساهمت فيه العديد من العوامل²، من بينها توافر الإرادة السياسية للقادة الروس، وتوافر روسيا على موارد طبيعية هائلة، فضلاً عن المواد الأولية³. حيث تمتلك روسيا مصادر متنوعة من الغاز والنفط والفحم، حيث تحتل المرتبة الثانية عالمياً من حيث احتياطي الغاز الطبيعي بعد إيران، ما يعادل 23.6% من الاحتياطي العالمي، وتعد شركة (Gazprom) الروسية أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم، وتتحكم في 90% من إنتاج الغاز الروسي وأنايبب نقل الغاز، وتمدّ أوروبا بربع احتياجاتها منه، أما قطاع النفط فتمتلك روسيا سابع أكبر احتياطي في العالم حيث يقدر بـ 6.1% من الاحتياطي العالمي، وتحتل المرتبة الثانية كأكبر منتج ومصدر للنفط في العالم، حيث تسيطر شركة (Rosneft) الروسية على إنتاج النفط في روسيا. أما الفحم فتمتلك روسيا ثاني أكبر احتياطي في العالم بعد الولايات المتحدة بنسبة 71.6%⁴. فمنذ عام 2000 وحتى عام 2008 نما الناتج المحلي الإجمالي للاقتصاد الروسي بنسبة كبيرة وصلت 7%، كما زادت الاستثمارات وانخفض معدل البطالة من 10% إلى 6% في عام 2006، وسجلت في العام ذاته فائضاً بما يعادل 7% من الناتج المحلي الإجمالي. كما قفز فائض الحساب الجاري إلى نحو 100 مليار دولار⁵. لكن في عام 2008 ضربت الأزمة الاقتصادية العالمية الاقتصاد الكلي لروسيا الاتحادية. فانخفض الناتج المحلي الإجمالي بين عامي 2008-2009 إلى أكثر

¹ عند بداية أي نقاش في أحوال وطبيعة الاقتصاد الروسي، إعتاد خبراء الاقتصاد طرح طرفة تعود إلى تسعينات القرن الماضي، ومفادها أن رئيس الوزراء البريطاني حينذاك "جون ماجور" طلب من الرئيس الروسي بوريس يلتسن أن يصف له الحالة التي يرى عليها اقتصاد الدولة الروسية، فأجابه يلتسن: "جيد" لكن المسؤول البريطاني طلب منه أن يوضّح أكثر ولو في كلمتين، وهو ما التزم به يلتسن قائلاً: "ليس جيداً". لم يتغير الحال كثيراً، عند طرفي تلك الحكاية/الطرفة، فما يزال هذا هو بالتحديد وضع الاقتصاد الروسي اليوم، كما كان في الماضي قبل قرن وأكثر من الزمان: متأرجحاً بين كونه "جيداً أو ليس جيداً".

² انظر: بافل باييف، القوة العسكرية وسياسة الطاقة بوتين والبحث عن العظمة الروسية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، أبو ظبي، 2010، ص 81.

³ أحمد دياب، روسيا والغرب: من المواجهة الى المشاركة، مجلة السياسة الدولية، العدد (941)، القاهرة، مركز الأهرام للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2002، ص 371.

⁴ See: "BP Statistical Review of World Energy June 2015", 46th edition, Pureprint Group Ltd., London, June 2015.

⁵ "Russia Country Report", BTI Report 2016, The Bertelsmann Foundation, Gütersloh, Germany, 2016, p.22.

من 8%، وانخفضت الاستثمارات، وارتفع معدل التضخم إلى 21%، والبطالة إلى 8%، كما انخفض فائض الحساب الجاري إلى 50 مليار دولار، ووجه انخفاض أسعار النفط عام 2009 ضربة قوية إلى الموازنة العامة للدولة الروسية. وبالرغم من ان مثل هذه المؤشرات تعبر عن وجود أزمة شديدة في الاقتصاد الكلي لأي دولة، إلا ان أداء الاقتصاد الروسي لم يكن سيئاً للغاية بالمقارنة مع باقي الاقتصادات الدولية، فأثار الأزمة كانت خفيفة على الإنفاق الحكومي الضخم، كما أن احتياطات البنك المركزي استقرت بعد مدة قصيرة. وبقيت الديون الخارجية عند مستوى منخفض للغاية ما يعادل 2% من الناتج المحلي الإجمالي.¹ وتماشياً مع اتجاهات نمو الاقتصاد العالمي، بدأ الاقتصاد الروسي بالنمو على المستوى الكلي، لكنه بالرغم من ذلك لم يصل إلى مستويات النمو التي حققها في المدة التي سبقت الأزمة، ومن ناحية أخرى فإن هذا التعافي لم يشمل بعد جميع أنحاء البلاد، فما يقرب من نصف مناطق البلاد لم تحقق معدلات نمو إيجابية، فبعد ان بلغ معدل النمو نسبة 4.5% في عام 2010، عاد تباطأ مرة أخرى في عام 2011، لينخفض إلى نسبة 4.3%، ثم إلى نسبة 3.5% في عام 2012، ونسبة 3.1% في عام 2013، ونسبة 0.7% في عام 2014، اما في عام 2015 فقد دخل الاقتصاد الروسي في حالة من الركود، انخفض فيها معدل النمو إلى نسبة -2.0%، ليعود تدريجياً ويظل في نسب متدنية ليسجل عام 2016 إلى 0.2%، أما عام 2017 فسجل ما نسبته 1.8%، ليرتفع قليلاً عام 2018 ليصل إلى نسبة 2.5%، ليتراجع مجدداً عام 2019 مسجلاً ما نسبته 1.3%، وكذلك الحال بالنسبة لبقية المؤشرات الاقتصادية التي شهدت نفس الوتيرة، ويظهر ذلك في الجدول التالي.³

Russia Economy Data

	2015	2016	2017	2018	2019
<u>Population (million)</u>	147	147	147	147	147
<u>GDP per capita (USD)</u>	9,289	8,699	10,718	11,371	11,583
<u>GDP (USD bn)</u>	1,361	1,277	1,574	1,669	1,700
<u>Economic Growth (GDP, annual variation in %)</u>	-2.0	0.2	1.8	2.5	1.3
<u>Consumption (annual variation in %)</u>	-9.5	-2.6	3.7	3.3	2.5

¹ Ibid, pp.22-23.

² See: "Russia: The Long Journey to Recovery", Russia Economic Report, No.35, World Bank Group: Microeconomic & Fiscal Management, April 2016.

³ Russia Economic Outlook, Focus Economics, May 12, 2020, Link : <https://bit.ly/3i0yLIC>

	2015	2016	2017	2018	2019
<u>Investment (annual variation in %)</u>	-10.6	1.3	4.7	0.1	1.5
<u>Industrial Production (annual variation in %)</u>	0.2	1.7	3.8	3.5	2.3
<u>Retail Sales (annual variation in %)</u>	-9.8	-4.8	1.2	2.8	1.6
<u>Unemployment Rate</u>	5.6	5.5	5.2	4.8	4.6
<u>Fiscal Balance (% of GDP)</u>	-2.4	-3.5	-1.4	2.6	1.8
<u>Public Debt (% of GDP)</u>	13.5	13.2	14.6	14.9	15.3
<u>Money (annual variation in %)</u>	11.3	9.2	10.5	11.0	9.7
<u>Inflation Rate (CPI, annual variation in %, eop)</u>	12.9	5.4	2.5	4.3	3.0
<u>Inflation Rate (CPI, annual variation in %)</u>	15.5	7.1	3.7	2.9	4.5
<u>Inflation (PPI, annual variation in %)</u>	-	-	-	-	-
<u>Policy Interest Rate (%)</u>	11.00	10.00	7.75	7.75	6.25
<u>Stock Market (annual variation in %)</u>	26.1	26.8	-5.5	11.8	29.1
<u>Exchange Rate (vs USD)</u>	72.88	60.27	57.63	68.88	61.91
<u>Exchange Rate (vs USD, aop)</u>	61.06	67.05	58.33	62.68	64.75
<u>Current Account (% of GDP)</u>	5.0	1.9	2.1	6.8	3.8
<u>Current Account Balance (USD bn)</u>	67.8	24.5	32.4	114	64.7
<u>Trade Balance (USD billion)</u>	148	90.2	115	194	163
<u>Exports (USD billion)</u>	341	282	353	443	418
<u>Imports (USD billion)</u>	193	191	238	249	255
<u>Exports (annual variation in %)</u>	-31.3	-17.5	25.3	25.5	-5.7
<u>Imports (annual variation in %)</u>	-37.3	-0.8	24.5	4.3	2.5

	2015	2016	2017	2018	2019
<u>International Reserves (USD)</u>	368	378	433	468	554
<u>External Debt (% of GDP)</u>	38.1	40.1	32.9	27.3	28.9

جدول يوضح: المؤشرات الاقتصادية لروسيا الاتحادية (2015-2019)

Source : **Russia Economic Outlook**, Focus Econmics, May 12, 2020 .

وأسباب هذا التراجع تتمثل في الآثار السلبية المترتبة على الكساد الذي أصاب أسواق الطاقة والمواد الخام العالمية، بالإضافة إلى الأضرار الاقتصادية الكبيرة التي لحقت بالاقتصاد الروسي جراء العقوبات الأوروبية التي فرضت على روسيا إبان الأزمة الأوكرانية عام 2014.

لتواجه روسيا مرة أخرى ضربة قوية لاقتصادها ظهرت أكثر في بداية الربع الثاني من عام 2020، بعد ان نفذ النمو على ما يبدو في الربع الأول، وذلك بعد تفشي وباء (Covid-19) والذي أثر على اقتصاديات دول العالم أجمع، ليتراجع النشاط الاقتصادي، وسط تباطؤ القطاع الصناعي وتراجع الصادرات بسبب انهيار أسعار النفط العالمية، وتوقف النشاط الاستثماري إضافة إلى تداعيات الزخم المقيد للوباء قبل فترة طويلة من تطبيق إجراءات الإغلاق في أواخر مارس. وبالانتقال إلى الربع الثاني، فقد انخفض مؤشر الشراء PMI إلى مستوى قياسي منخفض في شهر أبريل، حيث أدت إجراءات الإغلاق الصارمة إلى ضعف الروبل خارجياً وانهيار سلسلة التوريد إلى الطلب المحلي والأجنبي حتى منتصف شهر ماي، ومن المحتمل أن يدفع الاقتصاد إلى انكماش حاد، على الرغم من أن الحكومة بدأت في تخفيف إجراءات الإغلاق الوطنية في 11 ماي¹.

وقال وزير الاقتصاد "ماكسيم ريشيتنيكوف" الذي أوردت تصريحه وكالات الأنباء الروسية: «فيما يخص الناتج المحلي الإجمالي، تقديراً هو التالي: زيادة بنسبة 1.6% في الربع الأول وتراجع بنسبة 9.5% في الربع الثاني وبنسبة 6.3% في الربع الثالث و5.2% في الربع الأخير و5% في السنة برمتها». وتوقع أن يتعافى الاقتصاد في العام 2021 مع نمو متوقع نسبته 2.8% والعودة إلى مستوى ما قبل الأزمة في 2022. غير أن روسيا تبدو في وضع أفضل مما كانت عليه خلال الأزمة الأخيرة التي عرفتها عام 2014 مع فرض عقوبات دولية عليها. فقد جمعت روسيا احتياطياً كبيراً بفضل خمس سنوات من

¹ See more : **Russia Economic Outlook**, op cite.

التكشف في الميزانية وباتت أقل عرضة للصدمات الخارجية من خلال الاستغناء عن جزء من وارداتها والسيطرة على التضخم. واتخذت أيضاً إجراءات كثيرة لدعم المواطنين والشركات¹. ولكن في الأخير وكملخص لهذا العرض، يمكن القول ان الاقتصاد الروسي يعاني من مشاكل حقيقية²، يُستلزم لتجاوزها توافر ظروف اقتصادية عالمية مناسبة، إذ أن الحلول الاقتصادية التي قدمتها حكومة بوتين لم تستطع وقف التراجع في مؤشرات الاقتصاد الروسي، وهذا ما أكدته تقارير المؤسسات الاقتصادية العالمية وفي مقدمتها البنك الدولي الذي أكد بأن أمام الاقتصاد الروسي رحلة طويلة لكي يستعيد عافيته من جديد في ظل الظروف الاقتصادية العالمية الحالية الصعبة. وتأثيرات الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة وما أعقبها من انهيار أسعار النفط العالمية. وبالنتيجة فإن العامل الاقتصادي باعتباره أحد مقومات الاستراتيجية القومية لروسيا، سيشكل بوضعه الحالي عقبة في طريق سعي روسيا لاستعادة منزلة القوة العظمى. وما يواجهه هذا المسعى من عقبات وصعوبات يقف الغرب والولايات المتحدة وراء البعض منها. الأمر الذي جعل هدف تجاوز هذه العقبات أحد أهم أهداف روسيا في إدارة أزماتها الإقليمية والدولية. وهو ما تجلى بصورة مباشرة في الأزمة الأوكرانية، وبصورة غير مباشرة في الأزمة السورية.

رابعاً: المقوم العسكري والتكنولوجي

لقد كانت إعادة تسليح الجيش الروسي هي أولى الأولويات التي سعى الرئيس "بوتين" إلى تحقيقها منذ أن تولى الحكم، إيماناً منه بأن العودة الروسية لن تتأتى إلا باكتمال عناصر المنظومة الثلاثية: الاقتصاد المتعافي، الجيش المتماسك، السياسة الحاسمة. وفي إطار تحديث وتطوير القوات العسكرية الروسية، فقد أمر الرئيس الروسي السابق "ديميتري ميدفيديف" -الذي خلف بوتين في عام 2008 حتى عام 2012- المؤسسة العسكرية في بلاده بإطلاق عملية واسعة لإعادة تسليح الجيش والأسطول الروسي. والتركيز

¹ الناتج الروسي سيتراجع 5% عام 2020 بسبب وباء" كوفيد-19"، الشرق الأوسط، 22 ماي 2020،: <https://bit.ly/2Z4f84C>

² يمكن القول أن روسيا الإتحادية ضعيفة من الناحية التكنولوجية وفي الحقيقة عادة ما تهتم روسيا بأنها بلد لا يصدر سوى الغاز والنفط والسلاح وأعلن رئيس أكاديمية العلوم الروسية "ألكسندر سيرغيف" أن روسيا لا تزال تحتفظ بالتطورات التكنولوجية العالمية في قطاع الذرة والدفاع يحتفظ هذان القطاعان سلسلة كاملة لصناعة المنتجات الخاصة بهما، أي ابتداءاً من مرحلة إجراء البحوث العلمية النظرية وحتى مرحلة انتهاء عملية تصنيع المنتجات"، أما فيما يتعلق في مجال الإلكترونيات فهي تستورد بشكل كلي من الخارج وأغلب الموارد الاستهلاكية فالصناعة المتطورة في روسيا ليست جيدة ولكن لديهم منظومات دفاعية محلية ويمكن القول أن 99% من البرامج الغربية تراقب ما ينتج الروس ويمكنها وقفه والتحكم فيه من الخارج على حد كبير في القطاع المصرفي وأيضاً تراقب حركة الفيزا والماستر كارد وجميع الرواتب والمدفوعات الروسية ونضيف على ذلك فقط إدارة جيشهم محمية بالكامل من التطور التكنولوجي الاجنبي عليها. للمزيد أنظر في: نجاته عبد الصمد، هل تصمد روسيا أمام التكنولوجيا الأمريكية، جدة، 2020، نقل عن:

<https://bit.ly/3hX4iF3>

على تعزيز القوات النووية الروسية في مواجهة الاخطار المحتملة، وقد بدأت العملية منذ عام 2011، وشدد على أن مهمة تجهيز الجيش بأحدث الأسلحة والتقنيات العسكرية تمثل أولوية روسية.¹ على الرغم من انهيار الاقتصاد الروسي جراء الأزمة المالية 2008.

وفي سياق الجهوية العسكرية أيضا، فقد أجرت القيادة العسكرية الروسية العديد من التمارين العسكرية على استخدام الأسلحة النووية التكتيكية في معارك افتراضية بطريقة "المحاكاة"، والهدف منها إعداد قواتها وتهيئتها لخوض أي معارك محتملة باستخدام الأسلحة النووية ضد دول غرب روسيا. وقد ذكر التقرير السنوي للأمم العام لحلف الناتو لعام 2015، بأن القوات الروسية وعلى مدى ثلاث سنوات ماضية - حتى قبل غزو أوكرانيا - أجرت مناورات عسكرية لمحاكاة هجمات نووية على حلفاء الناتو وشركائه. وكان سيناريو أحد هذه المناورات (تمرين زاباد ZAPAD)، محاكاة هجوم باستخدام القنابل النووية التكتيكية على السويد، شاركت فيه قاذفتان للقنابل النووية التكتيكية طراز (توبوليف TU-22M3) من قاعدة شيكوفكا الجوية غرب روسيا، وتعتقد القيادة العسكرية للناتو بأن الروس لا يزالون يعتمدون على استخدام الأسلحة النووية التكتيكية، حتى في الصراعات المحلية أو الإقليمية.² لنتبت جهويتها مرة أخرى بمناورة عسكرية ضخمة في عام 2018 في شرق المتوسط مع الصين ومنغوليا³، وأخرى مع الجزائر نوفمبر 2019 في غرب المتوسط⁴، كما أن لها قواعد ومنشآت عسكرية خارج أراضيها تحفظ أمنها وأمن مجال نفوذها ومصالحها الاقتصادية.⁵

¹ حيدر زهير جاسم، روسيا الإتحادية مقومات القوة وتحديات المستقبل، مجلة دراسات دولية، العدد 67، بغداد، 2017، ص260.

² Jens Stoltenberg, **The General Secretary's Annual Report 2015**, NATO Public Diplomacy Division, Brussels, 2016, p.19.

³ لتفاصيل أكثر أنظر: أميرة أحمد حرزلي، المناورات الروسية في البحر الأبيض المتوسط: الدوافع وأهداف، المركز الديمقراطي العربي، 3 سبتمبر 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2F7YsIF>

⁴ يونس بورنان، مناورات بحرية بين الجزائر وروسيا لمواجهة الاخطار والتهديدات، العين الإخبارية، 2019/11/24، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QS1Unh>

⁵ تمتلك روسيا قواعد ومنشآت عسكرية في سوريا وخمس دول في منظمة معاهدة الأمن الجماعي - أرمينيا وبيلاروسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان - وكذلك في مناطق أبخازيا (جورجيا) وأوسيتيا الجنوبية (جورجيا) الانفصالية. وترانسنيستريا (مولدوفا). كما أن لديها عنصرًا عسكريًا هامًا في شبه جزيرة القرم المرفقة وقواتها موجودة في دونباس (أوكرانيا). تقريبا جميع القواعد والمرافق العسكرية التي تستخدمها روسيا هي إرث الاتحاد السوفياتي. في أرمينيا، تمتلك روسيا القاعدة العسكرية رقم 102، التي تخضع لقيادة المنطقة العسكرية الجنوبية (MD) هناك 3300 جندي ويمكن زيادة هذا العدد إلى 5000. مهمتهم هي حماية الحدود الجنوبية لروسيا بالتعاون مع القوات المسلحة لأرمينيا. في بيلاروسيا، توجد محطة لتحديد المواقع الراديوية في هانسيفيتشي (بالقرب من بارانوفيتشي) تراقب الفضاء الخارجي في الاتجاه الغربي، كجزء من النظام الروسي للإنذار المبكر ضد الهجمات الصاروخية، ومركز للتواصل مع الغواصات النووية في فيليكا (مقاطعة مينسك). وتستضيف القاعدتان المستأجرتان مجانًا حوالي 1450 جنديًا روسيًا. كما تقع ثلاث منشآت عسكرية روسية في كازاخستان. الأكثر أهمية هو نطاق اختبار Sary Shagan، حيث يتم اختبار الصواريخ بشكل رئيسي (يتم إطلاقها من Kapustin Yar، موقع إطلاق الصواريخ وتطويرها في روسيا). والبعض الآخر هو محطة الرادار 49 بالقرب من

هيكلية المؤسسة العسكرية الروسية: القوات المسلحة للاتحاد الروسي، هو الاسم الرسمي الذي يطلق على المؤسسة العسكرية الروسية والتي تأسست بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وذلك بعد أن وقع بوريس يلتسين في 7 مايو 1992 مرسومًا رئاسيًا بإنشاء وزارة الدفاع الروسية ووضع جميع جيوش القوات المسلحة السوفييتية على أراضي روسيا السوفييتية تحت سيطرة الفيدرالي الروسية الجديدة. ومع أن القوات المسلحة الروسية قد تشكلت في عام 1992، إلا أن الجيش الروسي تعود جذوره إلى زمن "اتحاد روس كريف" للسلاف الشرقيون¹. ويكون رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية هو رئيس روسيا "فلاديمير فلاديميروفيتش بوتين" قائدًا عامًا للقوات المسلحة، و"سيرغي كوجو غيتوفيتش شويغو" وزير الدفاع الروسي وجنرال الجيش.

بحيرة بلخاش، وهي جزء آخر من نظام الإنذار المبكر الروسي، ومركز الطيران التجريبي رقم 929. في عام 2016، كانت روسيا تدفع 3 ملايين دولار سنويًا مقابل استخدام هذه القواعد. كما أن هناك أربع منشآت عسكرية روسية في قيرغيزستان. والأهم هو قاعدة Kant الجوية رقم 999، والتي تعد جزءًا من عنصر الطيران لقوات الاستجابة السريعة التابعة لمنظمة معاهدة الأمن الجماعي (KSOR) والبعض الآخر: ساحة التجارب البحرية في بحيرة إيسيك كول، مرفق الاتصالات البحرية 338 "MAREVO"، مما يتيح الاتصال بالسفن العاملة في المحيطين الهندي والهادئ، ونقطة تحكم زلزالية تسمح باكتشاف التجارب النووية التي تقوم بها بلدان أخرى. تدفع روسيا قيرغيزستان سنويًا 4.5 مليون دولار لاستئجار مركز تدريب واتصالات إيسيك كول. وإجمالاً، يتمركز نحو 500 جندي عسكري روسي في قيرغيزستان. وفي طاجيكستان هي القاعدة العسكرية 201، والتي تستخدم أيضًا لقوات KSOR، حيث تستضيف ما يصل إلى 9000 جندي (حاليًا حوالي 5000). يوجد في جبال بامير ("Window") "Okno"، وهو مجمع لمراقبة الفضاء وهو جزء من نظام التحكم الفضائي الروسي. وفي أبخازيا، روسيا لديها السابع، وفي أوسيتيا الجنوبية توجد وحدتها الرابعة. كلاهما ينتمي إلى MD الجنوبي. تتمركز القوات الآلية في كليهما ولديها 3500 جندي. في المقابل، تم خلع مجموعتين عسكريتين في ترانسنيستريا. الأولى، التي يبلغ قوامها 400 جندي، تعمل كقوة حفظ سلام. والثانية، التي يبلغ قوامها حوالي 1100 جندي، تشكل المجموعة العملياتية للقوات الروسية. في شبه جزيرة القرم المرفقة، وفقًا للتقديرات الأوكرانية من ديسمبر 2019، كان هناك 31500 جندي روسي.

-خارج أراضي الاتحاد السوفييتي السابق، تمتلك روسيا قاعدتين عسكريتين فقط، في سوريا. أحدهما هو مركز الدعم الفني المادي البحري رقم 720 في ميناء طرطوس، والآخر هو قاعدة خميميم الجوية، التي تم تطويرها لتلبية احتياجات مشاركة روسيا في العملية العسكرية في ذلك البلد. وبغض النظر عن الصعوبات المالية الناجمة عن الأزمات في سوق النفط وباء COVID-19، ستحتفظ روسيا بشبكة من القواعد والمرافق العسكرية خارج البلاد. وعلى الرغم من حجم القواعد العسكرية الروسية إلا أنه لا يمكن لها أن تضاهي قوة الولايات المتحدة في ذلك التي تمتلك حوالي 800 قاعدة في 70 دولة، إلا أن القواعد الروسية هي عنصر مهم في مفهومها المتمثل في الحفاظ على مجال نفوذها كما وستحاول روسيا تحديد منشآت جديدة في مناطق رئيسية للمصالح السياسية والأمنية الأمريكية للحصول على تأثير سياسي إضافي على السياسة الخارجية الأمريكية، كما فعلت في سوريا. في السنوات القليلة المقبلة، ستسعى روسيا جاهدة لإنشاء قاعدة جديدة واحدة على الأقل. ستكون أولويتها تحديد موقعه في البحر الأبيض المتوسط، وتحديدًا في مصر، ومع ذلك، لم تسفر المحادثات حول القضية التي أجريت منذ عام 2016 عن نتائج، أو في ليبيا، التي كانت موضوعًا لاتفاق بين السلطات الروسية والجنرال خليفة حفتر، الذي تطمح إلى حكم هذا البلد. للمزيد أنظر في: مضمون الملحق رقم (04) ل:

-Anna Maria Dyner, **The Importance of Foreign Military Bases for Russia**, BULLETIN N° 112 (1542), (PISM) «Polski Instytut Spraw Międzynarodowych». The Polish Institute of International Affairs, 25 May 2020, page 1_2.pdf on the Link : <https://bit.ly/2F2HsgK>

¹ Greg Austin & Alexey Muraviev, **The Armed Forces of Russia in Asia**, Tauris, 2000, p130.

وتتشكل القوات العسكرية الروسية من: القوات البرية، القوات الجوية الفضائية، الأسطول البحري. وصنوف القوات: تتضمن قوات الصواريخ الاستراتيجية، قوات الإنزال الجوي.¹

أما عن حجم الإنفاق العسكري الروسي ففي ذلك غموض يرجع إلى أن الموازنة الروسية لا تكشف عادة تفاصيل ذلك، وتضعه تحت باب "الدفاع الوطني". ويرى الخبراء أن الإنفاق على التسليح كان دائما أعلى من الأرقام الواردة في الموازنة، لأن كثيراً من أبواب الإنفاق يخفى تحت عناوين معظمها "سلمي" وفي مجال الأسلحة النووية.

تمتلك روسيا قوة نووية هائلة، تعتبر أكبر ترسانة نووية في الوقت الراهن، ففي عام 2016 كان لديها 8500 رأس نووي. وضمت الترسانة النووية الروسية الموضوععة في الخدمة 1800 رأس إستراتيجي مثبت على صواريخ باليستية عابرة للقارات، وصواريخ باليستية تطلق من على متن غواصات وقاذفات إستراتيجية، و 2700 رأس إستراتيجي وتكتيكي ما زالت في الاحتياط²، ولا تكشف وزارة الدفاع الروسية عن معلومات تعلق بمخزونات الأسلحة النووية الروسية، مصنفة إياها بأنها معلومات سرية، لكنها تبلغ واشنطن بها بصورة مستمرة في إطار اتفاق روسي-أمريكي بهذا الشأن. ويصف الرئيس "أوباما" في الفترة الأخيرة قبل مغادرته البيت الأبيض روسيا بأنها قوة عسكرية عظيمة على المستوى العالمي، ليتراجع بذلك عن وصفه روسيا بأنها قوة إقليمية تهدد بعضاً من جيرانها.³ والجدول التالي يرصد إحصائيات عامي 2018 و 2019، لعدد الأسلحة النووية الموجودة في دول العالم.

World nuclear forces, January 2019

Country	Deployed warheads*	Other warheads**	Total 2019	Total 2018
USA	1 750	4 435	6 185	6 450
Russia	1 600	4 900	6 500	6 850
UK	120	80	200	215
France	280	20	300	300
China		290	290	280
India		130-140	130-140	130-140
Pakistan		150-160	150-160	140-150
Israel		80-90	80-90	80
North Korea	(20-30)	(10-20)
Total	3 750	10 115	13 865	14 465

¹ لتفاصيل أكثر أنظر: وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية، هيكلية القوات المسلحة لروسيا الاتحادية، على الموقع الرسمي: <https://bit.ly/3bnYMJj>

² للمزيد انظر في: إنجازات نشاط وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية في عام 2018، ومهام القوات المسلحة الروسية لعام 2019 (القوات النووية الإستراتيجية)، عن موقع وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية، الرابط التالي: <https://bit.ly/31WvFtx>

³ محمد الصفطاوي، مكانة روسيا في النظام الدولي وأثرها على إدارة الازمة السورية، جامعة الأزهر، غزة، 2016، ص 65.

Source : Armement, Disarmement and International Security, SIPRI Yearbook 2019.

_أما عن الإحصائيات الأخيرة لعدد الجيش الروسي فيقدر الحجم الإجمالي للقوات المسلحة. التي تأتي في المرتبة الخامسة عالميا من حيث العدد، إذ يبلغ عددها نحو: 69.122.776/ بزيادة سنوية تقدر بـ: 1.306.907/ اجمالي أفراد الجيش: 3.013.628/ أفراد في الخدمة: 1.013.628/ أفراد في الاحتياط: 2.000.000. جندي.

_أما من حيث إجمالي الإنفاق العسكري، فقد بلغ انفاقها العسكري لعام 2020 (48) مليار دولار.¹ يشكل المقوم العسكري حجر الزاوية في الإستراتيجية القومية العليا لروسيا الإتحادية، وأداة أساسية من أدوات إدارة أزماتها الإقليمية والدولية، كما يحقق أهدافها ومصالحها الاقتصادية القومية، وهذا يتضح من خلال حجم الانفاق العسكري المتزايد، والميزانيات الضخمة التي تم رصدها لتطوير وتحديث القوات المسلحة الروسية، رغم الصعوبات والأزمات الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد الروسي، بما يجعل منها قوة عسكرية عظمى لها وزنها في الساحة الدولية. ومن خلال ما تقدم نجد ان روسيا الإتحادية متفوقة في المجال العسكري ولها قوة وتأثير في ذلك المجال من ناحية بيع الأسلحة² أو إمتلاكها سواء كانت تلك الأسلحة تقليدية أو متطورة.

المطلب الثاني: الأداء الإستراتيجي لروسيا الإتحادية في سورية والشرق الأوسط

أولاً: روسيا الإتحادية في بحثها عن دور العالمية

منذ بداية التسعينيات وتفكك الإمبراطورية الروسية العظمى وبداية حدوث تقلص جغرافي أصبح لدى روسيا وقيادتها حلم جيوسياسي بتعميق التأثير والوجود في الفضاءات التي كانت تشكل عمقاً جيواستراتيجي للاتحاد السوفيتي سابقاً أو التي كانت ضمن حدوده، ولعل هذا ما يفسر التواجد الروسي القوي في كل الفرص السانحة أمامه، ذلك ليس السبب الوحيد فقط، بل أن شخصية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والتي تعكس في سماتها حلم يراوده والذي وظّف كل الإمكانيات الروسية لخدمة مشروع

¹Russia Military Strength (2020), Global Fire Power, Strength in Numbers, link: <https://bit.ly/2Z36N1p>

²بحسب بيانات جديدة نشرها معهد ستوكهولم لأبحاث السلام SIPRI، تعتبر روسيا المنافس الأكبر للولايات المتحدة في هذا المجال، حيث ان تجارة الأسلحة في عالم اليوم تعد من أهم الموارد الاقتصادية التي تعتمد عليها الدول العظمى، وقد استأثرت الولايات المتحدة وروسيا بأكثر من نصف صادرات العالم من الأسلحة خلال السنوات الخمس الماضية، كما ان روسيا لا ينقصها في المجال الاقتصادي سوى فتح الأسواق العالمية أمام منتجاتها الأخرى، وهذا الأمر يتطلب بناء علاقات أكثر قوة مع الدول الإستهلاكية لا سيما في منطقة الشرق الأوسط والقرن الإفريقي وهو ما تسعى إليه روسيا بالفعل. إن كل ذلك من شأنه ان يعيد لروسيا حيويتها في المجال الاقتصادي على الصعيد العالمي، أضف على ذلك أنه في حال عودة أسعار النفط إلى المستوى الذي كانت عليه بداية القرن الحالي، فذلك من شأنه أيضا أن يجعل من حركة النمو الإقتصاد الروسي. للمزيد انظر، هل ستصبح روسيا قوة اقتصادية عظمى، نقلا عن الجزيرة، بتاريخ 2019/12/20، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QOAVZQ>

روسيا قيصرية على ما كانت عليه من قبل ولكن اليوم بثوب يتناسب والتحديات الإقليمية والدولية وقدرة أكبر ومقدرة على الاستمرار، ولعل ذلك ما نلاحظه الآن في روسيا من خلال نظره المجتمع الروسي إلى دولته برغم المشاكل الاقتصادية التي تواجهها إلا أنها أصبحت ذات وجود مؤثر على خريطة السياسة العالمية. فقد عادت روسيا لتلعب دوراً فاعلاً، وتتخذ مواقف واضحة في العديد من القضايا الدولية والإقليمية، ساعدها في ذلك وجود قيادة روسية شابة متطلعة وواعية للأولويات الوطنية وقادرة على تنفيذ سياسات الدولة بكفاءة.¹

وعلى هذا الصعيد، استعادت روسيا الاتحادية مكانتها كقوة كبرى فاعلة ومؤثرة إقليمياً ودولياً²، بحيث أصبحت قادرة على الدفاع عن مصالحها وحلفائها، وفرض إرادتها في هذا الخصوص، حيث أصبحت تتخذ مواقف واضحة في العديد من القضايا الدولية والإقليمية. كما استطاعت بذلك تحجيم الأداء الإستراتيجي للولايات المتحدة وإعاقة حركتها في مواقف عدة وأبرزها في ذلك يتوضح جلياً في أزمة "أوسيتيا الجنوبية"³ 2008 ثم الأزمة السورية، الأمر الذي أكسبها احترام الدول الأخرى وأعاد الثقة في روسيا كشريك فاعل وهام.

تمتلك روسيا الاتحادية من مقومات القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والسياسية التي تؤهلها لممارسة دور بارز في النظام الدولي، فضلا عما تتمتع به من موارد طبيعية وثروات هائلة، لاسيما مصادر الطاقة التي تمثل عصب الحياة الاقتصادية، هذه المصادر المتنوعة تعد مرتكزات أساسية تعتمد عليها روسيا في صياغة سياساتها الخارجية وتعاملاتها مع الدول. وتحاول روسيا الاستفادة من مقومات القوة التي تمتلكها في ترغيب الآخرين للدخول تحت مظلتها من أجل تشكيل تجمع دولي يساند تطلعاتها الإقليمية والدولية ويعيد لها مكانتها عبر ضمهم إلى المنظمات الإقليمية والدولية التي تنتمي إليها والتي غالبا ما يكون الدور القيادي لها فيها، لاسيما وان اغلب المنظمات الإقليمية والدولية تحظى بالشرعية

¹مصطفى محمد صلاح، حدود التأثير ومستقبل الدور: الدور الروسي في الشرق الأوسط، مرجع سابق بالذکر .

²ومن مقومات القوة السياسية الروسية: أنها تعتبر عضوا دائما في مجلس الامن التابع للأمم المتحدة، والذي يعد وحدا من مؤشرات إمتلاك الدولة عناصر وعوامل القوى الكبرى، كونه لما تأسس عام 1945 مع تأسيس الأمم المتحدة أريد به تحصين قرارات المجلس، وتحديدا أعضاءه الدائمين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، فمُنحوا حق (الفيتو)، وخلال المدة اللاحقة على عام 1945، تغيرت عوامل القوة قليلا، وهي متعلقة ببروز اليابان وألمانيا إلى مصاف القوى الكبرى، إلا أنه لم يتغير حال النظام الدولي كثيرا بحكم كون القوى دائمة العضوية مازالت متربعة على عرش عناصر القوة عالميا، واليوم نرى روسيا عضوا دائما في مجلس الأمن، وتمتلك حق النقض، الذي عن طريقه أعاققت قدرة الولايات المتحدة على العمل تحت أغطية الشرعية الدولية بالعراق، وسوريا وإيران.. للمزيد أطلع: أمين المشاقبة، سعد شكر شلبي، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مرحلة ما بعد الحرب الباردة، دار الحامد، عمان، 2012، ص 80-83.

³للتفصيل عن الحرب الروسية-الجورجية 2008، ينظر: واثق محمد براك السعدون، الأبعاد الإستراتيجية للحرب الروسية-الجورجية آب 2008، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 34، 2014، ص 186-210.

الدولية لأنها في الغالب تتشكل ضمن إطار القانون الدولي، ناهيك عما سيوفره المجموع من عنصر قوة وامان وردع وتوازن امام الاخطار الخارجية.¹ بالإضافة إلى أن التوافق الروسي مع القوى الاقتصادية الصاعدة وخاصة الصين على أرضية صلبة في جميع المجالات بهدف إعادة رسم البنى التحتية والأمنية والمالية في العالم وفق المنظور المشترك الروسي - الصيني، والإعتماد على الإحتياط الضخم للغاز الذي تمتلكه روسيا، والقدرات الاقتصادية الصينية، بهدف إنشاء سوق عالمي يتحرر من سيطرة الدولار، وإنشاء منظمة للدول المصدرة للغاز على غرار منظمة الأوبك بقيادة روسيا، وكذلك التحالف مع قوى آسيوية أخرى لتعزيز السلام والأمن وبناء نظام سياسي واقتصادي عالمي يكون أكثر عدالة وتوازناً، كل هذا من شأنه أن يجعل روسيا قوة عظمى منافسة في شتى المجالات الدولية.²

ومن خلال ما قدمناه مسبقاً في عرض مقومات القوة الروسية يتوضح لنا أن السبب الرئيسي وراء تصاعد الدور الروسي في النظام الدولي وتزايد فعاليته، يعود في أحد أهم جوانبه إلى سياسات وتوجهات القيادة السياسية الحالية وعلى رأسها الرئيس بوتين، والذي تمكن من توظيف قدرات الدولة الروسية ومواردها على النحو الأمثل، واستغلاله الظروف الدولية الراهنة والتي تشهد تراجع دور ومكانة الولايات المتحدة وظهور بعض القوى الجديدة المنافسة للولايات المتحدة لا سيما على الصعيد الاقتصادي وأهمها الصين.

ثانياً: أولويات واتجاهات الإستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط لما بعد 2011

تعتمد الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط على خيارات مركزية وخيارات ثانوية ومن الأهداف الروسية المعلنة التأكيد على الرجوع الى زمن التعددية القطبية "Multilateralism" والتوازن بين القوى الدولية، لتعويض صيغة نظام الأحادية القطبية التي كانت واشنطن تستأثر فيه بالسيادة على العالم³، حيث تعمل موسكو على نزع المصداقية من الدور الإقليمي للولايات المتحدة الأمريكية وتخويف دول المنطقة من تنامي عدم اليقين والاستقرار في المنطقة.⁴ ولهذا فإن من اهم ثوابت الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط، الحرص على التواجد في المنطقة بشكل دائم، وبالأخص في سوريا. بداية من ميناء طرطوس لمراقبة الواجهة المتوسطية في المنطقة العلوية في سوريا وكذلك المشاركة بقوة وشجاعة في

¹ حيدر زهير جاسم، مرجع سابق، ص 260.

² منير مباركية، استراتيجيات القوى الكبرى في مواجهة سياسات الإحتواء الأمريكي حالي روسيا والصين، الجزائر، 2008، ص 162.

³ See more : Ekaterina Stepanova: **Russia in The Middle East back to a "Grand Strategy" or enforcing Multilateralism?**, Politique étrangère, Summer 2016, p10-11, Pdf Retrieved from: <https://bit.ly/3i0Anfa>

⁴ محمد عصام لعروسي، النزاعات المسلحة ودينامية التحولات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مجموعة النيل العربية، ط1، القاهرة، 2020، ص 191.

ترتيبات مرحلة ما بعد نهاية الحرب السورية من خلال الإشراف المباشر على المفاوضات ومسلسل السلام، والعمل على التحكم في مجريات المحادثات حول سوريا، وتوجيه شراع الأحداث في الإتجاه الذي يخدم سفينة المصالح الروسية في المنطقة. وعلى هذا الأساس، فإن روسيا تقدم نفسها على أساس الشريك الجدي الموثوق فيه لكل حلفائها محاولة الارتباط بعلاقات نفعية مع كل الدول بما فيها تركيا، إيران ومصر. كما أن التدخل العسكري الروسي في سوريا كما صرحت موسكو كان بهدف حماية حدودها وأمنها من المقاتلين الشيشان الذين التحقوا بمعسكرات داعش ومنعهم من العودة مجدداً الى حدود روسيا وكذلك محاربة تنظيم جبهة النصرة "جبهة فتح الشام" حالياً، فصيل القاعدة في سوريا الذي يطالب أيضاً بتوقيع عمليات انتقامية ضد روسيا.¹

فتدخلها كان مشفوعاً بمبررات استغلال الفراغ الجيوسياسي وأيضاً بعوامل داخلية. تحاول الاستراتيجية الروسية البديلة شرعنة وجودها في المنطقة من خلال تأكيد فشل الإدارة الأمريكية في عهد أوباما² على حل الخلافات العسكرية التي أغرقت المنطقة في حالة الفوضى الطائفية، وتميزت المواقف الروسية بعدم دعمها وتحفظها على مخرجات الحراك السياسي والاجتماعي الذي عرفته دول الربيع العربي، وفشل معظم الأنظمة في تحقيق الاستقرار والأمن. وجدت روسيا الفرصة المواتية للتدخل في المنطقة من خلال دعم نظام بشار الأسد ومنع سقوط سوريا ضمن دائرة الدول الفاشلة على خلاف الدور الأمريكي السلبي الذي حول ليبيا الى منطقة صراع بين الميليشيات العسكرية من جميع أطرافها العلمانية والإسلامية.³ ولذلك، حرصت روسيا على تجديد علاقاتها بدول المنطقة من خلال مدخل التعاون العسكري والاقتصادي، وخاصة بعد التدخل في سوريا وهي تستهدف اللعب على كل المحاور رغم الخلافات الموجودة بينها واختلاف تصوراتها وسياساتها، كالتعاون مع مصر والتنسيق مع المملكة العربية السعودية في مجال السياسة النفطية، والحفاظ على علاقات ايجابية مع إيران وتمتين العلاقات أيضاً مع (إسرائيل) التي تعتبر أكبر مستفيد من التناقض الجيوسياسي الموجود ومن انهيار الأنظمة العربية المحورية كالعراق مصر وسوريا.⁴

وفيما يتعلق بالدور الروسي في الانقسامات الكبيرة في المنطقة فقد استطاعت الدبلوماسية الروسية أيضاً التفاوض على عدد من الانقسامات التي بدت أنه لا يمكن حلها في الشرق الأوسط. فقد استطاعت روسيا

¹ محمد عصام لعروسي، مرجع سابق بالذکر، ص192.

²Jhon Hannah, **Russia's Middle East Offensive**, September 13, 2016, Retrieved from : <https://bit.ly/3hYC3WY>

³ Wiliam R.Polk, **Understanding Syria: From Pre-Civil War to Post-Assad**, The Atlantic, DEC 10, 2013, Retrieved from : <https://bit.ly/2Z4JB2R>

⁴Ekaterina Stepanova: op cit, p 11.

أن تُبقي على علاقات تعاونية جيدة مع الإسرائيليين والفلسطينيين، (إسرائيل) وإيران، إيران والمملكة العربية السعودية حتى إنها قامت بمناقشة مسائل خفض إنتاج النفط بين الدولتين، تركيا والكرد، وبذات الطريقة الحكومات المتخاصمة في طرابلس وطبرق في ليبيا، الانقسامات الطائفية-السياسية في لبنان. فليس هناك من لاعب رئيسي في الشرق الأوسط - ضمناً حزب الله وحماس - ليس لموسكو خط مفتوح وحوار حي معه.¹ كما تتجنب الاستراتيجية الروسية الجديدة استخدام الخطاب الأيديولوجي في خطاباتها الرسمية مع بلدان الشرق الأوسط، وتحاول موسكو أيضاً تجنب فرض وجهات نظرها بالقوة أو عن طريق الإكراه الاقتصادي في الحوار مع الدول والتجمعات السياسية في المنطقة فروسيا تحاول التركيز على القواسم المشتركة بدلاً من الاختلافات والتناقضات في معظم الحالات. وهي بذلك تعتبر سياسة واقعية للغاية، فهي لا تثير مسألة الحريات السياسية في إيران كما يفعل الغرب، ولا تحاول أن تنتقد سياسات (إسرائيل) في فلسطين وغزة، على الرغم من دعمها لها حل الدولتين.²

ثالثاً: أهداف استراتيجية روسيا الاتحادية في منطقة الشرق الأوسط بعد 2011

1: السياسة الخارجية الروسية محدداتها وحدود دورها في المنطقة

أصبح الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط الأكثر وضوحاً في كل الأزمات، حيث صار فلاديمير بوتين ضيفاً شبه دائم في المؤتمرات والقمم التي تتعاطى مع هذه الأزمات. بدءاً من زيارته المتكررة للقواعد الروسية في سوريا التي أصبحت وكأنها محميات خاصة تابعة للولاية الروسية، لنجده أيضاً مبدي اقتراحاته في لقاءات الازمة اليمنية بدبلوماسية ذكية، وفي الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي مع "محمود عباس" و"بنيامين نتنياهو". وفي الأزمة الليبية يحل "بوتن" ضيفاً على الحوارات التي تُبذل مساعٍ لترتيبها بين طرفي الصراع، ففي قمة برلين إلى جانب "ميركل" و"أردوغان" يتعاطى ببسر مع "خليفة حفتر" و"فايز السراج" مثلما يتعاطى في سوريا مع النظام والمعارضة.

فقد كان التدخل الروسي في سوريا إيذاناً بتغيير نوعي في الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، وانتقاله من مجرد التأثير على التطورات والأحداث التي تقودها قوى دولية أخرى، إلى الأخذ بزمام المبادرة والقيادة، ولا سيما في الملف السوري³. فقد استطاعت موسكو إحداث تغيير جذري في المعادلة السورية

¹ديميتري ترينين، ترجمة نضال إبراهيم، ماذا تفعل روسيا في الشرق الأوسط، الخليج، 2018/3/03، على الرابط التالي :

<https://bit.ly/2QttEry>

² ديميتري ترينين، المرجع السابق.

³تضمن أهمية سورية في المنظار الروسي في عدة عناصر أهمها:

- يسمح موقع سورية بأن يكون نقطة عبور لنفط المنطقة وغازها صوب أوروبا، ومن شأن وصول مسوقين جدد للطاقة إلى أوروبا إيجاد منافسة للغاز والنفط الروسيين، أو حتى بدائل عنهما، في ظل تحويل روسيا سلعها الطاقوية إلى أداة سياسية للتأثير على الحكومات الأوروبية.

كان له تأثير واسع النطاق على سوريا المنطقة بأسرها. وجاءت التطورات الأخيرة في الملف الليبي، لتؤكد هذا التوجه حيث قدمت روسيا بالتفاهم مع تركيا مبادرة لوقف إطلاق النار في ليبيا في 12 جانفي، أعقبها في اليوم التالي استضافة موسكو المحادثات بين طرفي الصراع الليبي، لتدخل روسيا بقوة في المعادلة الليبية أيضا، ليس كطرف دولي فقط إنما كطرف قائد ومبادر. وأكد ذلك دورها المحوري في الإعداد لمؤتمر برلين الذي حضره الرئيس الروسي بوتين، في سابقة لم تشهدها المؤتمرات السابقة بشأن ليبيا. إذن فروسيا باستراتيجيتها الجديدة وبحنكة قياداتها، استطاعت وبشكل نسبي أن تتخلص من بعض تبعات إرث الماضي، وتتجاوز التراجع السياسي والتجاري، بعد سنوات من الانكفاء والعزلة في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي، وذلك بفعل العديد من العوامل المؤثرة الداخلية والخارجية، من صياغة دور جديد من الفواعل والمتغيرات، وإعادة تعريف هويتها وتحديد أهدافها بدقة ضمن تفاعلات السياسة الدولية وتأثيرها في القضايا العالمية التي غابت عنها.¹

2: أهداف الدور الروسي في سوريا

تكشف خريطة الأهداف الاستراتيجية الروسية في سورية التناقض الكبير بين مصالحها والغايات التي جعلتها ستارة لتمرير تدخلها، وتسهيل اللاعبين المختلفين له، ويمكن حصر هذه الأهداف في هدفين كبيرين:

الهدف الأول: إسناد الصعود الروسي بأوراق قوة جيواستراتيجية عن طريق النفوذ في منطقة ذات حساسية عالية في السياسات الدولية، وشكل هذا الهدف قاطرة لمجموعة من الأهداف الاستراتيجية الروسية التي تشكل إعادة هيكلة ضرورية لمكانة روسيا وقوتها العالمية مثل: إعادة بناء القدرة العسكرية وتطويرها، عبر استخدام الفضاء السوري مختبرا لأنواع الأسلحة الروسية، في بيئة سهلة ولا تنطوي على مغامرات كبرى، انطلاقاً من حقيقة أن التدخل الروسي تم بضوء أخضر من اللاعبين الدوليين الكبار (الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا). استخدام سورية والشرق الأوسط ساحات لتوسيع النفوذ الروسي على الصعد العسكرية والدبلوماسية، وبوضوح ذلك هوية التدخل الروسي المتعددة الموصفات (وساطة، ومحاربة الإرهاب، وصنع السلام، وحل أزمة إقليمية متشعبة). وقف الثورات الملونة في ظل ديناميكية ثورية صاعدة، رأت فيها

- تقع سيطرة روسيا على الجغرافيا السورية (والتحكّم بها) في إطار استراتيجيتها صياغة عمليات إنتاج الغاز وبيعه تحت سيطرتها، بحيث تشرف شركاتها الأساسية على كل تفاصيل هذه العمليات، من خلال السيطرة على موانئ الشحن السورية وأنابيب نقل النفط والغاز عبر الأراضي السورية. ينظر في: عبد الرحيم عاصي، روسيا والطاقة في الشرق الأوسط تعزيز الأمن القومي، موقع 180، 21 فبراير/ شباط 2020. بالإضافة ل: غازي دحمان، السياسة الروسية تتصدع في سورية، العربي الجديد، 27 مارس 2020، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2F4ZLlm>

¹نوار جليل هاشم وآخرون، الإقترب الكبير: روسيا في الشرق الأوسط، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020، ص 20.

روسيا خطراً لمحاصرتها، خصوصاً أن هذه الثورات تستهدف الأنظمة التي ترى روسيا أنها تقع في غلافها الاستراتيجي والسياسي، بمعنى الأنظمة ذات الطبيعة والتركيبية والهيكلية القريبة من النمط الروسي. **الهدف الثاني:** التحكّم بخريطة نقل الغاز والنفط من المنطقة إلى أوروبا بعد الاكتشافات الكبيرة في البحر الأبيض المتوسط، إذ تعتبر روسيا أن أمن الطاقة "جزء من أمن روسيا القومي ودعامته الأساسية، وأداة مهمة في التأثير في سياستها الخارجية"، حسب المحلل الاستراتيجي الروسي، ألكسندر دوغين.¹

وفي سياق توجهات السياسة الخارجية الروسية، تبرز مجموعة من الملاحظات حول دوافع الدور الروسي في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط وحدود دورها، والتي يمكن أن نلخصها في التالي:

- وفق هذا التصور، يصبح الدافع الجيو-سياسي هو الدافع الرئيسي-وليس الوحيد- لاهتمام روسيا بمنطقة الشرق الأوسط، وهو المنطلق الأساسي الذي على أساسه تتسج شبكة علاقاتها بدءاً من التدخل العسكري في سورية، والتحالف مع إيران، وعقد اتفاقات مع تركيا، والاحتفاظ بعلاقات جيدة مع (إسرائيل)، وليس انتهاءً بالسعي لإقامة علاقات مع العراق ومصر ودول الخليج، وهو دافع مرتبط بالأمن القومي الروسي.

- كذلك بسبب شعور روسيا بالخيانة فيما حدث في ليبيا في عام 2011، حيث ان بعد امتناع روسيا والصين عن التصويت في مجلس الأمن على قرار (1973) الذي يفرض حظر جوي على ليبيا، دعمت الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو المعارضة الليبية التي استطاعت في النهاية إسقاط "معمر القذافي" وتم تشكيل حكومة جديدة، وهذا ما قاله الرئيس الروسي "لافروف" عام 2011 بأن "لديه تخوف من تكرار وقوع السيناريو الليبي لذلك ستفعل روسيا كل ما في وسعها لعدم حدوث ذلك في سوريا" لذلك قررت روسيا منع ذلك باستخدام حقها في الفيتو.²

- كما أن هناك عدة اتفاقات للحفاظ على المصالح الاقتصادية بين البلدين منها حول النقل الدولي الطرقي بالسيارات، مذكرة تفاهم للتعاون المشترك بين مجلس رجال الأعمال السوري والروسي واتحادات غرف التجارة والزراعة والسياحة والملاحة البحرية السورية، وعقد اتفاقية لإنشاء معمل لمعالجة الغاز شمال المنطقة الوسطى بين الشركة "السورية للغاز" وشركة "ستروي ترانس غاز" الروسية واتفاقية تحريم الاتجار بالمخدرات وغيرها من الاتفاقيات الأخرى التي تدل على مدى أهمية العلاقة بين البلدين.³

¹غازي دحمان، السياسة الروسية تتصدّع في سورية، مرجع سبق ذكره.

²موقف الصين من روسيا، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، بتاريخ فبراير 2012، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3hYzpQy>

³مايسة محمد مدني، التدخل الروسي في الأزمة السورية، مجلة كلية الاقتصاد العلمية، العدد 4، يناير 2014، ص 209.

- سوريا تمثل سوقاً هاماً للبضائع والتجارة الروسية في المنطقة العربية حيث أنها أحد أهم الشركاء العرب التجاريين لروسيا بنسبة 20 % من إجمالي التجارة العربية - الروسية وبصورة متنامية، وتعتبر روسيا سوقاً للسلاح الروسي، إذ تبلغ قيمة المبيعات العسكرية المنجزة والمتفق عليها خلال الفترة من 2006-2013 حوالي 8 مليارات دولار.¹

- تشكل القاعدة البحرية في سوريا (طرطوس) القاعدة الوحيدة لروسيا على شواطئ البحر المتوسط، وهي موجودة عملاً باتفاقية قديمة بين البلدين تعود لعام 1971، ولكن استمرارها كلف روسيا إعفاء لسوريا من ديون بلغت 9.8 مليار دولار عام 2006 ويمكن أن ترجع أهمية تلك القاعدة أنها تساعد روسيا في استعادة نفوذها في البحر المتوسط والشرق الأوسط وميناء محوري في التعاون البحري الروسي السوري وبالطبع هذا سوف يسهم في الغاية التي تسعى لها روسيا وهي أن تستعيد دورها على الساحة الدولية مرة أخرى.

- إلى جانب حصول روسيا على بعض التسهيلات كذلك في اللاذقية. المساندة الدبلوماسية المتبادلة بين البلدين، فإذا كانت روسيا قد ساندت سوريا في مواقف عديدة، فإن سوريا كانت من بين قلة من الدول التي أعلنت بشكل واضح تأييدها للعملية العسكرية الروسية في جورجيا عام 2008، وتأييدها للعب روسيا دوراً في الجهود الدبلوماسية لتسوية الصراع العربي-الإسرائيلي، إضافة إلى تأييد السياسات الروسية في الصراع الداخلي في داغستان والشيشان.²

- قوة العلاقات بين سوريا وإيران وهو ما يساهم في تعزيز العلاقات بين روسيا وإيران التي تمثل بعداً استراتيجياً مهماً لروسيا في الصراع الدولي الذي يدور في منطقة الشرق الأوسط، حيث أن إيران تمثل أهمية كبيرة لروسيا من خلال أنها البوابة الجنوبية لها وتساعد في المنافسة على المصادر البترولية وطرق نقل الطاقة من منطقة قزوين، والتي تشهد تنافساً كبيراً مع الشركات الغربية بالإضافة للتعاون النووي والعسكري بين إيران وروسيا.³

¹ أحمد محمد متولي، تأثير الصعود الروسي على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط - دراسة حالة الأزمة السورية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 2015، ص 164.

² وليد عبد الحي، السياستين الروسية والصينية من الأزمة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، إبريل 2012، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/31XwUbc>

³ طارق عثمان، روسيا والثورة السورية: محددات الموقف، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z73ITj>

- التخوف من انتشار عدوي الثورات العربية إلي المحيط الحيوي لروسيا¹، لأن روسيا تري أنه إذا حدثت حرب أهلية في سوريا سوف تنتقل عدوي هذه الحرب إلي مقاطعات روسيا نفسها في داغستان ومناطق القوقاز الشمالية، فعند مطالبة أحد الإسلاميين في داغستان بالاستقلال سوف يقود ذلك بقية الأشخاص في روسيا بحقهم أيضًا في الاستقلال، فضلًا عن انتشار الراديكالية الإسلامية "السنية"، والتي تدعمها قطر والسعودية بشكل كبير سيفتح الباب أمام ظهور القاعدة بشكل رسمي في الدول العربية، لأن روسيا تري أن الثورات تريد تمهيد الطريق لوصول الإسلاميين للسلطة، وهذا سيحد من دخول روسيا وخاصة أنها عانت كثيرًا في حربها على الإرهاب والتطرف على يد الإسلاميين في شمال القوقاز.²

_ طبيعة البناء السلطوي، حيث وجود نوع من التشابه بين النظامين في روسيا وسوريا والذي يقترب من الحكم الشمولي من خلال الصلاحيات التي يتمتع بها الرئيس، جعل هناك تقارب يدفع إلى تبني الدفاع على هذا النظام من قبل روسيا.

_ ترى روسيا ان السياق الذي اندلع فيه الحراك يعبر عن أزمة النظام العالمي والمخططات الأمريكية لنشر الديمقراطية دون الأخذ بنظر الاعتبار لخصائص الشعوب الاجتماعية والثقافية.³

- كما أن الأزمة السورية أصبحت تمثل بطريقة غير مباشرة ساحة للصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، حيث تري روسيا أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى إحكام قبضتها على المنطقة العربية والحد من الشراكة العربية المتنامية مع القوي الصاعدة التي تنصدها روسيا والصين، من خلال إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط مع القوي الآسيوية جغرافيًا وسياسيًا وإضعاف القوي الإقليمية الهامة العربية أو غير العربية، وخلق كيانات ضعيفة يسهل توجيهها ولا تهدد مصالحها في المنطقة العربية.⁴

¹ لتنظيم الدولة حضور إعلامي قوي في مواقع التواصل الاجتماعي الناطقة بالروسية، وهناك قناعة روسية بأن انتشار التطرف الإسلامي يعزز النزعات الانفصالية في داخل روسيا، ويشكل ثغرة يمكن أن يستغلها الغرب لتهديد الأمن القومي الروسي، حيث تزيد نسبة المسلمين في روسيا عن 17% من السكان. للمزيد أنظر: علي البغدادي، آفاق الدور الروسي في الشرق الأوسط، التقدير الإستراتيجي (94)، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، 2016/12/1، ص6.

² صلاح القلاب، بحجة "الإسلام الراديكالي" بوتين يشارك في الحرب الطائفية، جريدة الشرق الأوسط، يونيو 2013، العدد 12616، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/352mMAp>

³ ينظر في: عاطف معتمد عبد الحميد، روسيا والعرب: أوان البراغمية ونهاية الأيديولوجية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2014.

⁴ نورهان الشيخ، روسيا والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012، ص299.

لذلك تحاول روسيا أن تقف أمام الولايات المتحدة الأمريكية التي سعت لنشر نظم الدفاع الصاروخي، كما أن أمريكا هي السبب في اشتعال الثورات في أوكرانيا وجورجيا عام 2008.¹ وعن حدود دورها في المنطقة فإن السياسة الروسية تنطلق من رؤية تقوم على التعاون وليس المواجهة والصراع مع الولايات المتحدة كما كان الحال في ظل الاتحاد السوفيتي، ولا التبعية كما كان الحال في فترة الرئيس الأسبق بورييس يلتسين. فلم يعد هناك شرق أو غرب وإنما مجموعة من القوى الكبرى تقود العالم من بينها روسيا، والتي ترتبط بعلاقات تعاونية ومصالح حقيقية مع الولايات المتحدة وغيرها من القوى الكبرى. ورغم تأكيد روسيا الدائم على معارضتها للنظام الأحادي القطبية وأهمية وجود نظام دولي متعدد القوى، يتسم بالعدالة واحترام القانون الدولي والشرعية الدولية وبدور أوسع للمنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة، فإن روسيا ترتبط بمصالح استراتيجية وحقيقية مع الولايات المتحدة. لقد أكد الرئيس بوتين ذلك في أكثر من مناسبة حيث أشار إلى أن "روسيا لا تنوى منازعة أحد، ولكنها تملك أن تؤثر على عملية تشكيل النظام العالمي الجديد لكي يكون صرح العلاقات الدولية المستقبلي متوازناً". وبما أن الولايات المتحدة وروسيا أكبر دولتين نوويتين في العالم، ومن هنا فإن كلاً منهما شريك طبيعي للآخر في التعامل مع قضايا الأمن الدولي ومنع انتشار الأسلحة النووية. وفي حل مشاكل الإرهاب الدولي، وبينهما علاقات اقتصادية كبيرة...".

وقد عكست أزمة "أوسيتيا الجنوبية" عام 2008 حرص واشنطن أيضاً على عدم التصعيد مع موسكو، حيث شهدت الأزمة مواجهة حادة بين الولايات المتحدة وروسيا، خرجت منها الأخيرة منتصرة دبلوماسياً لتؤكد كون روسيا لاعباً دولياً لا يمكن تجاوزه، أو اختراق دائرة أمنه القومي، ولتصحح بعض الخلل في توازن القوى مع الولايات المتحدة إلى علاقة أكثر تكافئاً بين شريكين على قدم المساواة في إطار نظام متعدد القوى ينهي الاحتكار والانفراد الأمريكي في إدارة الشأن الدولي. وهو ما تأكد مرة أخرى خلال الأزمة السورية وتراجع واشنطن عن الضربة العسكرية التي توعدت بها دمشق لتؤكد أنه ليس فقط روسيا الحريصة على عدم التصعيد وأن واشنطن لا تقل حرصاً على ذلك من موسكو، وأن العلاقة بينهما تنتقل إلى ندية حقيقية وتوازن فعال. إذن لا تسعى روسيا إلى تحقيق مكاسب سياسية أو ممارسة دور أمني أو عسكري ينافس الوجود الأمريكي المكثف في المنطقة العربية.²

¹ مایسة محمد مدني، التدخل الروسي في الأزمة السورية، مرجع سبق ذكره، ص 211.

² نورهان الشيخ، التحديات والقيود: حدود الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 31 مارس

2014، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gTzeoB>

وعليه فإن عودة روسيا وبقوة، كشريك وفاعل رئيسي في قضايا المنطقة، أحد أبعاد ميلاد نظام عالمي جديد متعدد القوى أكثر توازناً، وأكثر عدلاً وإنصافاً، وعلينا نحن العرب أن نستوعب القراءة المبكرة للمتغيرات الإقليمية والدولية حتى نستطيع تعظيم فرصنا ومكاسبنا من هذه التغيرات.

رابعاً: آليات تنفيذ الاستراتيجية الروسية في منطقة الشرق الأوسط بعد 2011

"استكملت إدارة بوتين ما كانت بحاجة إلى إتمامه في فترة العقد الضائع، فرسمت حدودها الجيوسياسية وأهدافها في إطار عقيدة سياسية خارجية أمنية وعسكرية، وحددت الوسائل اللازمة لبلوغها" ويمكن تحديد وسائل تنفيذ الاستراتيجية الروسية في المنطقة من خلال الآليات التالية:

1: الوسائل السياسية: وتجلى الدعم السياسي الروسي للدولة السورية من خلال استخدام روسيا لحق النقض "الفيتو" في مجلس الأمن الدولي، عدة مرات لمنع صدور قرارات إدانة للدولة السورية، في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ العلاقات الدولية، متحدية بذلك المساعي الغربية المتواصلة لاستصدار هكذا قرار، حيث تم إحباط هذه المساعي في 16 مناسبة، حتى جويلية من عام 2020، من خلال 10 مرات فيتو مزدوج روسي-صيني.

التاريخ	الفيتو	قرارات أعضاء المجلس	مضمون القرار
14 أكتوبر 2011	روسي-صيني	عطلت مشروع قرار تقدمت به الجامعة العربية ودول أوروبية	قرار يدين النظام ويطالب بوقف انتهاكات حقوق الإنسان.. واستخدام القوة ضد المدنيين
04 فيفري 2012	روسي-صيني	أحبط مشروع قرار تقدمت به الولايات المتحدة ودول أوروبية والجامعة العربية	بشأن سحب جميع القوات العسكرية من المدن والبلدات، وضمان حرية التظاهر السلمي
19 جوان 2012	روسي-صيني	عطلت مشروع تقدمت بيه بريطانيا وفرنسا	بشأن وقف العنف في سورية، وتمديد مهمة المراقبين الدوليين.
22 ماي 2014	روسي-صيني	مشروع قرار فرنسي	يتعلق بإحالة ملف الحرب السورية للمحكمة الجنائية الدولية، والذي يعني أيضا بملاحقة مسؤولين في النظام السوري عن ارتكابهم جرائم حرب.
08 أكتوبر 2016	روسي	مشروع قرار فرنسي-إسباني	يدعو لوقف عمليات القصف في حلب، وفرض حظر للطيران في أجوائها.
05 ديسمبر 2016	روسي-صيني	مشروع القرار تقدمت به نيوزيلندا ومصر وإسبانيا	طالب جميع الأطراف المتقاتلة في حلب بهدنة مدتها سبعة أيام.
28 فيفري 2017	روسي-صيني	مشروع قرار صاغته فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة	يتضمن فرض عقوبات على النظام السوري لإستخدامه الأسلحة الكيماوية
12 أبريل 2017	روسي-صيني	مشروع قرار دعمته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا	يسعى لإجراء تحقيقات حول الهجوم الكيماوي على خان شيخون في إدلب، والذي أسفر عن مقتل 70 شخص.

تمديد عمل لجنة التحقيق الدولية في استخدام الأسلحة الكيماوية في سورية	مشروع قرار أمريكي	روسي	24 أكتوبر 2017
يمدد مهمة الخبراء الدوليين للتحقيق في استخدام الكيماوي في سوريا.	قرار قرار أمريكي	روسي	16 نوفمبر 2017
للتمديد للجنة تحقيق دولية بشأن استخدام الأسلحة الكيماوية لشهر.	مشروع قرار ياباني	روسي	18 نوفمبر 2017
التحقيق حول استخدام الأسلحة الكيماوية السورية، على منطقة دوما.	مشروع قرار أمريكي	روسي	10 أبريل 2018
طالبت مناقشة المستجدات شمال شرقي سوريا، وأقرت مشروع بيان يدين عملية نبع السلام التركية في شمال شرق سوريا.	5 دول أعضاء في الإتحاد الأوروبي	روسي- أمريكي	10 أكتوبر 2019
لفرض وقف إطلاق النار في محافظة إدلب في شمال غرب سوريا.	مشروع قرار عن ألمانيا وبلجيكا والكويت	روسي- صيني	19 سبتمبر 2019
تمديد مساعدات الأمم المتحدة عبر نقاط حدودية إلى 4 ملايين سوري لمدة عام	مشروع قدمته ألمانيا وبلجيكا والكويت	روسي- صيني	20 ديسمبر 2019
ضد تمديد إيصال المساعدات الإنسانية إلى شمال غربي سوريا عبر نقطتين حدوديتين مع تركيا.	مشروع قرار صاغته ألمانيا وبلجيكا	روسي- صيني	07 جويلية 2020

جدول: التسلسل الزمني لاستخدامات روسيا لحق النقض في القضية السورية

الجدول من إعداد الباحثة تجميع من عدة مصادر

وبذلك انتقل الصراع على سورية إلى مرحلة أكثر خطورة، مع استمرار الانقسام الدولي حول الأزمة السورية بين مؤيد وداعم لهذا الطرف أو ذلك، حيث تشاركت روسيا والصين الموقف ضد التدخل العسكري الغربي في سورية، بالمقابل عملت الولايات المتحدة الأمريكية على حشد المجتمع المدني ضدّهما في الأمم المتحدة من أجل فرض عقوبات على سورية.

2: الوسائل الدبلوماسية: استطاعت روسيا في السنوات الأخيرة أن تؤسس لنفسها سياسة خارجية مستقلة ومنفتحة على العالم، هذه السياسة التي لطالما اعتمدت على الأداة العسكرية كأداة رئيسية في تنفيذ سياستها وأدوارها الخارجية، عرفت تغيراً جذرياً منذ وصول القيادة الروسية الجديدة بقيادة "فلاديمير بوتين"، الذي أعاد الاعتبار للأداة الدبلوماسية واعتبرها الأداة الرئيسية في تنفيذ السياسة الخارجية الروسية في السنوات القادمة، والتي ستمكنها من استعادة هيبتها واستعادة دورها ومكانتها العالمية المفقودة منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، وتبعاً لنظرية الدور فإن كل دولة ذات موقع إستراتيجي وتراث تاريخي وحضارة متميزة، وذات قوة اقتصادية وعسكرية، تشعر بواجبها بل وبحقها في المشاركة في تحديد مصير العالم حتى وإن كانت وسائلها في مرحلة معينة محدودة.

وعليه فقد وظّفت الوسيلة الدبلوماسية في إدارة علاقاتها مع دول الشرق الأوسط وخدمة إستراتيجيتها فيها، وفي ظل الاحداث المتتالية التي شهدتها المنطقة، توالى الزيارات سواء من الجانب الروسي أو من جانب دول المنطقة نحوها، بهدف تطوير وتعميق الثقة لدى شعوب المنطقة معتمدة على سياسة روسية متمسكة بقواعد القانون الدولي، ونشطت الدبلوماسية الروسية في العديد من قضايا المنطقة، فمثلا على مستوى الملف النووي الإيراني، نجد الدبلوماسية الروسية قد تعاملت مع الأزمة ووضعت حدود لها:¹

أولها: عدم تأييد التعامل العسكري مع الأزمة بأي شكل من الاشكال.

ثانيها: عدم تأييد فرض عقوبات اقتصادية شاملة ضد إيران، حيث أنها تؤثر على المصالح الاقتصادية الروسية معها، وكذلك عدم فرض حظر شامل على البرنامج النووي الإيراني، وقد استخدمت الفيتو داخل مجلس الأمن أربع مرات للحيلولة دون ذلك.

3: الوسائل الاقتصادية: بدءاً بتطوير العلاقات الثنائية مع الأقطار العربية والتنظيمات الإقليمية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، مروراً بالوقوف في وجه الهيمنة الأميركية بكسر الأحادية القطبية من خلال "منظمة شانغهاي" للتعاون في مجال الأمن، و"مجموعة البريكس" للتعاون في المجال الاقتصادي وخلق توازن في القضايا العالمية، الأمنية، المالية والاقتصادية وصولاً إلى اتباع خيار المسارات المتعددة في علاقاتها مع الدول التي تحتضن التيارات الإسلامية.

ومن الوسائل المستخدمة أيضا لتحقيق الأهداف: ربط تفسير التطورات في المنطقة من قبل الدبلوماسية الروسية بمواقف الرأي العام العربي الذي يحمل الولايات المتحدة الأميركية مسؤولية ما يجري، ويؤكد خطأ الظن بصدق نيات واشنطن في تدخلها في المنطقة.

4: الوسائل العسكرية: تعتبر الوسائل العسكرية هي الخيار الاخر الذي يمكن أن تلجأ إليه الدولة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية، فتستخدم الوسيلة العسكرية عندما يتعلق الأمر بمواقف دولية ذات صلة بمتطلبات الأمن القومي، فاستخدام هذه الوسيلة يكون في حدود ضيقة نظراً للعواقب الوخيمة التي تنتج عنها خاصة في ظل انتشار أسلحة الدمار الشامل، ويتم توظيفها في إطار مجموعة من الصيغ منها: تقديم المساعدات العسكرية، مبيعات الأسلحة، وغيره من المساعدات.

وفي هذا كان التركيز على بيع السلاح كإحدى الأدوات الأساسية في تنشيط العلاقات الروسية مع دول المنطقة باعتبارها سوقاً مهماً للسلاح الروسي². ومن الأمثلة على ذلك، الصفقة التي تم عقدها لإمداد

¹ مایسة محمد مدني، التدخل الروسي في الأزمة السورية، مرجع سبق ذكره، ص 213.

² Read more ; Marcus Weisgerber and Carloline Houck, **Charted : Here sHoz the Cost of the F-35 is Changing**, Defence One, February 15, 2017, at : <https://bit.ly/3hZQnhz>

سوريا بـ 36 وحدة من نظام "باننسير-س 1"، بالإضافة إلى توقيع اتفاقية بين روسيا والمملكة العربية السعودية للتعاون في المجالين العسكري والتقني.¹ كذلك مع مصر التي عقدت معها صفقات ضخمة، ففي 18 آذار/ مارس 2019 كشفت صحيفة "انترفاكس" الروسي وخبراء عسكريون مصريون أن القوات الجوية المصرية تعاقدت لشراء 24 مقاتلة جوية روسية الصنع من طراز Su-35 بصفقة تقدر قيمتها بحوالي 2 مليار دولار تشمل المقاتلات والتجهيزات الخاصة بها. وأن الصفقة دخلت حيز التنفيذ في نهاية 2018، ومن الممكن أن يتم البدء في تسليم المقاتلات خلال الفترة "2020-2021".²

5: المساعدات الإنسانية: تستخدم موسكو مؤخراً المساعدات الإنسانية تجاه العديد من الدول العربية والأجنبية منها، وسيلة تحمل وراءها غايات وأهداف سياسية تختلف من دولة لأخرى، وقد استعانت بذلك في سوريا لشراء الولاء السياسي وتعزيز صورتها بشكل أفضل، وفق ما خلاص إليه تقرير لمنظمة "أتلانتك كاونسل"، بعد مسح لنشاط المنظمات الموالية لها. وقال التقرير إنه انطلاقاً من خريطة المناطق التي قدم فيها المركز الروسي للمصالحة بين الأطراف المتنازعة في سوريا المساعدات على مدى فترة 18 شهراً (بين عامي 2018 و 2020)، يمكن تكوين صورة لتكتيكات القوة الناعمة الروسية في سوريا.

من خلال شبكة تتكون من ثلاث عشرة منظمة على الأقل، تطور نفوذ روسيا في القطاع الإنساني السوري منذ عام 2016. وترتبط بعض هذه المنظمات، مثل البعثة الإنسانية الروسية، بعلاقات وثيقة مع الدولة الروسية. ووفق التقرير فإن مركز المصالحة بين الأطراف المتنازعة في سوريا المرتبط بوزارة الدفاع هو أحد أكثر الكيانات الإنسانية نشاطاً، ويشتهر بالسمسرة في صفقات الاستسلام مع المعارضة حول دمشق وحمص وجنوب سوريا. ويشير التقرير إلى أن لجنة دعم سوريا المؤقتة قامت بـ 735 مهمة إنسانية في 244 موقعاً حول سوريا في الفترة من نوفمبر 2018 إلى أبريل 2020، لكن هذه المساعدات كانت بغايات سياسية. ومن نوفمبر 2018 إلى أكتوبر 2019، تم التركيز أكثر على مدينة دير الزور، حيث

¹ جورج الخوري، السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 105، تموز 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3boUwsZ>

² ورغم تسرب أنباء عن مصادر مصرية أن المناقشات حول الصفقة الروسية سوف يعاد النظر فيها، في ظل التحذيرات الأمريكية، ترى "بوابة الدفاع المصرية"، القريبة من الجيش المصري، أنه "من المستبعد أن تفرض واشنطن على القاهرة أية عقوبات، نظراً للمصالح الاستراتيجية التي تربطها معاً، والتي يأتي على رأسها الدور المصري في استقرار الإقليم وحفظ السلام والأمن ومكافحة الإرهاب ومعالجة النزاعات وتأمين حركة الملاحة في البحر الأحمر وشرق وجنوب البحر المتوسط.. إلخ". للمزيد أكثر ينظر في: يوسف أحمد، تقرير: صفقات السلاح المصرية الروسية، مركز برق للسياسات والاستشارات، 17 جوان 2019، متوفر على:

<https://bit.ly/2GsrV4i>

أعطت موسكو الأولوية للمساعدات الإنسانية، لأن الاحتياجات كانت عالية بعد الحرب ولتقويض الجهود العسكرية الأميركية في المنطقة¹.

ومن خلال الموقف الروسي الداعم للأزمة السورية بكل الوسائل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، فإنه يوجه بذلك رسالة واضحة إلى حلفاء روسيا وإلى الدول الأخرى في العالم بأن روسيا تدعم حلفائها بالفعل، وبأنها حليف موثوق به في أوقات الأزمات، وذلك خلافاً للسياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها مؤخراً.

خامساً: مراحل تطور الأداء الاستراتيجي الروسي في سورية

يواجه الأداء الاستراتيجي الروسي في سورية تحديات مستجدة، من شأنها التأثير على فعاليته، بالشكل الذي ظهر به منذ التدخل الروسي. وتأتي هذه التحديات نتيجة جملة من التحولات، تراكمت على مدار السنوات الماضية، ولكنها بدأت تظهر في المشهد السوري بوضوح، الأمر الذي بات يتطلب صياغة قواعد جديدة للعبة، بعد أن أصبحت قواعد اللعبة القديمة، والتي تم وضعها بداية التدخل الروسي، غير صالحة بحكم المتغيرات والوقائع وظروف اللاعبين. وأيضاً بسبب سياسات روسيا تجاه اللاعبين الآخرين. ومنذ سنة 2011، صممت روسيا حملة متطورة من الجهود العسكرية والدبلوماسية بهدف تشكيل مسار الحرب وفقاً لمصالحها الخاصة. وفي سبيل إنجاز مهمتها، عملت روسيا على تعزيز مكانة بشار الأسد العسكرية، عبر جعله الفاعل الأقوى من بين الفاعلين المحليين، ومن ثم عملت على تشكيل مفاوضات دولية، من منطلق دورها وسيطا وليس طرفاً في الصراع، وحصلت على اعتراف إقليمي ودولي بهذا الدور²، لكن السلوك الروسي اللاحق، وإصرارها على فرض حقائق تخدم سياساتها وأهدافها الجيوسياسية البعيدة المدى في سورية، أضعفا مصداقيتها، وانعكس ذلك واضحاً على مسارات حل الأزمة التي صممتها (مساراً أستانة وسوتشي)، والتي أصبحت هشة، وغير صالحة للسير بالأزمة السورية إلى بر الحل السياسي. والمسارات التالية توضح ذلك:

1: المسار السياسي الدبلوماسي: برزت مكانة سوريا في أولويات السياسة الخارجية الروسية، من خلال الدور الدبلوماسي النشط والبارز الذي لعبته الدبلوماسية الروسية في الأزمة السورية منذ بدايتها في 2011 إلى غاية اليوم، فقد حاولت روسيا أن تساهم في الحل السياسي للأزمة السورية على الصعيد الدولي، وذلك من خلال الجهود التي قدمتها روسيا في مجلس الأمن الدولي، والتي دافعت فيها على مبدأ

¹ مساعدات روسية في سوريا.. مواقع النشاط "الإنساني" تكشف أهدافه، الحرة، ترجمات واشنطن، في 25 جوان 2020، على

الرابط التالي: <https://arbne.ws/32QBW9g>

² للمزيد اطلع على الدراسة الأميركية حول الموضوع ل: جنيفير كافاريليا وجيسون زاو، هل وصلت دبلوماسية روسيا في سورية إلى طريق مسدود؟، معهد دراسات الحرب الأميركي ISW، ترجمة: مركز إدراك للدراسات والاستشارات، نوفمبر 2019، ص 26.

عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وعدم اصدار أي قرار يدين نظام "بشار الأسد"، بالإضافة إلى طرحها مختلف المبادرات السياسية لتسوية الأزمة السورية، ووضعت نفسها كوسيط في العديد من المفاوضات بين النظام والمعارضة. كما أن الدور الدبلوماسي الروسي في الأزمة السورية، محكوم بمصالح سياسية واقتصادية، وأن مكانة روسيا كقوة عالمية مربوط بمستقبل الأزمة السورية، وبأن مفاتيح اللعبة السياسية موجودة في يد الدبلوماسية الروسية، وبالتالي فإن أي تسوية ستحدث في سوريا، ستكون محكومة بما تريد روسيا تحقيقه في سوريا، ألا وهو أن سوريا سوف تبقى حليفا إستراتيجيا لروسيا، سواء كان ذلك ببقاء نظام "بشار الأسد" أو بسقوطه.

قامت روسيا في إطار تنشيط دبلوماسيتها بزيارات عديدة، كان أولها في 12 نوفمبر 2011، إلى سوريا في إطار ما يعرف بـ "زيارات السلام"، على أمل البحث عن حلول سياسية لحل الأزمة السورية.¹ كما شاركت روسيا في الإعداد لعدة مؤتمرات على غرار "مؤتمر جنيف" الذي عقد بتاريخ 30 جوان 2012، في محاولة لإدارة النزاع دبلوماسيا، وسعت لفرض سيطرتها على البيان، باعتبار الأسد جزءا من المرحلة الانتقالية. كما ترعى روسيا محادثات "أستانا"² بين النظام والمعارضة في محاولة منها لجلب المفاوضات، في صف يمكنها من التحكم أكثر والضغط أكثر على سير المفاوضات، حيث انها حققت من خلالها نوعا من النجاح على ارض الواقع في محاولات وقف إطلاق النار المؤقت، وذلك ما لم تحققه مؤتمرات عديدة لجنيف، إلا أنه وبالرغم من تعدد جولات "أستانا" و"سوتشي"، تبقى الجهود الدبلوماسية إلى حد الآن عاجزة على إنهاء وحسم الحرب السورية.

وأفضت التحركات الدبلوماسية الروسية في ظل الإصرار الأمريكي على توجيه ضربة عسكرية لسوريا، إلى طرح روسيا لمبادرة تجنبها الدخول في حرب. حيث أعلن وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" في مؤتمر صحفي عقد في 9 سبتمبر 2013 أنه إذا كان من شأن فرض رقابة دولية على الأسلحة الكيميائية السورية أن يوقف التدخل العسكري في سوريا، فإن روسيا على استعداد للعمل مع الجانب

¹مازن جبور، الحراك الروسي في سوريا، (وجهات نظر) مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سوريا، 2016، ص 6. مقال نشر بتاريخ 2016/01/13، متوفر بصيغة PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3iHYDTW>

²محادثات "أستانا للسلام في سوريا: هي محادثات جرت بين ممثلي الدولة السورية وعدد من قادة فصائل المعارضة السورية برعاية روسية وتركيا وذلك في العاصمة الكازاخستانية "أستانة" في 23 و24 يناير 2017، وكان رعاة الحوار كل من ممثلي دول روسيا وتركيا وإيران والولايات المتحدة والمبعوث الأممي إلى سوريا "ستيفان دي ميستورا"، للمزيد حول الموضوع ينظر في: يحي دبوب، مؤتمر أستانا: ما بعده.. تماما كما قبله، الأخبار، 24 جانفي 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/31X8nDW>

السوري بهذا الشأن¹، ورحبت العديد من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة بهذه المبادرة لكنها أبقت احتمال اللجوء إلى التدخل العسكري قائماً في حالة فشل هذه الجهود الدبلوماسية. ونجحت روسيا من خلال هذه المبادرة في تحقيق نصر دبلوماسي، إذ أثبتت نفسها كقوة فاعلة لا يمكن تجاوزها في الأزمة السورية، ونجحت في منع توجيه ضربة عسكرية لسوريا، لذلك فتعد صفقة الكيماوي تكريس لمبدأ إدارة الأزمة السورية. وتزامن هذا مع استعراض لقواتها في الشرق الأوسط في رسالة واضحة بأنها لن تسمح بتوجيه أي ضربة لإسقاط النظام، كما وعززت موقعها على الساحة الدولية والإقليمية². وعلى هذا السياق أيضاً، أعلنت روسيا عن فتح "المركز الروسي للمصالحة في سوريا" بتاريخ 2016/02/23، وذلك بموجب اتفاق روسي-أمريكي على وقف إطلاق النار في سوريا، وحدد دوره في إبرام اتفاقيات وقف إطلاق النار، وإيصال المساعدات الإنسانية، ويعمل بشكل وثيق مع الأطراف المتحاربة في سوريا، ويدون الملاحظات، بالإضافة إلى أنه يتبادل المعلومات مع الأمريكيين، ويستقبل معلومات من روسيا ثم يقوم بمعالجتها، وبالتالي الحصول على معلومات كاملة عن كل ما يحدث في سورية³.

وقد صدر تقرير عن المركز بتاريخ 2018/07/12 يشير إلى أن المركز يواصل عمله في تسوية الأزمة السورية بطريقة سلمية، وتقديم المساعدات الإنسانية، حيث ساهم في عودة 71977 شخص من مخيمات

¹الحل السياسي لقضية الأسلحة الكيميائية السورية: في الوقت الذي بدت فيه الولايات المتحدة مترددة في اتخاذ القرار، على الرغم من تهديدها بتوجيه ضربة عسكرية لسورية، بدت روسيا نشطة وقوية ومصرة على إستعادة دور الإتحاد السوفيتي كقطب فاعل ومؤثر في الساحة الدولية، فاستطاعت إعادة الدولة السورية كعضو متعاون مع الأمم المتحدة في نزع السلاح الكيميائي، وذلك بعد انضمامها رسمياً إلى معاهدة حظر الأسلحة الكيميائية، وشكل هذا القرار نقطة الإنطلاق لإتفاق روسيا والولايات المتحدة الأمريكية حول الخطوات المشتركة التي ستتخذها للتعامل مع السلاح الكيميائي في سورية. من جهة أخرى، مثل هذا الاتفاق الملاذ الآمن للدبلوماسية الأمريكية، وأحد الحلقات المهمة في الدبلوماسية الروسية الجديدة في الشرق الأوسط، وترجم ذلك من خلال اتفاق "جنيف الكيميائي" الذي تم بين وزير الخارجية الروسي "لافروف" والأمريكي "جون كيري". وبذلك تم حل قضية الأسلحة الكيميائية في سورية بناء على مبادرة ومساعدة روسية. للمزيد ينظر في: حسون محمد وناصر أحمد ومحمد مالك، السعي الروسي عبر التحالفات الدولية والأزمات الراهنة لإقامة نظام دولي متعدد الأقطاب، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلة جامعة تشرين للبحث والدراسات العلمية، المجلد 37، العدد 2، 2015، ص367.

²محمود حمدي أبو القاسم، التوافق الروسي الأمريكي حول نزع الكيماوي السوري هل تراجعت احتمالات العمل العسكري؟، ملف الأهرام الاستراتيجي، العدد 226، القاهرة، أكتوبر 2013، ص168.

³تعرف على مركز المصالحة الروسي بسوريا، موسوعة الجزيرة، في 2018/04/01، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/32smkcy>

اللاجئين إلى منازلهم بـ"الغوة الشرقية"، وتم تقديم 4.3 طن من لغاز في "درعا"،¹ ومن جهة أخرى يعقد ممثلو المركز مباحثات مع شيوخ الأرياف والفصائل المسلحة.² كما ساهمت الاستراتيجية الدبلوماسية الروسية في سورية بدورها في بعث عملية إعادة اللاجئين السوريين، من خلال تحمّل بعض الأعباء عبر نشاطات "مركز استقبال وإيواء وتوزيع اللاجئين" الذي استحدثته وزارة الدفاع الروسية.³

2: المسار العسكري (التدخل المباشر)

إن الخيار السلمي لتسوية الازمة السورية يعد من أهم المبادئ التي سعت روسيا لتحقيقها كبديل لخيار التدخل العسكري، غير أن استبعادها من أي تسوية سلمية للآزمة يعني خسارتها المؤكدة ليس فقط لمصالحها في هذه الدولة، وإنما لمكانتها في النظام الدولي ككل. وبالتالي فإن المصالح الروسية في سورية وفي منطقة الشرق الأوسط ككل ستبقى مرتبطة بالأوضاع التي ستؤول إليها الأزمة السورية وبقدرة روسيا على الاستمرار في لعب الدور الأساسي فيها، لذلك حرصت روسيا على دعم الجيش العربي

¹الدعم الاقتصادي الروسي لسوريا: أن روسيا تعطي أولوية قصوى تتمثل في تأمين القمح والمواد الغذائية التي تحتاجها سوريا وإيصالها في أسرع وقت ممكن، نظراً لأن أغلب المناطق التي يخرج منها القمح تقع تحت سيطرة المسلحين، تقديم المساعدات الإنسانية التي بلغت نحو 3 أطنان من المواد الغذائية والأدوية وحليب الأطفال وكراسي للمعوقين، وللتضامن السياسي، ولتنشيط للعالم أن روسيا مازالت إلى جانب سورية شعباً وقيادةً، علماً أن الحكومة الروسية أرسلت أول دفعة من المساعدات للشعب السوري التي بلغت 26 ألف طن من القمح، كذلك أعلن "جينادي جاتيلوف" نائب وزير الخارجية الروسي أن روسيا ستزيد من كمية المساعدات الإنسانية لسوريا عبر إرسال كميات إضافية إلى برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة وإلى اليونيسيف وعبر القوات الثنائية الروسية السورية. ينظر في (نورمان الشيخ، أبعاد الموقف الروسي من الثورة السورية، مجلة البيان، الرياض، 2013، ص258).

كما قامت روسيا بدعمها في مواجهة العقوبات الأمريكية والعربية والتركية، ففي 18 أغسطس 2012م قام وفد برئاسة "قذافي جميل" نائب رئيس الوزراء السوري آنذاك للشؤون الاقتصادية بزيارة روسيا لبحث مساعدة موسكو لدمشق في تخطي الأزمة الاقتصادية الناتجة عن العقوبات المفروضة عليها، وتم الاتفاق على أن تقوم موسكو بتقديم قرض لسوريا، وكمية من العملة الصعبة، والاستمرار في تصدير النفط ومشتقاته إلى سوريا، كما أن تقوم إيران وروسيا والصين بدعم نظام الأسد مالياً بما مقداره 500 مليون دولار شهرياً من المعاملات المالية تشمل صادرات النفط وخطوط تأمين مفتوحة وأيضاً ستساعد سوريا ضد ما سماه المؤتمر الأجنبية لإغراق الليرة السورية (سوريا نتلقى دعماً شهرياً بـ 500 مليون دولار من إيران وروسيا والصين، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 12632، 29 جوان 2013، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/33aoJsf>).

²تقرير مركز المصالحة الروسي في سوريا عن العمليات الإنسانية، الموقع الرسمي لوزارة الدفاع الروسية، بتاريخ 2018/06/19،

على الرابط التالي: <https://bit.ly/32XUX9F>

³ العملية العسكرية الروسية في سوريا حصاد 3 أعوام، الشرق الأوسط، بتاريخ 01 أكتوبر 2018، على:

<https://bit.ly/3gYvwX8>

السوري من خلال التدخل العسكري للجيش الروسي في سورية، وذلك بناء على طلب من الحكومة السورية.¹

أ_ التدخل العسكري الروسي المباشر في سورية

تختلف التحليلات السياسية في توصيف التدخل الروسي سواءً على صعيد تحديد ماهيته أو اتجاهاته أو على صعيد مشروعياته القانونية، وهذا الاختلاف يولد مفاهيم متناقضة يصعب من خلالها تحديد الملامح التكتيكية والاستراتيجية، وذلك عائد للمنهج التحليلي المتبع والمتسق مع اصطفاة المحللين سياسياً وفق رؤيتهم لتعريف القضية السورية ومستويات الصراع فيها، إلا أنه ووفقاً لقواعد المدرسة الواقعية في التحليل السياسي يمكن توصيف التدخل العسكري الروسي المباشر بجملة من التعريفات وفق الآتي:²

- هو خطوة فرضتها الضرورة الناشئة من اللحظة السياسية والعسكرية الحرجة في الملف السوري، حيث تبنت ملامح الخسارة الاستراتيجية للأدوات الخارجية الروسية واحتمالية تزايد فرص تعاضم هذه الخسارة أمام تنامي عدة عوامل يمكن ذكر أهمها بالآتي:
- تزايد الإنجازات العسكرية لقوى المقاومة في مقابل عجز متدحرج لقوى النظام السوري وميليشياته، الأمر الذي اقترب من قلب الموازين العسكرية في الجغرافية السورية ويهدد مشروع الحفاظ على ما بات يعرف بـ "سورية المفيدة"، لذا كان ضرورياً، وفق الاعتقاد الروسي، التدخل المباشر وضبط السيولة العسكرية وتقويضها وذلك لصد الأفعال المهددة للمصالح الجيوستراتيجية الروسية.
- تزايد التنافسية الإقليمية في السيطرة على محددات اللعبة في الملف السوري بحكم الهامشية الناجمة عن السياسة الأمريكية المترددة وغير المكترثة لجملة الصراعات الناجمة باستثناء "الحرب ضد الإرهاب"، وهنا تعتقد موسكو أن هذا التدخل سيصد طموحات بعض الدول الإقليمية (كالسعودية وقطر وتركيا) وسيجبر الفاعل الإيراني - الذي استنرد بالاستحواذ على إدارة ملفات النظام الاقتصادية والعسكرية وحتى التفاوضية- على صياغة سياسته وفق قواعد التعاون والبناء المشترك، ناهيك عن أن هذا التدخل سيحفز

¹في 30 سبتمبر 2015 أعلن رئيس الديوان الرئاسي الروسي سيرغي إيفانوف أن الرئيس السوري بشار الأسد توجه إلى روسيا بطلب تقديم مساعدة عسكرية لحكومته، لي طرح الرئيس فلاديمير بوتين على مجلس الاتحاد مشروع قرار يجيز للرئيس الروسي إرسال القوات المسلحة إلى خارج حدود البلاد لتقديم الدعم الجوي للجيش السوري في مواجهته تنظيم "داعش" الإرهابي، فصادق المشرعون الروس على القرار، الذي أطلق عنان الطائرات الروسية في نفس اليوم لتوجيه ضرباتها للإرهابيين ومواقعهم. ينظر أكثر في: خطوة غيرت

مسار الأزمة السورية، روسيا اليوم بالعربي، بتاريخ 2019/09/30، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3hXPeqV>

²للمزيد من المعلومات ينظر لـ: التدخل العسكري الروسي في سورية: قراءة تحليلية، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، (مسارات السياسة والعلاقات الدولية)، 17 أكتوبر/تشرين الأول 2015، ص 1-2.

بعض الدول الداعمة للثورة المضادة بالاصطفاف خلف الدب الروسي ويهيئ الفرصة لبلورة محور إقليمي بقيادة موسكو.

- إنَّ قُرب انهيار "الأسد" مع استمرار فشل جهود موسكو في خلق بديل له، يحتم على روسيا ضرورة الدفع باتجاه استمرار الأزمة وتعطيل ظروف عمل المسارات السياسية، الأمر الذي أوجب تدخلاً عسكرياً من شأنه إحداث تغيير في قواعد التعاطي السياسي والعسكري مع الملف السوري.
- هو عنوان عودة نوعية جديدة للفاعل الروسي إلى المنطقة، يعمل من خلالها على ملء الشواغر الناجمة عن محددات استراتيجية أوباما القائمة على مبدأ الإدارة من خلف وعدم الانخراط المباشر في ملفات الشرق الأوسط، تؤسس هذه العودة لمرحلة تحسين الشروط الروسية في المنطقة بعد سلسلة الخسارات الاستراتيجية التي منبت بها بعد ثورات الربيع العربي وبعد القضية الأوكرانية بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية الروسية التي لا تزال آخذة بالتعاظم، لذا فإن انتهاج مبدأ إدارة (الأزمة بالأزمة) ربما يحقق للفاعل الروسي فرصاً تهيئ له انفراجات استراتيجية، كما أنه يعمل على احتساب الشروط الروسية في جل الصيغ الأمنية والاستراتيجية في المنطقة .
- هو فرصة لروسيا قدمتها الأزمة السورية، كساحة مستباحة فيها اختبار روسيا لقدراتها العسكرية الجديدة،¹ ومن هذه القدرات إطلاق 26 صاروخ كروز من بحر قزوين، واستخدام الصواريخ لموجهة من قبل الطائرات الروسية في الحرب ضد الإرهاب والجماعات الإرهابية المتطرفة في سورية.
- يوفر فرصة لها لعرض تقنياتها ومعداتها العسكرية في سوق السلاح العالمي.

سوريا.. ساحة لتدريب المقاتلين الروس واختبار الأسلحة

قال وزير الدفاع الروسي "سيرغي شويغو" خلال مؤتمر عسكري في وقت سابق إن غالبية الطيارين المقاتلين قد سافروا إلى سوريا، وبحسب صحيفة "ريد ستار" العسكرية الروسية فإن 98% من أطقم النقل الجوي و90% من طواقم الطيران العملياتية والتكتيكية والجيش، وكذلك 60% من طياري الطيران بعيد المدى قد شاركوا في العمليات داخل الأراضي السورية.

ولفتت الصحيفة إلى أن ما يقارب من ثلث مختصي الدفاع الجوي الروسي، أي حوالي 32% من الجنود يعملون على تطوير كفاءتهم المهنية أثناء تنفيذ المهام في سوريا.

وكانت قناة روسيا اليوم عرضت تقريراً مصوراً مطلع العام الحالي للقوات الروسية داخل قاعدة حميميم في اللاذقية، أظهرت العناصر الروس وهم يتلقون تدريبات، حيث أشارت إلى أنهم يخضعون لتدريبات يومية بهدف تحسين مهاراتهم.

وكان رئيس اللجنة العسكرية في الجيش الروسي "إيغور ماكوشيف" صرح في وقت سابق، أن قيام بلاده باختبار الأسلحة في سوريا أتاح لهم إمكانية تحليل قدراتها وتعديل خطط تصميمها وتحديثها.

وترى صحيفة "ناشونال إنترست" أن روسيا استغلت تواجدها في سوريا لاختبار العديد من الطائرات بما في ذلك المقاتلة Su-35، والمهاجمة الإستراتيجية Tu-160، والمقاتلة الشبح Su-57 والعديد من الصواريخ والقنابل الذكية.

وقررت وزارة الدفاع الروسية وقف إنتاج 12 نموذجاً من الأسلحة بعد تجربتها في سوريا وثبوت فشلها، وقال "بوريس أوبسونوف" رئيس

مؤسسة الصواريخ التكتيكية الروسية: "لن أخفي الأمر، تم العثور على عيوب مختلفة في ظروف قتال حقيقية"، مضيفاً "بالنسبة لنا، أصبحت الحملة السورية اختباراً جاداً".

- يمثل فرصة لإظهار القدرات العسكرية الروسية للمجتمع الدولي، وبأن روسيا تعلمت من ماضيها وبأنها مستعدة تماماً لمواجهة أي تهديد لمصالحها ولأمنها القومي.
 - تطوير قدراتها المشتركة في مكافحة التمرد ومكافحة الإرهاب.¹
 - تساهم العودة الروسية هذه على المدى المنظور بداية تشكل أفق وملامح عامة جديدة ترجى أي حسم في مسارات التفاعل ضمن الإقليم، ويمكن ذكر أهم هذه الملامح كما في الآتي:
 - معادلة أمنية تضمن التوازن الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وحلفائها مع الاتحاد الروسي وحلفائه "الجدد" من جهة أخرى.
 - تأخير الحسم في مسارات جيوبولتيك الطاقة في المنطقة تلك المسارات المرتبطة ارتباطاً عضوياً بمستقبل القضية السورية، إذ تدرك روسيا جيداً أهمية موقع سوريا كونها مكاناً محتملاً لمرور شبكة أنابيب النفط والغاز إلى تركيا ومن ثم إلى أوروبا وهو ما يهدد هيمنتها على تصدير الغاز للقارة الأوروبية - تتجاوز حصة الغاز الروسي من إجمالي الواردات الأوروبية 64%-. لذا نراها اليوم تتدفع للاستثمار في قطاع الطاقة السوري لأنها تفضل أن يكون لها حصة في تطوير هذا القطاع بدلاً من أن تتنافس معه في المستقبل.
 - مراعاة تغييب الحركات الإسلامية بكل تدرجاتها من أي مشاريع للتغيير السياسي في المنطقة عبر تثبيت حوامل الثورة المضادة وتدعيم مفاهيم وكوادر الدولة "العميقة".
 - تثبيت أولوية مكافحة الإرهاب على حساب قضايا التغيير السياسي، وذلك عبر الاستمرار في الاستثمار والتوظيف السياسي غير المباشر للجماعات العابرة للحدود.
- أما من الناحية القانونية فتم النظر إلى التدخل الروسي بوجهتي نظر، الأولى باعتباره شرعياً وهذا مستمد من الوضع القانوني للنظام في القانون الدولي وأنه كيان له سيادة يحق له طلب التدخل العسكري من أية دولة أو جهة، أما الثانية فتعتبره احتلالاً بحكم أنه وجود أجني مسلح، يقوم بعمليات عسكرية مباشرة تستهدف البنية والجغرافية السورية، وانطلاقاً من ضرورة تحديد الوضع القانوني لهذا التدخل فإن الواقع السياسي في سوريا أفرز شرعية سياسية بديلة عن النظام ومعتراً بها من قبل أكثر من مئة دولة، ناهيك عن أن الأمم المتحدة ومنظماتها تتعاطى مع الطرفين بكافة قراراتها مما يدل على أن الشرعية السياسية بالعموم وعلى أقل تقدير يمكن وصفها بأنه يعترها الكثير من اللغط والخطأ، والقاعدة القانونية الكفيلة بمنع الشطط في هذه القضية هي ضرورة موافقة وتكليف مجلس الأمن، أما دون ذلك فهو عدوان

¹عهد جبر قطرب، دوافع الموقف الروسي في الأزمة السورية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (40)، العدد (2)، معهد كلية العلوم السياسي، جامعة دمشق، 2018، ص 201.

واحتلال، وهو بحكم الواقع كذلك خاصةً إذا ما ربطنا هذا التدخل وتوافقه مع إعلاناته الرسمية وأنه موجه لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية نجد أن السلوك التنفيذي لهذا التدخل لا يطال هذا التنظيم بل على العكس تماماً فهو يهيئ له الفرص بالتمدد عبر ضرب الخصم المشترك لكليهما وهو قوى المقاومة الوطنية ولتغليب كفة النظام وحلفائه على حساب الطرف الآخر وهذا نفس لقواعد إدارة الأزمة، التي تلزم الجميع بعدم التدخل المباشر إلا عبر المظلة الدولية.¹

ب_ أبرز محطات التدخل العسكري الروسي في سوريا

30 سبتمبر/ أيلول 2015²، هو التاريخ الذي بدأت فيه القوات الروسية عملياتها العسكرية في سورية. وخلال المقابلة التي أجراها الرئيس الروسي "بوتين" مع "تشارلي روز" في سبتمبر 2015، قيل أن يتوجه للجمعية العامة للأمم المتحدة، برر الوجود العسكري الروسي في سورية بأنه بموجب القانون الدولي، وذلك بقوله: "إن روسيا تعمل استناداً إلى ميثاق الأمم المتحدة، أي المبادئ الأساسية للقانون الدولي الحديث، التي يمكن بموجبها تقديم هذا النوع أو ذلك من المعونة، بما في ذلك المساعدة العسكرية، ويجب أن تقدم حصراً للحكومة الشرعية لبلد أو لآخر، وبناء على موافقتها أو طلبها، أو بناء على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وفي هذه الحالة بالذات نحن نعمل بناء على طلب من الحكومة السورية لتقديم المساعدة العسكرية والتقنية، التي نقدمها بموجب عقود دولية قانونية تماماً.³

وفي 15 مارس/ آذار 2016، قامت روسيا بسحب القسم الرئيس من مجموعتها العسكرية في سورية بناء على أوامر من الرئيس بوتين، بعد ان استمرت العملية العسكرية لمدة 168 يوم، اما القسم الباقي من القوات فحددت مهمته بمراقبة الالتزام بوقف إطلاق النار وتهيئة الظروف للعملية السلمية⁴، وذلك لأن سوريا أصبحت «خالية من تنظيم داعش (...). وفق وزارة الدفاع الروسية»، وكان ذلك بعد 5 أشهر ونصف على بدء التدخل، ليتبين أن الحاصل استبدال روتيني للقوات العسكرية، تزامن مع بدء توسعة قاعدة «حميميم» الجوية، وتحضير أماكن مضاعفة لسكن الضباط الروس وإقامة العسكريين، ولاحقاً بدأت أعمال التوسعة في قاعدة طرطوس البحرية الروسية، وتزامن كل ذلك مع انطلاق «مسار آستانة»، مع انضمام الرئيس التركي إلى الرئيسين الروسي والإيراني، وبدء مرحلة «مناطق خفض التصعيد»، وسياسياً

¹ التدخل العسكري الروسي في سورية: قراءة تحليلية، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص 2.

² هذا التدخل هو أول عملية عسكرية واسعة النطاق لروسيا خارج حدودها منذ انسحاب القوات السوفياتية من أفغانستان في 1989.

³ ÖZERTEM, H. Selim. *Russia's Shifting Strategy in Syria..Implications for Turkish Foreign Policy, case analysis*, Arab Center for Research and Policy Studies, Doha, Qatar, Aug 2015, p3.

⁴ نتائج عملية القوات الجوية الفضائية الروسية ضد الإرهاب في سورية، وكالة سيوتتيك الروسية، 21 آذار 2016، على الرابط

التالي: <https://bit.ly/3briPXg>

مرحلة تجويف «مسار جنيف» وتقديم طروحات مجتزأ للقرار الدولي 2254 بالسعي الدؤوب لشطب المرحلة الانتقالية، وهي أبرز مرتكزات أي حل سياسي حقيقي للأزمة السورية.¹

من جانبها أعلنت وزارة الدفاع الروسية، في 4 جانفي 2017 أن القوات الجوية الفضائية الروسية حررت بالتعاون مع الجيش السوري 12360 كلم² من الأراضي السورية من سيطرة الجماعات الإرهابية. مضيفة أنه تم أيضا تدمير 725 معسكرا خاصا بتدريب المسلحين، وكذلك 405 مصانع وورشات لإنتاج الذخائر العسكرية، كما أكد البيان على تصفية 35 ألف مسلح، من بينهم 204 قادة ميدانيين، وتدمير 1500 قطعة من المعدات العسكرية التابعة للإرهابيين. كما أعلنت وزارة الدفاع الروسية في 21 سبتمبر 2017 عن أن الجيش السوري وبدعم من القوات الروسية نجح في تحرير نحو 87.4 % من الأراضي السورية، التي كان يسيطر عليها تنظيم داعش منذ إطلاق روسيا عملياتها ضد الإرهاب في سورية 30 سبتمبر من عام 2015 وحتى 20 سبتمبر 2017. حيث نفذت قوات روسيا الجوية بشكل عام أكثر من 30 ألف طلعة قتالية أدت إلى تدمير 96828 موقعا للإرهابيين، ومن أبرز الإنجازات الميدانية التي حققها الجيش العربي السوري بدعم من روسيا تحرير مدينة حلب، وفك الحصار على دير الزور واستعادة مطارها.²

وفي عام 2018 أعلنت روسيا الانتصار العسكري وكشفت أن النظام السوري الذي كان يهيمن على نحو 18% من الأراضي السورية بات نتيجة التدخل الروسي يسيطر على أكثر من 60% إلا شرق الفرات وإدلب وأمكنة السيطرة التركية، والأهم تمثل في إعلان موسكو استخدام نحو 63 ألف عسكري، بينهم نحو 25 ألف ضابط ومئات الجنرالات، وهذا يفسر الاستخدام المكثف للعمليات الجوية، حيث يلعب الضباط المحترفون دوراً محورياً، وروجت موسكو دعاية تسويقية مكثفة لفعالية الأسلحة المستخدمة.³

وفي 11 ديسمبر من نفس العام خلال زيارته لقاعدة حميميم، أمر الرئيس "بوتين" بسحب جزء كبير من القوات الروسية من سوريا، على أن تبقى في البلاد على أساس دائم قاعدة حميميم ونقطة الإمداد البحرية في طرطوس.

¹ حنا صالح، أربعة أعوام على التدخل الروسي في سوريا، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 3 أكتوبر 2019، العدد (14919)،

على الرابط التالي: <https://bit.ly/2EzfBOK>

² الموقع الرسمي لوزارة دفاع روسيا الاتحادية، إنجازات نشاط وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية في عام 2018، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/31WvFtx>

³ حنا صالح، المرجع السابق.

ج _ الإحصاءات الروسية حول العمليات العسكرية في سوريا

كشفت روسيا مدى مشاركتها العسكرية في الحرب في سوريا.¹ وقد جاء في فيديو نشرته وزارة الدفاع أن أكثر من 63000 عسكري روسي "خاضوا تجربة قتالية" في البلاد منذ سبتمبر/أيلول 2015. وخلال تلك الفترة شنت القوات الجوية الروسية 39000 طلعة، ودمرت 121466 "هدفا إرهابيا"، وقتلت - بحسب ما أعلنته الوزارة - أكثر من 86000 "مسلحين"، كما وقدرت عدد 121.466 من "الأهداف الإرهابية" التي دمرت نتيجة الغارات الروسية.² ولم تذكر الوزارة أي شيء عن الإصابات بين المدنيين. وتقول جماعة "المرصد السوري لحقوق الإنسان"، المعارضة التي تتخذ من بريطانيا مقرا لها، أن عدد القتلى منذ بداية الحرب وصل إلى 511 ألف حتى مارس 2018، وخلفت سنوات من القتال المستمر 6.6 مليون نازح داخلي و5,6 مليون لاجئ في جميع أنحاء العالم.³

د _ مستوى الاستراتيجية العسكرية الروسية في سورية

على المستوى التكتيكي فإن إتباع نهج "الالتصاق بالعدو" في هذه المرحلة يعد الخيار الأكثر نجاعة في مثل هذه المواجهات، فكلما قصرت المسافة الفاصلة بين قوى المقاومة الوطنية وقوات النظام والمليشيات الأجنبية الحليفة له فتثيبت قواعد الاشتباكات ضمن مسافات قصيرة مع التمتع بمرونة التنقل على طول خطوط التماس سيصعب من مهام تحوّل سلاح المدفعية والطيران، أما على المستوى الاستراتيجي فيمكن اتباع عدة استراتيجيات يمكن ذكر أهمها:⁴

- تبني سياسة "الكمون الاستراتيجي": والذي يتمثل في امتصاص الضربات المبدئية، واستيعاب عنصر المفاجأة من خلال رصد التحركات واستقراء نمط العمليات المعادية، وتجنب استدرجها في مواجهات غير متكافئة في هذه الفترة الحاسمة.
- تنفيذ استراتيجية "إعادة التموضع": لتثيبت إحداثيات غرفة العمليات المشتركة ببغداد، وذلك من خلال عدة صيغ أبرزها: "الانتشار الكيفي"، وتجنب التجمعات، وشن حرب العصابات، وتنفيذ العمليات الخاصة، والمبادرة إلى "إعادة التشكيل".

¹ لمعلومات أكثر حول الموضوع اطلع على الملحق والمعنون ب: تقرير وزير الدفاع الروسي جنرال الجيش "سيرغي شويغو" خلال اجتماع القادة لوزارة الدفاع الروسية، بتاريخ 18 ديسمبر 2018، وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية. والذي يطرح أيضا مخطط عمل الوزارة بين عام 2019-2025.

² الموقع الرسمي لوزارة دفاع روسيا الاتحادية، المرجع السابق ذكره.

³ للمزيد أكثر تصفح الملحق الخاص ب: التقرير العالمي لحقوق الإنسان 2019، والمتوفر على الرابط: <https://bit.ly/354ne0Y>

⁴ التدخل العسكري الروسي في سورية: قراءة تحليلية، مرجع سبق ذكره، ص 8-9.

- إنشاء "غرفة عمليات سورية مشتركة": حيث تمثل عملية إغلاق غرفة العمليات المشتركة في الأردن "الموك" فرصة سانحة لإنشاء غرفة عمليات سورية تعزز مفاهيم الأمن الوطني، وتمنح فصائل المعارضة ما تحتاجه من شخصية اعتبارية في المعادلة الإقليمية، وذلك من خلال تبني استراتيجيات "إدارة الأزمة"، واتباع وسائل احترازية لتبادل المعلومات، ورسم الخطط، وتقدير الموارد المطلوبة، وتوظيف مصادر القوة الكامنة بمختلف أبعادها، ووضع ذلك في إطار قالب تطبيقي يستوعب التحولات الإقليمية والدولية وآليات توظيفها في إفشال خطة التدخل الخارجي.
- إعداد خطة للمحافظة على "المكتسبات الاستراتيجية": عبر تحديد الأولويات، وتنفيذ عمليات الإخلاء، وتنسيق خطط الكر والفر، وإعادة التشكل في إطار المحافظة على البؤر الاستراتيجية التي اكتسبتها المعارضة، ومن ثم التوسع في مناطق "الخاصة الرخوة" التي لا تصل إليها ميليشيات المرتزقة ولا تطلها عمليات القصف الجوي.

وفقاً لما ورد أعلاه فإن التدخل الروسي في الملف السوري قد عجل فشل كافة المسارات السياسية الباحثة عن حلول ومخارج للأزمة السورية وأطال عمرها الزمني، الأمر الذي يوجب عموماً وعلى قوى المقاومة الوطنية كافة الاستمرار في بلورة برنامجها وآلياتها الوطنية القادرة على إدارة المرحلة بكل متطلباتها السياسية والتفاوضية والعسكرية.

المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي الروسي في سوريا والشرق الأوسط لما بعد 2011

من المؤكد ان الاستراتيجية الروسية قد تأثرت بتطورات الأزمة السورية، حيث بدت روسيا محركاً فاعلاً في مجريات الملفات المتعلقة بمستقبل سوريا السياسي والاقتصادي والعسكري؛ فقد عملت روسيا على تعميق تحالفاتها مع النظام السوري وحافظت على علاقات ودية مع النظام التركي المناهض للأسد، كما عمقت علاقاتها السياسية مع طهران الحليف الأكبر للنظام السوري، وجاءت سلسلة الاجتماعات والمؤتمرات في "أستانة" و"سوتشي" بجانب محادثات "جنيف" ليكفل الوجود الروسي بالنجاح، إذن فقد تأثرت الاستراتيجية الروسية إيجاباً من الازمة السورية. حيث منحت لها فرصة في العودة لإثبات وجودها في الساحة الدولية.

بالمقابل ساندت موسكو دمشق في العديد من المحافل الدولية وبلورت الحلول السياسية التي تتناسب وخياراتها مع المصالح الروسية وحلفائها. وتعدّ سوريا دولة محورية بالنسبة إلى التطلّعات الروسية

الجيوستراتيجية، كما تحتفظ البحرية الروسية بقاعدة عسكرية لإعادة الترميم والصيانة في ميناء طرطوس السوري، عوضاً عن قواعد أخرى في حميميم.¹

إذن استراتيجية روسيا تعمل بالتفاعل مع كل القوى الإقليمية في المنطقة وفق منطق التوافقات التي تخدم المصالح الروسية، تسعى روسيا لتنتهج سياسة بديلة عن المواجهة المباشرة في سوريا حيث تعمل بالتنسيق مع إيران وتركيا للتفاوض بشأن وقف إطلاق النار في سوريا والتفكير بشأن المفاوضات ما بعد نهاية الأزمة. بالمقابل يبدو أن روسيا تنقصر دوراً جيوستراتيجياً أكبر من حجمها الحقيقي وتطالب بنفوذ أكبر في المنطقة، وتأثير ذلك على المستوى الأدنى هو نقل بعض صلاحيات الهيمنة الأمريكية لروسيا بالرغم من فشلها في مواجهة الحروب من قبل الفاعلين الغير الدوليين أو الحروب غير النظامية في الشرق الأوسط.²

الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط على المدى المتوسط والبعيد، تعد بمثابة رد فعل أو توجيه لموازن القوى في المنطقة من جديد أو ما يمكن تسميته بالأدوار الوظيفية التي تحول دون توحش واستئثار أطراف إقليمية بالهيمنة على المنطقة، كما أنها تعويض لفرغ جيوستراتيجي أمريكي بعد اهتمام الإدارة الأمريكية السابقة بمصالحها السياسية والاقتصادية في جنوب شرق آسيا وبعد تغيير واشنطن لسياسة التدخل المباشر في العراق وأفغانستان.³

بالنسبة لسياسة التحالفات الروسية في المنطقة وخاصة التحالف الثلاثي التركي-الروسي-الإيراني، والذي يمكن اعتباره تحالفاً أملت المصالح الاستراتيجية لروسيا التي استشعرت ضعف الدعم الغربي ودفعها ذلك لإعادة النظر في سياستها تجاه دول المنطقة، بنهج سياسة ناعمة هدفها استثمار كل العلاقات مع دول الشرق الأوسط وتوظيفها لخدمة أجندتها السياسية والأمنية والاقتصادية. لكن لا يتصور تعميق العلاقات مع إيران لما بعد الأزمة السورية، قد تبقى علاقاتها معها على الصعيد الاقتصادي، لكنها تظل متوجسة من بواعث ونوايا إيران التوسعية في المنطقة، وبالتالي قد تلعب دوراً محورياً للتوازن في منطقة الشرق الأوسط وخاصة أن إيران لن تتخلى عن نزعتها في نشر الإسلام الشيعي في المنطقة وعن طموحاتها

¹ مصطفى صلاح، ترسيخ النفوذ: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 14 أكتوبر 2018، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3iCgFaa>

² Paul Pillar, **Russian Realism in the Middle East**, The National Interest, August 17, 2016, retrieved from : <https://bit.ly/2F53f7q>

³ Dylan Berro, **The Russia's new role in Middle East**, Geopolitica.info, 23 June 2013, retrieved from: <https://bit.ly/2QZ0uqV>

العسكرية في كل من العراق، سوريا لبنان واليمن. فالحقيقة أن هذا التحالف الظرفي حتمته السياسة الأمريكية التي تخلّت في مرحلة ما عن تركيا ودعمت حزب القوات الديمقراطي الكردي في شمال سوريا.¹ اتبعت روسيا، لتحقيق أهداف استراتيجيتها في سورية، توليفة من التكتيكات العسكرية والدبلوماسية: -الاعتماد بشكل مكثف على تكتيكات قصيرة المدى، تمت ترجمتها عبر سعي روسيا إلى حلول قصيرة المدى للمشكلات الميدانية داخل سورية، والعلاقات مع الفاعلين الإقليميين والدوليين، وكانت هذه الحلول (التكتيكات) مصممة لإنتاج عوائد سريعة تجنب روسيا الخسائر في الميدان، أو تمنع تشكيل تحالف من الفاعلين المقابليين، وكانت روسيا تتصل من التزاماتها، وتبحث عن تكتيكات جديدة تدير بها الأوضاع المستجدة، وهذا ما حصل في اتفاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والأردن، والأمر نفسه مع المعارضة السورية. وقد تعاطت روسيا مع الوضع السوري باعتباره فوضوياً متداخلاً بشكل معقد، ويحتاج إلى عملية تفكيك وإعادة تركيب. وبالتالي، كان تكتيك التفاهات الآنية والقصيرة المدى الخيار الأفضل لتستطيع تطويع المشهد لصالحها. ولكن هذه التكتيكات وضعت روسيا في مأزق، في ظل حاجة روسيا إلى الحصول على تعاون من هذه الأطراف، حتى تستطيع مواصلة تموضعها في سورية، وتحقيق أهداف استراتيجيتها الكبرى.

_ اتبعت روسيا سياسة إسقاط الأوراق المهمة من يد الخصوم بما فيها المعارضة، لذا ركزت مواردها (المحدودة) لتحقيق هذا الهدف، حيث بدأت الحملة الروسية بالسيطرة على حلب وإخراجها من يد المعارضة، خوفاً من إمكانية تشكيل عاصمة للمعارضة وبديل لنظام الأسد، في وقت كان من المنطقي أن تدافع عن دمشق المهددة بالخطر في حينه. ولكنها بذلك دفعت تركيا، والتي كانت في تلك المرحلة أهم بوابات الدعم اللوجستي للمعارضة عن طريق الأطراف الخليجية العربية، إلى الجلوس إلى طاولة التفاوض، وحيّدت العرب عن التأثير في مجريات الأحداث، فيما كانت مطمئنة لجهة اللاعبين الأمريكي والإسرائيلي المؤثرين في الأحداث في جنوب سورية، باعتبار أن إسقاط نظام الأسد لم يكن ضمن حساباتهما.

_ اتبعت روسيا، مع الدول الإقليمية، سياسات الإغراء والتهديد، فقد طرحت نفسها مخلصاً لدول الجوار الإقليمي من فوضى ستصل إليهم لا محالة، وإخراجهم من المأزق السوري الذي بات يشكل مصدر تهديد للأمن والاستقرار الإقليميين، بعد أن وصلت الأزمة إلى طريق مسدود، وبات النشاط الإيراني في المنطقة يهدّد دول الجوار الإقليمي. وفي الوقت نفسه، تركت روسيا مليشيات إيران والمليشيات التابعة لنظام الأسد

¹ محمد عصام لعروسي، المرجع السابق، ص193.

(غير منضبطة)، تسرح على حدود الدول الإقليمية، بهدف دفع هذه الدول إلى الانكفاء والانشغال بأمنها القومي، بدل تقوية مواقفها التفاوضية في الترتيبات المستقبلية في الشأن السوري.

_ صمّمت روسيا اتفاق أستانة ومناطق خفض التصعيد، والذي ساعد النظام السوري، بدرجة كبيرة، على قضم مناطق سيطرة المعارضة، عبر تركيز موارد النظام المحدودة على كل منطقة على حدة، بدل استمرار تشتت قواته على عدّة جبهات في الوقت نفسه.

_ حقّقت روسيا نتائج ميدانية مهمة، حيث استطاعت تثبيت الأسد في الحكم، وإبعاد شبح إسقاطه، كما أضعفت المعارضة المسلحة من خلال تدمير هياكلها باستخدام سياسة الأرض المحروقة. وأضعفت، بدرجة كبيرة، المجتمعات المحلية التي شكّلت بيئة للثورة على النظام، والأهم من ذلك، استعاد النظام السوري، بدعم روسي كثيف، السيطرة على أجزاء كبيرة من سورية.

ولكن هذه مجرد خطوة في طريق حل أزمة شارفت على السنة العاشرة، وما يعنيه ذلك من تعقيدات خطيرة تولدت عنها وارتبطت بها، الأمر الذي يُنتج بيئة معقدة بالنسبة للخطوات الروسية القادمة، والتي بدونها يصعب على روسيا تحقيق أهدافها الاستراتيجية التي رسمتها عند بداية تدخلها في سورية¹.

المؤشرات	الولايات المتحدة الأمريكية	روسيا	الصين
مؤشر القوة	0.0606	0.0681	0.0691
الترتيب العالمي	01	02	03
القوة البشرية			
عدد السكان	329.256.465	142.122.776	1.384.688.986
صالح للعمل	144.872.845	69.640.160	752.855.402
صالح للخدمة العسكرية	119.664.970	46.658.907	621.105.706
زيادة سنوية لأفراد يصلون لسن الخدمة	4.188.274	1.306.449	19.614.518
الأفراد النشطين	1.400.000	1.013.628	2.183.000
الأفراد الاحتياط	860.000	2.000.000	510.000
المالية			
ميزانية الدفاع	\$750.000.000.000	\$48.000.000.000	\$237.000.000.000
الديون الخارجية	\$17.910.000.000.000	\$539.600.000	\$1.598.000.000.000

¹غازي دحمان، السياسة الروسية تتصدع في سورية، مرجع سبق ذكره.

\$3.236.000.000.000	\$432.700.000.000	\$123.300.000.000	الاحتياط الخارجي
\$24.810.000.000.000	\$4.025.000.000.000	\$19.850.000.000.000	القوة الشرائية
القوة الجوية			
3.210	4.163	13.264	مجموع الطائرات
1.232	873	2.085	الطائرات القتالية
371	742	715	الهجومية
224	424	945	الناقلة
314	497	2.643	التدريبية
111	127	742	المهام الخاصة
911	1.522	5.768	مروحيات
281	531	967	مروحيات هجومية
القوة البرية			
3.500	12.950	6.289	الدبابات القتالية
33.000	27.038	39.253	مركبات المدرعة
3.800	6.083	1.465	مدفعية ذاتية الدفع
3.600	4.465	2.740	مدفعية ميدان
2.650	3.860	1.366	أجهزة كشف الصواريخ
القوة البحرية			
777	603	490	سلسلة الأسطول
2	1	20	حاملة طائرات
74	62	66	غواصات
36	16	91	المدمرات
52	10	0	فرقاطات
50	79	19	طرادات
220	41	13	دورية ساحلية
29	48	11	مفجرات الغام
لوجستيك			
507	1.218	13.513	مطارات
4.610	2.625	3.692	سفن تجارية
22	8	35	موانئ ومحطات
860.700.000	76.530.000	160.400.000	تغطية الطريق
كم 3.860.800	كم 982.000	كم 6.586.610	السكك الحديدية
كم 86.000	كم 87.157	كم 224.792	مطارات صالحة للاستعمال
مصادر			

bbi 3.838.000	bbi 10.580.000	bbi 9.352.000	إنتاج النفط
bbi 13.500.000	bbi 3.225.000	bbi 20.000.000	استهلاك النفط
bbi 25.620.000.000	bbi 80.000.000.000	bbi 36.520.000.000	احتياطي
الجغرافيا			
كم 9.596.961	كم 17.098.242	كم 9.826.675	المساحة
كم 22.457	كم 22.408	كم 12.048	الحدود البرية
كم 110.000	كم 102.000	كم 41.009	السواحل المائية
كم 14.500	كم 37.653	كم 19.924	ممرات مائية

جدول مقارنة بين مقومات القوة للقوى الدولية المؤثرة في الشرق الأوسط (2020)

المصدر: من إعداد الباحثة، تجميع عن إحصائيات مراكز بحوث ومواقع الكترونية مختلفة.

استنتاجات الفصل

إن مخرجات الأزمة السورية ونتائج الحل فيها ترتبط بملفات إقليمية ودولية أخرى، كالملف الإيراني والأوكراني والليبي واليمن... هذا من ناحية، من ناحية أخرى سوف تكون لها تبعات بدون مبالغة على النظام الدولي ككل، في ظل التنافس المحتدم، بين قوى المحافظة على هذا النظام "الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين"، وقوى المراجعة "روسيا وإيران والصين". ومن ثم تقرد روسي بالنفوذ والحل في سوريا من الممكن أن يعدل موازين القوى الدولية نوعاً ما لصالح قوى المراجعة، التي ترغب في مراجعة وتعديل توجه النظام الدولي الليبرالي الراسخ منذ الحرب العالمية الثانية، وبنيتها أحادية القطبية الناشئة منذ انتهاء الحرب الباردة وانحيار الاتحاد السوفيتي.

جاء التدخل الروسي في سياق التدخلات الدولية التي عنوانها المصالح الاستراتيجية للأطراف المتداخلة، تطبيقاً لمبادئ النظام الدولي الجديد وفي إطار نظرية تحول القوة وذلك بمساندة قوى دولية أخرى والمتمثلة في الصين. يمكن القول ان الاستراتيجية الروسية في تعاطيها مع الأزمة السورية، قامت على المزوجة بين القوة الصلبة والناعمة، لبناء منظومة جديدة للقطبية المتعددة الأطراف في الشرق الأوسط، تحفظ التوازنات الاستراتيجية الشرق أوسطية بشكل أفضل من ذي قبل، كما وتهدف لتحقيق مصالحها في سورية بشكل خاص، وفي المنطقة بشكل عام.

أبرزت الأزمة السورية الدور الروسي المتصاعد والرئيسي في الشرق الأوسط، والذي أثبت قدرته على موازنة الدور الأمريكي والدول الإقليمية والدولية الأخرى في المنطقة، كما أثبتت قدرات روسيا على الحد من تجاوز الولايات المتحدة الأمريكية لمجلس الأمن.

_ لقد كانت الأزمة السورية كاشفة لفاعلية الدور الروسي في المنطقة، كما مثلت نقطة تحول مفصلية أوضحت استعادة روسيا لمكانتها كقوة كبرى مؤثرة في شؤون المنطقة خاصة بعد المبادرة التي أطلقتها لتدمير الأسلحة الكيماوية السورية مقابل وقف الضربة العسكرية الأمريكية لسوريا وعقد مؤتمر جنيف2.

_ شكّلت عودة الولايات المتحدة، وفق رؤية جديدة إلى سورية، عقبة مهمة في وجه ترتيبات روسيا، ودورها إجمالاً، ذلك أن روسيا لم تعتد على مواجهة أطراف قوية في سورية، وصاغت جميع ترتيباتها على أساسين: أنها تحتكر مجال القوة في سورية، انطلاقاً من عدم رغبة أي من القوى الكبرى، وخصوصاً أميركا، التدخل في سورية، لأن قياداتها (أوباما وترامب) لم تر وجود مصالح أميركية مهمة في سورية. وأن الأطراف المواجهين لروسيا في سورية هم مجرد قوى إقليمية، من الممكن تخويفهم وردعهم وفرض الشروط عليهم. وتثبت التحركات الأميركية أخيراً، سواء من خلال تضامنها مع الموقف التركي في إدلب، أو عبر المناوشات الجارية بين القوات الأميركية والروسية في مناطق شرق الفرات، وإعلانها أخيراً موت إطار "أستانة" وضرورة استعادة الأمم المتحدة دورها في الحل السوري، أن أميركا بصدد وقف "الوكالة الأميركية" المعطاة إلى بوتين، والعودة إلى سورية بوصفها شريكاً في أي تسويات مقبلة.

ولعل ما يظهر حجم القوة التأثيرية للولايات المتحدة الأميركية، أن العقوبات التي أصدرتها بحق النظام السوري ساهمت بشكل تام في مفاصله الاقتصادية، كما أحبطت مساعي روسيا في تأهيل النظام، أو إقناع الجهات والدول المانحة في الاستثمار بعملية إعادة الإعمار في سورية.

_ لقد كانت الثورة السورية سنة 2011 بمثابة فرصة لتقوم روسيا بتعزيز مكانتها في الشرق الأوسط والتأكيد على الدور الروسي في المنطقة، وخاصة بعد توغّلها ميدانياً سنة 2015، خلافاً للرأي السائد منذ حرب الخليج الثانية، بأن روسيا لم تعد قادرة على حماية حلفائها أو ممارسة التأثير في قضايا المنطقة، وأن الولايات المتحدة هي الفاعل الأوسع في الشأن الدولي والإقليمي، إلا أن الموقف الروسي من الأزمة والصراع في سوريا جاء مغايراً للتوقعات وأن ما تقوم به روسيا في سوريا على الصعيد السياسي والعسكري وخاصة بعد توغّلها، توحى بأن سوريا تمثل المصالح الجيوسياسية والاستراتيجية لروسيا وموطئ قدم لها، وأن التفريط فيها يعني خسارة الشرق الأوسط برمته.

_ كما ان روسيا لم تعد دولة الوضع القائم No Status Quo State في النظام الدولي الجديد، وهذا ما تظهره في علاقتها الجيوسياسية مع الدول العربية، كما وانها من خلال استعمالها للقوة سواء (الهجوم او الدفاع الهجومي) فهي تتبنى سياسة تمرير الامور Buck Passing، وأحياناً اخرى تسعى إلى تغيير الوضع القائم، ومثال ذلك تدخلها العسكري المباشر في سوريا، ورفض ذلك في العراق وليبيا وغيرها.

الفصل الثالث

تأثير الأزمة السورية على واقع ومستقبل

التوازن الاستراتيجي

الشرق أوسطي

المبحث الأول: أثر الأزمة السورية على التحولات الجيوسياسية والمتغيرات الإقليمية الشرق أوسطية

بعد 2011 لم يكن هناك اختلافا في طبيعة القوى المؤثرة في الإقليم فما زالت أكثر الدول تأثيرا هي مصر والسعودية وإيران وتركيا و(إسرائيل)، بقدر ما تشهد اختلافا في طبيعة التفاعلات السائدة والمنتشرة بين وحداته وخاصة بين هذه القوى الفاعلة. ولعلّ اختلاف هذه التفاعلات ساهم في محاولة كل من هذه القوى إعادة تعريف دورها وحدود قوتها؛ فالتكافؤ النسبي في القوة بينهم يزيد من حالة عدم الاستقرار الإقليمي. وقبل تناول هذه التفاعلات والتحالفات بين القوى الإقليمية الفاعلة، يجب رصد أهم المتغيرات الإقليمية منذ عام 2011، فيما يلي:

المطلب الأول: التهديدات الأمنية على مستوى دول منطقة الشرق الأوسط

ان ارتفاع حدة التهديدات واختلاف طبيعتها على المستوى الإقليمي يؤثر سلبا على الاستقرار الإقليمي، خاصة مع انعكاس هذه التهديدات على القوى الإقليمية الفاعلة، وبالتالي على حالة التوازن الإقليمي، ومن أبرز هذه التهديدات:

. انتشار حالة الصراعات الداخلية التي تم تدويلها في أكثر من دولة عربية، أخرى مثل واليمن وليبيا، وكل من هذه الحالات تفرز تهديدات لدول جوارها المباشر سواء تهديدات ترتبط بالأمن التقليدي كمشكلة تأمين الحدود أو زيادة عمليات التهريب، ونقل الأزمات والجماعات المسلحة من سورية إلى تلك الدول بقصد التوسع أكثر وجلب أكبر قدر من المكاسب الاقتصادية للدول الفاعلة في المنطقة. وأخرى ترتبط بالأمن غير التقليدي كمشكلة اللاجئين أو زيادة معدلات الهجرات غير المشروعة أو الصراعات المحتملة بشأن مصادر الطاقة.¹

¹دلال محمود، التغيرات في توازن القوى الإقليمي، دورية آفاق عربية، العدد الثاني، ديسمبر 2017، ص107.

. تحول بعض الدول العربية من نموذج الدول الهشة إلى نموذج الدول الفاشلة وفقا للمعايير الدولية، فوفقا للتقرير السنوي الصادر عن صندوق السلام التابع للأمم المتحدة بالتعاون مع مجلة Foreign Policy منذ عام 2005 تقريرا سنويا بعنوان "الدول الفاشلة"، يرتب فيه دول العالم تنازليا من الدول الأكثر فشلا إلى الدول الأقل فشلا، ومنذ عام 2011 وحتى تقريره لعام 2016 تنصدر دول المنطقة القائمة، وبالمتابعة الدقيقة لهذا الترتيب نجد أن أغلب دول الشرق الأوسط - والدول العربية منها على وجه الخصوص - تقع في منطقة الدول الأكثر فشلا، أو المتجهة إلى الفشل وفقا للمعايير التصنيفية لهذا التقرير والتي تعد الأكثر استقرارا في الأدبيات الأكاديمية والمتخصصة التي تهتم بمفهوم "الدولة الفاشلة".²

. انتشار التنظيمات الإرهابية في المنطقة وتطور أهدافها من مجرد التأثير على قرار سياسي في دولة ما إلى السيطرة على الأرض وإقامة دولة. وتطور مقوماتها المادية والتكنولوجية بل وإدارة بعض الأنشطة الاقتصادية. وتطور عملياتها سواء في النطاق المكاني لتصبح عابرة للحدود بين الدول بل وتسعى لتغيير الخريطة الأساسية في المنطقة (مثل تنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميا باسم داعش)، أو تطور عملياتها نوعيا بتطور الأسلحة التي تستخدمها لتحقيق أهدافها. ومن ناحية أخرى تطور علاقاتها سواء

²معايير فشل الدولة:

- المؤشرات الاجتماعية الدالة على فشل الدولة:

* الضغوط الديموغرافية.

* الحركة الهائلة للاجئين والمشردين.

* الانتقام.

* هجرة الأدمغة.

- المؤشرات الاقتصادية في:

* غياب التنمية الاقتصادية لدى الجماعات المتباينة

* تراجع المؤشرات الكبرى كالدخل القومي وسعر الصرف والميزان التجاري.

- المؤشرات السياسية فتتمثل في:

* تجريم أو نزع الشرعية للدولة : عبر فقدان شرعية الدولة 8-التدهور التدريجي للخدمات العامة : ويبرز في ضعف الثقة في

المؤسسات

* الإنتهاك واسع لحقوق الإنسان وانتهاك الحقوق والقانون

* الأجهزة الأمنية تظهر كدولة داخل دولة وغياب الأمن.

* صعود النخب المنقسمة : بسبب فساد النخبة الحاكمة وغياب الشفافية والمحاسبة السياسية

* تدخل الدول الأجنبية بالدولة.

وفي عام 2014 أطلقت منظمة الصندوق من أجل السلام التي تعني منع النزاعات "مصطلح قائمة الدول الهشة" عوضا عن "الدول الفاشلة" في تقريرها السنوي، وكانت دول عربية وإسلامية عديدة في مراتب متقدمة. للمزيد من المعلومات ينظر في:

<https://bit.ly/3IHIAaq>

بوجود علاقات - غير معلنة- مع دول بعينها تتوافق مصالحها مع أهداف التنظيمات الإرهابية، أو من خلال التعاون بين بعض من هذه التنظيمات، مثل: ما حدث من إقامة شبكة من التعاون بين التنظيمات الإرهابية بالعديد من الدول العربية الإسلامية التي تتفق مع فكر تنظيم الدولة الإسلامية التكفيري بإعلان الولاء والطاعة لما يطلق عليه أمير المؤمنين كما حدث في سيناء وليبيا ونيجيريا.

. زيادة تدخلات القوى الخارجية الإقليمية والدولية في الشؤون الداخلية للدول العربية وما تواجهه من تغيرات، قد يعود هذا في أحد أبعاده لخفوت الفواصل بين البعدين الداخلي والخارجي في العلاقات الدولية المتعولمة، لكن وبدرجة أكبر لزيادة الدور الذي تقوم به هذه القوى وسياساتها داخل الدول العربية، فعلى سبيل المثال: التدخل الروسي والإيراني في الصراع السوري لحماية مصالحهما في سوريا جعل منهما أطرافاً أساسية في هذا الصراع، وساهم في تغيير مواقف بعض الدول الأخرى مثل تركيا التي غيرت من سياستها تجاه سوريا بعد تغير علاقتها بروسيا. كذلك فإن التحالف الدولي وبالأدق الائتلاف الدولي الموجه لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، تم تشكيله سياسياً خارج إطار مجلس الأمن. بل إن الصين أيضاً رغم كونها القوة الدولية التي تحرص على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، قد أقامت قاعدة عسكرية لها في جيبوتي لحماية مصالحها النفطية والتجارية في المنطقة³.

. استمرار الانخراط الأمريكي بالمنطقة وإن اختلفت طبيعته في إدارتي الرئيس السابق أو الحالي؛ حيث اتبعت إستراتيجية تهدف لإعادة ترتيب الأولويات الأمريكية والحد من الانخراط المباشر في منطقة الشرق الأوسط من خلال التأثير في تفاعلاتها السياسية أو ما عُرف بالقيادة من الخلف وتغيير شبكة الحلفاء التقليديين في المنطقة، وقامت أيضاً بالتدخل في الشأن الداخلي في الدول العربية التي شهدت احتجاجات شعبية واسعة منذ عام 2011 للمساهمة في تغيير الخريطة السياسية داخلها من خلال تواصلها مع قوى سياسية داخلية كـ بعض منظمات المجتمع المدني (مصر وتونس)، أو بعض حركات الإسلام السياسي (الإخوان المسلمين في مصر)، أو تقديم الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي لبعض تيارات المعارضة السياسية (سوريا)، أو التدخل العسكري المباشر تحت مظلة أوسع كالتحالف الدولي لمكافحة الإرهاب (سوريا) أو حلف شمال الأطلسي (ليبيا).⁴

³دلال محمود، التغيرات في توازن القوى الإقليمي، المرجع السابق، ص 108.

⁴ Hussein Ibish, "Trump's Plan for Middle East Peace Could Actually Work: If only the president were willing to put some effort into it", Foreign Policy, May 25, 2017. <https://bit.ly/353XKB0>

. انهيار منظومة الأمن القومي لبعض دول المنطقة وهو ما انعكس سلبيًا على استقرار هذه الدول داخليًا وقوتها الخارجية، حيث تعاني معظم دول الشرق الأوسط من ثغرات أمنية كبيرة نتيجة اختراقات أجهزة الاستخبارات الخارجية التي جعلتها صيدًا سهلاً للقوى الدولية التي تعتمد على ضرب منظومة الأمن الداخلي تحت غطاء الإرهاب.

. اشتعال الحروب الداخلية والصراعات الدولية نتيجة ثورات الربيع العربي وتفاعلات الثورات المضادة التي دفعت على إثرها القطبين الدوليين، روسيا والولايات المتحدة، نحو المواجهة غير المباشرة في المنطقة.

. انهيار الحدود والتقسيمات الإدارية لبعض الدول، فقد أدى الصراع الدولي والإقليمي في منطقة الشرق الأوسط إلى فقدان السيطرة على بعض أقاليم الدولة القطرية، بعد سيطرة داعش على معظم الأراضي العراقية والسورية وإنشاء دويلات داخل الدولة الواحدة، وظهور نزعات انفصال بعض أقاليم الدولة عن حكومتها المركزية (إقليم كردستان العراق نموذجًا)، فضلًا عن سوريا واليمن وليبيا وتركيا، إضافة إلى بعض الدول المرشحة لهذا الوضع.

المطلب الثاني: فوضى التحالفات والصراعات بين القوى الإقليمية والدولية

. التنافس على قيادة الإقليم بين قوى عربية ممثلة في مصر والسعودية، وقوى غير عربية ممثلة في كل من إيران وتركيا، أما (إسرائيل) فرغم أنها قوة إقليمية مؤثرة ومتداخلة في معظم التفاعلات الإقليمية، لكنها خارج سياق هذا التنافس، فهي تفتقد أهم مقوم من مقومات القيادة الإقليمية وهو القبول من مختلف وحدات الإقليم لقيادة إقليمية إسرائيلية. ولا يعني هذا خروجها من ميزان القوى الإقليمي، لكنها تمثل قوة تضاف أو تخضع لصالح أحد المتنافسين، وفي أفضل السيناريوهات الإسرائيلية فإن الهدف الإسرائيلي أن تظل القوة الأكثر تفوقًا وتقدمًا، وأن تتخرط في كيان إقليمي يقبل بها، أو أن يتم تحطيم الحدود المميزة للنظام الإقليمي التي تمايز بينه وبين غيره من النظم الدولية، لتصبح (إسرائيل) وسط كيانات سياسية متفرقة غير موحدة، لضمان أمنها بدرجة أكبر من الثقة، وفي واقع الأمر يمكن رصد بعض المؤشرات على وجود تقارب إسرائيلي خليجي -سعودي وإماراتي بالأساس- اتساقًا مع اعتبار إيران خصمًا مشتركًا وعلى أفضل التقديرات اعتبارها منافسًا إقليميًا، ولا شك أن للولايات المتحدة الأمريكية - وربما بدرجة أقل تركيا- دورًا في هذا التقارب.⁵

⁵دلال محمود، مرجع سابق، ص 110.

. تشكّل فوضى التحالفات بالمنطقة، حيث تأخذ في معظمها وخصوصا العربية-العربية منها، الطابع المؤقت والهش، لأنها تخالف المنطق السياسي الطبيعي وتتنظر فقط إلى المصالح الوقتية التي قد تتعارض مع المصالح الطويلة الأجل. فالتحالفات المستدامة هي التي تقام برغبة الشعوب وتحقيقا لمصالحهم وليس لتحقيق مصالح الأنظمة، باعتبار أن وعي الشعوب في المنطقة سيقف أمام كل التحالفات غير المنطقية.

. أضحت منطقة الشرق الأوسط نواة جذب استراتيجية للصراعات الدولية، فالصراع الدولي بين الشرق والغرب حط رحاله فيها حيث الصراع الأمريكي الروسي المتجدد الذي يمثل صراع قمة التنافس الدولي على مناطق النفوذ والثروات في العالم.

. دخول المنطقة في مستقع حروب الوكالة والتحالفات غير المدروسة بسبب انهيار منظومة التوازن الإقليمي الذي دفع بعض الدول الصغيرة إلى ممارسة دور جيواستراتيجي كبير على حساب العمق الاستراتيجي، والذي أثر بشكل سلبي على استقرار معادلة الأمن الإقليمي وانهيار المنظومات الإقليمية الرئيسية كالجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي، وعدم فاعليتهما في ممارسة دورهما السابق في المنطقة.

. تصاعد صراع محموم بين قوى إقليمية مندفعة تلعب أدواراً إقليمية مشبوهة وغير مسبوقه تطمح إلى الريادة والنفوذ على حساب القوى الإقليمية الأخرى (الإمارات نموذجاً)، إضافة إلى تحولات داخلية في معظم دول المنطقة لا سيما مصر وليبيا واليمن وسوريا، شابت المشهد الإقليمي من خلال التغيرات الاستراتيجية التي شهدتها هذه الدول نتيجة انحلالات داخلية وتدخلات خارجية من دول محيطة بها.

. تداعي الدولة القطرية وتفكك مكوناتها وضعف بسط سيادتها على حدودها ومكوناتها، حيث أفرز الصراع الإقليمي بين القوى الإقليمية المتناحرة إلى تفكيك أوامر التلاحم الاجتماعي وإضعاف نسيج الوحدة الوطنية لمكونات معظم الدول في المنطقة، وأضحت الهوية الوطنية من الماضي نتيجة صعود الهوية الإثنية الطائفية على الهوية الوطنية للدولة.

. شهد عام 2015 عودة لتصاعد التدخل العسكري للقوى الدولية التقليدية في بؤر الصراعات الداخلية في الإقليم، وفي مقدمة هذه القوى (روسيا، بريطانيا، فرنسا، والصين). وتتمثل أهم دوافع تكثيف القوى الدولية لوجودها العسكري في الشرق الأوسط، في الحفاظ على وجود مستديم في المنطقة للحفاظ على المصالح الاستراتيجية لهذه الدول، واستباق تهديدات الإرهاب من خلال استهداف معاقل تنظيم "داعش"، والتصدي

لمنابع التهريب العابرة للحدود والهجرة غير الشرعية وتدفقات اللاجئين التي باتت تمثل التهديد الأكثر خطورة للقارة الأوروبية.

. تصاعد ظاهرة الهجرات الدولية وما نتج عنها من تغييرات ديموغرافية، حيث أفرزت الصراعات والحروب الداخلية في المنطقة ملايين المهاجرين الذين اتجهوا إلى الدول الإقليمية والغربية، خصوصاً تركيا وأوروبا، مما سبّب إرباكاً في هذه الدول وعجزها عن استيعاب المهاجرين واتخاذ تدابير مخالفة للقواعد والقوانين الدولية المتعلقة باللجوء والهجرة.

. تهاوي أسعار النفط والصراع المحتدم على مصادر إمداد الطاقة، فمعظم دول الشرق الأوسط تعاني أزمات اقتصادية وعجز مستمر في الموازنات العامة نتيجة ارتباط اقتصاداتها بشكل مباشر بالنفط والغاز، ويسبب انهيار أسعار النفط في أواخر 2014، الذي خلف أزمات اقتصادية مفاجئة، إضافة إلى الصراع المشوب والمتصاعد على خطوط نقل الطاقة، حيث باتت المنطقة مشتتة بالحروب والصراعات التي يشكل تأمين خطوط نقل الطاقة أهم دوافع هذه الصراعات الدولية.

. اتسمت التفاعلات الإقليمية في عام 2015 بتصاعد الاعتماد على القوة العسكرية مع اتباع القوى الإقليمية نهج الاستباق الوقائي في مواجهة التهديدات، حيث تبرز عدة ملامح أساسية تؤكد هذا التوجه، ومن أبرزها لجوء العديد من الدول من داخل الإقليم ومن خارجه إلى استخدام القوة العسكرية لأسباب متباينة، وصعود الإنفاق العسكري وصفقات التسلح التقليدية وغير التقليدية إلى مستوى قياسي. مع تصاعد سباق التسلح الإقليمي وتركيز صفقات الأسلحة على امتلاك مقاتلات هجومية متعددة المهام لديها القدرة على تنفيذ عمليات خارج حدود الدولة لمواجهة تهديدات محتملة.

. سرعة التحولات الاستراتيجية في المنطقة، حيث تشهد حالة من السيولة وسرعة التغيير في المواقف السياسية وتهاوي التحالفات، فلا تكاد تشهد حالة من الاستمرار أو الاستقرار، وإنما تتسم بالتبدل المفاجئ وكثرة المنعطفات، مثال ذلك العلاقات الخليجية - الخليجية والعلاقات التركية - الروسية، حتى على مستوى الحلفاء مثال ذلك علي عبد الله صالح والحوثيين.

وأخيراً، يمكن القول إن منطقة الشرق الأوسط لا تزال تشهد مرحلة انتقالية بفعل التحولات الاستراتيجية نتيجة ما خلفته الثورة السورية وما تلاها من أحداث جسام، خلفت تداعيات خطيرة على وقع الحروب والصراعات التي صبغت خرائط المنطقة، وغيرت بعض الأنظمة وأفرزت فاعلين ولاعبين جدد على مسرح الأحداث، سيكون لها ما بعدها من تغييرات مرتقبة نشهدها كل يوم، وهو ما يتطلب تكتل كل الجهود حتى

لا تفقد الأنظمة زمام الأمور مما يصعب تدارك هذا التداعي والانهييار السريع أو الخروج من هذا النفق المظلم والانفجار الكبير الوشيك.⁶

ويمكن القول أيضاً، أن المتغيرات التي تشهدها المنطقة العربية منذ عام 2011 قد أوجدت حالة حراك في ميزان القوى الإقليمي بين القوى الفاعلة فيه (مصر، السعودية، إيران، تركيا، إسرائيل)، هذا الحراك لا يعني الصراع بالضرورة بين هذه القوى، لكنه يعني زيادة التفاعل الذي يختلف في اتجاهه بين كل منها، فعلى سبيل المثال: ظهر صعود سعودي في بدايات الفترة وربما بعض التنافس مع مصر حتى يونيو 2013، ثم اختلفت طبيعة التفاعل بين الدولتين واتجهت لمزيد من التعاون والتنسيق بينهما كطرف عربي ليواجه القوى الفاعلة غير العربية الأخرى، لم تخلُ من التوتر في بعض الأحيان كما حدث في الأعوام القليلة الماضية، لكن ظل التعاون والتنسيق هو السمة الأكثر ارتباطاً بالعلاقات بين الدولتين، يصفه البعض بأنه اختيار الضرورة لمواجهة اختلال القوى لصالح الدول غير العربية في معادلة التوازن الإقليمي.

المبحث الثاني: تداعيات الأزمة السورية على تحول بيئة وأنماط التحالفات والتفاعلات الجيوستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط

لقد عصفت تداعيات السنوات التسع الماضية بتوازنات القوى الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط، وغيّرت من خريطة المحاور الاستراتيجية والتحالفات الإقليمية الرئيسية، وأضحت السياقات الراهنة في الإقليم محمومة بصراعات استقطابية حادة، تغلفها حزمة من الاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة، لاكتساب مواطنٍ قدم وتعزيز النفوذ وبسط الهيمنة، في أعقاب انحسار شعبية الحراك الثورية وتحولها إلى سياقات مؤدلجة عنيفة من الحروب والنزاعات، وغيرها من صور التسليح وسباق التسليح، والذي ظهر ذلك جلياً بعد الثورة السورية من عام 2011.

تواكبت تلك التحولات مع صعود قوى إقليمية غير عربية باتت اللاعب الأبرز في لعبة شد الأطراف التالية لموجة ثورات الربيع الأولى، واللاعب المحوري في خريطة التحالفات الإقليمية الجديدة التي باتت تشكل نمطاً معقداً من ديناميات الفك والتركيب، لإعادة رسم خريطة المنطقة على أسس جديدة، قطعاً لن تصب في مصلحة القوى العربية ذات النفوذ التقليدي في الشرق الأوسط، ويقصد بذلك القوى الإقليمية

⁶محمود المنير، التحولات الاستراتيجية الكبرى في الشرق الأوسط من 2011 إلى 2017، نون بوست، نشر بتاريخ 31/10/2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z4kQn4>

غير العربية كل من إيران وتركيا، بالإضافة إلى الكيان الصهيوني الذي يظل في خلفية المشهد بمثابة الغائب الحاضر، مستفيداً من جل التفاعلات الاستراتيجية في المنطقة بشكل أو بآخر.

وإزاء تلك السياقات الصراعية المعقدة في الشرق الأوسط، بات البحث عن حليف موثوق أو بناء تحالف رادع أو تفكيك تحالف مناوئ أو النيل من حليف لمناوئ هو الهدف المرحلي لعدد من الفاعلين الرئيسيين في المنطقة، وأضحى لعبة تبادل الأدوار واللعب على المتناقضات هي العناوين الأبرز لوصف سلسلة نمطية التحالفات والمحاور في منطقة الشرق الأوسط خلال العقد الثاني من الألفية الثالثة.

المطلب الأول: تراتبية التحالفات وخارطة التفاعلات والتوازنات الاستراتيجية بعد الأزمة السورية 2011

تتباين التحالفات الإقليمية والدولية السائدة في منطقة الشرق الأوسط خلال المرحلة التالية لثورة سورية عام 2011، ما بين تحالفات مرنة وأخرى جامدة. فالتحالفات المرنة دائماً ما ترتبط بقضايا محددة، سواء أمنية أو اقتصادية أو سياسية، دون أن تتسحب على باقي القضايا الإقليمية، ولا تعبر عنها بالضرورة أطر مؤسسية أو تنظيمية خاصة، كما تعد هذه التحالفات أشبه بتحالفات «الضرورة»، التي فرضتها تطورات يمر بها إقليم الشرق الأوسط، في حين أن التحالفات الجامدة على العكس من ذلك، تتسم بالاستغراق والشمول حتى وإن لم ترتبط بأطر تنظيمية تقليدية.⁷

1. التحالفات المرنة (تحالفات الضرورة)

تشهد منطقة الشرق الأوسط في الآونة الأخيرة تحالفات مصطنعة تقوم على المصالح الوقتية الضيقة وليس على أساس تبادل المنافع بين الشعوب، مؤكداً استحالة ديمومة تلك التحالفات لأنها مبنية على أسس هشّة. دول الشرق الأوسط بدلا من أن تحول تحالفاتها الشكلية في الماضي إلى أحلاف تدافع عن مصالحها، انجرفت إلى الصراع فيما بينها لتتجه كل دولة إلى البحث عن أمنها القومي عوضاً عن التفكير في الأمن الإقليمي. كما أن التحالفات الحالية يتم تشكيلها وفقاً للاعبين خارجيين وليس وفقاً لدول المنطقة. وتأثيرياً، تبدو التحالفات العربية من نوع التحالفات المرنة، التي ربما فرضتها ضرورات صراعية خاصة بالمنطقة، أكثر من أن تكون شاملة أو استغرافية لكافة القضايا الإقليمية، ومن ثم نجد أن ثمة لاعبين يندرجون نظرياً تحت مظلة تحالف عربي ما يتحركون في فضاءات مغايرة للاستراتيجية الرئيسية لذلك التحالف بشكل لافت، مثل مصر التي هي نظرياً جزء من التحالف العربي الخليجي لكنها عملياً تقترب مواقفها السياسية جداً من المحور الروسي الإيراني وخاصة فيما يتعلق بالأزميتين السورية واليمنية.

⁷ إيمان رجب، التحالفات المرنة: التحول في التحالفات الإقليمية في الشرق الأوسط بعد الثورات العربية، دورية حالة الإقليم، المركز

الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، سبتمبر 2014. <http://goo.gl/pXP5dc>

إذن فالجسد العربي أصيب بالمرض والترهل بصورة مؤلمة، ودليلنا على ذلك الأزمة الخليجية التي أصابت مجلس التعاون الخليجي الذي كان يعد بؤرة الاستقرار الوحيدة في المنطقة. كما ان عقد لقاءات دورية بين المسؤولين في روسيا وتركيا وإيران لبحث القضية السورية وسبل حلها دون حضور أي طرف عربي، إلى أن العالم العربي أصبح خارج معادلة القوى في المنطقة، لافتاً إلى أن الرهان على مواقف الرئيس الأميركي دونالد ترامب أدى إلى ارتباك وخط الأوراق في المنطقة برمتها.

وعلى هذا السياق، فهناك ثلاث مجموعات إقليمية ظهرت بسبب وجود دوائر نفوذ مختلفة مندفعة بالخوف وليس بمنطق التعاون المشترك، الأولى تضم السعودية والامارات والبحرين ومصر وتصطف مع (إسرائيل) وإدارة ترامب. أما المجموعة الثانية فتضم إيران وشبكتها الأمنية الإقليمية، ويمثلها نظام بشار الأسد والحكومة العراقية والحوثيون في اليمن، بينما تمثل المجموعة الثالثة تركيا التي بدأت إعادة ترتيب نفسها إقليمياً بالتحالف مع ما تبقى من دول الربيع العربي.

2. التحالفات المحورية الجامدة

أما تحالفات إيران فإنها تتدرج تحت مظلة النمط الجامد، فهي تحالفات استغراقية شاملة تجمع المتحالفين معها وفقاً لاستراتيجية واحدة ترسمها طهران بدقة وتضطلع الفواعل داخل التحالف بتنفيذ تلك الاستراتيجية بما يخدم مصالح الحليف القائد وبقية مكونات التحالف ككل، ومن ثم لا تجد أياً من الفاعلين المنضوين تحت المحور التحالفي الإيراني يتقل من تحالف لآخر أو يمتلك من المرونة ما يمكنه من اتخاذ مواقف أو تبني استراتيجيات تتعد قيد أنملة عن رؤية إيران واستراتيجيتها الإقليمية في الشرق الأوسط.⁸ ومن ثم فإن التحالفات الإيرانية القائمة على أسس أكثر اتساقاً من الناحية البنوية والهيكلية، باعتبارها تحالفات محورية جامدة، تبقى أكثر قدرة على إنجاز أهدافها الاستراتيجية في ظل تشرذم التحالفات المناوئة وقدرة طهران الكبيرة على اللعب على تناقض مكونات تلك التحالفات وخلخلتها لصالح إضعاف دورها الصراعي في المنطقة.

⁸ ينظر في: أذرع إيران الثلاث للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، مرجع سبق ذكره، الرابط التالي: <https://bit.ly/351mCJl> ومن المؤكد أن احتمال وجود تحالف عسكري إيراني - صيني جديد في المحيط الهندي يُعتبر تطوراً سيُنظر إليه بمنتهى الجدية من جانب المؤسسة العسكرية الأميركية، التي تشعر بالقلق بالفعل إزاء محاولات إيران نشر نفوذها في أنحاء المنطقة.، للمزيد ينظر في تحقيق أميركي: تحالف إيران العسكري مع الصين يهدد أمن الشرق الأوسط، جريدة الشرق الأوسط، 19 يوليو 2020، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z6Tcpl>

3. التحالفات المزدوجة:

في هذا السياق، تبدو تركيا الدولة ذات الثقل الإقليمي والدور المركزي في المنطقة محلاً للتنازع بين سياقات إقليمية استقطابية متضادة، ما بين تحالفات عربية خليجية تبحث عن موازن استراتيجي للجار الإيراني اللدود ذي الاستراتيجيات التوسعية بمسوح مذهبية مناوئة للفضاء العربي الإقليمي، وأخرى إيرانية تسعى لإفشال أي تحركات مناوئة لاستراتيجيتها التوسعية في المنطقة، وثالثة للكيان الصهيوني، حيث تصب جل التغيرات الإقليمية لصالحه في الأخير، حيث يتربص وينتظر عن كثب للتحرك في اللحظة المناسبة. هذا لا يعني أن تركيا تضطلع بدور المفعول به في خضم الاستقطابات والاستقطابات المضادة في المنطقة، بل العكس هو الصحيح، فالواقع يعكس مدى أهمية الدولة التركية كحليف ذي ملاءة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، تلك الأهمية التي جعلت من تركيا طرفاً حاسماً ومشاركاً في ترتيب موازين القوى بالشرق الأوسط ولاعباً محورياً يتودد إليه المتنافسون الإقليميون في سياقات الصراعات على المشاريع والاستراتيجيات المتضادة على امتداد رقعة الشرق الأوسط الجغرافية.

من جهة أخرى فهناك أيضاً حالة ازدواجية التوافق الروسي مع الجانبين الإيراني والإسرائيلي على أساس المصالح، فبالنسبة للمثلث الروسي الإيراني الإسرائيلي، والذي تجلى بشكل أكبر في اجتماعي بوتين مع نتنياهو ومن ناحية أخرى مع حسن روحاني في سبتمبر 2019، أكد فيهما بوتين التزامه بالعلاقات الجيدة مع (إسرائيل)، والإشادة بالعلاقات الروسية الإيرانية.

إلا أن علاقة موسكو مع إسرائيل أعمق علاقتها مع إيران، وهو ما كشفه رد فعل موسكو لكافة الضربات الإسرائيلية في سورية سواء لأهداف سورية أو إيرانية وتجاهلها لهذه الضربات، وما يؤكد ذلك رفض موسكو طلب إيران لبيعها منظومة S-400 عام 2016، كي لا تشكل تهديداً للطائرات الاسرائيلية، بيد أنها تتقاسم مع إسرائيل معلوماتٍ فنية حول نظام المنظومة⁹.

إذاً على الرغم من العلاقة التي تربط روسيا بإيران وشراكتها في الشرق الأوسط في العقود الثلاثة الماضية¹⁰، وصمودها في وجه جميع العوائق وخاصة تهديدات الولايات المتحدة بفرض عقوبات على روسيا لردعها عن التعاون مع إيران وخاصة في المجال النووي، بالإضافة إلى المصالح المشتركة لكلا

⁹ زبير خلف، كيف عززت الأزمة السورية والتخبط الأمريكي النفوذ الروسي ومكاسبه، المرصد السوري لحقوق الإنسان، في ديسمبر 9، 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2GklAgk>

¹⁰ للتفصيل أكثر في الموضوع ينظر في: محمد السعيد إدريس، تحالف الضرورة بين إيران وروسيا: جدل التفاعل بين الفرص والتحديات، مجلة الدراسات الإيرانية، العدد الثالث، يونيو/جوان 2017.

الطرفين في سوريا، تبقى لإسرائيل مكانة أكبر من إيران لدى روسيا، مما يحفز روسيا للحد من النفوذ الإيراني في سوريا، لحماية علاقتها الخاصة مع (إسرائيل)، فمصالحها في سوريا متوافقة مع مصالحها في (إسرائيل)، كما أنّ روسيا ترى في إعادة الإعمار في سوريا فرصة تجارية، قد تنافسها المصالح الإيرانية التي تسعى للحصول على هدية مقابل تدخلها، فمصلحة موسكو هنا تقتضي بتقليص النفوذ الإيراني في سوريا. لذا فالوجود الإيراني في سوريا تراه موسكو فرصة لدعم النظام السوري على حساب المعارضة، ولكن بالمقابل عقبة أمامها لترسيخ نفسها كطرف فعال ورئيسي في سوريا.

4. تحالفات المصالح المشتركة

ومثالنا هنا عن التحالف التركي-الإيراني، فرغم اختلاف كلا من المشروعان التركي والإيراني في طريقة وصولهما إلى غرضهما الرئيسي في المنطقة العربية إلا أنها تشتركان في نفس الهدف وهو السيطرة والتحكم بالدول العربية لمصالحهما القومية، فنستطيع ان نستدل على ذلك بصورة واضحة من خلال الملف العراقي، حيث تشترك كلتا الدولتان في إنهما تريدان منع عودة نهوض الدولة العراقية لمنع ظهور أي نفوذ عراقي إقليمي من جديد لتمكنا من استمرار السيطرة على مقاليد السلطة في المنطقة وتوجيه الدفة للاتجاه الذي يراعي مصالحهما، فضلا عن منع قيام دولة كردية ستسبب لهما أزمات داخلية وربما مخاطر لسلطة أردوغان وروحاني، وايضا منع توغل أي عناصر ارهابية مسلحة إلى أراضيها من خلال الحدود العراقية والسورية.¹¹ من جهة اخرى نشهد اليوم ان المعادلة قد تغيرت، وانتقلت تركيا وإيران من خطاب الحرب الطائفية والتنافس على قيادة العالم الإسلامي إلى وضع حماية المصالح وحتى الاكتفاء بالحفاظ على أسس الأنظمة فيها. إلا انها في نفس الوقت قد تختلفان في عدد من النقاط الأخرى مثل العلاقات مع الجانب الإسرائيلي، فتركيا تربطها علاقات قوية ومصالح مشتركة معها عكس إيران، كذلك العلاقات التركية الواسعة مع الولايات المتحدة الامريكية وحلف الناتو على عكس العلاقات الإيرانية المتأزمة مع تلك الأطراف.

وفي هذا السياق ايضاً، فإن اتفاق المصالحة التركي-الصهيوني، يحمل بين طياته تعاوناً أمنياً واستخباراتياً في سوريا بهدف منع إيران وحلفائها من الميليشيات الشيعية المسلحة مثل حزب الله اللبناني،

¹¹وللمزيد حول الموضوع يمكن النظر في: عمرو سليم، هل تتحول العلاقات التركية الإيرانية من تحالف المصالح المشتركة لصراع على النفوذ الإقليمي، المركز الديمقراطي العربي، 4 ديسمبر 2019.

من السيطرة على الدولة السورية، حيث يسمح الاتفاق بالتنسيق بين البلدين استخباراتياً وأمنياً بهدف الحيلولة دون سقوط سوريا في أيدي إيران والحرس الثوري وحزب الله.¹²

المطلب الثاني: تحولات خريطة التوازنات الاستراتيجية الإقليمية والدولية بعد 2011

أولاً: الأزمة السورية وتحولات خريطة تفاعلات وتوازنات استراتيجيات القوى الإقليمية في الشرق الأوسط

لم تتقطع التحولات التي شهدتها التحالفات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط في الآونة الأخيرة، في ظل حالة الاضطراب وانعدام اليقين في التفاعلات الإقليمية، وتصاعد التهديدات العابرة للحدود، نتيجة احتدام الصراعات الأهلية على امتداد الإقليم، والطفرة غير المسبوقة في نشاط التنظيمات الإرهابية والمليشيات المسلحة، وهو ما دفع دول الإقليم إلى إعادة تشكيل تحالفاتها وانتهاج قدر كبير من المرونة والبرجماتية لمواجهة عدم الاستقرار المتصاعد إقليمياً.

1. مراحل تغير التحالفات والتوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط

ثمة أربع مراحل رئيسية يمكن الانطلاق منها للتعرف على خريطة التحالفات "المرنة" والمتغيرة في منطقة الشرق الأوسط، بدايةً من الفترة السابقة على اندلاع ثورات الربيع العربي في هذه الدول عام 2011، مروراً بما لحقها من صعود تيار الإسلام السياسي وجماعة الإخوان المسلمين إلى الحكم في عدد من الدول، قبل أن تنتهى تجربة الإخوان سريعاً بعد سقوطهم الذريع في مصر وتراجعهم في دول أخرى، مثل تونس وليبيا، وصولاً إلى التطورات الراهنة التي يشهدها الإقليم بعد "الانقلاب الحوثي" في اليمن، وما استتبعه من تدخل عسكري عربي بقيادة السعودية، بدعم من قوى دولية وإقليمية أخرى؛ وذلك من خلال "عاصفة الحزم".

أ - الثورات العربية: قبل سقوط الأنظمة السياسية الحاكمة في مصر، وليبيا، وتونس، واليمن، والجزائر واندلاع الثورة في سوريا ضد نظام "بشار الأسد" عام 2011، كان الشرق الأوسط ينقسم إلى محورين رئيسيين؛ هما:

- "محور الاعتدال": وكان يضم حينها كلاً من مصر والسعودية والأردن والإمارات والكويت، بالإضافة إلى المغرب وتونس وأطراف لبنانية. وكان هذا المحور مقرباً من الغرب، داعماً للسلطة الفلسطينية بقيادة "محمود عباس"، ومؤيداً لتسوية سياسية مع إسرائيل.

¹² محمد حامد، مسؤول إسرائيلي: التحالف مع تركيا ضد إيران وحلفائها في سوريا، ترك برس، بتاريخ 28 جوان 2016، على

الرابط التالي: <https://bit.ly/2QP2x00>

- "محور الممانعة": وضم هذا المحور كلاً من إيران وسوريا و"حركة حماس" في فلسطين و"حزب الله" اللبناني، بالإضافة إلى الجزائر والسودان. وكان هذا المحور على علاقة متوترة مع الغرب، ويعتبر التسوية السياسية مع إسرائيل تنازلاً واستسلاماً. وعلى مسافة قريبة من هذا المحور، كانت قطر وتركيا في عهد "رجب طيب أردوغان"، اللتان احتفظتا بعلاقات أيضاً مع "محور الاعتدال".
- وعقب تفجر الثورات العربية، بدأت خريطة التحالفات والمحاور تتبدل؛ حيث أحدثت "ثورات الربيع العربي" خلخلة داخل محوري "الاعتدال والممانعة"، وهو ما تبلور في الآتي¹³:
- خروج مصر من "محور الاعتدال" بعد سقوط نظام "مبارك" في يناير 2011.
- اندلاع الثورة السورية ضد نظام "بشار الأسد"، دفع بحركة "حماس" السنية خارج محور "الممانعة" بعد خروج قياداتها من سوريا.
- ابتعاد تركيا وقطر عن تقاربهما السابق في "محور الممانعة"، واتضح ذلك من خلال دعمهما المعلن للثورة السورية ضد "الأسد".
- حدوث تغير كبير في محور "الممانعة"؛ حيث تحول هذا المحور إلى محور للنفوذ الإيراني الشيعي يمتد من طهران إلى بغداد، مروراً بنظام "الأسد" في دمشق، وصولاً إلى "حزب الله" اللبناني، واليمن عبر جماعة "الحوثيين".
- ب_ صعود تيارات الإسلام السياسي: استغلت تيارات الإسلام السياسي -وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين- ضعف وهشاشة التيارات السياسية المنافسة في دول الربيع العربي، واستطاعت تحقيق عدة نجاحات وأوصلتها إلى رأس السلطة في دول، وقربتها من الحكم في دول أخرى.
- وعقب انتخاب "محمد مرسي" رئيساً لمصر عام 2012، ظهرت ملامح تحالف إقليمي جديد يضم كلاً من تركيا وقطر ومصر وتونس، تمثل في الدعم المالي والسياسي من جانب الدوحة وأنقرة للحكومة المصرية بقيادة الإخوان، وكذلك لحكومة "حزب النهضة" في تونس، فضلاً عن تقارب الرؤى والتوجهات السياسية بين الدول الأربع إزاء الملفات الإقليمية الأخرى.
- ورغم توتر علاقات دول "محور الاعتدال" مع جماعة الإخوان المسلمين وحلفائها الإقليميين، غير أن هذا التحالف الرباعي (تركيا وقطر ومصر وتونس) لم يقطع علاقاته ب"محور الاعتدال"، فقد كانت الزيارة الأولى للرئيس الأسبق "مرسي" إلى الرياض، وشكلت قطر والسعودية وتركيا لجنة لتنسيق الدعم لثوار سوريا، وانضمت الإمارات والأردن إليها في وقت لاحق.

¹³ أحمد عاطف، توافقات مصلحة: لماذا تغيرت طبيعة التحالفات في الشرق الأوسط؟، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 6أوت/أغسطس، 2015. على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QSwJbq>

جـ. انحسار حكم الإسلاميين: أدى تصاعد الغضب الشعبي ضد جماعة الإخوان في مصر، وما ترتب عليه من خروج تظاهرات حاشدة في 30 يونيو 2013 عزلت الأسبق "محمد مرسي"، إلى سقوط حكم الإخوان المسلمين في مصر وانحسار باقي تيارات الإسلام السياسي في دول أخرى، مثل تونس وليبيا، وما استتبعه ذلك من تغيير خريطة التحالفات في الإقليم.

ومن ثم عادت مصر إلى "محور الاعتدال" الذي يضم كلاً من (السعودية، والإمارات، والكويت، والبحرين، والأردن). وقدمت هذه الدول الخليجية حزمة من المساعدات المالية للنظام المصري الجديد في مواجهة التحديات الاقتصادية الضخمة التي تعاني منها البلاد خلال السنوات الأخيرة.

وعلى الجانب الآخر، فقد شهدت العلاقات بين مصر من ناحية، وقطر وتركيا من ناحية أخرى، فتوراً وصل إلى حد القطيعة بعد الإطاحة بالإخوان، حيث تشن الدوحة عبر آلتها الإعلامية المتمثلة في قناة الجزيرة حملات مضادة ضد النظام المصري الجديد، فيما يرفض الرئيس التركي "أردوغان" الاعتراف بثورة 30 يونيو، مطالباً بإطلاق سراح "محمد مرسي". وعلى وجه العموم، تبلورت عدة محاور رئيسية في منطقة الشرق الأوسط بعد سقوط الإخوان في مصر؛ هي:

- محور (2+4)، وهو تحالف خليجي (سعودي، إماراتي، كويتي، بحريني) مع كل من مصر والأردن.
- تحالف (قطري - تركي) داعم لتيارات الإسلام السياسي وعدد من الفاعلين من غير الدول في المنطقة، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، وحركة "حماس" في قطاع غزة.
- محور شيعي تقوده طهران لبيسط نفوذها في الإقليم، ويضم كلاً من (إيران، وسوريا، والعراق، وحزب الله في لبنان، والحوثيين في اليمن)¹⁴.

2. التحالفات الإقليمية-الاقليمية والتحالفات الإقليمية-الدولية في منطقة الشرق الأوسط بعد 2011

أولاً: التحالفات والمحاور الإقليمية-الإقليمية

شكلت الازمة السورية بالتدخلات العسكرية للقوى الإقليمية والدولية، عاملاً ديناميكياً للسياسة الإقليمية، جعل المنطقة تتجه نحو المزيد من الأزمات والصراعات، مما أثرت بشكل كبير على توازن القوى في المنطقة، الأمر الذي انعكس سلبيًا على الأوضاع الأمنية والسياسية، وخلق مناخ إقليمي متوتر وغير مستقر يسوده الصراع على المكانة الإقليمية وسباق التسلح والإطاحة بالحلفاء الإقليميين، لذلك لا بد لنا أن نتطرق إلى رصد وتحليل محاور التحالفات الإقليمية والدولية القائمة حالياً في المنطقة إلى جانب تحليل التوازن الاستراتيجي للدول الفاعلة في المنطقة، كما يلي:

¹⁴المرجع السابق ذكره.

1. المحور الإيراني السوري:

يضم هذا المحور جميع القوى التي تعارض السياسات الأمريكية في المنطقة ويضم في طياته أحزاب وجماعات غير نظامية أو ما يطلق عليها الفاعلين من غير الدولة مثل حزب الله اللبناني وغيره من القوى الشيعية وبالتالي يغلب على هذا التحالف الطابع البراغماتي وتستفيد إيران من هذا التحالف للتمدد في بعض المناطق من إقليم الخليج وشرق المتوسط.

2. التحالف العربي ضد الحوثيين في اليمن:

شكل التحالف العربي رداً على سيطرة قوات أنصار الله الحوثي على مقاليد الدولة في اليمن، مما مثل تهديد صريح لخطوط إمداد النفط والغاز في باب المندب، فضلاً عن تعرض الأمن القومي السعودي وهو جزء لا يتجزأ من الأمن القومي العربي إلى مخاطر الإرهاب من الجنوب اليمني، لذلك شكل هذا التحالف الأمني الذي شكل نقلة نوعية في ميزان القوى الاستراتيجي لصالح القوى الخليجية وعلى رأسها السعودية¹⁵ ضد إيران الصاعدة في المنطقة.

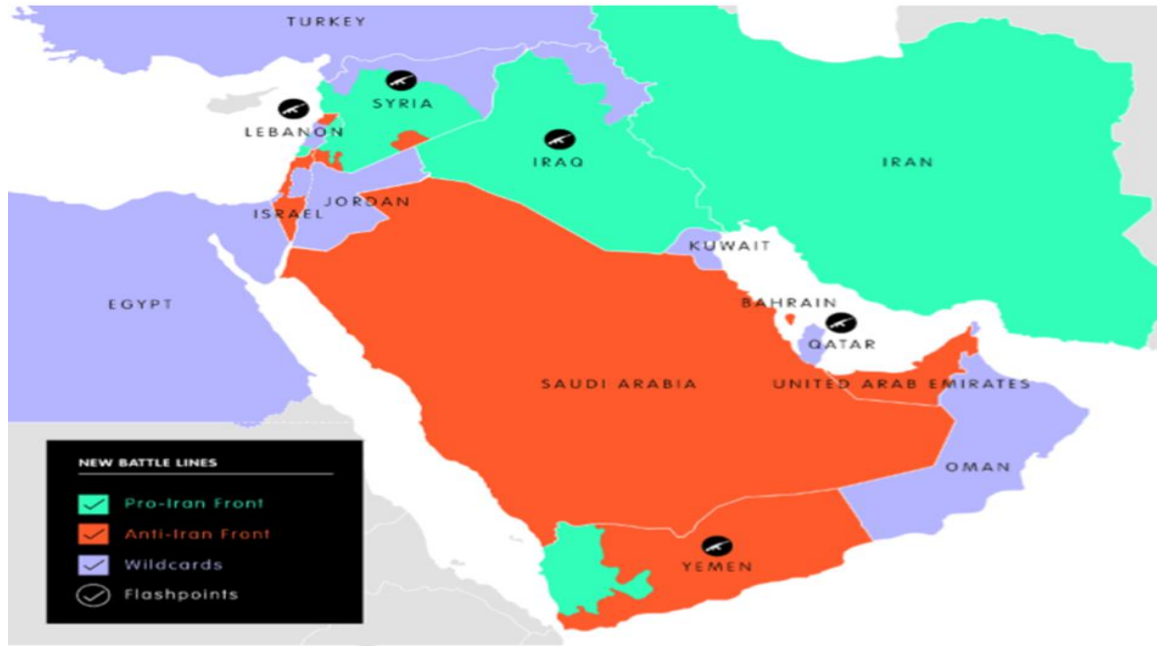
وأعلنت الرياض أن التحالف العسكري الموجه ضد الحوثيين باليمن يضم -بجانب السعودية- دولاً أخرى هي (الإمارات، والكويت، وقطر، والبحرين، ومصر، والأردن، والمغرب، والسودان، وباكستان)، مع تأييد تركي وأمريكي لهذه العملية. ثم أعلنت السنغال لاحقاً في مطلع شهر مايو مشاركة نحو 2100 جندي من الجيش السنغالي في عمليات "إعادة الأمل" في اليمن، بعد انتهاء "عاصفة الحزم"، مُحذرةً من أن المتمردين الحوثيين في اليمن يمثلون تهديداً خطيراً لاستقرار الإقليمي والأماكن المقدسة الإسلامية. وقد نُظر إلى هذا التحالف العسكري في بداياته على إنه بمنزلة تحالف جديد (محور سني) في هذه المنطقة الممتدة، بحيث يضم مزيجاً من التحالفات السابقة (تحالف 4 + 2) و(التحالف التركي - القطري)، بالإضافة إلى توسعه ليشمل دولاً جديدة (المغرب، والسودان، وباكستان، والسنغال).

¹⁵ عقب وفاة الملك الراحل عبد الله بن عبد العزيز، وتولي شقيقه العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز الحكم في يناير 2015، شهدت المملكة العربية السعودية تغييرات عدة ببنية السلطة، وما استتبعه ذلك من تغيير نهج السياسة الخارجية السعودية، وتبني سياسات تسعى إلى تحقيق التوازن بين الاحتفاظ بالتعاون الاستراتيجي مع مصر، والاقتراب من تركيا، بهدف تقويض التغلغل الإيراني في سوريا، باعتبار نظام "بشار الأسد" امتداداً لطهران. وخلال أسابيع قليلة من توليه الحكم، استقبل الملك سلمان في العاصمة الرياض عدداً من زعماء وقادة الدول، وكان أبرزهم الرئيس التركي "أردوغان"، ونظيره المصري عبد الفتاح السيسي، وأظهر هذان اللقاءان بُعداً جديداً في السياسة الخارجية السعودية، وفتح الباب واسعاً أمام التكهات بوجود مساعٍ سعودية لتشكل تحالف سني موسع يضم عدة دول في المنطقة، على رأسها تركيا ومصر، لمواجهة المحور الشيعي الإيراني. ومع تسارع التطورات السياسية والأمنية في اليمن وصولاً إلى انقلاب ميليشيا "الحوثي" على السلطة الشرعية للرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي؛ أعلنت المملكة العربية السعودية عن بدء عملية عسكرية تحت اسم "عاصفة الحزم" للتصدي لميليشيا "الحوثي" ووقف الدعم المقدم لها من قبل إيران، واستعادة الشرعية والاستقرار في اليمن.

غير أن ما يحدث على أرض الواقع لا يعكس تبلور هذا التحالف بمفهومه الواسع بين شركائه الرئيسيين (الدول السنية الكبرى)، وهي الحقيقة التي تؤكد المعطيات التالية:

أ- تراجع باكستان عن الدعم العسكري لقوات التحالف الذي تقوده السعودية في اليمن، بعد رفض البرلمان في إسلام آباد مبدأ المشاركة في هذه العمليات، وتصويته على البقاء على الحياد حيال الأزمة اليمنية. وبتقدير بالذکر أن باكستان تضم في تركيبها السكانية وجوداً شيعياً مهماً لا يمكن إغفال تأثيره في القرارات التي تتخذها تجاه المنطقة، وخاصةً تجاه الملفات التي ترتبط بالطائفة الشيعية.

ب- الدعم التركي المحدود لعاصفة الحزم؛ فالرئيس التركي "أردوغان" سبق أن تعهد بدعم تدخل المملكة العربية السعودية، وطالب إيران والجماعات الإرهابية بالانسحاب من اليمن، مؤكداً أنه ربما يفكر في تقديم "دعم لوجستي" استناداً إلى تطور الوضع، ولكن بعد أن أثارت هذه التصريحات غضب الإيرانيين، تراجع الرئيس التركي خطوة إلى الوراء، مشدداً على أن طهران هي الشريك التجاري الرئيسي للأتراك¹⁶.



خريطة توضح: دول التحالف السعودي ودول المحور الإيراني

Source: The Middle East's New Battle Lines, European Council on Foreign Relations

(ecfr. Eu), Link: https://ecfr.eu/special/battle_lines

3. التحالف التركي - القطري:

يشكل التحالف التركي القطري أحد أهم الصراعات الإقليمية في المنطقة حيث يضم هذا التحالف قوى الجماعات الإسلامية المتطرفة وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين وغيرها من الجماعات المسلحة في

¹⁶ أحمد عاطف، توافقات مصلحة: لماذا تغيرت طبيعة التحالفات في الشرق الأوسط؟، مرجع سبق ذكره.

سوريا والعراق، والتي اتسعت سيطرتها في المنطقة عقب ثورات الربيع العربي حيث سيطرت جماعة الإخوان على مقاليد الحكم في مصر، وسيطرة الجماعات الإرهابية على ليبيا وأجزاء من سوريا والعراق، الأمر الذي شكل تهديداً فعلياً للأنظمة الحاكمة في الخليج ومصر خاصة بعد الإطاحة بحكم الإخوان المسلمين في مصر.

4. المحور التركي - الخليجي:

يشكل المحور التركي الخليجي ثاني أهم المواجهات ضد إيران في المنطقة، بالرغم من الخرافات الاستراتيجية لدى تركيا مع دول مجلس التعاون الخليجي خاصة الإمارات والسعودية، إلا أنها تؤيد توجهاتهم خاصة السعودية لصد صعود النفوذ الإيراني وشمل هذا التعاون أساليب لوجستية واستخباراتية ودبلوماسية دون خوض مواجهة مباشرة، وظهر ذلك في موقف تركيا المؤيد لعمليات عاصفة الحزم ضد الحوثيين في اليمن، وفي الوقت نفسه ترفض الاصطدام المباشر بإيران لاعتبارات استراتيجية واقتصادية.

5. التحالف الرباعي العربي لمكافحة الإرهاب:

شكلت الدول الداعية لمكافحة الإرهاب السعودية والإمارات والبحرين ومصر، تحالفاً عربياً بعدما قررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع دولة قطر في 5 يونيو 2017، على خلفية اتهام قطر بدعم الإرهاب والإضرار بالأمن والاستقرار الإقليمي العربي وطرح هذا التحالف سيناريوهين بشأن مستقبل مجلس التعاون الخليجي الأول يتعلق بحجم المصالح السياسية والاقتصادية والأمنية الخاصة بدول الخليج والمرتبطة باستمرار المجلس والسيناريو الآخر يتعلق بكيفية تعامل دول المجلس مع قطر وإدارة الخلاف معها.¹⁷

6. تحالف قطري - تركي - إيراني:

بعد تطبيق أربعة دول عربية (مصر - السعودية - البحرين - الإمارات) لعقوبات اقتصادية تمثلت في المقاطعة والحصار الجوي لقطر على خلفية دعمها للإرهاب، وهو ما تزال تنفيه قطر، لجأت قطر لتشكيل تحالف موجه ضد الدول العربية يضمن هذا التحالف استمرار سياسة قطر المعادية للمنطقة للإضرار بالدول العربية، فتواجد جيش تركي إيراني داخل الدوحة لحماية أميرها ليس إجراء تعني به الدولتين خاطر العائلة القطرية وإنما له أهداف أخرى.

ورغم عدم تلاقي إيران مع سياسات قطر في بعض الملفات كالملف السوري واليمني، لكنها تلاقت مع قطر في موضوع التحالف، بل هي من أكثر المستفيدين منه، ووجدت فيه فرصة سانحة للتواجد في منطقة الخليج العربي لاستنزاف المملكة العربية السعودية وهذا ما أرادتته قطر أيضاً، واستعانت قطر بقوات

¹⁷مصطفى كمال، تحولات خريطة التوازن الإستراتيجي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، أبريل 2018، مقال

متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jMOHsu>

ومستشارين من الحرس الثوري الإيراني، فضلا عن الاتصالات المتبادلة بين تميم وروحاني لتوثيق العلاقات بين البلدين مما سيدفع إيران للتحكم بشكل مباشر في القرار القطري.

كما تستفيد تركيا وخاصة رئيس وزرائها من الانضمام لهذا التحالف كمحاولة لتصدير أزماتها الداخلية الى الخارج فضلا عن خوفها أن يتكرر معها نفس السيناريو القطري، فمعظم الأسباب التي دفعت الدول الداعية لمكافحة الارهاب لقطع علاقاتها مع قطر تتوافر في تركيا من دعم وإيواء عناصر ارهابية واستضافة قنوات تحريض ضد الدول العربية وسياسة خارجية تتسبب في الإضرار بالمنطقة العربية، وهو ما دعا تركيا لتقديم كل الدعم لقطر.¹⁸

إلا ان هناك من يلخص شكل التحالفات والمحاور الإقليمية في ثلاث محاور، بإعتبار أنها الوقود الحقيقي والقوى المؤثرة والطموحة في المنطقة، سواءً على الساحة الإقليمية أو الدولية ولذلك فقد ظهرت ثلاثة محاور رئيسية في الإقليم وهي كالتالي:

- 1- **المحور السعودي:**¹⁹ ويضم كل من (السعودية ومصر والإمارات والبحرين والأردن وحكومة عبد ربه منصور هادي في اليمن). تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية نسبياً.
- 2- **المحور الإيراني:**²⁰ ويضم كل من (إيران وسوريا وقوات الحشد الشعبي في العراق والحوثيون في اليمن وحزب الله في لبنان). تدعمه روسيا نسبياً.
- 3- **المحور التركي:**²¹ ويضم كل من (تركيا وقطر وبعض الجهات الفاعلة غير الحكومية مثل جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس).

¹⁸ نانيس عبد الرزاق فهمي، تأثير العقوبات الدولية على النظام الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز القومي بدراسات الشرق الأوسط، وحدة الامن الإقليمي والامن القومي، 2019/06/02، مقال متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3hSci0x>

¹⁹ المحور السعودي، وتتمثل أهدافه المعلنة وغير المعلنة في:

1. وقف التمدد الإيراني في المنطقة والذي أصبح يهدد استقرار الخليج والمنطقة بأسرها بعد تدخله السافر في الملف اليمني والسوري والعراقي.
2. القضاء على ثورات الربيع العربي وما أفرزته من مخرجات تهدد الأنظمة الملكية في المنطقة.
3. القضاء على تيار الاسلام السياسي الذي برز كخيار أول لدول الربيع العربي بعد 2011، ممثلاً في جماعة الإخوان المسلمين والتي وصلت لسدة الحكم في مصر.

²⁰ المحور الإيراني، وتتمثل أهدافه في:

1. إقامة «امبراطورية ذات نزعة مذهبية» «تمتد من إيران عبر العراق ونحو سورية ولبنان» فيما يعرف بالهلال الشيعي،
2. تثبيت حكم الأسد في سوريا والامساك بكل أوراق الضغط في الملف السوري حتى لا تفقد إيران هيمنتها على سوريا.
3. تحجيم وإضعاف السعودية باستدامة التوتر على حدود المملكة بضرب خاصرتها الجنوبية عن طريق الحوثيين، ومنازعتها في بسط النفوذ في المنطقة لاسيما البحرين واليمن

وهناك عدة اصطفايات غير مستقرة ومتغيرة في المنطقة وكذلك تحاول بعض الدول أن تمسك بالعصا من المنتصف لتعرب دور الوساطة بين هذه المحاور المتصارعة. كما ظهرت تحالفات متقاطعة والتي نشطت بوساطة قوى دولية والتي كانت في المقام الأول بين المحور الأول إيران والمحور الثالث تركيا بوساطة روسية وهذا ما سندرجه في النقطة الموالية من التحالفات الإقليمية الدولية.

ثانياً: التحالفات الإقليمية-الدولية:

للغوى الدولية الكبرى دوراً أساسياً في تشكيل التحالفات من خلال علاقاتهم بالقوى الإقليمية الفاعلة والتي تؤثر بالدرجة الأولى في حالة التوازن الإقليمي بالمنطقة، ونتيجة للعقوبات الدولية في الشرق الأوسط فقد تشكلت تحالفات استراتيجية بتقاطع محاور إقليمية ودولية، سواء تكونت بالفعل أو في طريقها للتشكيل على النحو التالي:

التحالف الاستراتيجي الروسي-التركي-الإيراني:

وهنا الحديث عن تحالف استراتيجي تداخلت أهدافه المعلنة، فبعد التقارب الروسي التركي عام 2016، تشكل تحالف جديد روسي تركي إيراني كضرب من توسيع التحالف الروسي الإيراني، ما أتاح لروسيا الخروج من قيود التحالف مع إيران وتوسيع دائرة تأثيرها السياسي لتشمل المعارضة المسلحة بوساطة تركيا، الداعمة للكثير من الفصائل والضامنة لها، فيما أمن التحالف الجديد لتركيا تجاوز العقبة الأميركية في التوسع شمال سورية، وإمكانية إجراء المقايضات التي توفر لها السيطرة على بعض المناطق الحدودية.

²¹ المحور التركي فهو يسعى إلى تحقيق مصالحه الخاصة به ومنها:

1. صوغ محور يرتكز إلى الإسلام السياسي كقاسم مشترك يشمل عدداً من دول المنطقة العربية ولعب دور إقليمي يسمح لها بإقامة شراكات وعلاقات اقتصادية وسياسية يجعلها لاعبا وفاعلاً مؤثراً في المنطقة.
2. تسعى تركيا لتأمين استقرارها من منظومة ثلاثية الأبعاد قد تهدد مصالحها وأمنها القومي، أولها مستتق الحرب البرية الذي لا تريد تركيا التورط به وثانيها الحذر من أي مواجهة مع حلفاء دمشق، وثالثها التنبه لأهداف التحالف الدولي ضد داعش.
3. التنبه للأهداف والمآلات بعيدة المدى للتحالف الدولي ضد الإرهاب والذي قد تؤدي استتالة حربه إلى تقويض مصالح تركيا المتمثلة في الاستقرار والتنمية الاقتصادية بما يعود سلباً على دور تركيا ومكانتها مستقبلاً.
4. تأمين حلفائها في المنطقة (قطر) وعدم السماح بالتغول عليها حتى لا يأت الدور عليها من بعض الأطراف العربية التي مولت الانقلاب الأخير على أردوغان.

للمزيد من المعلومات ينظر في: محمود المنير، المحاور الإقليمية في المنطقة إدارة الصراع وآفاق المستقبل، موقف مقال، 2018،

متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bqpOjI>

تُهيمن روسيا على التحالف الثلاثي وتقوده في مواجهة التحالف الغربي الذي تقوده أميركا، وذلك باستغلال التناقضات الموجودة بين شريكتيها في الحلف أو بين كل منهما ودول التحالف الغربي. لكن ذلك لم يخفِ هشاشة هذا التحالف؛ بسبب تعارض المصالح في قضايا كثيرة، ومنها الخلاف على تقاسم مناطق النفوذ في سورية²².

عززت سلسلة مؤتمرات أستانا من قوة التحالف الثلاثي، ومكنته من السيطرة النسبية على مجريات الصراع العسكري بإنشاء مناطق خفض التصعيد. ومن خلال هذا التحالف، استبدلت روسيا التعاون والتنسيق المتعثرين مع الولايات المتحدة بالتنسيق مع شريكتيها، إيران وتركيا.

رافق ظهور التحالف الروسي- التركي- الإيراني إعادة اصطفاة إقليمية خففت من حدة الصبغة المذهبية، السنية - الشيعية، للصراع في سورية، وخاصة بعد تعرض التنسيق بين دول الخليج، الذي كان يطلع به مجلس التعاون الخليجي، إلى ضربة كبيرة بعد الأزمة الخليجية. وهكذا، رُسمت خطوط جديدة للمصالح والتحالفات، فتعززت علاقة تركيا بقطر، فيما حاولت إيران التقرب من قطر عبر الإيحاء برغبتها في فك المقاطعة التي فرضتها دول التحالف الرباعي على قطر.²³

ورافق أيضا التحالف الثلاثي الشريك الصيني، من خلال منظمة شنغهاي للتعاون²⁴ (SCO) والذي يظهر نشاطهم في مؤتمر أستانا الذي يجمع أهدافهم المشتركة. منظمة توحد أربع قوى نووية (الصين، روسيا، الهند وباكستان)، هي نصف عدد الدول النووية في العالم، في منظمة إقليمية واحدة، ما يشكل رادعاً إضافياً في إطار النظام الذي تم إنشاؤه للحفاظ على التوازن الاستراتيجي للقوة والاستقرار السياسي في العالم. ولمكافحة التحديات والتهديدات المشتركة للأمن.

تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي: (MESA)، أو ما يطلق عليه أيضا بـ "الناطو العربي"، والذي ترغب فيه إدارة الرئيس دونالد ترامب في تأسيسه وتفعيله، والذي يضم إضافة إليها ثماني دول عربية، هي دول مجلس التعاون الخليجي الست ومصر والأردن. بهدف التصدي للتوسع الإيراني في المنطقة.²⁵ كما ان البيت الأبيض يريد تعزيز التعاون مع دول الخليج العربية ومصر والأردن في إطار تطبيق سياسة "أمريكا

²²التحالف الروسي- التركي- الإيراني في سورية، مركز حرمون للدراسات، وحدة دراسة السياسات، 05 ماي/ أيار 2018، ص3.

²³ المرجع السابق، ص3.

²⁴راشد عليموف، دور منظمة شنغهاي للتعاون في مجابهة تهديدات السلم والأمن، الأمم المتحدة، على: <https://bit.ly/2Z2mBRK>

²⁵ للتفصيل أكثر في الموضوع ينظر في: ياسمين فاروق، الطريق الطويل نحو تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي، مركز كارنيغي

للشرق الأوسط، 25 آذار/مارس، 2019، متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IRcglo>

أولاً؛ وفي إطار تنفيذ استراتيجية التوازن خارج المجال، والتي تخلص الولايات المتحدة جزءاً من العبء، في مواجهة التهديدات الأمنية الإقليمية، وإقائها على عاتق حلفاء الولايات المتحدة في أنحاء العالم²⁶.

ويشمل التحالف الدفاع الصاروخي والتدريب العسكري ومكافحة الإرهاب وقضايا أخرى، مثل دعم العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية الإقليمية، وهو بمثابة نسخة عربية من حلف شمال الأطلسي أو "ناتو عربي" للحلفاء المسلمين السنة، وأطلق عليه مؤقتاً اسم "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي" بشكل يعمل كحصن في مواجهة العدوان والإرهاب والتطرف الإيراني²⁷. ويركز هذا التحالف على الدولتين الخليجيتين الأكثر تأثراً في المنطقة، وهما السعودية والإمارات للعمل عن كثب مع إدارة ترامب لمواجهة إيران الخطوة التي من شأنها أن تزيد التوتر بين الولايات المتحدة وإيران.

وفي نفس السياق، يأتي تحالف البحر الأحمر بين الدول العربية المطلة على البحر الأحمر، ومن بينها (إسرائيل) والسعودية ومصر، من أجل تحقيق استقرار المنطقة، وهو آلية للتشاور من أجل استقرار البحر الأحمر يمكن تطويره ليكون تحالف جاهز حال فشل الناتو العربي حيث يمكن أن يكون مظلة أمنية في مواجهة النفوذ الإيراني والتركي. والصيني.

²⁶ يتوافق مثل هذا التحالف تماماً مع تفكير ليس فقط إدارة ترامب (أنظر، مثلاً، استراتيجية الأمن القومي في كانون الأول/ديسمبر للعام 2017، واستراتيجية الدفاع القومي العام 2018) بل أيضاً إدارة باراك أوباما. فكلتاها بلورتا رغبة في خفض التموضع الأمني الأميركي في الشرق الأوسط. إذ تدعو استراتيجية الدفاع لإدارة ترامب إلى "توسيع آليات التشاور الإقليمي" و"تعميق قابلية العمل البيئي" لتقاسم أعباء الدفاع عن حلفاء ومصالح أميركا حول العالم. وتتطابق هذه الاستراتيجية في الشرق الأوسط مع تصميم الرئيس ترامب على تقليص المساهمة الأميركية في الأمن الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط، وجعل الدعم الأميركي مساوياً لما تدفعه الدول الخليجية. فمن الآن وصاعداً، سيكون على الدول الخليجية أن تدفع أكثر لتأمين نفسها، بالإضافة إلى "تعويض" الولايات المتحدة عن كلفة الدفاع عنها طيلة العقود السابقة. كما تتوقع إدارة ترامب من البلدان العربية، بقيادة السعودية، أن تواصل ضبط أسعار النفط وأن تدعم السياسات الأميركية ضد روسيا والصين في مقابل الرعاية الأميركية لمشروع التحالف الجديد. ويستمر المسؤولون الأميركيون في تطوير مفهوم "ميسا" من خلال تطعيمه بالوسائل المختلفة التي تسمح للولايات المتحدة بتقليص وجودها العسكري في المنطقة، من دون خسارة سطوتها عليها. فبالإضافة إلى تحفيز الدول العربية على الاستثمار أكثر في منظوماتها الدفاعية الفردية والجماعية، سيحاول المسؤولون الأميركيون استخدام تحالف "ميسا" لمواجهة نفوذ روسيا والصين المتنامي في المنطقة، بما في ذلك دعمهما لإيران... المرجع السابق.

²⁷ يارا بيومي وجوناثان لاندائ ووارين ستروبييل، ترامب يسعى لإحياء فكرة تشكيل "ناتو عربي" للتصدي لإيران، رويترز، 27 جوان

2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2EUuSQU>

3: أسباب تغير التحالفات الإقليمية في الشرق الأوسط

تكشف تطورات الأحداث في الشرق الأوسط على مدار السنوات الأخيرة، وكذلك الظروف الراهنة، عن عدد من العوامل والمحددات أسهمت في تغير التحالفات الإقليمية، ومن المتوقع أن تؤثر أيضًا في المسارات المحتملة لخريطة التحالفات مستقبلاً. وتتمثل هذه العوامل في الآتي:

أ- **طبيعة التحالفات "المرنة والمؤقتة"**: اتساقاً مع وتيرة الأحداث السريعة التي يشهدها الشرق الأوسط منذ اندلاع ثورات الربيع العربي، فقد انعكس ذلك على طبيعة وشكل التحالفات بين دول الإقليم؛ حيث لم تعد هذه التحالفات تتسم بصفة الجمود والاستمرارية لمدة طويلة مثلما كانت في عقود سابقة، بل باتت "المرونة" سمة أساسية لنمط التحالفات السائد في المنطقة.

وطبقاً لهذه الخصيصة، فإن دولة ما قد تنضم إلى تحالف محدد في سبيل تحقيق هدف "مؤقت"، وهو ما اصطلح على تسميته بتحالف "الضرورة". ولا يعني انضمامها إلى هذا التحالف خروجها من تحالفات إقليمية أخرى. وهذا معناه احتمالية انضمام الدولة إلى أكثر من "تحالف" في وقت واحد، بل ومع حلفاء لديهم أجندات وتوجهات مختلفة.

ب- **التغيرات السياسية الداخلية في دول الإقليم**: مما لا شك فيه أن التغيرات التي طرأت على العديد من دول المنطقة خلال السنوات الأخيرة، أثرت بدورها في نمط التحالفات في الإقليم. والدليل على ذلك ما أحدثته ثورات الربيع العربي من تغييرات جذرية في الأنظمة الحاكمة في عدد من الدول، وما ترتب على ذلك من تعديل هذه الدول تحالفاتها، على النحو السابق توضيحه أعلاه.

كما أن التغيرات التي تفرزها الممارسات السياسية المعتادة (الانتخابات أو انتقال السلطة سلمياً) من شأنها أيضاً التأثير في نمط التحالفات السائدة، نتيجة تغير الحكومات وما يستتبعه من اختلاف في سياساتها الخارجية. ومثال ذلك التغيرات التي أجراها العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز على هياكل السلطة بعد رحيل شقيقه الملك عبد الله، وانعكاسات ذلك على خريطة التحالفات الإقليمية في المنطقة.

ج- **تراجع الاهتمام الأمريكي بمنطقة الشرق الأوسط**: تغيرت أولويات الولايات المتحدة خلال السنوات الأخيرة، في ظل تقليل اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط لصالح منطقة آسيا والمحيط الهادي في إطار ما يُسمى "محور إعادة التوازن". "Asian Pivot" فقد رأت واشنطن أن المنطقة العربية تعاني اضطرابات كبيرة، ومُقبلة على حروب متوقعة يمكن أن تؤدي إلى تورطها بشكل يكون مُكلفاً هي في غنى عنه، في

ظل حالة الركود النسبية للاقتصاد الأمريكي، وتقليل موازنة البنتاجون؛ لذلك فإن أبرز الخطوط الرئيسية لسياسة "أوباما" هي جعل دول المنطقة تتحمل الجزء الأكبر من تكاليف أي جهد عسكري واقع أو محتمل، مثل مواجهة تنظيم "داعش" وغيره من التنظيمات المتطرفة.

ومن الأسباب الكامنة وراء إعادة واشنطن النظر في كثافة وجودها بمنطقة الشرق الأوسط، هي تراجع اعتمادها على نفط المنطقة، في ظل إنتاجها النفط الصخري. ومن ثم فقد أدركت دول المنطقة -وفي مقدمتها دول مجلس التعاون الخليجي، وعلى رأسها السعودية- هذه التغيرات في السياسة الأمريكية، وهو ما دفعها إلى تشكيل تحالفات إقليمية موسعة لحماية أمنها القومي حال تهديدها، خاصةً من إيران، ويمكن اعتبار "عاصفة الحزم" نموذجًا على ذلك.

د- التدخل العسكري الروسي المباشر في سورية: حيث لعبت موسكو دوراً مؤثراً في الأزمة السورية، وركزت في استراتيجيتها على ربط علاقات وتحالفات تمكّنها من إنجاح عملية تدخلها والخروج بأقل الأضرار الممكنة، ولم يؤثر ذلك على ديناميكيات سوريا فحسب، بل على الديناميكيات الإقليمية والدولية بشكل مباشر.

هـ- التمدد الإيراني (الشيوعي) في المنطقة: تُشكل إيران تهديداً لدول المنطقة في ظل السياسة التي تنتهجها بتدخلها المباشر والعلني في العراق وسوريا واليمن ولبنان، والبحرين²⁸، ودعمها الأحزاب والجماعات الشيعية بهذه الدول؛ حيث أسهمت بتدخلها في انهيار هذه الدول وانفراط عقدها.

²⁸في إطار الصراع الذي يدور بين إيران والسعودية، تعد البحرين المنطقة الرخوة التي دار فيها جانب مهم من هذا الصراع، ومنذ قيام الثورة في إيران (1979)، وحتى الآن برز تيار ثوري شيعي في البحرين طالب بإطاحة (بال خليفة) وهو ما اتضحت معالمه في الأزمة السياسية الراهنة، إذ شهدت البحرين منذ 14 تشرين الثاني 2011 موجة من المسيرات والمظاهرات الاحتجاجية - دعا فيها إلى إسقاط النظام وتحويل البحرين من ملكية إلى جمهورية - التي سرعان ما تطورت إلى اعتصام في اليوم الثالث في دوار اللؤلؤ ثم تطورت إلى احتكاكات بين أبناء الطائفتين (الشيعية والسنة) مما أفضى إلى تشدد من النظام الحاكم في التعامل مع الطائفة (الشيعية)، من خلال استخدام القوة أو الانحياز إلى (السنة) واحتواء بعض العناصر وطلب الدعم من الدول العربية (السنية)، خاصة السعودية. والاستعانة بقوات درع الجزيرة الخليجية.

ان الأزمة في البحرين شديدة التعقيد ومتعددة الأبعاد، فهي في أحد أبعادها أزمة علاقة بين الدولة والمجتمع، وفي بعد آخر أزمة بين النظام والمعارضة، وفي ثالث أزمة طائفية بين السنة والشيعية، وفي بعد رابع أزمة علاقات ثنائية بين المنامة وطهران، وفي بعد خامس هي امتداد لأزمة التنافس السعودي-الإيراني على النفوذ الإقليمي، وفي بعد آخر هي أزمة بقاء النظام الملكي أو زواله في المنطقة، وهو ما يجعل البحرين واحدة من نقاط الاشتعال المحتملة في المنطقة العربية. ومن ثم فإن هناك اتجاها يرى ان البحرين قد تتحول عبر هذه الأزمة إلى ساحة حرب بالوكالة لمواجهة قديمة بين الرياض وطهران. للمزيد حول الموضوع ينظر في: شحاتة محمد ناصر، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت في التعامل مع المطالب الشعبية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص

وتسود المخاوف دول مجلس التعاون الخليجي بعد الإعلان مؤخرًا عن قرب التوصل إلى تسوية بين إيران والغرب بشأن ملفها النووي، وهذه المخاوف مردها احتمالية إبرام صفقات (سرية) بين طهران ومجموعة (1+5) تحصل بموجبها الجمهورية الإسلامية على حوافز في إطار طموحاتها التوسعية بالمنطقة على حساب باقي الدول الإقليمية.

ومن ثم فهذه التحولات الاستراتيجية والتهديدات التي يفرضها المد الإيراني وموقف الغرب الغامض منها، تمثل دافعًا لدول المنطقة -وفي مقدمتها السعودية- إلى إعادة النظر في تحالفاتها الإقليمية من حين إلى آخر، مع محاولة إزالة الخلافات بين الدول السنية في سبيل تكوين جبهة موحدة في مواجهة هذا الخطر الشيعي.

و- الاضطرابات الأمنية في عدد من دول الإقليم: أدت الاضطرابات الأمنية في بعض دول المنطقة، مثل سوريا والعراق واليمن وليبيا، إلى تشكيل تحالفات إقليمية جديدة أو إعادة النظر في تحالفات قائمة بالفعل. ومثال ذلك، تكوين تحالف عسكري عربي بقيادة سعودية وبدعم قوى إقليمية ودولية أخرى، لمواجهة الانقلاب "الحوثي" المدعوم من إيران في اليمن. وفي سوريا، أدت حالة الفوضى على خلفية المواجهات بين نظام "بشار الأسد" ومعارضيه، إلى تحول كل من قطر وتركيا وحماص عن الابتعاد عما كان يسمى "محور الممانعة".

كذلك، فإن مواجهة تنامي خطر "داعش" وغيره من التنظيمات المتطرفة، كان يقتضي أن تُنحي بعض دول المنطقة خلافاتها في ملفات أخرى جانبًا، وأن تتعاون معًا للتصدي لهذا "السرطان" المتفشي في الجسد العربي. وفي هذا الصدد، تردد وجود تنسيق خفي بين واشنطن وطهران للاستفادة من نفوذ إيران في سوريا والعراق في التصدي لهذا التنظيم المتطرف وغيره من الجماعات المتشددة²⁹.

19. كما يمكن الإطلاع على: علي فخرو، انعكاس التحركات العربية على البحرين، مجلة المستقبل العربي، العدد 390، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص117.

²⁹ أحمد عاطف، مرجع سبق ذكره.

ثانياً: الأزمة السورية وتحولات خريطة تفاعلات وتوازنات استراتيجيات القوى الدولية في الشرق الأوسط

1: الأزمة السورية وتداعياتها على توازن القوى الدولية والنظام الدولي

بات يُطلق على الحقبة الجديدة التي تطور فيها التغيير، تسمية "حقبة صراع وتنافس القوى الكبرى"³⁰، وقد تشكلت حول محور الأقطاب الرئيسية الثلاث، المتمثلة بالولايات المتحدة والصين وروسيا. مع انتهاء الهيمنة الأحادية للولايات المتحدة الأميركية، بدأت النقاشات المتعلقة بالنظام العالمي والإقليمي تسير بكل ما يمكنها من سرعة. وبصورة عامة، تتأسس النقاشات التي تُطرح في إطار مرحلة ما بعد الهيمنة، على تصورات المرحلة الجديدة وديناميكياتها. وقد اعتبرت الأزمة السورية، وفق بعض الباحثين والمفكرين، أنها بداية هذه المرحلة؛ حيث إن الأزمة السورية أصبحت نموذجاً، فتضاءل تأثير قوى الهيمنة بشكل كبير وواضح، وأصبح لجهات فاعلة مختلفة أخرى دورٌ حاسم ومحدد في القضية. فالمرحلة التي بدأت بالتدخل الروسي في سورية في أيلول/سبتمبر عام 2015، أثرت في ديناميكيات سورية، كما أثرت في الديناميكيات الإقليمية والعالمية بشكل مباشر أيضاً. وكان دور روسيا الحاسم، في الأزمة السورية، عاملاً مهماً في النقاشات حول التغيير على المستويين العالمي والإقليمي. وإلى جانب ذلك، أسهمت أنشطة الصين -على الصعيدين العالمي والإقليمي- منذ عهد أوباما، في تعزيز هذه العملية أيضاً. إذ إن الصين التي عملت على تطوير علاقاتها مع دول الخليج بشكل خاص، تحولت من جهة إلى محطة استثمار وتكنولوجيا عالية لإسرائيل الحليف القديم للولايات المتحدة، ومن جهة أخرى، إلى مصدر للإمداد الخارجي لإيران عدوة الولايات المتحدة، في موضوع الدفاعات العسكرية. وبهذا المعنى، يكون العهد الجديد الذي تنامي فيه التغيير، بدأ يطلق عليه "عصر تنافس القوى الكبرى"، وقد تم صوغه حول محور الأقطاب الثلاثة الرئيسية؛ الولايات المتحدة الأميركية والصين وروسيا. ومهما كان هناك اعتقاد بالدخول في حقبة جديدة بعد عهود من الهيمنة، فإن التأثير الإقليمي للولايات المتحدة ما زال مستمرًا ومتواصلًا.

³⁰ إن حقبة تنافس وصراع القوى الكبرى، كما يوحي اسمها، هي وصفٌ لتسمية السياق الذي تدخل فيه كل التفاعلات المحتملة والممكنة، بين القوى الكبرى، التي تتخذ من صراعات الولايات المتحدة الأميركية والصين وروسيا أساساً لها؛ إذ إن هذه الحقبة تحوي في طياتها تأثيراً يمكن أن يشكل المركز الرئيسي للتحالفات والاصطفافات العالمية والإقليمية، على المدى القصير والمتوسط. كما أنها حقبة يتم فيها تضمين التفاعلات، بين الولايات المتحدة والصين وروسيا، في العديد من المجالات المختلفة، ومن ضمنها المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، وهي المرحلة التي يتم فيها التأكيد على أفعال المجابهة، وكسب المواقع المستتدة على الوارد (العائد) الاستراتيجي بين القوى الكبرى .

وبتعبير آخر، على الرغم من فقدان الولايات المتحدة لقوتها المهيمنة العالمية والإقليمية، فلا يمكن الحديث عن حقبة جديدة مستقلة وبعيدة عن الولايات المتحدة الأميركية³¹.

المطلب الثالث: الاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة للمشكلة للتحويلات الجيوستراتيجية الشرق أوسطية الجديدة

تعد الأزمة السورية هي أول وأهم وأخطر أزمة من نوعها في العصر الحديث، وتشكل مرحلة متقدمة في مشروع "الشرق الأوسط الجديد" لرسم خرائط جديدة للمنطقة على أساس اثني مذهبي تفتيتي، لإشعال الفتنة السنية الشيعية والسيطرة على منابع ومسارات الغاز، وقد تؤدي أيضاً إلى نشوب أول حرب غاز في العالم التي على نتائجها يتقرر من سيتحكم بمصير هذا القرن. وتسير باتجاه القضاء على محور المقاومة عبر إسقاط (واسطة العقد سورية) بما تمثل كحاضنة وداعمة وكعمق استراتيجي للمقاومة. في الواقع الشيء المهدد بالخطر في سورية ليس كيف سيستطيع الرئيس بشار الأسد إحلال مبادئ الديمقراطية وتداول السلطة في المؤسسات التي ورثها أو هل سينجح أمراء الوهابية في الخليج ومن خلفهم أميركا والغرب في القضاء على آخر حكومة علمانية في المنطقة ونشر الاسلام الوهابي، بل الخطر يكمن في تحديد الخطوط الفاصلة والمصالح بين (منظمة شنغهاي للتعاون SCO) بقيادة الصين وروسيا من جهة، وأميركا والحكومات الجديدة التي شكلتها مع حلف الناتو في المنطقة العربية بعد ركوبهما حصان الاخوان المسلمين من جهة اخرى. ولكي نفهم ماذا يجري في سورية والى اين مآل هذه الازمة، علينا ان ندرس التداخل الدولي والاقليمي والعربي فيها وعليها، فالمنطقة يتجاذبا صراع استراتيجيات عالمية لأهداف اقتصادية طاقوية بالأساس³². فمنذ بداية القرن الماضي والقوى الكبرى المتنافسة على الموارد لا تهتم بحريات الشعوب ولا للديمقراطية وتداول السلطة بل تستغل هذه الشعارات لنهب خيرات الامم وتقسيمها والسيطرة عليها. وسورية اصبحت ساحة صراع عالمي، كما وصفها بان كي مون الامين العام للأمم المتحدة والذي اعترف فيه ان الاحداث في سورية هي معركة بالنيابة بعد تداخل أخطر ملفات عالمية³³ بها وحولها.

³¹ خورشيد دبنجل، صراع القوى الكبرى واستراتيجية الشراكة في الشرق الأوسط، ترجمة: علي كمخ، مركز الدراسات الإيرانية، 2020/08/19، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3lde7B2>

³² إيمان أبو زيد مخيمر، استراتيجية المصالح بين الصراع والثورة "الأبعاد الإقليمية والدولية" في المسألة السورية، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 27 يوليو 2015، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gSlpW5>

³³ وهذه الملفات هي كالتالي:

• الاول: ملف الطاقة العالمي (الغاز) مصادره وطرق إمداده.

ولفهم أكثر للحالة الجيوستراتيجية الشرق أوسطية الجديدة، لا بد من التوقف عند الملامح الكبرى لاختراق هذا النظام الإقليمي³⁴ في إطار استراتيجيات البيئة الدولية:³⁵

1: معارك الاستراتيجيات الدولية

أ. الإستراتيجية الأمريكية لتوسيع نطاق عمل حلف الناتو جنوبا وشرقا (الشرق الأوسط الكبير): أي توظيف الناتو في تحقيق التمدد الأمريكي حول روسيا وفي طريق تمدد المشروع الصيني (الحزام والطريق)، ولعل تزامب بزيادة نصيب بقية الأعضاء في الناتو في نفقات الحلف الدفاعية، هو مؤشر على

- الثاني: معركة التحدي بين روسيا وأميركة على الغاز والقواعد العسكرية، والصراع على القرن الجديد وملف النزاع على المناطق الاستراتيجية العالمية كوسط آسيا والبحار الاربعة والمضائق والبحر الابيض المتوسط والدول المطلة عليه.
- الثالث: معركة التحدي الصيني- الاميركي على الاقتصاد والطاقة وطريق الحرير والنظام العالمي الجديد والمحيط الهادي.
- الرابع: الملف النووي الإيراني ودور إيران الاقليمي وامن الخليج ومسارات الطاقة.
- الخامس: التنازع بين إيران وحلفائها والسعودية وقطر وحلفائهما على دور ومستقبل المنطقة.
- السادس: ملف الصراع التركي - السوري (حزب العمال الكردستاني) و"الأحلام" العثمانية المتجددة.
- السابع: ملف الصراع بين سورية وحزب الله من جهة وإسرائيل من جهة اخرى.
- الثامن: الربيع الاسلامي العربي الاميركي والنزاع الطائفي في العالم العربي والاسلامي وتحدياته وملف القاعدة والجماعات المتطرفة.

هذه الملفات المفصلية والمعقدة والمستعصية اصبحت كلها لاعبة وحاضرة ومطروحة على نسب مختلفة في كل ابعاد الازمة السورية وتدايعياتها بطريقة لم يشهد لها مثيل في العالم منذ انتهاء الحرب الباردة بين القطبيين العالميين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية حتى الآن. والتي على حلها يتوقف مصير سورية والمنطقة ورسم خرائطها الجغرافية، ومصير القرن الـ 21.

وفي هذا الجانب يشير تقرير وكالة الطاقة الدولية إلى أن تجارة الغاز في العالم ستنمو أكثر من الضعف، وإن الزيادة في الطلب على الغاز بمقدار 620 مليار متر مكعب سيتم تزويدها بصورة متساوية تقريبا عبر خطوط أنابيب الغاز وعن طريق شحنات الغاز الطبيعي المسال. وإن الإنتاج السنوي العالمي من الغاز الطبيعي من المتوقع أن يزداد بمعدل 1.8 تريليون متر مكعب بحلول العام 2035، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف الإنتاج الحالي من الغاز الروسي.

ولأن النفط اصبحت مادة مستنفدة، حيث تشير توقعات وكالة الطاقة الدولية الى أنها ستبدأ بالنضوب العام 2040 وستنتهي العام 2065. ولأن احتياطات الغاز الحالية تكفي لـ 120 عاما في مستوى الاستهلاك الحالي، اما جميع الاحتياطات القابلة للإنتاج قد تزيد على 250 سنة وهذا وفق الوكالة نفسها . للمزيد ينظر في: إيمان أبو زيد مخيمر، مرجع سبق ذكره.

³⁴ **النظم المخترقة:** تعني غلبة استجابة النظام الإقليمي لمطالب البيئة الدولية الخارجية على حساب مطالب البيئة الإقليمية الداخلية، وهو الأمر الذي يتم إلا من خلال توفر آليات للقوى الخارجية لتكييف القرار الإقليمي طبقا لمصالح تلك القوى الخارجية. وحسب تحليل الدكتور وليد عبد الحي، فإنه ومنذ أن نشر Leo Carl Brown دراسته عام 1984، حول النظم الإقليمية المخترقة، تزايدت أدبيات النظم الإقليمية المخترقة، ووصلت إلى نفس النتيجة التي وصل لها براون، وهي أن الشرق الأوسط هو أكثر نظم العالم الإقليمية المخترقة.

³⁵ وليد عبد الحي، معارك الشرق الأوسط، الموسوعة الجزائرية للعلوم السياسية، 2020/01/25، على: <https://bit.ly/33tJ7ED>

الرغبة في تخفيف أعباء التمدد الأمريكي، والعامل المساعد في ذلك هو زيادة نصيب الدول الأوروبية - مما يخفف من العبء الأمريكي - وزيادة شراء الأسلحة من قبل دول الشرق الأوسط -الذي يحتل حالياً النسبة الأعلى بين أقاليم العالم في نفقات الدفاع قياساً لإجمالي الناتج المحلي - وتحميل دوله الخليجية منها السعودية أعباء تواجد القوات الأمريكية بقواعد عسكرية في المنطقة.

ب. إستراتيجية الحزام الوافي الروسية: تشير وثائق الرئاسة الروسية ووثائق الخارجية الروسية إلى أن الشرق الأوسط (غرب آسيا بالتعبير الروسي والصيني) هو خط الدفاع الأول عما يسمه الجوار الروسي القريب، وعن حدود عمل منظمة شنغهاي التي تتحول تدريجياً باتجاه الدور الأمني، ويعزز الوجود الروسي والصيني الضغط نحو "التعدد القطبي" ومنع الإسلام السياسي من التمدد للقلب الروسي في داغستان والشيشان وغيرهما، ناهيك عن المنافسات حول طريق تمرير أو استغلال الغاز والنفط لأوروبا وآسيا.

ج. إستراتيجية مبادرة الحزام والطريق الصينية: أي التمدد الصيني برا وبحرا باتجاه أوروبا عبر الجغرافيا الشرق أوسطية، بمشروع اقتصادي وتنموي ضخم قدره 6 ترليون دولار، وهو ما يستدعي تسوية النزاعات داخل الإقليم ومنها والنزاع السوري، النزاع العربي-الصهيوني، وتفكيك الإسلام السياسي، خوفاً من تمدده لمناطق المقاطعات الغربية الصينية التي يغلب عليها اليغور المسلمون، وتنمية البنى التحتية لدول الشرق الأوسط في كل الدول العربية، وإيران و(إسرائيل) معاً، والتي تبدي كل دول المنطقة ترحيباً واسعاً بالمشروع، ما يشكل تهديداً فعلياً للاستراتيجية الأمريكية بالمنطقة.

د. إستراتيجية الجوار القريب الأوروبية: تشكل أوروبا الشريك التجاري الأول لدول الشمال الإفريقي العربي، إلى جانب انعكاس الاضطرابات العربية على البنية السكانية الأوروبية من خلال المهاجرين، وانتقال العنف إلى أوروبا، وتنمية النزاعات المتطرفة، وهو ما يدفع أوروبا للعمل على ضبط إيقاعات التفاعلات في الشرق الأوسط.

2: معارك الاستراتيجيات الإقليمية

- أ. معركة تحويل الصراع من (إسرائيل) إلى إيران (الولايات المتحدة وبعض القوى الأوروبية).
- ب. معركة التخلص من سلاح المقاومة اللبنانية وسلاح قطاع غزة وتفكيك الحشد الشعبي في العراق (توجه غربي ومحاولة روسية صينية لاستثماره في حدود معينة).

ج. معركة تصفية الإسلام السياسي المسلح في الدول العربية (نظرا لتهديده لحلفاء الدول الغربية أحيانا ونظرا لهوج هذا الاتجاه في إدارة تفاعلاته مع عالم معقد للغاية، ونظرا لخوف روسي صيني من تمدده نحوهما).

د. معارك التنوعات الاجتماعية (القومية والمذهبية والطائفية) حيث يتم توظيف هذه التنوعات كذرائع للتدخل (مثل القضية الكردية) ومحاولة استتساخ ظاهرة جنوب السودان في المشرق العربي أو المغرب العربي بل وفي تركيا وإيران.

هـ. معركة دمج الشرق الأوسط في ميكانيزمات التكيف الرأسمالي (توظيفه في امتصاص الأزمات الدورية للنظام الرأسمالي)، وعليه فالتحديث والديمقراطية والتنمية السياسية هي آليات ستسعى الدول الكبرى إلى تكييفها (كل بطريقته) ولصالحها.³⁶

المطلب الرابع: تطبيقات استراتيجيات القوى الدولية لتحقيق التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط

أولاً: الولايات المتحدة بين استراتيجية التوازن خارج المجال واستراتيجية الشراكة في الشرق الأوسط يحتل الشرق الأوسط، حيث تجري القوى الكبرى كل مشاريعها، مكانة وموقعاً مهمين للغاية؛ ذلك بأن ثمة دولاً في المنطقة ونخص بذلك سورية والتي تُعدّ ساحة صراع من جهة، ومركزاً لتصور المصالح الاستراتيجية من جهة ثانية. حيث باتت البلدان ذات المركز الاستراتيجي قاعدةً رئيسة للصراع والتنافس. حتى إن هناك مناطق مهمة جداً في الشرق الأوسط، في نظر الولايات المتحدة الأميركية؛ لكونها توفر إمكانات كبيرة وثمانية لمصالح الولايات المتحدة في مناطق الأزمات، وتتبنى مسؤولية لعب أدوار وظيفية لمصلحتها في مواجهة القوى الكبرى الأخرى. في هذا السياق، دفعت الأنشطة المتزايدة لروسيا والصين في المنطقة، الولايات المتحدة إلى إجراء تغييرات استراتيجية من أجل الحقبة الجديدة. وبعبارة أخرى: تشعر الولايات المتحدة بالحاجة إلى استراتيجيات تتناسب ظروف حقبة تنافس القوى العظمى، وتبحث عملياً عن هذه الاستراتيجيات.

تحت مظلة استراتيجية التوازن خارج المجال (Offshore Balancing)، يمكن للولايات المتحدة أن تُوازن وضع جيشها بناءً على توزيع القوة³⁷ في الأقاليم الأساسية الثلاث. فإذا لم يكن هناك مهيمن إقليمي في

³⁶ وليد عبد الحي، المرجع السابق ذكره.

³⁷ حسب مؤيديها، لا تُوجد استراتيجية كبرى من المرجح لها أن تُثبت نجاحاً كلياً في منع الانتشار النووي، إلا أن استراتيجية التوازن خارج المجال بإمكانها أن تقوم بمهمة أفضل مقارنة بالهيمنة الليبرالية. قبل كل شيء، فقد فشلت هذه الاستراتيجية في إيقاف كل من الهند وباكستان من تكثيف قدرتهما النووية، أو الحيلولة دون أن تصبح كوريا الشمالية عضواً جديداً في النادي النووي. أو منع إيران

الأفق في أيّ من أوروبا، شمال آسيا والخليج، فليس هناك داعي لنشر قوات برية أو جوية هناك، إذ أنّ هناك نوعاً ما حاجة إلى إرساء عسكري واسع على أرض الوطن. ولأنّ الأمر يأخذ سنوات عديدة لأيّ بلد حتّى يُحصّل إمكانية السيطرة على إقليميه، فبإمكان واشنطن أن تلاحظ قدومه وسيكون لها وقت كافي للاستجابة. في هذه الحالة، ينبغي على الولايات المتحدة أن تلتفت إلى القوى الإقليمية -هناك- باعتبارها خط الدفاع الأول، تاركَةً لهم مهمة المحافظة على توازن القوة في جوارهم الإقليمي. ورغم أنّ بإمكان واشنطن أن تُوفّر المساعدة للحلفاء وتتعهد بدعمهم إذا ما كانوا معرضين لخطر الاحتلال، فإنّ عليها أن تكبح جماحها من نشر أعداد واسعة من القوات الأمريكية في الخارج. يمكن في بعض الأحيان أن يكون هناك معنى ما للمحافظة على بعض الأصول عبر البحار، على غرار بعض الوحدات العسكرية صغيرة الحجم، تسهيلات، جمع معلومات استخباراتية، معدّات مُسبقة الإعداد، لكن في العموم، ينبغي على واشنطن أن تُرحّل المسؤولية للقوى الإقليمية، طالما لدى هذه القوى مصلحة عظيمة في الحيلولة دون أن تسيطر أيّ دولة عليها.

لكن، إذا لم تتمكن هذه الدول من احتواء المهيمن المحتمل في جوارها الإقليمي،³⁸ فإنّ على الولايات المتحدة أن تُساعد في إنجاز هذه المهمة، عبر نشر قوات قتالية إلى الإقليم لتحويل التوازن لصالحها. قد يعني ذلك أحياناً إرسال قواتها قبل إندلاع الحرب. فالحاصل، أنّ الهدف هو البقاء بعيداً عن المجال الخارجي قدر الإمكان، مع إدراك أنّه في بعض الأحيان يصير الأمر ضرورياً للتدخل في هذا المجال. لكن إذا ما حدث ذلك، فعلى الولايات المتحدة أن تجعل حلفاءها يبذلون -جهودهم- قدر المستطاع لحمل العبء الثقيل عنها وأن تسحب قواتها في أقرب وقت تقدر عليه³⁹، وهذا ما وقع في سورية والشرق الأوسط. فقد نقلت الولايات المتحدة قواتها على سورية، واعتمدت على وكلاء لها في الحرب السورية كما

من تحقيق تقدّم كبير في عملياتها فيما يخصّ ملفها النووي. تسعى البلدان عادة إلى تحصيل القنبلة النووية خوفاً من تعرضها للهجوم من قبل الآخرين، إنّ جهود الولايات المتحدة في تغيير النظام لم تتسبّب إلاّ في زيادة مثل هذه المخاوف. فعبر تحاشي تغيير النظام والتقليص من وطأة القوة العسكرية الأمريكية، فإنّ بإمكان استراتيجية التوازن خارج المجال أن تمنح للساعين المحتملين حجة أقل لتحصيل السلاح النووي.

³⁸ أثناء الحرب الباردة مثلاً، حافظت الولايات المتحدة على أعداد واسعة من قواتها البرية والجوية في أوروبا، اعتقاداً منها أنّ بلدان غرب أوروبا ليس بوسعها احتواء الاتحاد السوفياتي في إقليمها. في أوقات أخرى، يمكن للولايات المتحدة حتّى أن تنتظر ثمّ تتدخل بعد اندلاع الحرب، ما إذا تبيّن أنّ طرفاً ما من المرجح أن يبرز كمهيمن إقليمي. مثل هذا الوضع كان أثناء الحربين العالميتين: فلم تتدخل الولايات المتحدة إلاّ بعدما بدى من المرجح أن تهيمن ألمانيا على أوروبا.

³⁹ جون ميرشايمر وستيفن والت، التوازن خارج المجال: استراتيجية التفوق الأمريكية الكبرى، ترجمة جلال خشيب، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 10 مارس 2017.

وعملت جاهدة على إنجاح التحالف الاستراتيجي الشرق أوسطي أو ما يعرف بـ "الناتو العربي"، كجهاز يقلص حجم الموارد التي يجب عليها ان تخصصها للدفاع عن نفوذها بالمنطقة ومصالحها فيها، إلا ان ما يمكننا أن نقول عنه انه تحالفا ولد ميتا، لعدم توافق بعض أعضائه على أهداف وسياسة الحلف المشكّل.

وعليه يمكن القول ان استراتيجية التوازن خارج المجال قد نجحت فيما سبق، بعد الحرب الباردة وفي مناطق وأقاليم مغايرة لكن في إقليم الشرق الأوسط ومع تطورات الاحداث بعد عام 2011 وتغير موازين القوى العالمية وتدخلات القوى الكبرى في المنطقة فقد أفشلت هذه الاستراتيجية وأصبحت خارج الخدمة.

ولهذا السبب، يمكن تقييم استراتيجية الشراكة كأولوية من الأولويات الحاسمة للولايات المتحدة، من حيث كونها خياراً يلبي احتياجات السياق الجديد. إذ إن نقطة الانطلاق الرئيسية لاستراتيجية الشراكة، هي ظروف الحقبة الجديدة والدروس المستفادة من السياسات الإقليمية السابقة. لذا، ستعمل الولايات المتحدة في هذا السياق على مواصلة جهودها في البحث عن كسب المواقع، والوقوف في وجه القوى الكبرى التي تتنافس معها إقليمياً، ذلك لأن أهمّ ديناميكيات طبيعة التنافس بين القوى العظمى، هو كون المتنافسين دولاً قوية ذات مشاريع إقليمية وعالمية. وهذا الوضع يكشف عن المتطلبات التي يوجبها تغيير استراتيجية الحرب بالوكالة التي اتبعتها الولايات المتحدة في السابق. لأن القوى الوكيلة التي تُعدّ الأدوات الرئيسية للحروب بالوكالة، غير قادرة على مجابهة القوى العظمى، والظفر بالمواقع التي يُنظر إليها على أنها مصالح استراتيجية⁴⁰.

وبهذا المعنى، يبدو من المنطقي جداً القول إن استراتيجية الشراكة قد حلت مكان أولوية القوى الوكيلة. وإن التطورات العالمية والإقليمية هي ذات تأثير يبنى بهذا التغيير أيضاً؛ إذ تشكل محاولات PKK/YPG/PYD في البحث عن موارد مالية ولوجستية جديدة على وجه الخصوص، والتصريح الذي أدلى به المتحدث باسم الخارجية الأميركية لـ Rudaw News، على إثر عملية المخلب-النسر الجوية التي أطلقتها تركيا في شمال العراق ضد مواقع PKK/YPG/PYD، مراجع مهمة للدعوة إلى التعاون المشترك في موضوع القضاء على PKK. وإضافة إلى ذلك، يمكن اعتبار التطورات الإيجابية المتعلقة بإعادة إدراج تركيا مجدداً في برنامج الطائرات المقاتلة F-35، شكلاً من أشكال المخرجات الملموسة الأخرى. وتعدّ التطورات المتعلقة بإبرام اتفاقية التعاون لمدة 25 عاماً بين إيران والصين في المجالات

⁴⁰خورشيد دينغل، تنافس القوى الكبرى في الشرق الأوسط واستراتيجيات الشراكة (تحليل)، الأناضول، 29.08.2020، إسطنبول،

على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Fymtmr>

الاستراتيجية، إحدى النتائج الحاسمة لهذه المنافسة أيضاً. وفي تطور ساخن، أعلن وزير الخارجية الأمريكي "مايك بومبيو" مشروع "التحالف الجديد للديمقراطيات" (New Alliance of Democracies)، الذي أكد بموجبه وجوب تحرك الديمقراطيات والعمل معاً، ضد الأنظمة الاستبدادية. ويعد هذا البيان الذي صدر، كبيان لحقبة التنافس بين القوى الكبرى، أحد أهم الأمثلة العملية على تغيير الولايات المتحدة لاستراتيجيتها، في تحالفاتها العالمية والإقليمية.⁴¹ فاستراتيجية الشراكة في الأصل هي خيار يتم تطبيقه في ظل الصراع بين القوى الكبرى. وفي فترة التنافس بين القوى الكبرى، فإنها تحتاج إلى أدوات ووسائل استراتيجية ذات قيمة تساعد في هذا الصراع، إذ سيصبح سعي الدول إلى اكتساب مواقع للهجوم، والتصدي للدول الكبرى هو الاتجاه السائد. وتأثير القوى الكبرى إقليمياً وريغباتها في الهيمنة والسيطرة تتشكل بناء على هذا الهدف الرئيسي، حتى أن استراتيجية الشراكة هي حل ظهر من أجل تلبية الاحتياجات اللازمة لتحقيق الأهداف المرجوة.

ثانياً: روسيا بين استراتيجية ملء الفراغ وترسيخ النفوذ والمقاربة الجيوبوليتيكية الأوراسية في الشرق الأوسط

في ظل الانكفاء الأمريكي عن منطقة الشرق الأوسط خلال إدارة الرئيس السابق باراك أوباما في إطار استراتيجيتها للتوجه تجاه آسيا لإعادة توازن القوى الذي أضحي في غير صالح واشنطن مع الصعود الصيني الاقتصادي والعسكري المتنامي إقليمياً ودولياً، شرعت روسيا في تعزيز نفوذها في المنطقة لملء الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة، ليصبح الرئيس الروسي لاعباً رئيسياً في الأمن الإقليمي، وخاصة في أعقاب التدخل العسكري في سوريا منذ عام 2015 لدعم نظام بشار الأسد، والذي كان مفاجأة للكثيرين، لأن موسكو لم تستخدم القوة العسكرية للانخراط في نزاعات المنطقة منذ عقود. ولا تتبنى الاستراتيجية الروسية في المنطقة أجندة أيديولوجية كالتى تبناها الاتحاد السوفيتي السابق، كما أنها لا ترغب في إزاحة الولايات المتحدة بصورة كاملة من منطقة الشرق الأوسط؛ لأن واشنطن لا تزال تضمن جزءاً كبيراً من الأمن الإقليمي بالمنطقة، بما يخدم في التحليل الأخير المصلحة والدور الروسيين في الشرق الأوسط.

⁴¹ See : Anders Fogh Rasmussen, **Democracies to lead a new world order**, Report of Alliance of Democracies, link : <https://bit.ly/3gYMBDK>

For more informations ; Watch : **Copenhagen Democracy Summit-U.S. Secretary of State Micheal Pompeo**, on Youtube ; 23 juin 2020 ; link : <https://bit.ly/32PfNbo> ; and ; Virtual Series: **How Can Democracies Deal with China?– US and European perspectives**, on Youtube ; in the link bellow : <https://bit.ly/3522hnc>

ولا يأتي الاهتمام الروسي بالمنطقة من منطلق ملء الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة خلال السنوات الثماني الماضية فقط، لكنه جاء أيضا في إطار إعادة تشكيل التوجهات الروسية، وفقاً لمقاربة الجغرافيا السياسية للطاقة ودبلوماسية الطاقة التي من شأنها تعزيز مصالح روسيا الإقليمية والدولية، ودورها العالمي، وسيطرتها على إنتاج الطاقة. ولهذا، أضحت الشرق الأوسط يحتل مكانة متميزة في السياسة الخارجية الروسية.

يذهب "ستروش هوب" سنة 1947 إلى القول إنّه: "في السياسة الخارجية الروسية، هناك عاملٌ أساسيٌّ مهيمٌ وهو العامل الاستراتيجي، كانت أهدافه واحدة في أثناء الحقبتين القيصرية والشيوعية، وهي تجسيد حدود استراتيجية معينة"، وقد كان المقصود من ذلك أنّ الحدود تقضي على الأخطار القادمة من العدو المطوّق لروسيا. خلاصة القول، إنّ الجغرافيا الروسية الواسعة أدت دوراً أهمّ في تشكيل تصوّرات القوة العظمى لدى صنّاع القرار الروس ودفعهم نحو التفكير بذلك، وربما يظهر ذلك جلياً في تصريح ألقاه الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بعد عامين من تولّيه الحكم حينما قال: "نحن قوةٌ عالمية، ليس بسبب أننا نمتلك قوةً عسكريةً عظيمةً وقوةً اقتصاديةً مُحتملة، ولكن نحن كذلك لأسبابٍ جغرافيةٍ، سوف نظلّ موجودين مادياً في أوروبا، وآسيا، في الشمال والجنوب، كما لنا في كلّ مكانٍ بعض من الاهتمامات والمخاوف".⁴²

"ألكسندر دوغين"، من جهته، ومن خلال مؤلفاته، أبرزها "نحو نظرية للعالم متعدد الأقطاب"، "نداء أوراسيا".. يرى أن فهماً أدقّ للوضع الشديد التعقيد الحالي، ولمآلاته المحتملة، يتطلّب إدراكاً لطبيعة «الاستراتيجية العامة الروسية في سوريا، المُوجّهة أساساً ضدّ السيطرة الأحادية الأميركية والأطلسية في هذه المنطقة. الغاية الكبرى لهذه الاستراتيجية هي المساعدة على دخول الشرق الأوسط في عصر التعددية القطبية الذي سيتيح لشعبه أن تقرّر مصيرها ومستقبلها وتحافظ على سيادتها. لا يتعلق الأمر باستبدال النفوذ الأميركي بآخر روسي أو هيمنة أحادية بأخرى. غاية روسيا هي توفير الظروف المناسبة لتشكّل منظومة إقليمية متعدّدة الأقطاب تضمّ الدول والقوى السياسية المناهضة للأحادية الأميركية. في سوريا، سعت روسيا إلى تدمير داعش والقوى المتطرّفة المدعومة من السعودية، وبشكل غير مباشر من الولايات المتحدة وإسرائيل، والتي كانت بمثابة الوكلاء لهذه الدول، ولدعم سوريا كي تستعيد سيادتها واستقرارها. وفي سبيل ذلك، هي تعاونت مع الدولة السورية والإيرانيين، وتقاربت أيضاً مع تركيا. العمل على كسب تركيا وإبعادها عن المشروع الأميركي هما تحديّان مهمّان بالنسبة إلى روسيا، لأن نجاحها في

⁴² Robert Istove, **Russian Geopolitics and Geopolitics of Russia- Phenomenon of Space**, European Journal of Geopolitics, 1, 2013, p 63-64-65.

تحقيق غايتها المشار إليها سابقاً منوط بهما. ومن الممكن القول إن الإنجازات التي تمت حتى اليوم على الأرض في سوريا، وكثيرة للتعاون بين روسيا والدولة السورية وإيران، وكذلك للتفاهات مع تركيا.⁴³

ولذلك اعتمدت الاستراتيجية الروسية في المنطقة على بناء تحالفات صلبة مع عدد الفاعلين الإقليميين الذين يغردون خارج السرب الأمريكي. وتتمحور تلك التحالفات حول إيران ونظام الأسد في سوريا، إضافة إلى الميليشيات الشيعية المسلحة بالمنطقة، وعلى رأسها "حزب الله" اللبناني. ومن خلال تلك التحالفات استطاعت موسكو فرض وجودها الفعال في عديد من ملفات الصراع في الإقليم، خاصة في الأزمة السورية.

وقد هدفت تلك الاستراتيجية إلى تحدي الولايات المتحدة وحلفائها جغرافياً وسياسياً، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتها وأسلحتها بالمنطقة. ولهذا لم يكن من المستغرب أن يعلن عن أن سوريا ستكون مركزاً لتوزيع القمح الروسي في منطقة الشرق الأوسط في ظل احتياطات موسكو الكبيرة من القمح التي تحتاج إلى سوق تصريف. وبالتزامن مع التقارب السياسي والعسكري بين روسيا وبعض القوى الإقليمية، والذي يأتي في إطار تصاعد الدور الروسي في المنطقة، لا سيما بعد التدخل العسكري في الأزمة السورية بداية من سبتمبر 2015، عززت الشركات الروسية في الآونة الأخيرة من حضورها بأسواق الشرق الأوسط، حيث أثبتت حضوراً جدياً في قطاعات عدة، مثل الطاقة النووية، بجانب النفط والتعدين وغيرها، وهو الذي يحقق مكاسب اقتصادية وتجارية للشركات الروسية في وقت يعاني فيه الاقتصاد الروسي من صعوبات حادة نتيجة تراجع أسعار النفط، بجانب العقوبات الغربية المفروضة عليها بسبب سياستها التي تهدد الأمن الأوروبي وحلف شمال الأطلسي (حلف الناتو).

وبالتوازي مع استعادة روسيا نفوذها في منطقة الشرق الأوسط بالانخراط الفاعل في أزمات المنطقة، وسياسات استعادة مكانتها في النظام الدولي عبر تعزيز تحالفاتها مع القوى الصاعدة خاصة الصين، وحماية العمق الاستراتيجي من الاختراق الغربي؛ فإنها تركز على تحصين الداخل، والحفاظ على استقرار وتماسك الاتحاد الروسي من خلال تحسين أداء الاقتصاد الروسي، والتصدي للتهديدات الأمنية، خاصة التطرف والإرهاب. وعلى ذلك؛ يمكن تناول كل هذه التطورات في ضوء النتائج التي شكلها السياق الذي قدمه صراع وتنافس القوى الكبرى. وبعبارة أخرى، تُظهر هذه النتائج أن صراع القوى العظمى يلعب دوراً حاسماً ومحددًا في ظهور تغييرات إقليمية واصطفافات جديدة.

⁴³ See : Anton Barbashin and Hannah Thoburn, **Putin's Brain, Alexander Dugin and the Philosophy Behind Putin's Invasion of Crimea**, Foreign Affairs, March 31, 2014.

المبحث الثالث: الأزمة السورية ومستقبل الشرق الأوسط في الميزان الاستراتيجي الجديد

انطلقت الثورة السورية في ظل تغيرات جيوسياسية وأحدثت تغيرات يبدو إذا ما نظرنا إليها نظرة استشرافية انها ستكون بالغة التأثير في تحديد الخريطة الجيوسياسية من ناحيتي موازين القوى وأدوارها والمحاور الجديدة المحتملة، بكيفية تتلاءم طرماً مع مقدرات وتفاعلات الدول المعنية وطموحاتها وأهمية منطقة الشرق الأوسط في مدرجاتهم الاستراتيجية.

وبعد استعراض الوضع الراهن لتطورات المنطقة وما تشهده من تفاعلات صراعية بين بعض القوى وتعاونية بين البعض الآخر سواء القوى الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية) أو القوى الإقليمية عربية (مصر والسعودية) وغير عربية (إيران وتركيا وإسرائيل)، فإن مستقبل حالة التوازن الإقليمي يرتبط بمدى تعارض أهداف القوى الإقليمية، ومدى ارتباطهم بالقوى الدولية الأكثر تأثيراً ونفوذاً في المنطقة. الأمر الذي يدعو للقول بأن الاحتمالات المستقبلية للتوازن الاستراتيجي في الإقليم ستكون ذات صور متعددة، صحيح ان الزمن القادم (المستقبل) لم يأتي بعد، وهو ما يجعل من الرغبة في معرفة تفاصيله أمراً بالغ الصعوبة، ولكننا على الرغم من ذلك نعتقد بأن الاعتماد على عدد من المعطيات يمكننا من إيجاد الإطار العام له، والتقرب من معرفة تلك الاحتمالات - سيما وان المستقبل أي بما يحفل به، من أحداث هو من صنع البشر - الأمر الذي سيجعل من تلك الاحتمالات أمراً قابلاً للحصول، إذا ما توفرت الظروف الموضوعية لحدوث تلك المعطيات. وانطلاقاً من هذه الحقائق، فإن هناك نوعين محتملين من التوازنات:

المطلب الأول: مستقبل التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي من حيث الفواعل المشكلة له

يبدو الشرق الأوسط، والمنطقة العربية بضمنه، متجهاً نحو تشكل نمطين أساسيين، ما يعني أن المنطقة مقبلة على استقطاب أكثر جدية في عام 2020 وما بعده، وقد يتطور إلى نزاعات مسلحة تشارك فيها الأدوات والأطراف المساعدة، وتمولها دول إقليمية رئيسية، تديرها أو تستفيد منها دول كبرى. إذن هناك حالة من الاستقطاب الدولي للقوى الإقليمية يسعى كل قطب فيها إلى فرض نمطه على الآخر حتى يتمكن من إعادة تشكيل التوازن الاستراتيجي بالمنطقة بما يخدم مصالحه في المستقبل القريب والبعيد.

أولاً: مستقبل التوازن الاستراتيجي المستند إلى دور الدولة المحورية

يفترض هذا الاحتمال أن التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط وعلى المدى البعيد، سيقوم على أساس (دور الدولة المحورية)، إذ انه وبحكم طبيعة التفاعلات التي تتميز بها المنطقة والقائمة على أساس التنافس في النفوذ والتضارب في المصالح والأهداف، ونظراً لكون المنطقة ذات أهمية كبرى للقوى الدولية

سيما الولايات المتحدة الأمريكية، فإن احتمال قيام التوازن على هذا الشكل هو أحد الاحتمالات الواردة والممكنة مستقبلاً، وعليه فإنه من المتوقع أن تكون تركيا وبحكم الإمكانيات والقدرات التي تمتلكها ونظراً لعلاقتها الجيدة مع دول المنظومة الإقليمية وبحكم ارتباطها بالاستراتيجية الأمريكية، هي أكثر القوى الإقليمية المؤهلة للقيام بهذا الدور عن نطاق الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، ويمكن القول إن هذا الاحتمال يجد تفسيره عند تحليلنا للخيارات المستقبلية التي تقوم عليها النظرية النيوليبرالية الغربية.

النظرية النيو-ليبرالية الأمريكية ودور تركيا كدولة محورية وشريكة في منطقة الشرق الأوسط

بالنسبة للمفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين، وحسب ما يعتمدونه في النظرية الليبرالية الجديدة والتي تستند إلى مفهوم استراتيجية الشراكة كخيار يمكن اللجوء إليه وتطبيقه في الصراع ضد القوى الكبرى ولإدامة التفوق الأمريكي في المستقبل المنظور، فإنها تحتاج إلى أدوات مهمة واستراتيجية في هذا الصراع لكسب المواقع ومواجهة القوى المنافسة إذ إن التأثير الإقليمي للقوى الكبرى ورغبتها في الهيمنة يتحدد من خلال هذا الهدف.

وبهذا المعنى، إذا نظرنا إلى النقاط المحورية لاستراتيجية الشراكة، وإذا اسقطنا هذا الخيار الاستراتيجي الذي تتجه القوة الدولية الأمريكية إلى تنفيذه في المستقبل القريب، فإن المعايير الأساسية هي أن يكون الشركاء ديمقراطيين بمعنى أكثر شفافية وأكثر قابلية للمساءلة والقياس، فالشركاء الأكثر فاعلية وقدرة، ولا سيما بالمفهوم الإقليمي، هم أدوات لا يمكن الاستغناء عنها في الاستراتيجية الإقليمية الجديدة.

وعلى هذا الأساس، فإن الخصائص التي تنبأت بها الاستراتيجية تشير إلى القوى التي تقوم بتسيير وظائف الدولة وتحافظ على الاستقرار، حتى في فترة النوع الجديد من فيروس كورونا (Covid-19)، وتؤكد أيضاً النقاط الاستراتيجية على المستوى الإقليمي في محاربة القوى الكبرى المتنافسة. أي أن الوجود الأميركي الإقليمي لن يتحقق من خلال مهام عسكرية مقيمة باهظة التكاليف، أو عبر قوى وكيلة تحيط بها الإشكالات، بل من خلال جهات فاعلة أكثر قدرة وأكثر قابلية، وتتمتع بخصائص الدولة.

ورغبة للولايات المتحدة في الحفاظ على وجودها الإقليمي، فإنها تعتمد على جهات فاعلة في الدولة الوظيفية في المناطق الاستراتيجية التي تم تحديدها كأولويات، إضافة إلى قيامها بتأسيس ضمان الشركاء بناءً على الروابط التي سيتم تشكيلها بين هذه المناطق الاستراتيجية. وبعده هذا، سيقدم النظام المحتمل تحالفات واصطفافات تتشكل عبر ربط النقاط التي تبدو على درجة كبيرة من الأهمية على المستوى الإقليمي في مناطق جغرافية مختلفة، وليس عبر نظام الأحلاف الذي كان سائداً في سنوات الحرب الباردة. وعلى هذا الأساس، فإن استراتيجية الشراكة تعطي الأولوية للجهات الفاعلة القادرة على تلبية عناصر الدولة ومتطلباتها، والحائزة على المناطق ذات القيمة الاستراتيجية، بدلاً من الجهات الخارجة عن

الدولة، وهي العنصر الأم لحروب الوكالة التي تعدّ نتاج الاستراتيجية الإقليمية القديمة. وهذا الوضع يشكل أحد أهم الفروق بين القوة الوكيلة والقوة الشريكة؛ فمن أجل مواجهة القوى العظمى الأخرى في الصراع على المستوى الإقليمي، هناك حاجة إلى جهات فاعلة أكثر وظيفية يمكنها أداء وظائف الدولة، ولديها قدرة وكفاءة أكثر في المجالات الخاصة. فظهر هذه الاحتياجات يجلب معه فكرة انتهاء أجل القوى الوكيلة، كـ PKK/YPG/PYD. وإضافة إلى ذلك، فإن العبارات التي وردت على نحو إدراج فكرة أنه "إذا تخلينا عن القوى الوكيلة PKK/YPG/PYD، فإن الوكلاء في مناطق جغرافية أخرى قد يواجهون المصير نفسه"، في الحسابات، في الكتاب الذي نشره مستشار الأمن القومي الأميركي السابق جون بولتون، بعنوان (The Room Where It Happened) ،: ، يعدّ مؤشرًا على أن الولايات المتحدة وصلت إلى أعتاب التخلي عن القوى الوكيلة في الشرق الأوسط، مع التفكير بالاحتمالات المتعلقة بمصير قواتها الوكيلة في مناطق أخرى⁴⁴.

وللإجابة عن التساؤل الجوهرى حول "من يمكن أن يكون مثالًا ملموسًا لتطبيق استراتيجية شراكة مصممة على أساس نظري؟"؛ فإن تركيا هي واحدة من العينات والنماذج المعقولة في هذه النقطة. وعلى الرغم من أن العلاقات التركية-الأميركية قد تظهر متدهورة أحيانا بسبب التقارب الروسي التركي، إلا ان ذلك لا يؤثر على كم المصالح التي تجمع تركيا بالولايات المتحدة كما لا تزال عضوا هاما في حلف الناتو. إذ إن زيادة تركيا لقوتها وقدراتها، في سياق استراتيجيات الشراكة وديناميكيات الصراع بين القوى الكبرى، وتحقيقها عبر هذه القدرات لنتائج إيجابية في القضايا الإقليمية، في كل من سورية وليبيا وفي شرق البحر الأبيض المتوسط، قد ضمن لها أن تكون قوة وظيفية حقيقية؛ لأن تركيا -بتحويلها القدرات التي تمتلكها إلى نتائج- أصبحت في موقع يجذب انتباه القوى الكبرى إليها، سواء من ناحية الموقع الجغرافي أو من ناحية الكفاءة العسكرية. وهذا ما جعلها واحدة من البلدان المحورية في تنافس القوى الكبرى. وبهذا المعنى، تكون تركيا، بالكفاءة العسكرية التي تملكها، وبوجودها السياسي الحقيقي الذي تجاوزت به كافة الأزمات السياسية، باتت في مكانة لا يمكن الاستغناء عنها بين القوى الكبرى. فالنجاحات التي حققتها تركيا مع عملياتها الأخيرة في سورية وليبيا، من خلال التعريف بقدرة سلاح الطيران بلا طيار والطائرات الموجهة، وفّرت لها هي-كقوة وظيفية- إمكانية حرية الخيار بين القوى الكبرى، لا أن يتم اختيارها والتحكم فيها من قبل هذه القوى. إذ القوى الكبرى التي تسعى للنجاح في حقبة الميول التنافسية المتزايدة، باتت في موقف لا يمكنها من تجاهل تركيا بعد الآن. ومهما كان الحديث يدور عن تركيا التي وصلت إلى هذا المستوى الحرج والحساس، فإن هذا المقام الرفيع قد يمنحها مناطق خطر جديدة أيضًا.

⁴⁴ خورشيد دينغل، مرجع سبق ذكره.

إذن، فمستقبل الاستراتيجية الأمريكية في التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسط لمواجهة القوى الدولية المنافسة لها في المنطقة، تعتمد خيار الشراكة مع القوة الإقليمية التركية في الشرق الأوسط لتحقيق أهدافها والحفاظ على مكانتها. بمعنى أن تلعب تركيا دور الدولة المحورية في إقليم الشرق الأوسط، وتكون عنصر هام في ضبط معادلة التوازن فيه وبالنتيجة سوف تتخلى الولايات المتحدة عن حروب الوكالة لصالح "الشراكة الإستراتيجية".

ومن منظور نظرية دور القوة والمكانة: وهي إحدى أهم النظريات في تفسير دور الدول ومكانتها في سلم القوة الإقليمي والدولي، يمكن التأكيد أن تركيا تمتلك مؤهلات ومقومات القيام بهذا الدور، ومن ناحية ثانية نجد ان النخبة الحاكمة في تركيا ترى نفسها في هذا الدور، وان تركيا ليست مجرد دولة مؤثرة أو مجرد دولة تابعة للولايات المتحدة والغرب، على الرغم علاقاتها التحالفية مع الولايات المتحدة، إلا انها تتحرك بأريحية أكثر من غيرها من الدول الإقليمية الأخرى، ومن ناحية ثالثة فهناك إقرار واعتراف دولي بهذا الدور، فتركيا لديها موقع جغرافي متميز إذ تنفرد بكونها ملتقى قارتي أوروبا وأسيا ، وتطل على ثلاث بحار تربطها بخمسة وعشرين دولة، وقد انعكس هذا الموقع الجغرافي على سياسة تركيا الخارجية ودورها وحرصها على القيام بدور متوازن في كل التحالفات الدولية.

ولكل هذه الأسباب بالإضافة إلى تفاصيل أخرى سبق وذكرناها في الفصل الأول من دور تركيا في الشرق الأوسط وسوريا، ونظرا لما تمتلكه من إمكانيات وقدرات فهي دولة محورية ومؤثرة في محيطها الإقليمي، إذ كسبت عمقاً استراتيجياً في المنطقة العربية والإقليمية، وأصبحت قادرة على التحول إلى قوة إقليمية تتمحور حولها السياسات وتطور في فلكها المصالح الخاصة بالدول الكبرى لتجعل منها شريكا أساسياً في عملية التحول الإيجابي نحو بناء استراتيجية ناجحة وعلاقات مع الدول الإقليمية عن طريق تركيا. ومن ثم يمكن أن تؤدي دوراً محورياً في المحافظة على التوازن الاستراتيجي في المنطقة مستقبلاً.

ثانياً: مستقبل التوازن الاستراتيجي المتعدد الأطراف:

يفترض هذا الاحتمال أن التوازن الاستراتيجي بين القوى الدولية في إقليم الشرق الأوسط وعلى المدى القريب سيقوم على أساس (التوازن المتعدد الأطراف)، إذ إن وجود عدد من القوى الإقليمية الرئيسية مثل (إيران، تركيا، "إسرائيل")، والتي يمكن ان تسهم بدور هام في شؤون تفاعلات والتوازنات الاستراتيجية الدولية في الإقليم، هذا فضلا عن وجود عدد من القوى المؤثرة في الإقليم مثل (السعودية ومصر)، كل هذا يدفعنا للقول بأن "التوازن الاستراتيجي المتعدد الأطراف" هو أحد الاحتمالات التي تطرح نفسها بقوة في ظل الحديث عن إيجاد صيغة الاحتمالات الممكنة لقيام التوازن في الإقليم من حيث مستقبلاً.

ونستند في هذا الاحتمال على النظرية الجيوبوليتيكا الروسية المعاصرة والتي تركز على تعدد الأطراف كعنصر هام لإيجاد توازنها الاستراتيجي في الشرق الأوسط في مواجهتها للقوة الأمريكية المنافسة لها في المنطقة.

الجيوبوليتيكا الروسية المعاصرة والمشروع الأوراسي "الروسي - التركي - الإيراني": "التيار الأوراسي" وهو ما يتفق مع الفكر الروسي القومي لـ "ألكسندر دوغين"⁴⁵، وتحليلاته للجغرافيا السياسية الأوراسية⁴⁶، الذي يرى في سعيه لمواجهة طموحات الهيمنة الأمريكية العالمية، يدعو "دوغين" روسيا لأن تتجنب التحول إلى مجرد ملحق للإمبراطورية الأمريكية، إذ عليها في نظره أن تسعى إلى إيجاد مراكز متعددة للقوة، لا ينبغي أن تكون مرتبطة بالولايات المتحدة وعولمتها، وأن ترى فيها مركزاً، ولكن عليها خلق "فضاءات كبرى" عديدة موحدة عبر شبكة من التحالفات بين دول عديدة، ومثل هذا "الفضاء الكبير" من شأنه أن يُنتج مركزاً جديداً للقوة. ويرى "دوغين" هنا وجود العديد من مراكز القوة، أو ما يشبه الإمبراطوريات الصغيرة الناشئة في المستقبل، يمكن أن تكون مثلاً الاتحاد الأوروبي أو اتحادات مختلفة، أو دولاً منفصلة في آسيا تشمل اليابان، والهند، و(إسرائيل)، وتركيا، وبالطبع إيران التي يراها "دوغين" حجر الزاوية لتحالفات أوراسيا، وأكثر حلفاء روسيا أهمية إن لم تكن الأهم على الإطلاق⁴⁷.

فالتيار الأوراسي المتأثر بهذا الفكر والذي ظهر في تركيا بقيادة "دوغو بيرينجك وابنه محمد"، يعمل على إبعاد تركيا عن حلف شمال الأطلسي وتقريبها من التحالف مع روسيا وما تمثله من قوى دولية مناهضة للهيمنة الأحادية الأمريكية.

⁴⁵ آمن دوغين دوماً "بالأوراسية الجديدة" بوصفها عقيدة تحمل خلاصاً لكل المشكلات التي تُعانيها روسيا، بل خلاصاً لكل مشكلات الإنسانية، بنفس الشكل الذي آمن به أتباع الماركسية أو الماوية... إلخ، بقدرة هذه العقائد على فعل ذلك، بل وادّعى أنّ الأوراسية الجديدة ستكون العقيدة الفائزة في المستقبل، التي ستجعل من روسيا قوة عظمى، ومع هذه النبوءة آمن دوغين أنّ الأوراسية ينبغي أن تكون بمثابة "الأنوار الشمالية" للرئيس فلاديمير بوتين ومساعديه، التي ستساعده جنباً إلى جنب مع القادة العالميين، على صياغة إمبراطورية أوراسية وتشكيلها، كما أنّه آمن بقدرة النظام الحالي على أن يكون خارطة طريق لتجديد الشباب الروسي. للمزيد ينظر في:

- Dmitry Shlapentokh, **Dugin Eurasianism: A Window on the Minds of the Russian Elite or an Intellectual Ploy?** Studies in East European Thought, Vol. 59, No. 3 Sep., 2007, p 219-220.

⁴⁶ إنّ الفكرة الأوراسية الجديدة لدوغين ليست فكرة جيوبوليتيكية محضة، وإنما تستند إلى أسسٍ وخلفياتٍ فلسفيةٍ بدت واضحةً جداً في كتابه الحديث: "النظرية السياسية الرابعة" الذي يُعدُّ بمثابة العماد الفلسفي لمنظور دوغين الجيوبوليتيكي. لمعلومات أكثر حول الموضوع ينظر في:

- Michael Millerman, **Alexander Dugin's Neo-Eurasianism and the Eurasian Union Project : A Critique of Recent Scholarship and an Attempt at a New Beginning and Reorientation**, Academia December 31, 2012, p: 03- 04. <https://bit.ly/3mjll1j>

⁴⁷ Dmitry Shlapentokh, Op Cit, p: 228-229

فالمشروع الروسي للهيمنة على الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أو يسمى بـ"مشروع أوراسيا للشرق الأوسط وشمال إفريقيا"،⁴⁸ الذي ينطلق من واقع الفراغ السياسي الناجم عن "فشل" المشروع الأميركي المعروف باسم "الشرق الأوسط الكبير" أو "الموسع" الذي شكل، طوال السنوات السابقة، مورداً خصباً لنظريات المؤامرة الإمبريالية، في الرأي العام عندنا وفي تركيا أيضاً.

يقول "بيرنجك الابن" عن المشروع الروسي إنه "لم يكتمل بعد" وإن كان العمل عليه يتم بإشراف مباشر من دوائر الحكم العليا في روسيا. صحيح أنه صيغ في وثيقة سرية لكنه ما زال مفتوحاً على إدخال التعديلات والإضافات عليه، بالارتباط مع التطورات السياسية العاصفة التي تشهدها المنطقة المستهدفة. الهدف من المشروع هو ملء الفراغ الناجم عن فشل المشروع الأميركي وميل الولايات المتحدة إلى الانسحاب من المنطقة تحت وطأة هذا الفشل، وذلك على طريق التخلص من الهيمنة الأميركية الأحادية وإقامة نظام دولي متعدد الأقطاب وأكثر عدلاً. وعلى مستوى الإقليم، يهدف المشروع إلى "تحرر شعوبه التام من الاستعمار" ووضع حد للتأثير الأميركي الهدام، وتحقيق توازن في المصالح الجيو-سياسية، وإقامة تحالفات إقليمية على قاعدة التعايش بين الصيغ التقليدية للإسلام.

ويقترح المشروع الروسي أن يشكل ثلاثي أستانة (روسيا وتركيا وإيران) نواة الإطار الأوراسي الاستراتيجي، مع انفتاحه على جميع الدول الأخرى الراضة للعقيدة النيوليبرالية، الراغبة في إقامة نظام دولي متعدد الأقطاب، ولها مصلحة في الحفاظ على هوياتها الثقافية. دول "ثلاثي أستانة" تمثل الإرث السياسي لثلاث امبراطوريات، وتمثل ثلاث عقائد دينية تقليدية هي الأرثوذكسية الروسية والتصوف الإسلامي والمذهب الشيعي. وهي، بهذه الإمكانيات، يمكنها تحمل مسؤوليات جيوسياسية وروحية، اليوم وفي المستقبل، في المنطقة الممتدة من الشرق الأوسط إلى المغرب العربي. تشكل روسيا، بين دول النواة، قلب الإطار الأوراسي وقوتها الضاربة في مواجهة العولمة والتحالف الأطلسي، إضافة إلى أنها تملك البديل الروحي في العالم المسيحي للغرب الذي تعرض عالمه الروحي للانحطاط التام.

⁴⁸ نشرت صحيفة "آيدنك" التركية تقريراً وافياً عما سمته "مشروع أوراسيا للشرق الأوسط وشمال إفريقيا" واصفةً إياه بالبديل الروسي لمشروع "الشرق الأوسط الكبير" الأميركي الذي كانت وزيرة الخارجية الأسبق كوندوليزا رايس قد أعلنت عنه في أعقاب هجمات الحادي عشر من أيلول 2011. تقرير "آيدنك" المعروفة بأنها الناطق باسم "حزب الوطن" بقيادة دوغو بيرنجك، هو بقلم محمد بيرنجك - ابن دوغو - الحاصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من إحدى الجامعات الروسية. وكان بيرنجك الأب، إلى ما قبل سنوات قليلة، ماركسياً ماوياً وكان حزب الوطن الذي يقوده اليوم يحمل اسم "حزب العمال التركي". أما اليوم فهو قومي متشدد، مدافع عن "الدولة" التركية، مال إلى تأييد الرئيس أردوغان وحكم حزب العدالة والتنمية، بعدما كان من أشد منتقديهما، بصورة متزامنة مع تحالف حزب الحركة القومية بقيادة دولت بهجلي مع الرئيس وحزبه. للمزيد ينظر في: تقرير صحيفة آيدنك التركية، مشروع الشرق الأوسط الكبير في نسخته الروسية، 23 أيلول 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QViRNz>

وتصف الوثيقة الروسية إيران الشيعية⁴⁹ بأنها نموذج فريد "للثورة الروحانية المعاصرة" والتعبئة المجتمعية النضالية التي لا تهاب الموت في سبيل المثل العليا الوطنية - الدينية.

أما تركيا فيمكنها أن تلعب، بما تملكه من تراث صوفي غني، دوراً مهماً في إعادة الإسلام السني إلى جذوره التقليدية، بعدما تم إفساده بمفهوم الجهادية الدموية، على طريق استئصال التكفيريين الراديكاليين الذين دعمتهم الولايات المتحدة وأتباعها في الشرق الأوسط.

مع تطبيق المشروع الأوراسي، سيدد حلفاء الولايات المتحدة التقليديين في المنطقة (وبخاصة "إسرائيل" والسعودية وقطر) نفسها أمام خيارين: إما الاستمرار في التحالف القائم، أو اتخاذ خط استقلالي بجانب الكتلة الأوراسية. يتوقف مصير تلك البلدان على القرار الذي ستتخذه بهذا الصدد.

ويزعم معدو الوثيقة الروسية، وفقاً لبرينجك، أن بمقدور "التحالف الأوراسي" أن يطور حلولاً لمشكلات دول المنطقة نتجت عن التدخلات الأميركية التخريبية، بما في ذلك حل المشكلتين الكردية والفلسطينية. ويمكن لروسيا أن تضمن أمن شعب إسرائيل، ووضع إطار للحل السلمي يتضمن تدويل الأماكن المقدسة في القدس. وترى الوثيقة الروسية أن التحالف الأوراسي سيمنح كلاً من إيران وتركيا دورين قياديين في العالم الإسلامي بشيئته وسنته.⁵⁰

المطلب الثاني: الاحتمالات المستقبلية للتوازن الاستراتيجي من حيث التفاعلات الإقليمية فيه

في ظل تطورات الأزمة السورية، نحاول في هذا المطلب أن نضع احتمالات مستقبلية للتوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي، على مستوى التفاعلات الإقليمية ككل، والتي ستكون ذات صور متعددة، فلا تستطيع احتمالات المستقبل أن تكون بمعزل عن تأثير القوانين التي تتحكم في مسار حركة التاريخ، ومن بينها قانون الاستمرارية وكذلك قانون التغيير، ومن ثم فإن الاحتمالات الاستراتيجية التي نتبناها في صياغة هذا المطلب نتطلع بها للإجابة على سؤال "ما مستقبل التفاعلات الاستراتيجية الإقليمية الجديدة"، ولهذا الغرض سيتم توظيف منهجية بناء الاحتمالات ومداهما الزمني من عام 2020-2030.

⁴⁹ اللافت في المشروع الروسي أمران: أولاً، التحالف مع إيران استراتيجي، بما في ذلك الاعتراف بنفوذها الإقليمي. وهذا مما يتعارض مع كثير من التحليلات التي تتحدث عن رغبة روسية في إخراج إيران من سوريا بالذات. أضف إلى ذلك أن المشروع لا يقترح أي تعديلات على الإسلام الشيعي، على غرار ما اقترحت على السني، بل تنظر إليه بوصفه إيديولوجية نضالية إيجابية.

ثانياً، تصيب تركيا قائداً لعالم الإسلام السني، بعد فرملة هذا الإسلام بصيغته الصوفية، أي بنزع السياسة عنه. وهذا ما يذكرنا بمشروع المحافظين الجدد الأميركيين الذين أرادوا أيضاً "تحديث" الإسلام السلفي الوهابي في السعودية بصورة خاصة. يلتقي المشروعان الأميركي والروسي، إذن، في اعتبار الإسلام السني مشكلة، وفي اعتبار العالم العربي "ساحة للعمل" أو موضوعاً، مقابل أدوار قيادية ثانوية لكل من إيران وتركيا.

⁵⁰ تقرير صحيفة آيدنللك التركية، المرجع السابق ذكره.

أولاً: استمرارية الوضع القائم (اختلال التوازن)

يرتكز هذا الاحتمال على استمرار الوضع القائم، أي حال اللاتوازن والاختلال في التوازن الاستراتيجي الإقليمي للشرق الأوسط على المدى الاستراتيجي القريب والمتوسط، لصالح القوى الإقليمية غير العربية (إيران-تركيا-إسرائيل)، ويستند هذا المشهد إلى عدد من المعطيات الداعمة له والتي تدفع بقوة تجاه استمرار حالة الاختلال في التوازن الإقليمي الشرق أوسطي ولعل أهمها يظهر في التالي:

بعد عشر سنوات من الاضطراب وعدم الاستقرار، تشهد سورية، والبلاد العربية عموماً، بداية مرحلة أكثر خطورة وأكثر حساسية لجهة ولادة محاور إقليمية، تستند إلى دول كبرى لها مصالح حيوية وأطماع اقتصادية في المنطقة، في ظل غياب العقل الاستراتيجي، وانسداد الفعل السياسي الديمقراطي، وتفشي حالة الفساد، واستمرار هيمنة العسكر وتغولهم، ودخول الدولة الوطنية مرحلة الإفلاس والتآكل، مع عجز واضح في العالم العربي عن إنتاج بدائل وطنية مقبولة. جميع المؤشرات تدل على أن الشرق الأوسط ما زال بعيداً عن الاستقرار السياسي والاقتصادي، وأن حالة الفوضى والاضطراب المتزايدة ربما تنذر بصراعات أكثر دموية وأشد قسوة، وتُبقى أبواب المنطقة مشرعة أمام تدخلات أكثر حدة، على صعيد الحالتين السورية والليبية.

وعليه، فإننا نفسر الاستقطاب الدولي والإقليمي، والدعم المباشر وغير المباشر لنظام الأسد لمنع انهياره، أدى إلى غياب الحل السياسي في سوريا.

فالقوى الكبرى مثل أمريكا وروسيا، والقوى الإقليمية ذهبت لجهة إدارة مصالحها في سوريا عبر تفاهات بينية دون التفات لمصالح السوريين، الذين تلخص حراكهم في الكرامة والعيش الحر، والمواطنة الكريمة، والعدالة. وعكس الثمن الباهظ الذي دفعه السوريون من أجل تحقيق أهداف ثورتهم، قساوة دول الهيمنة والنفوذ التي جعلت مصالحها مقدمة على حقوق الشعوب، ولم تتورع عن استخدامها وقوداً لصراعاتها. ويشكل النموذجان الإيراني والروسي المثال الأبرز لذلك، حيث تدخلت في سوريا باستخدام الميليشيا والقوة المفرطة بدعم من النظام، وانتهيا إلى تغول وتغلغل في مفاصل الدولة.

ومن أجل تثبيت نفوذهما، سعت كل من روسيا وإيران إلى إبرام عقود واتفاقيات اقتصادية وعسكرية طويلة المدى مع النظام، بهدف الاستحواذ والسيطرة على موانئ وقطاعات اقتصادية حيوية وقواعد عسكرية، من خلال اتفاقيات تصل مدتها 49 عاماً، قابلة للتجديد.

وإذا كان النزاع العسكري في سوريا تمت إدارته وفق صراع أمريكي - روسي استراتيجي الأبعاد، شاركت فيه قوى إقليمية مؤثرة، فإن الحل والمخرج السياسي منوط بتفاهات تلك الأطراف، وهو ما لم تتولد ظروفه

وتتضح معالمه بعد. وهو مرتبط بشكل أساسي بانقزال قوى الهيمنة والنفوذ للاشتباك في ساحات أخرى بالمنطقة العربية⁵¹، على صلة بتطورات المنطقة ورسم مستقبلها.

بوجود مستويات مختلفة من اختلال توازن القوى في الشرق الأوسط. فإنَّ إشكالية التوازن بين السعودية وإيران ربما تكون هي الأسهل حلًّا، في حين سيكون حلُّ معادلة توازن القوى بين الإسلاميين/العلمانيين هو الأكثر صعوبة. هذا في الوقت الذي لا يزال الإسلام السياسي يمثل تحديًا كبيرًا يتطلب التمييز بين الفاعلين العنيفين وغير العنيفين، أما أكثر الاختلالات قوة، في الحقيقة، فهو ذلك القائم بين الشعوب وأنظمة الحكم⁵².

كما تشير مجريات الأحداث الراهنة والقراءة المستقبلية لتطورات الأوضاع الإقليمية، إلى أن حالة "عدم الجمود" ستنزل مسيطرة على خريطة التحالفات في المنطقة، على الأقل في الجبهة المناوئة للمحور الإيراني الشيعي. وبناءً عليه، من المرجح أن يظل المحور الإيراني محتفظًا بتركيبته الحالية، مُتضمنًا كلاً من إيران وسوريا والعراق، وفاعلين من غير الدول "حزب الله، والحوثيين".

⁵¹الحالة الليبية: مرت الأزمة الليبية بمساقات مشابهة لأختها السورية، من ناحية استعصاء الحل السياسي بفعل التدخل، وتعزيز الانقسام الداخلي بدعم إقليمي ورضى خارجي، ولعبت الأمم المتحدة دور شاهد زور لجهة إدارة الأزمة وليس حلها، وإيجاد توازن بين أطراف النزاع المحلية يحول دون قدرتها على التفاهم.

وساهمت دول الجوار ودول أوروبية في منع نشوء نظام وطني في ليبيا، وعملت على تعزيز الانقسامات المناطقية والقبلية، والإبقاء على الحالة المليشياوية بهدف إجهاض مفهوم الدولة المركزية المستقرة، فيما شكل النفط الوفير عنصر استقطاب للتدخلات المتعددة، وعندما أخفقت تلك الأطراف في حسم النزاع لمصلحتها، استدعت التدخل الدولي المباشر، كما حصل في تطور الأشهر الماضية، بدخول واشنطن وموسكو بشكل علني وصريح على خط الأزمة الليبية.

ويمثل دمج ليبيا في صراع المحاور، ومحاولات التحالف الذي تقوده مصر لإسقاط حكومة طرابلس، المعترف بها دولياً، عبر دعم التمرد العسكري للواء المتقاعد خليفة حفتر، مرحلة جديدة ستدفع ليبيا نحو مزيد من التوتر، وتبقي التسوية السياسية رهن انتظار التفاهات الدولية غير الناجزة، وتزيد من مستوى السخونة والاضطراب في المنطقة العربية.

كما كان متوقعا، لم تتجح قمة برلين في إطلاق حوار جدي ودائم بين طرفي النزاع الليبي، حيث اكتفت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، كما وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، بالحديث عن "خطوة صغيرة إلى الأمام"، وسط الإقرار بأنه لا يزال هناك عمل كثير ينبغي إنجازه قبل التوصل إلى السلام.

كما تشكل حالة أوضاع كل من العراق ولبنان والجزائر وتونس والسودان واليمن، والنزاع الخليجي البيني، عناصر مريكة للوضع العربي والشرق الأوسطي عموماً.

⁵²تسوح روس ودانيال سيزوار، جامعة جونز هوكينز، ومحمد الشرقاوي، نحو تشكيل توازن قوى جديد في الشرق الأوسط، مركز

الجزيرة للدراسات وجامعة جورج ميسن، نشرت في 2018/06/27: <https://bit.ly/2QUT4oA>

وفي الناحية المقابلة، سنظل المساعي السعودية مستمرة لتشكيل تحالف "سني" موسع، يضم القوى السنية الرئيسية في المنطقة، وهي (تركيا، ومصر، والأردن، والمغرب، والسودان، وباكستان، ودول مجلس التعاون الخليجي، عدا عمان التي تفضل الوقوف على الحياد)؛ حيث تستهدف المملكة من وراء هذا التحالف مواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة، وإضعاف دور اللاعب "غير الدولة" الذي يعتبر بمنزلة أداة المشروع التوسعي الإيراني في الدول الهشة، فضلاً عن توفير ضمانات أمنية لحماية المنطقة، وتحديدًا دول مجلس التعاون، في حال تخلي واشنطن عنها وإبرامها صفقة مع طهران على خلفية الملف النووي الإيراني، وهو ما يعكس وجود حالة من التشكك في جدية المظلة الأمنية الأمريكية لدول الخليج.

غير أن عقبات عدة تقف في طريق إتمام هذا التحالف السني المُستهدف؛ منها أن ثمة اختلافًا في الرؤى والتوجهات السياسية للدول المكونة للتحالف، وخاصةً في السياسات القطرية - السعودية، نحو العديد من الملفات الإقليمية، وأهمها موقفهما من الأحداث في مصر، وكذلك العلاقات التركية - السعودية التي تشهد اختلافًا في بعض القضايا، أبرزها الموقف من جماعة الإخوان المسلمين التي وضعتها الرياض على قوائم المنظمات الإرهابية، ناهيك عن الجفاء الدبلوماسي والفجوة الكبيرة التي تتسع يومًا بعد آخر بين القاهرة من ناحية وأنقرة والدوحة من ناحية، على خلفية الموقفين التركي والقطري الداعم لجماعة الإخوان في مصر، وعدم اعتراف "أردوغان" بشرعية ثورة 30 يونيو وما لحقها من استحقاقات سياسية، فضلاً عن تباين المواقف بين مصر والسعودية فيما يتعلق بكيفية حل الأزمة السورية.

وفي السياق ذاته، لا يمكن تجاهل ارتباط تركيا بعلاقات اقتصادية قوية مع إيران، وهو ما يمثل عائقًا أمام دخول أنقرة في تحالف مضاد لطهران. ويضاف إلى ذلك، التحديات السياسية الداخلية في باكستان؛ حيث تمر إسلام آباد بوضع أمني حرج للغاية يؤثر سلبيًا في موقف باكستان إزاء القضايا الخارجية.

الخلاصة، في ضوء تلك العقبات المختلفة، تظل فكرة "التحالف السني" مجرد طموح حتى يتم تنقية الأجواء وإتمام المصالحات بين الدول المستهدفة انضمامها إلى هذا التحالف. وفي حالة فشل السعودية وباقي دول هذا التحالف في الاتفاق على رؤية موحدة وتصفية الخلافات فيما بينها، ستبقى المسارات المحتملة لخريطة التحالفات في هذه المنطقة، كالتالي:

- 1- محور شيعي "صلب" تقوده إيران ومعها سوريا والعراق وحزب الله والحوثيون.
- 2- محور سني "مفتت"، ومن المرجح أن يكون "تحالفات مؤقتة، سواء ثنائية أو متعددة الأطراف"؛ حيث ستلجأ بعض الدول -مثل السعودية وباقي دول الخليج ومعها مصر وتركيا والأردن والمغرب والسودان- إلى الدخول في تحالفات "قطاعية غير دائمة"، أي تنتهي بانتهاء المصلحة أو الضرورة؛ حيث سيقصر

التعاون في هذه الحالة بين الدول المتحالفة على الملفات والمصالح الآتية موضع تلاقي وجهات النظر، واتباع نهج تعاون يمكن تسميته "حالة بحالة (case by case)" ، فيما يخص هذه الملفات⁵³.

في حين يظل التحالف الاستراتيجي الإسرائيلي-الأمريكي ثابتاً، إذ تتعهد الإدارات الأمريكية المتعاقبة على حماية أمن (إسرائيل) وعلى ضمان تفوقها الاستراتيجي على جميع الدول العربية، بل وتضمن لها التفوق النوعي من خلال توفير أحدث أنواع الأسلحة في العالم، فمن ثوابت المصالح الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة ضمان أمن (إسرائيل)، والعلاقات بينهما تقدم نموذجاً فريداً للتحالف الاستراتيجي، وغني عن الذكر أنه رغم اجتهاد إسرائيل في توسيع علاقاتها الخارجية مع القوى الكبرى سواء روسيا أو غيرها، فإن أي منها لا يرقى لمستوى علاقاتها بالولايات المتحدة. والإدارة الأمريكية الحالية للرئيس دونالد ترامب تسعى لتحقيق تقدم ملموس في القضية الفلسطينية يراعي المصالح الإسرائيلية⁵⁴. ما يبقي استمرار حالة التسيّد الإسرائيلي والتشرذم والتجزئة العربية في ظل غياب الدور المحوري لمصر، لتظل هناك فجوة قوة بين (إسرائيل) والدول العربية كلها، التي "تشتهر بالكم من دون الكيف"⁵⁵.

وحسب ما استنتجناه أيضاً في الفصل الأول من الدراسة، فإن "فجوة القوة" عسكرياً وفجوة القوة الشاملة في جميع أوجه قياس هذه القوة لصالح القوى الإقليمية غير العربية، ما يعطي دليلاً آخر وتأييداً لهذا الاحتمال، والذي يركز بصفة رئيسية على التفوق العسكري لهذه القوى الفاعلة، الأمر الذي يكرّس إلى استمرار الوضع القائم، سيما أن الطرف العربي لا يتحرك بصورة جماعية تجاه محاولة تغيير هذا الاختلال في توازن إقليمه.

وفي إطار التحليل المنهجي للدراسة، فإن هناك من العوامل الدولية والإقليمية التي تسهم في استمرار وتردي الأوضاع الراهنة وتعزيز السيناريو الراهن الواقعي والممكن. ومن هذه العوامل قيام الولايات المتحدة بتحجيم القوى الإقليمية والدولية ومحاولة إعاقة صعود القوى الدولية المنافسة لها، سيما بعد التراجع الأمريكي على الساحة الدولية بعد أزماته الأخيرة. وفيما يتعلق بإيران تسعى الولايات المتحدة لمنعها من امتلاك سلاحاً نووياً لأن ذلك يؤدي إلى اختلال في موازين القوى في المنطقة، وهو ما لا يتفق مع المصلحة الأمريكية والإسرائيلية⁵⁶. وفي هذا السياق فإن امتلاك إيران للسلاح النووي في حالة تحقيقه

⁵³ أحمد عاطف، توافقات مصلحة: لماذا تغيرت طبيعة التحالفات في الشرق الأوسط؟، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 6 أوت/أغسطس، 2015.

⁵⁴ دلال محمود، التغيرات في توازن القوى الإقليمي، مرجع سبق ذكره، ص 111.

⁵⁵ جمال زهران، منهج قياس قوة الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 202-203.

⁵⁶ المرجع نفسه، ص 204.

يمكن أن يحدث انقلاب استراتيجي، سواء في ميزان القوى الإقليمي أو في أنماط التفاعلات الإقليمية المترتبة عليه، مما يفرض واقعاً جديداً على منطقة الشرق الأوسط.

وانطلاقاً من هذه المعطيات، يرى الباحث أن وجود قوتين نوويتين (غير عربية) في منطقة الشرق الأوسط (إسرائيل-إيران)، قد يحدث ذلك توازن رعب بينهما، لكنه سيعمق أكثر الخلل القائم مع الدول العربية، التي تبقى في حالة تهديد وضعف⁵⁷ وتغييب أكثر من معادلة التوازن الاستراتيجي، سيما أنها لا زالت بعيدة عن امتلاك السلاح النووي، (فالدول التي كانت تطمح لهذا المنحى إما دمرت قواتها مثل العراق، أو تنازلت عنه طوعاً ولحقتها المصائب بعدها مثل ليبيا).

وبعد تراجع القيادة الأمريكية وبداية ظهور نظام دولي متعدد القوى، قد تلجأ بعض القوى العربية إلى خوض سياق للحصول على السلاح النووي، ما يزيد الاعتماد على أطراف أجنبية، وبالتالي زيادة حالة التبعية (على المدى القريب والمتوسط)، وهذا ما نستشفه أكثر في الحالة المصرية والسعودية والإماراتية والتي قد تلتحق بهم المملكة المغربية، في محاولة منهم للتقرب وكسب الرضا من القوى الإقليمية والدولية، والذي قد يصل بهم الحال إلى التطبيع العلني مع القوة الإقليمية الإسرائيلية، ما يسهم بشكل مباشر وغير مباشر في تعزيز سيناريو الوضع الراهن الواقعي والممكن، وما دام الوضع الراهن مستمراً فإن احتمالات وقوع حروب إقليمية جديدة بمبادرة (إسرائيلية) يبقى قائماً، في غياب إرادة سياسة عربية تسعى لتحقيق التوازن معها.

ثانياً: استعادة التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي (تحقيق التوازن)

بالرغم ما شكله الإخلال بتوازن القوى الاستراتيجي للمنطقة من منعطفات كبيرة في شكل التحالفات الإقليمية وأطرافها، إلا انه لا يوجد تغير كبير في شكل وطبيعة خريطة التحالفات الإقليمية في المنطقة حيث تبنى جميع التحالفات في المنطقة على أساس هدفين استراتيجيين، أولهما الهاجس الأمني المتبادل بين الحلفاء، وثانيهما المصالح المشتركة بكافة أشكالها، وأخيراً يمكن القول إن إعادة التوازن الاستراتيجي لصالح الأطراف العربية يكمن في احتمالين:

⁵⁷ ينظر في: دلال محمود، متلازمة التدهور: بحثاً عن مقاربة نظرية لفشل الدولة في الشرق الأوسط، السياسة الدولية، ملحق تحولات استراتيجية، أبريل 2017.

- الأول يتمثل في عودة الدور المحوري المصري⁵⁸ بعد الثورات العربية، للقيادة الإقليمية وإعادة هيكلة التفاعلات الإقليمية بما يسهم في معالجة الاختلال في التوازن -وهو الأكثر ترشيحا في هذه الخيارات حسب رأينا المتواضع- وذلك استنادا لعدة معطيات منها:

تسعى مصر لاستعادة دورها كقائد إقليمي وفي هذا السبيل تكافح لاستعادة قوتها الذاتية وتعتمد في هذا على عناصر قوتها الصلبة خاصة المؤسسة العسكرية، وعلى إصلاح وتنشيط الاقتصاد المصري وتعافيه من خلال العديد من المشروعات الوطنية. ومن ثم فإن أهدافها الإقليمية تتمثل في: حماية وتعزيز الأمن القومي المصري بمفهومه الشامل بداية من تنمية القدرات الاقتصادية، التوافق حول منظومة للأمن الجماعي العربي وتفعيلها بما ينعكس ايجابيا على حالة التوازن الإقليمي، مؤكدة على الترابط القوي بين الأمن المصري والأمن العربي. أما بالنسبة لعناصر القوة الناعمة لديها فقد اعتمدت مصر فيما مضى على قوتها الثقافية - السياسية كنمط تقليدي للقوة الناعمة، لكن مرحلة التراجع المصري في الميزان الإقليمي أفقد هذه القوة الكثير من تأثيرها؛ ولذلك في المرحلة القادمة تحاول مصر أن تستخدم مصدر جديد لقوتها الناعمة هو "تجديد الخطاب الديني" وإعلاء قيمة الوسطية والبعد عن التطرف الديني، ولعل هذا المصدر يهدف استعادة القيادة الفكرية لمصر في الإقليم، الذي تعاني شعوبه من الممارسات الإرهابية المتطرفة تحت شعار "الدين". والتحدي الأكبر بالنسبة لمصر كقوة إقليمية فاعلة هو ضعف القدرة الاقتصادية المصرية مقارنة بالقوى الإقليمية الأخرى، وهذا ما يدفع مصر للتأكيد على ضرورة التعاون العربي - العربي لمواجهة اختلال توازن القوى الإقليمي⁵⁹.

كما تتحرك مصر في الآونة الأخيرة بسياسة براغماتية لتحقيق أهدافها الإقليمية ومواجهة التحديات الاقتصادية والأمنية الراهنة، وعليه فهي تحرص على تنويع علاقاتها الخارجية وتوسيع دائرة علاقاتها وإدارتها بشكل متوازن، ومن ثم عدم الارتباط بقوة واحدة أو الاعتماد عليها، حرصا على حرية قرارها السياسي نسبيا، والإسراع في إعادة بناء قدراتها بما يساهم في استرداد مكانتها الإقليمية التي تدركها القوتين الدوليتين جيدا، وتدركان أيضا أنها قوة إقليمية مقبولة من أغلب دول المنطقة، وهذا يعني أن

⁵⁸قد يطرح السؤال هنا، لماذا نرشح مصر ولا نرشح السعودية التي ذكرت هي الأخرى من بين القوى العربية المؤثرة في التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط؟ الجواب هنا: لان السعودية واضحة التوجه ناحية الولايات المتحدة الأمريكية و(إسرائيل) وترتبط معها مصالحها منذ حرب الخليج الثانية، لكن مصر وبعد الثورة العربية التي حصلت فيها قد تغير من توجهاتها المستقبلية كما وربطت علاقات جيدة مع قوى دولية مختلفة، كما وشهد التاريخ على نجاحها مسبقا في العديد من المراحل على حسن القيادة العربية، كما ان هناك غياب للدول العربية الأخرى لما تعانيه من ويلات الحروب والأزمات الداخلية، تبقى هناك معطيات عدة ترشحها كقوة ممكنة لخوض مسار التغيير والتصحيح في المستقبل. نشير لها في تفاصيل الدراسة.

⁵⁹دلال محمود، التغييرات في توازن القوى الإقليمي، مرجع سبق ذكره، ص111.

مصر حريصة على علاقتها بكل القوى الدولية وفقاً لمصالحها في القضايا المختلفة فقد تتقارب مع الولايات المتحدة في قضية ما كواجهة الإرهاب في اليمن أو وضع نظام أمني جديد للمنطقة، وقد تتقارب مع روسيا في قضية أخرى كواجهة الإرهاب في ليبيا أو بناء مفاعلات لإنتاج الطاقة النووية للأغراض السلمية⁶⁰. فهي تسعى بذلك لأن تحمل دور القوة الإقليمية الفاعلة والموازنة بين القوى الدولية في المنطقة، مثلها مثل تركيا. معطيات تسمح لنا بالقول أن لمصر حالياً ومستقبلاً، هامش مناورة يقدم الفرصة والخطوة الأولى للقوة العربية بفرض ذاتها في معادلة التوازن الاستراتيجي بالإقليم وفرصة المشاركة في إعادة هيكلة التفاعلات الإقليمية بما يساهم في إعادة الاختلال في التوازن.

وطبقاً لتحليل عناصر ومؤشرات القوة العسكرية للقوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط (والسابق الوقوف عليها) فإن القوة العسكرية المصرية ستظل أحد عناصر تحقيق توازن القوى في المنطقة، وأحد الأدوات الرئيسية المشاركة في تنمية وتطوير الدور المصري، وإذا كان الواقع يشير إلى أن القدرات العسكرية المصرية يمكنها أن تحقق التفوق الكمي على (إسرائيل)، إلا أن هذا التفوق يتطلب إنجازات أخرى ضخمة - وهو ما تسعى إليه مصر اليوم من خلال المضي نحو تجسيد صفقات عسكرية مستقبلية ضخمة مع القوة الدولية الروسية من أجل الحصول على أحدث الأسلحة، كما وتكشف أيضاً التطورات الأخيرة على وجود مشروع نووي لمصر بمساعدة روسية - إنجازات في انتظار تحقيقها، تضمن إحداث التكافؤ في علاقات توازن القوة العسكرية مع (إسرائيل) وترجع القوى الإقليمية الغير عربية المنافسة مثل تركيا وإيران خطوات للوراء، احتمال في تجسيده قد يحقق أمن المنطقة من التهديدات الأمنية المتكررة ويضمن استقرارها. ومن ثم فسوف يكون لمصر دور كبير في مواجهة الاختلال في التوازن الإقليمي على المدى الاستراتيجي المتوسط.

-أما الخيار الثاني، فنقول إن الغرب -طوال الحرب الباردة- اعتمد "معادلة توازن القوة" في منطقة الشرق الأوسط، مرتكزاً على ضلعين رئيسيين هما: إيران وتركيا، وشكل هو الضلع الثالث من خلال أدواته الرئيسية المتمثلة في الكيان الصهيوني، وأصرت القوى الغربية على إبقاء الضلع العربي المفترض وجوده الموضوعي مكسوراً ومطوقاً بمثلث القوة الرهيب ذلك، والذي كان هدفاً للتكسير الدائم.

حاول الحلف العربي-العربي سابقاً (مصر-سوريا-العراق) أن يفرض مكانة له في معادلة التوازن بالمنطقة من خلال الصراع، فكان العدوان الثلاثي عام 56، ثم تفكيك الوحدة السورية المصرية 1958، تلتها هزيمة عام 1967، وبتحول مصر الناصرية إلى مصر الساداتية والتفريط في النصر النسبي لأكتوبر 1973، حيث تم بالمقابل استبدال الدور المصري من خلال التصالح مع (إسرائيل)، والدخول مع

⁶⁰المرجع السابق، ص 119.

الغرب في مساومة على صناعة محور قوة ثلاثي من محتويات الضلع المكسور، تشكّل من مصر والسعودية والإسلام السياسي السني، ليأخذ دوراً في معادلة الصراع مع تركيا وإيران وآخرين تحت شعار مواجهة العلمانية والتشيع.

اختلف الوضع اليوم، حيث إن المحاولات الأمريكية لإعادة إنتاج نفس مثلث القوة لم تعد ممكنة دون تقديم تنازلات من الطرف الأمريكي، تنازلات مختلفة عن تلك المقدّمة منه سابقاً، فالقبضة الأمريكية تتراخي أمام المنافسين الأصدقاء مثل (تركيا، السعودية..). فكيف هي أمام من تصفهم أمريكا بالأعداء..

إذن فسيناريو بقاء التوازن الهش القائم الآن، احتمال مستبعد، الوقت لا يخدم بقاء هذا التوازن، خاصة أن الجميع يحضّر نفسه للاحتمال الأسوأ، أو أن هذا الانتظار -في إحدى وظائفه- انتظار مؤقت على أمل الوصول إلى حلول مرضية للجميع وقابلة للاستمرار زمنياً أطول نسبياً.

ولهذا فإن على الدول العربية المتبقية، انتهاز فرصتها لإعادة إنتاج دورها، قبل فوات الأوان، إذ يمكنها أن تشكّل حلفاً جديداً يعيد إحياء خارطة التوازن الاستراتيجي في المنطقة، وهو الذي تراه الباحثة خياراً أمثل قادراً على سد الطريق، أمام كل أشكال العبث المحتمل من الأعداء.

ولعلّ من الحكمة السياسية أن تتجه مصر لأخذ دور مركزي من خلال التفاهم السعودي المصري الجزائري، الذي سيأخذ مكانة في تفاهات متوازنة مع إيران وتركيا بعيداً عن إرث الماضي، هذا التفاهم من شأنه أن يفرض على الطرفين التخلي عن الطموحات التوسعية المفترضة التي تتخوف منها بعض الأطراف العربية.

وعلى الدول العربية أيضاً عدم التسليم بمنطق تغيير العدو والقبول بالتسوية المستحيلة مع الكيان الصهيوني، بل العبور في التفاهات الممكنة والضرورية مع الجيران الإيرانيين والأتراك حتى لا يجد الأخيرين أنفسهم أمام خيارات أخرى قد تدفعهم لصفقة إعادة إنتاج لمثلث القوة التقليدي على حساب مصالح ومستقبل الدول العربية. فالوصول إلى هذه التفاهات هو جوهر المصالح العربية الاستراتيجية وليس الوصول إلى تفاهات مع كيان افئّج على حساب مصالحنا ومن أجل تقويتنا.

تبقى مقارنة ورؤية منا لمستقبل المنطقة تحاول البحث على ما يجب أن يكون عليه التوازن الاستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، وتقوم هذه المقاربة أو المقترح على أسس وحيثيات أهمها:

_ أنه وبعد استنزاف قوة كل من العراق وسوريا من قبل القوى الإقليمية والدولية، توجب علينا البحث عن طرق تشكيل منظومة أمنية عربية سواء أخذت شكل تحالفات أو غيرها، تكون خطأ رادعاً وموازناً للاستراتيجيات التوسعية بالمنطقة. والذي يكون مقترحنا في ذلك هو تفعيل حلف استراتيجي عربي-عربي تقوم ركائزه على كل من (السعودية كمثل لمنطقة الخليج العربي، ومصر لما تبقى من الحلف الاستراتيجي العربي السابق، والجزائر كممثلة عن دول الغرب الأوسط)، هذه الدول تأخذ على عاتقها إعادة التوازن الاستراتيجي في المنطقة. ويرتكز هذا الاحتمال على افتراض مفاده، أن اقتران الواقع العربي

خلال المستقبل الممتد على عام 2030 بأن ثمة تحولات إيجابية، كمية وكيفية، على الصعيد الداخلي والخارجي للإقليم_ أي أن تحولات التوازنات العالمية_ سيؤثر لا محالة على التوازن الإقليمي الشرق أوسطي والذي قد يكون فرصة قد تستغلها القوى العربية لاستعادة التوازن بالمنطقة. وبالتالي بالفاعلية ستدفع التحولات القادمة إلى صورة مستقبلية تتناقض مع "احتمال استمرار حالة اختلال التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي".

كما ويتأسس هذا الاحتمال المتفاعل على إمكانية نجاح ما يسمى بالثورات العربية في تحقيق تغيرات جذرية في المنطقة العربية، تؤدي إلى صعود قوى وطنية للقيادة الإقليمية تمتلك إرادة سياسية ورؤيا واضحة للتغيير، بشكل يؤدي إلى قيام مشروع عربي نهضوي جديد، يوفر فضاءً استراتيجياً للتكامل العربي ويؤدي إلى تصحيح الاختلال لصالح القوى العربية على المدى الاستراتيجي المتوسط والبعيد. كما يجب أن تتخطى الدول العربية في هذه المرحلة، استراتيجية "القوة الإقليمية" وتتحرك نحو استراتيجية "منطقة أكثر قوة". ولعل أهم إنجازات الثورات العربية تكمن في سقوط حاجز الخوف من كيان الدولة المتسلط. كما إن أهم المتغيرات التي أفرزتها الثورات العربية هو منح قوة دفع كبيرة لفاعل استراتيجي لطالما هُمّش وغيب قسراً عن المشهد السياسي العربي، ألا وهو الشعوب العربية التي استطاعت أن تعيد اكتشاف قدراتها الكبيرة على العمل والتأثير.

وفي ظل هذه المعطيات ترى الباحثة أن هذا الاحتمال يظل مرشحاً للحدوث ولا يستحيل سبيله إلى واقع حي لكن ليس قبل (10-20) سنة على الأقل، أي بعد أن تكتمل الثورات العربية وتتجز جميع أهدافها وتقوم بإجهاض كل محاولات بقايا النظم السابقة والقوى الغربية التي تدعمها والتي تسعى لإفشال ثوراتها أو حرفها على مسارها الصحيح، حتى تتجهز وتسترجع قواها وتتمكن من جديد من فرض وجودها في معادلة التوازن ويتسنى لها خوض معارك استراتيجية مع قوى أخرى إقليمية ودولية. كما بقي أن نقول أنّ مشهد التغيير المحتمل حدوثه سوف يسهم في تغيير نمط الصراع العربي-الإسرائيلي، كما يؤدي إلى إنتاج تسويات أفضل لحل هذا الصراع.



خريطة توضيحية من اعداد الباحثة

خاتمة

على ضوء المتابعة لتطورات الأحداث والأوضاع في المنطقة، ومحاولةً منا لاستقراء ما جرى فيها على أرض الواقع وما حدث من تحولات استراتيجية دولية وإقليمية لها علاقة بتطورات الأزمة السورية على الشأن السياسي والأمني بالمنطقة، فقد تأسس لدينا مباشرة بعد اختبار الفروض العلمية لهاته الدراسة، وبعد تفكيك إشكالية الموضوع محل البحث إطاراً عاماً يتضمن خلاصة وجملة نتائج تتلخص في الآتي:

وفقاً لمنطق توازن القوى الجديد، يمكن وصف النظام الإقليمي الحالي للشرق الاوسط بنظام متعدد الأقطاب، حيث تشهد المنطقة اصطفاك كل من السعودية و(إسرائيل) وتركيا، في مواجهة قوة طموحة وهي إيران، والتي سمحت لها الظروف الجيوسياسية المواتية الفرصة لتوسيع نفوذها في افغانستان والعراق وسوريا..، إذ استخدمت قوتها الناعمة لتحريك الحلفاء وتشكيل نتائج سياسية، واعتمدت القوة الصلبة في دعمها للجماعات المسلحة، خاصة بعد الوصول إلى اتفاق نووي بشأن الملف النووي مع القوى الدولية 1+5. وانطلاقاً من هذه الرؤية فقد برز السلوك الهجومي للسعودية للحد من تنامي الدور الإيراني، إلا ان الثقة بالنفس لدى القادة السعوديين تتناقض مع طموحاتها الإقليمية، فهي مقيدة بشكل كبير نظير قدراتها العسكرية، لنتجه لختيار التحالف لصد التهديد. في حين تتطلع تركيا أن تكون طرفاً إقليمياً مؤثراً من خلال الملف السوري. ولتعزيز نفوذها تحاول لعب دوراً إيجابياً مع إيران، ومن خلال سياستها الخارجية فهي تسعى للتفاهم والتعاون مع إيران بشأن المسائل الاستراتيجية مثل: البحث على حل للأزمة السورية والأزمات الإقليمية، ملف امن الطاقة، البرنامج النووي الإيراني حيث ادت تركيا دور الوسيط بين إيران والغرب من اجل إقناع الطرفين للجلوس على طاولة المفاوضات، أيضاً تسعى مع إيران لحل قضية الاكرد التي تعد الاله في علاقاتها معها، ولذلك يبدو لديها القليل من الاهتمام في هذا النوع من التوازن الإستراتيجي للقوة. فتركيا تدرك جيداً خطورة ما تشكله عداوة دولة جارة لها. أما بالنسبة (إسرائيل) فهي ليست على استعداد للدخول في موازنة مع إيران في الوقت الراهن، فمن المؤكد ان قلقها الرئيسي هو في سير الانشطة النووية الإيرانية، والذي بطبيعة الحال سيؤثر حتماً على التوازن الاستراتيجي التقليدي الذي تكون فيه (إسرائيل) كقوة نووية وحيدة بالمنطقة، لكن اهتمامها الحالي هو بقضايا الامن السياسي في دول دائرتها الجيوسياسية الأولى، وبقضايا صراعها مع الفلسطينيين وحزب الله، وخصوصاً في صداماتها معه في حدودها السورية واللبنانية. ويواجه النظام الإسرائيلي حالياً علاقات عدائية مع القليل من الدول العربية والهيئات شبه الحكومية، والتي يسعى في جهود متواصلة لكسبها وجرّها في صفه، وعلى هذا لا يستبعد ان تفتح (إسرائيل) جبهة حرب جديدة مع إيران، والتي يمكن أن تقسد خطتها الاستراتيجية بالمنطقة، كما وقد يؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة على أمنها وأمن المنطقة.

جراء هذه الحسابات الجيوسياسية، فقد تحولت المنطقة إلى ساحة صراع إقليمي يسعى كل طرف فيها إلى الحفاظ أو التغيير في الوضع وفقاً لمصالح كل طرف، ومثلت الجغرافيا السورية اختباراً للتنافس الإقليمي بين محور الممانعة وقوى التغيير. وكون سوريا معقدة ديمغرافياً، فإن الحرب الأهلية ما لبثت أن ورطت جماعات إثنية ودينية إضافية، لم تكن أي منها مستعدة لأن تترك مصيرها يتحدد بقرارات يتخذها الآخرون. ففي ظل الفوضى والمعضلة الأمنية، سعى كل طرف لتنفيذ خياراته بشكل منفرد من خلال أجندة تم ضبطها من طرف القوى الإقليمية والدولية. كما تتحدد المسببات الدولية لمأزق الأمن في سوريا في انخراط القوى الدولية في الصراع. ليتحول الصراع المحلي السوري إلى تنافس إقليمي/دولي بفعل تداخل المحلي بالإقليمي والإقليمي بالدولي. ولهذا تداخلت كل الملفات المحلية والإقليمية والدولية في سورية وبات الحل معقداً ومركباً.

وهنا تكمن أهمية سوريا في منطقة الشرق الأوسط وتوازاناتها، فالواقع حول الجغرافيا السورية إلى رقعة شطرنج صغرى لتوازن القوى الإقليمي، حيث أصبحت قضية تشغل أي هيمنة إقليمية في ظل انهيار العراق وعدم وجود دولة قادرة أو راغبة على موازنة إيران، لذا أي تحالف في المنطقة لن يهيمن إقليمياً إلا إذا مر عبر المحور السوري، فمن يفوز بسوريا يفوز بالشرق الأوسط.

وكمخلص لوضع القوى الإقليمية والدولية في التوازن الاستراتيجي بالمنطقة يمكن القول، أن كل من السعودية وإيران، يقومان بدور مزدوج ما بين الحفاظ على الوضع أو التغيير في الإقليم وفقاً لمصالحهما، وينطبق الأمر كذلك على الولايات المتحدة وروسيا كقوى دولية، أما تركيا الباحثة عن الريادة الإقليمية فهي حبيسة هواجسها الأمنية الناتجة عن الجوار السوري، في حين تبقى (إسرائيل) ومصر حالياً، قوتان دون نفوذ.

كما توصلت الدراسة إلى عدة استنتاجات وتوصيات نذكرها في النقاط التالية:

- تمرّ منطقة الشرق الأوسط بحالة من الفوضى والتعقيد سيطرت عليها مجموعة من الصراعات الطائفية والمذهبية وتطرف إرهابي اخترق أمن أغلب الدول العربية، علاوة على تصعيد التنافس العسكري والسياسي بين بعض القوى الإقليمية الفاعلة في تغيير معادلات التوازن الإستراتيجي، وذلك من خلال ما تجسّد من أزمات وصراعات وحروب مباشرة وأخرى بالوكالة. وتعدّ كلّ من إيران، تركيا، السعودية، مصر والكيان الصهيوني، فواعل إستراتيجية إقليمية مؤثرة في المنطقة إضافة إلى القوى الكبرى المهيمنة في النظام الإقليمي والعالمي منها الولايات المتحدة الأمريكية كقوة نفوذ تقليدية في المنطقة وبرز الدور الروسي المهيمن الجديد والرقم الأصعب في معادلة التوازن الإستراتيجي الجديد

الذي يسعى لتحديد القوة الأمريكية المنافسة له في المنطقة، وتغيير قواعد اللعبة الكبرى في تسيير شؤون الشرق الأوسط.

- هناك معطيات ووقائع على الأرض تثبت عملية نسج لخارطة التوازنات الإستراتيجية الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط، توحى بظهور نظام إقليمي جديد تصعد فيه دولاً على حساب أخرى وتغيب فيه دول المنطقة العربية منها تماماً. نظاماً جديداً تتراجع فيه الدولة القائد (الولايات المتحدة الأمريكية) المسيطرة سابقاً والمتحكمة في إدارة لعبة التوازنات الإستراتيجية لحسابها، منسحبةً من المنطقة تاركةً المجال لروسيا القوة الدولية الموازية لها والتي تسعى أيضاً للمحافظة على مصالحها، مثلت في ذلك أيضاً قطباً يثبت نفسه ويفرض نظاماً دولياً جديداً متعدد القوى، نظاماً أسهم كثيراً في تغيير شكل التوازنات الإستراتيجية الإقليمية في الشرق الأوسط، وصيغت فيه معادلة جديدة بدأت بالتدخل العسكري الروسي في سورية.

- إنَّ لعبة التوازنات الإستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط لا تقتصر على العوامل الجيوسياسية وما تمتلكه من موارد طاقة فحسب، بل تشمل أيضاً العوامل القومية والمذهبية وصراعات النفوذ في عباب البحر المتوسط، ولذا تصطدم مصالح اللاعبين الإستراتيجيين المتمثلين للقوى الإقليمية والدولية في سياق "اللعبة الكبرى" الجديدة لقرن الحادي والعشرين والتي بدأت فعلياً انطلاقاً من سورية في منتصف عام 2011، واحتدمت مع إعلان نشأة تنظيم الدولة داعش في منتصف 2014.

- بعد استعراض خريطة تحالفات القوى الإقليمية في الشرق الأوسط، فإن الدول الغير عربية كإيران وتركيا والكيان الصهيوني ورغم تنافرها، إلا أنها تبدو أكثر دينامية وتناسقا من نظيرتها العربية في المنطقة، كما وان صانعي القرار في الدول المذكورة لها القدرة على إدارة خلافاتهم البينية بحنكة تقتضي دون المساس بأمنهم وبمصالحهم المشتركة، لا سيما بين تركيا وإيران من جهة وتركيا والكيان الصهيوني من جهة أخرى، وتعد أيضاً محاور تنسج السيناريوهات الإستراتيجية للمنطقة، الأمر الذي ينعكس سلباً على التحالفات والمصالح الإستراتيجية العربية الراهنة والمستقبلية. دولا تثبت عجزها في تأمين استقرارها وتحقيق توازن استراتيجي داخل اقليمها لنفسها بنفسها.

- أضحت السياقات الراهنة في الإقليم، موسومة بصراعات ومنافسات استقطابية حادة، ومجموعة من الإستراتيجيات والإستراتيجيات المضادة، وذلك في أعقاب انحسار الحراك الشعبي في بعض الدول وتحوله إلى صراعات وحروب دموية وتهديدات دول وتسليح أخرى وغيرها.. تغيرات وتحولات استراتيجية تواكبت مع صعود قوى إقليمية غير عربية أضحت اللأعب الإستراتيجي الأكثر فعالية في لعبة شد الأطراف، واللأعب المحوري في رسم خريطة التحالفات الإقليمية الجديدة لتشكل بدورها نمطا

معقدا من ديناميات الفكّ والتّركيب، في محاولة لإعادة تشكيل التوازن الإستراتيجي الجديد، المبني على أسس جديدة قطعاً لن تصب في مصلحة القوى العربية ذات النفوذ التقليدي في الإقليم. لتكون للقوى الإقليمية تركيا وإيران بالإضافة إلى الكيان الصهيوني الذي يظل في خلفية المشهد بمثابة الغائب الحاضر، مستفيداً من جلّ التفاعلات الإستراتيجية في المنطقة بشكلٍ أو بآخر.

- نتيجة لسلسلة الصراعات المعقّدة في منطقة الشرق الأوسط، أضحى البحث عن حليف موثوق فيه، أو بناء تحالف رادع أو تفكيك تحالف مناوئ، هو الهدف المرحلي للفاعلين الأساسيين في المنطقة، وتبادل الأدوار واللّعب على المتناقضات هي العناوين الأبرز لوصف سلسلة نمطية التحالفات الإقليمية في الشرق الأوسط، والمشكّلة لتوازنات إستراتيجية جديدة وذلك ما بعد أزمة سورية 2011.

- تبيّن ان الإستراتيجيات الدولية وفي تعاملها مع القوى الإقليمية تميل إلى تحالفات الإذعان معها أكثر من ان تتوازن معها، فالقوى الكبرى تتوازن مع بعضها، لامتلاكها مقومات القوة وقدرات الردع ومصداقية التهديد.

- إن السباق الراهن بين السعودية وبين إيران المتجسد الآن في اليمن ليس، إذاً، تنافساً سعودياً-إيرانياً يتضمن رغبة كل طرف في القضاء الكامل على خصمه. فكل لاعب يسعى فقط في الواقع إلى دفع ميزان القوة كي يميل لجانبه. ورغم أنه بدا لوهلة أن إيران لها اليد العليا في هذه اللعبة، أساساً بسبب ما كانت تتوقعه من تراجع لدور السعودية، إلا أن الصورة تتغيّر الآن وتعيد بموجبها السعودية تأكيد نفسها مجدداً بوصفها قوة مؤثرة على الأمن بتحالفاتها الإستراتيجية الأخيرة مثبتة علاقاتها أكثر هي وحليفيها في المنطقة الإمارات مع (العدو الإسرائيلي) في خطوة تنذر بالشؤم على امن منطقة الشرق الأوسط.

- كما مثّلت الأزمة في سورية حدثاً إستراتيجياً مهماً ظلّت تأثيراته الكبيرة محدّداً أساسياً في تشكيل مستقبل التوازن الإستراتيجي الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط وفي صياغة العلاقات بين دولها، وتعدّ الدولة التي تُجهّز لمخاض ولادة نظامٍ إقليمي وعالمي جديد، نظراً لأهمية وجيوستراتيجية المنطقة في ضبط موازين القوى الإقليمية والعالمية. وعلى الرغم من الطبيعة العالمية للتأثيرات التي ستنج من جرّاء الأزمة، إلا أن دول منطقة الشرق الأوسط وجوارها القريب هي الأكثر تأثراً بالتحوّلات الإستراتيجية وبتطورات الأوضاع السريعة، بفعل العوامل الجيوسياسية ونتيجة أيضاً لتشابك المصالح والتفاعلات الإقليمية في الإقليم.

- وينعكس الأمر في حال ما تتأثر سورية كجزء من المنطقة وكدولة فاعلة في التوازن الإستراتيجي بمجموعة تلك التفاعلات وبنمطية التحالفات الجديدة، سواء كانت نتيجتها ضرراً عليها يصعب في

حل الأزمة ويزيد من تعقيدها أكثر وقد تسقط الدولة وتتفتت، أو قد يكون فيها بصيص أمل لحلحلة الأزمة وحسم الصراع نهائياً، وذلك إذا ما تمكنت سورية من إدارة لعبة التوازنات في الداخل وتمكنت أيضاً من كسب السند الإستراتيجي لها لمدة أطول لما يضمن أمنها وسلامة وحدتها بالمنطقة، وذلك ما قد يعيد ويحقق التوازن الإستراتيجي ولو نسبياً بالمنطقة .

- ادّعت القوى الدولية والإقليمية أنها تواصل سعيها ليكون الشرق الأوسط مستقرّاً ومنطقة واعدة، لكن ما نشهده هو وجود ما يقرب من خمسين قاعدة عسكرية أجنبية في المنطقة. وشهد الشرق الأوسط عام 2018 أعلى تركّز للقواعد العسكرية الأجنبية في العالم، وهي قواعد أميركية وبريطانية وفرنسية وروسية وتركية وإيرانية. واختارت تلك القوى الدولية والإقليمية صيغاً متنوعة لاستعراض قوتها، فأصبح الشرق الأوسط منطقة جاذبة للقوة الخشنة والقوة الناعمة والقوة الذكية والقوة القاسية. كما أن القوى الدولية تتفاعل مع القضايا التي تمسها فقط، فالأزمة في اليمن تمثل أخطر أزمة في القرن الحالي، لكن لا نرى أن أحداً من القوى الدولية مهتم بحلها لأن استفادتهم في استمرار تلك الأزمات.
- لا يزال الملف السوري يشهد ظهور متغيرات جديدة نتيجة أداء الفاعلين المحليين والإقليميين والدوليين على الصعيد السياسي والعسكري، والتي لطالما أحدثت انتقالاً نوعياً في مستوى وحدة الصراع من جهة، وتغييراً في اتجاهات وسياقات الانفراج من جهة أخرى. ولقد أصبح لهذه المتغيرات أثر عابر للجغرافية السورية وممتد ليشمل خارطة الإقليم ويغدو مسبباً أساسياً في تغيير التموضعات والتحالفات الإقليمية.
- لم تعد ممارسة القوة في منطقة الشرق الأوسط تتبّع ذلك النهج المتسق الذي كانت عليه خلال حقبة الحرب الباردة: أي قوة عالمية واحدة مع عدد من الوكلاء أو الحلفاء بل باتت القوة في المنطقة اليوم عبارة عن تحالفات علاقات هجينة. فمنذ ثلاث سنوات خلت، لم يكن أي منّا يتخيل قيام ميثاق ثلاثي يجمع بين روسيا وإيران وتركيا. أما أميركا في عهد ترامب، فقد اختارت الاستثمار في كلّ من محمد بن سلمان في السعودية ومحمد بن زايد في الإمارات العربية والسياسي في مصر. ويبقى السؤال قائماً حول ما إذا كانت هذه التحالفات قابلة للاستدامة باعتبارها أساساً لتوازن قوى بديل!
- وخلاصة قولنا في ذلك، انه مهما كانت التفاهات والمواقف الدولية حيال التدخلات العسكرية في سورية، فإنّ المدنيين السوريين هم الطرف الخاسر الوحيد، عرباً وكرداً وتركماناً وسواهم. وقد يدفعون ثمناً يضاف إلى الأثمان الباهظة التي دفعوها في السنوات العشر الماضية.

توصيات الدراسة

- مضيّنا نتحدث لسنوات طويلة عن التوازن الاستراتيجي للقوى بين العرب و(إسرائيل) وكيف أن الخلل في ذلك التوازن هو السبب في كل ما حاق بالعرب والفلسطينيين من نكسات وإحباطات. ولقد طالب الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد يوماً، بضرورة التوقف عن التفريط في الحقوق العربية وإرجاء المواجهة مع الدولة العبرية إلى حين تحسن ميزان القوى الاستراتيجي إلى مصلحة العرب، لأنه ليس من حق أجيال الضعف أن تقرر المستقبل برمته وتحدد في فترة الهوان النتيجة النهائية التي ستتحملها أجيال مقبلة بحكم منطق التاريخ. وليس من شك، والأمر كذلك، في أن ميزان القوى الاستراتيجي ما زال وقد يستمر لمصلحة (إسرائيل)، بحكم القوة العسكرية والتقدم التكنولوجي والدعم الأميركي اللامحدود. لذلك يتعين علينا أعمال ميزان آخر ومحاولة الاعتماد عليه في حسم الصراع مستقبلاً.
- وقد أظهرت الحرب السورية أن الدول الكبرى باتت تمتلك قدرات عسكرية هائلة، ما يمثل تحدياً كبيراً في الحرب النظامية "التقليدية"، إلى حد باتت معه أية محاولة من دولة عادية لمواجهتها بشكل تقليدي فاشلة وأقرب للانتحار. ومن جهة أخرى فقد أثرت التطورات التكنولوجية بقدر كبير على شكل الحروب والنزاعات وجعلتها أكثر تعقيداً، خاصة على الدول الكبرى التي تسعى إلى حماية مصالحها وتأمين سيطرتها على الساحة الدولية. فلم تعد مسألة حسم المعارك والحروب واخضاع الدول والشعوب بالسهولة التي كانت عليها. سيبقى البعد الفكري والعقائدي من أصعب الأهداف التي على الغرب محاولة هزيمتها دون تغيير سياساته الخارجية نحو المنطقة. كما أن منع الخصم من تطوير ترسانته من الأسلحة الحديثة واستخدام الجريمة المنظمة لتمويل ذاته سيبقى تحدياً صعباً، إذ يتطلب تحقيقه تعاوناً استراتيجياً ودولياً لأقصى المجالات. ولذلك يجب على الدول العربية أن تعتمد عقيدة "الحرب المركّبة" (الهجينة)، ضمن سياساتها الدفاعية من أجل تعزيز قدراتها على مواجهة أي هجوم أو محاولة غزو من قبل دولة كبرى لأراضيها. وعليها أيضاً استغلال مواردها البشرية والطبيعية والاقتصادية كافة للدفاع عن أمنها واستقرارها واستعادة توازن منطقتها بما يخدم مصالحها.
- ما توصلنا إليه بالبحث في المسألة السورية أن الوضع في الداخل السوري حالياً يفسّر بالحرب فلم تعد أزمة، صحيح قد اعتمدنا مصطلح الأزمة في الدراسة لأننا بدأنا بالبحث في الشأن السوري في مرحلته الأولى، وقد أخذت منا الدراسة ست سنوات، لتكون بذلك كل المؤشرات الحالية تدل بوجود الحرب في سورية. وعليه فعلى الباحثين المقبلين في مواصلة الدراسة تبني مصطلح الحرب بدل الأزمة.

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

قائمة الكتب:

1. إبراهيم فؤاد، الشيعة في السعودية، دار الساقى، بيروت، 2007.
2. إدريس محمد السعيد، النظام الإقليمي للخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2000.
3. إسكندر مروان، الدب الروسي ينقلب نمراً، روسيا: الولادة الجديدة، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2011.
4. أمين سمير، الفيروس الليبرالي: الحرب الدائمة وأمركة العالم، مركز البحوث العربية والأفريقية، 2006.
5. باسم جلال القاسم، الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الأزمة السورية 2011-2018، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، بيروت، سبتمبر 2019.
6. باكير علي حسين، تركيا الدولة والمجتمع، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010.
7. بايبر مايكل كولينز، كهنة الحرب الكبار، ترجمة: عبد اللطيف أبو البصل، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 2007.
8. بابيف بافل، القوة العسكرية وسياسة الطاقة بوتين والبحث عن العظمة الروسية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، أبو ظبي، 2010.
9. برستد جيمس هنري، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، 1996.
10. بريجنسكي زيبغنيو، رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية، ترجمة أمل الشرقي، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999.
11. بيريز شمعون، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1994.
12. تقيه رأى، إيران الخفية، ترجمة أيهم الصباغ، شركة مكتبة العبيكان للتوزيع، الرياض، 2010.
13. جيور جنى، تركيا: دبلوماسية القوة الناهضة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2019.
14. جليل نوار هاشم وآخرون، الإقترب الكبير: روسيا في الشرق الأوسط، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020.
15. الجوادي محمد، الطريق إلى النكسة: مذكرات قادة العسكرية المصرية 1967، دار الخيال، مصر، 2000.
16. الحسن عمر سعيد وآخرون، إيران ومأمن الخليج، مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، 2010.
17. حمدان جمال، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان الجزء 1، دار الهلال، مصر، 2007.
18. خليفة أحمد (إعداد وتحرير)، استراتيجية الجيش الإسرائيلي في ضوء المتغيرات الإقليمية والتهديدات المستجدة: دراسات لجنرالات وباحثين إسرائيليين كبار، سلسلة قضايا إستراتيجية (5)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2018.
19. داود أوغلو أحمد ترجمة تلجي محمد جابر، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط4، 2017.
20. زعرور هادي، توازن الرعب: القوى العسكرية العالمية: أمريكا، روسيا، إيران، الكيان الصهيوني، حزب الله، وكوريا الشمالية، أسرار عسكرية تكشف للمرة الأولى وسيناريوهات دقيقة تروي الحروب المستقبلية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2013.
21. س. ناي جوزيف، حتمية القيادة: الطبيعة المتميزة للقوة الأمريكية، ترجمة عبد القادر عثمان، مركز الكتب الأردني، عمان، 1991.
22. السلطان عبد الله عبد المحسن، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1988.
23. صباح، تركيا بين الطربوش العثماني والبنطال الأوروبي، مركز البحوث والدراسات، بيروت، 1996. طالب حازم، من الوعي الإيديولوجي إلى الوعي الإستراتيجي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1993.
24. الصفاوي محمد، مكانة روسيا في النظام الدولي وأثرها على إدارة الأزمة السورية، جامعة الأزهر، غزة، 2016.

25. عبد الفتاح بشير، أزمة الهيمنة الأمريكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، جانفي 2010.
26. عبد الكريم علاء عبد الحميد، دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2018.
27. العبد الله جمال مصطفى، الفكر الإستراتيجي الإسرائيلي: دراسة لواقع ومستقبل الإستراتيجية الإسرائيلية وانعكاساتها على المنطقة العربية، دار وائل للنشر، ط1، عمان، 2000.
28. عبد المولى طنطوش هائل، مقدمة في العلاقات الدولية، ط1، عمان، الأردن، 2010.
29. العتوم نبيل، الجغرافيا السياسية كإطار تحليلي لقياس قوة إيران، النهضة، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، أكتوبر، 2011.
30. عقلة المومني محمد أحمد، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا في القرن الواحد والعشرين، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2005.
31. العلاف إبراهيم خليل، تنامي التسليح التركي وأثره في الامن القومي العربي، ملخصات بحوث تحت عنوان: العلاقات العربية-التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، 2000.
32. فراج عبد المجيد، القوى الشاملة للدولة مؤشرات وقياسات، مركز الدراسات الإستراتيجية للأهرام، القاهرة، 1997.
33. فهمي عبد القادر، المدخل إلى دراسة إستراتيجية، دار الرقيم للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005.
34. القيسي محمد وائل، الأداء الإستراتيجي الأمريكي بعد العام 2008: إدارة باراك أوباما أنموذجاً، العبيكان للنشر، ط1، الرياض، السعودية، 2016.
35. كرامز هاينتس، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، ترجمة: فاضل جنكر، مكتبة العبيكان للنشر، ط1، الرياض، 2001.
36. كلاجوغلو سيما، علاقات تركيا الاقتصادية مع الشرق الأوسط بعد دخولها الإتحاد الجمركي الأوروبي، من كتاب (العرب والأتراك: الاقتصاد والأمن الإقليمي)، تحرير وتقديم: علي عبد، ترجمة: فاتن البستاني، ط1، منتدى الفكر العربي، عمان، 1999.
37. الكيلاني هيثم، الإستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية 1948-1988، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1991.
38. لاندانا بيني وأيفن شموئيل، إقتصاد (إسرائيل) في عصر العولمة، معهد أبحاث الأمن القومي، جامعة تل أبيب، ط1، 2007.
39. لعروسي محمد عصام، النزاعات المسلحة ودينامية التحولات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مجموعة النيل العربية، ط1، القاهرة، 2020.
40. مباركية منير، استراتيجيات القوى الكبرى في مواجهة سياسات الإحتواء الأمريكي حالي روسيا والصين، الجزائر، 2008.
41. متولي أحمد محمد، تأثير الصعود الروسي على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط - دراسة حالة الأزمة السورية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 2015.
42. مجموعة مؤلفين إسرائيليين، الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق، ترجمة: أحمد أبو هدية، مركز الدراسات الفلسطينية، ط1، دمشق، 2005.
43. مجموعة مؤلفين، الشرق الأوسط في ظل أجندة السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما وترامب، المركز الديمقراطي العربي، ط1، برلين، 2017.
44. محفوظ عقيل سعيد، السياسة الخارجية التركية الإستراتيجية-التغيير، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، قطر، 2012.

45. محفوظ عقيل سعيد، سوريا وتركيا: الوقع الراهن واحتمالات المستقبل، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.
46. محمد عبد القادر، تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، في نور الدين محمد (تقديم)، العرب وتركيا تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012.
47. مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، الملل والنحل والأعراف-التقرير السنوي الثامن، القاهرة، 2005.
48. المشاقبة أمين، شلبي سعد شكر، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مرحلة ما بعد الحرب الباردة، دار الحامد، عمان، 2012.
49. ميرشايير جون، مأساة سياسة القوى الكبرى، ترجمة مصطفى محمد قاسم، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012.
50. نتتياهو بنيامين، مكان تحت الشمس، ترجمة محمد عودة، مراجعة كلثوم السعدي، دار الجليل، ط1، عمان، 1995.
51. نوفل أحمد سعيد، دور (إسرائيل) في تفتيت الوطن العربي، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2007.
52. نيكسون ريتشارد، ترجمة أحمد صدقي مراد، الفرصة السانحة: التحديات التي تواجه أمريكا في عالم ليس به الا قوة عظمى واحدة، دار الهلال للطباعة، ط1، عمان، 1992.
53. الهرمزي سيف، مقتربات القوة الذكية كآلية من آليات التغيير الدولي: الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.
54. يونس مؤيد يونس، أدوار القوى الآسيوية الكبرى في التوازن الإستراتيجي في آسيا بعد الحرب الباردة وآفاقها المستقبلية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الاردن، 2015.

الموسوعات:

1. سامي روان، كم عدد الجيش السعودي حالياً، الموسوعة العربية الشاملة، 20 / 10 / 2019: <https://bit.ly/31YWMUF>
2. الموسوعة العربية العالمية، جزء 6، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، المملكة العربية السعودية: 1999.

وثائق وتقارير رسمية:

1. إدارة السياسات التجارية والمنظمات الدولية، قطاع التجارة الخارجية، وزارة الاقتصاد، قراءة في تقرير مراجعة السياسة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية 2018.
2. إنجازات نشاط وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية في عام 2018، ومهام القوات المسلحة الروسية لعام 2019 (القوات النووية الإستراتيجية)، عن موقع وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية، الرابط التالي: <https://bit.ly/31WvFtx>
3. البنك الدولي، بيانات النمو في نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي، تركيا (2003-2019): <https://bit.ly/339Eqjb>
4. البنك الدولي، بيانات مؤشر حجم الصادرات، تركيا (2003-2019)، على الرابط التالي: <https://bit.ly/35kvPwW>
5. البنك الدولي، بيانات نمو إجمالي الناتج المحلي سنوياً، تركيا (2003-2019)، على الرابط: <https://bit.ly/35ixJ0X>
6. البنك المركزي النشرة الاحصائية الشهرية 268، جويلية 2019، مصر، على الرابط: <https://bit.ly/2ZclAXv>
7. ترتيب مصر في التقارير الدولية، الهيئة العامة للإستثمار 2019، أكتوبر 2019، على: <https://bit.ly/2QUICxy>
8. تطبيقات اقتصادية معاصرة، (490) ECON، الجزء الأول: الاقتصاد السعودي، على: <https://bit.ly/357vEop>
9. تقرير الإستثمار العالمي (الاونكتاد) لعام 2019، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، (الأمم المتحدة)، PDF، على : <https://bit.ly/3bGkPLb>
10. تقرير البنك الدولي، إيران نظرة عامة، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3ibPxyx>
11. تقرير البنك الدولي، بيانات نمو إجمالي الناتج المحلي السنوي، إيران، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2GDaCDT>
12. تقرير البنك الدولي، بيانات: إجمالي رصيد الدين الخارجي (الدين المستحق والمنصرف، بالأسعار الجارية للدولار الأمريكي)، إيران، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DI1nBt>
13. التقرير العالمي لحقوق الإنسان 2019، والمتوفر على الرابط: <https://bit.ly/354ne0Y>

14. تقرير صندوق النقد الدولي، أكتوبر 2019، إطلع عليه على الرابط التالي: <https://bit.ly/3idDvo2>
15. تقرير مركز المصالحة الروسي في سوريا عن العمليات الإنسانية، الموقع الرسمي لوزارة الدفاع الروسية، بتاريخ 2018/06/19، على الرابط التالي: <https://bit.ly/32XUX9F>
16. تقرير وزير الدفاع الروسي جنرال الجيش "سيرغي شويغو" خلال اجتماع القادة لوزارة الدفاع الروسية، بتاريخ 18 ديسمبر 2018، وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية. والذي يطرح أيضا مخطط عمل الوزارة بين عام 2019-2025.
17. راشد عليموف، دور منظمة شنغهاي للتعاون في مواجهة تهديدات السلم والأمن، الأمم المتحدة، على: <https://bit.ly/2Z2mBRK>
18. زبير خلف، كيف عززت الأزمة السورية والتخبط الأمريكي النفوذ الروسي ومكاسبه، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2019/12/9.
19. صندوق النقد الدولي، إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، المملكة العربية السعودية، تقرير، معالجة التحديات الاقتصادية الناشئة للحفاظ على النمو، 2015.
20. صندوق النقد الدولي، المجلس التنفيذي يوافق على عقد اتفاق مع مصر بقيمة 12 مليار دولار أمريكي في إطار تسهيل الصندوق الممدد، بيان صحفي رقم 16/501، بتاريخ 11 نوفمبر 2016، على الرابط: <https://bit.ly/2Zjexwp>
21. صندوق النقد العربي، تقرير "أفاق الاقتصاد العربي"، أبريل 2019.
22. مشروع الموازنة العامة للدولة لعام 2020/2019، الموقع الرسمي لوزارة المالية المصرية: <https://bit.ly/2Dv8SLM>
23. من الدعم العسكري إلى الثقافة والاقتصاد.. إيران تسيطر على مفاصل سوريا بالكامل، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 17 جوان 2019.
24. مؤسسة النقد العربي السعودي، تقرير إحصائيات 2019، المنشور في 2019/09/04، PDF: <https://bit.ly/2F4db1n>
25. الهيئة العامة للإحصاء، "مؤشرات الحسابات القومية 2018". السعودية، 2019.
26. الهيئة العامة للإستثمار، أهم المؤشرات الاقتصادية، (أهم الصادرات، والواردات)، على: <https://bit.ly/3hdDQWF>
27. هيئة المساحة الجيولوجية، كتاب المملكة العربية السعودية... حقائق وأرقام، 07 أكتوبر 2016: <https://bit.ly/3i5M2JN>
28. وزارة الدفاع لروسيا الاتحادية، هيكلية القوات المسلحة لروسيا الاتحادية، على الموقع: <https://bit.ly/3bnYMJj>
29. وصول الغواصة s-43 الألمانية إلى قاعدة الإسكندرية لتنضم إلى القوات البحرية، وزارة الدفاع، أخبار القوات المسلحة المصرية، 2020/05/06، على الموقع الرسمي للوزارة على الرابط التالي: <https://bit.ly/3i1ybnX>
30. وزارة دفاع المملكة العربية السعودية، رئاسة هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة، على الرابط: <https://bit.ly/2ZkFu2v>

قائمة المجالات والدوريات:

1. أبو الحسن خالد محمد، النفوذ الإقليمي لتركيا في ضوء الأزمة السورية، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد شتاء 66، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، 2014.
2. أبو القاسم محمود حمدي، التوافق الروسي الأمريكي حول نزاع الكيماوي السوري هل تراجعت احتمالات العمل العسكري؟، ملف الأهرام الاستراتيجي، العدد 226، القاهرة، أكتوبر 2013.
3. أبو النور محسن، محمد، "انعكاسات التدخل الروسي على دور إيران في سوريا"، السياسة الدولية، 11 مايو/أيار 2016.
4. أبو حسين سوسن، مصر تدعم حلاً سياسياً في سوريا يحفظ وحدتها ويعيد موقعها الطبيعي، الشرق الأوسط، رقم العدد [15122]، القاهرة: الخميس - 29 شعبان 1441 هـ - 23 أبريل 2020.
5. أبو راشد أسامة، التدخل العسكري التركي في سورية: حصاد الفشل الأمريكي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة تقييم حالة، الدوحة، قطر، أكتوبر 2016.
6. أبو سعدة محمد، (إسرائيل): القدرات الداخلية والطموحات الخارجية، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، تركيا، 22 يوليو 2019.

7. أبو طالب حسن، الدبلوماسية الشعبية وإعادة الاعتبار للمكانة المصرية، مجلة السياسة الدولية، العدد (186)، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2011.
8. أبو عامود محمد سعد، إيران ودول الخليج العربية: علاقات متوترة، مجلة السياسة الدولية، العدد 176، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، جويلية 2009.
9. أبوزيد مخيمر إيمان، إستراتيجية المصالح بين الصراع والثورة "الأبعاد الإقليمية والدولية" في المسألة السورية، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 27 يوليو 2015.
10. أحمد إسلام، جيوبوليتيك روسيا وسياستها الخارجية: استمرارية بلا إنقطاع، مركز إدراك للدراسات والإستشارات، جوان 2016.
11. احمد سيد احمد، ادارة ترامب وقضايا الشرق الاوسط: حدود التغيير، السياسة الدولية، العدد 207، 2017/1/22.
12. أحمد نهال إبراهيم سيد أحمد، تحولات السياسة الخارجية الأمريكية في دول الربيع العربي دراسة حالة: اليمن - سوريا "2010-2015"، المركز الديمقراطي العربي، 29 يوليو 2016.
13. أحمد يوسف، تقرير: صفقات السلاح المصرية الروسية، مركز برق للسياسات والإستشارات، 17 جوان 2019.
14. إدريس محمد السعيد، تحالف الضرورة بين إيران وروسيا: جدل التفاعل بين الفرص والتحديات، مجلة الدراسات الإيرانية، العدد الثالث، يونيو/جوان 2017.
15. إلياس فراس، الترامبية الجديدة والشرق الأوسط الملتهب، مركز انقرة لدراسة الأزمات والسياسات، يوليو، 2017.
16. إيران: إتفاقية الدفاع مع سوريا قائمة، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 22/8/2012.
17. أيزنشتات مايكل، التدخل العسكري الإيراني في سوريا: الآثار طويلة الأمد، معهد واشنطن، 15 أكتوبر 2015.
18. باكير علي حسين، اكتشاف القوة الناعمة الإيرانية: القدرات وحدود التأثير، مركز الجزيرة للدراسات، 2013.
19. باكير علي حسين، المكانة الإقليمية المصرية في الذكرى الثامنة لإندلاع الثورة المصرية: هل مصر قوة إقليمية؟، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، نشر في 2019/01/29.
20. باكير علي حسين، تركيا والشرق الأوسط، صحيفة السياسة الكويتية، العدد (71165)، في 2006/11/12.
21. براك السعدون واثق محمد، الأبعاد الإستراتيجية للحرب الروسية-الجورجية آب 2008، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 34، 2014.
22. البغدادي علي، آفاق الدور الروسي في الشرق الأوسط، التقدير الإستراتيجي (94)، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، 2016/12/1.
23. بيرتر فولكر، دور تركيا في الشرق الأوسط: وجهة نظر خارجية، مجلة رؤية تركية، العدد، 2016/1.
24. التحالف الروسي-التركي-الإيراني في سورية، مركز حرمون للدراسات، وحدة دراسة السياسات، 05 ماي/ أيار 2018.
25. تحالفات تكتيكية: أنماط وتحديات الدعم الأمريكي للأكراد في سوريا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 21 ماي 2017.
26. التدخل العسكري الروسي في سورية: قراءة تحليلية، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، (مسارات السياسة والعلاقات الدولية)، 17 أكتوبر/تشرين الأول 2015.
27. تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية، وحدة تحليل السياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2013.
28. التموضع الاقتصادي الإيراني في سورية، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، 4 أبريل، 2018.
29. جاسم حيدر زهير، روسيا الإتحادية مقومات القوة وتحديات المستقبل، مجلة دراسات دولية، العدد 67، بغداد، 2017.
30. جبور مازن، الحراك الروسي في سوريا، (وجهات نظر) مركز دمشق للأبحاث والدراسات"، سوريا، 2016.

31. جمال محمود، مصر: سياسات التسليح العسكري 2018 (تقارير 5 /4/ 2019)، المعهد المصري للدراسات، تركيا، 2019.
32. جمعة محمد، العلاقات العربية - الفلسطينية، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الإستراتيجية، القاهرة، 2012.
33. جوني عدي، أهمية مصر الجيو-استراتيجية، مركز الجزيرة للدراسات والأبحاث، في 11 فيفري 2011.
34. الحاج سعيد، محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، مارس 2016.
35. الحامد رائد، الممرات البرية الإيرانية لتعزيز النفوذ ومواجهة التحديات، المركز الديمقراطي العربي، 2017/12/26.
36. حدود التحول الأمريكي في سوريا وإمكانية البناء عليه، مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، تركيا، 2017.
37. حرب الولايات المتحدة "غير المحدودة" في سورية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 4 ديسمبر 2018.
38. حرزلي أميرة أحمد، المناورات الروسية في البحر الأبيض المتوسط: الدوافع والأهداف، المركز الديمقراطي العربي، 2018/10/03.
39. حسن عبد الله نادية، "المواقف العربية والدولية من الثورة السورية"، حوار المتمدن، العدد 3651، 27/02/2012.
40. حسون محمد وناصوري أحمد ومحمد مالك، السعي الروسي عبر التحالفات الدولية والأزمات الراهنة لإقامة نظام دولي متعدد الأقطاب، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلة جامعة تشرين للبحث والدراسات العلمية، المجلد 37، العدد 2، 2015.
41. حميد عبد الكريم، تقييم الوزن الجيوبوليتيكي لحجم وتركيب سكان إيران ودول الساحل الشمالي والغربي للخليج العربي، مجلة دراسات إيرانية، العدد 1-2، جامعة البصرة، مركز الدراسات الإيرانية، 2000.
42. حميد ياسين عمار، مكانة القوة في المدرك الإستراتيجي الأمريكي: دراسة في التأصيل النظري والتوظيف الإستراتيجي، المجلة السياسية، العدد 35-36، العراق، 30 جوان 2017.
43. الخوري جورج، السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 105، تموز 2018.
44. دابقي يمان، التحولات الإستراتيجية (إسرائيل) في سوريا: الضربات العسكرية نموذجاً، مركز برق للاستشارات والدراسات المستقبلية (تحليل سياسات)، 19 فيفري 2019.
45. دراج عمرو، عوده نبيل، ترامب بعد مائة يوم: المسارات والسيناريوهات، المعهد المصري للدراسات، 10 ماي 2017.
46. الدسوقي أبو بكر، تحولات القوى الكبرى في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد 195، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2014.
47. دياب أحمد، روسيا والغرب: من المواجهة الى المشاركة، مجلة السياسة الدولية، العدد (941)، القاهرة، مركز الأهرام للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2002.
48. دينجل خورشيد، صراع القوى الكبرى وإستراتيجية الشراكة في الشرق الأوسط، ترجمة: كمخ علي، مركز الدراسات الإيرانية، 2020/08/19.
49. رانج علاء الدين، كيف استخدمت إيران نموذج حزب الله للهيمنة على العراق وسوريا، بروكينجز، الدوحة، 30 مارس 2018.
50. رجب إيمان، التحالفات المرنة: التحول في التحالفات الإقليمية في الشرق الأوسط بعد الثورات العربية، دورية حالة الإقليم، المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، سبتمبر 2014.
51. الرنتيسي محمد سمير، خيارات السياسة الخارجية التركية ومتغيراتها الإقليمية والدولية، مركز الجزيرة للدراسات، نشر في 13 ديسمبر 2015.
52. روس نوح وسزوار دانيال، ومحمد الشقاوي، نحو تشكيل توازن قوى جديد في الشرق الأوسط، جامعة جونز هوبكنز ومركز الجزيرة للدراسات وجامعة جورج ميسن، نشرت في 2018/06/27.

53. رياض القهوجي، الحرب الهجينة: تطور أساليب حرب العصابات والحرب الثورية في عهد الديجيتال، الأمن والدفاع العربي، بتاريخ 2010/03/15.
54. زهران جمال، منهج قياس قوة الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.
55. السعدي سلام، مصالح إيران الاقتصادية تترسخ في سوريا، مركز كارينغي للدراسات، 2015.
56. سلامة معتز، الثروة أم الإصلاح: انهيار الأمن لدول الخليج، كراسات إستراتيجية، العدد (221)، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الإستراتيجية، القاهرة، 2011.
57. سلمي جلال، الدور الإيراني في سورية: التوصيف والسيناريوهات الممكنة، مركز جسور للدراسات، 2018/09/18.
58. سليم عمرو، هل تتحول العلاقات التركية الإيرانية من تحالف المصالح المشتركة لصراع على النفوذ الإقليمي، المركز الديمقراطي العربي، 4 ديسمبر 2019.
59. سليمان يماني، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية إسطنبول، تركيا، 21 ماي 2016.
60. سويلم حسام، الأهداف القومية الإسرائيلية وإستراتيجيات تنفيذها، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2004 .
61. الشراوي محمد، ترامب والاتفاق النووي الإيراني: تبريرات أمنية أم إستراتيجية اقتصادية؟، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 21 ماي 2018.
62. الشيخ أمال، الرؤية المصرية في التعامل مع الأزمة السورية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، في 19 ماي 2020.
63. الشيخ أمال، السياسة الخارجية المصرية تجاه الأزمات العربية، في 19 ماي 2020.
64. الشيخ نورهان، أبعاد الموقف الروسي من الثورة السورية، مجلة البيان، الرياض، 2013.
65. الشيخ نورهان، التحديات والقيود: حدود الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 31 مارس 2014.
66. الشيخ نورهان، روسيا والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012.
67. صاحي العمار منعم، إيران وقابلية التكوين من جديد، مجلة دراسات إستراتيجية، العدد 17، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2001.
68. صايغ يزيد، أولياء الجمهورية: تشريح الاقتصاد العسكري المصري، مقال تحليلي، مركز كارينغي للشرق الأوسط، 14 ديسمبر/كانون الأول 2019.
69. صلاح مصطفى، الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في سوريا: انسحاب أم مزيد من الحضور؟، المركز العربي للبحوث والدراسات (تقديرات موقف)، أبريل 2018.
70. صلاح مصطفى، ترسيخ النفوذ: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 14 أكتوبر 2018.
71. صلال حيدر، التنافس الروسي- الأمريكي في سوريا، مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد الثالث يونيو-جوان 2017.
72. طلال عترسي، الإستدارة الأمريكية: موقع إيران ودورها الإقليمي في إستراتيجيات القوى الكبرى، السياسة الدولية، العدد 199، مركز الأهرام، القاهرة، يناير 2015.
73. عاطف أحمد، توافقات مصلحة: لماذا تغيرت طبيعة التحالفات في الشرق الأوسط؟، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 6 أوت/أغسطس 2015.
74. عاطف أحمد، توافقات مصلحة: لماذا تغيرت طبيعة التحالفات في الشرق الأوسط؟، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 6 أوت/أغسطس 2015.

75. العايد عبد الناصر، خريطة السيطرة في شمال شرق سورية ومستقبل الوجود العربي فيها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018/1/31.
76. عبد الجبار عدنان، التعاون التركي-الصهيوني وأثره على الأمن الوطني العراقي، مجلة الدفاع، العدد 8، بغداد، جامعة البكر، 2000.
77. عبد الشفيق عيسى محمد، المواقع الراهنة للقوى في النظام الاقتصادي العالمي.. قراءة في التقارير الدولية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 173، يوليو/جوان 2008.
78. عبد العزيز آية، استراتيجية ترامب في الشرق الأوسط ما بين الابتزاز والمهادنة، المركز العربي للبحوث والدراسات، الإثنين 15 أكتوبر 2018.
79. عبد القادر نزار، الإستراتيجية الأمريكية وعقيدة ترامب في الشرق الأوسط، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 108، نيسان/أفريل 2019.
80. عبد الله ثابت طارق، الإستراتيجية الإيرانية تجاه امن الخليج العربي، محطات إستراتيجية، العدد 98، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2002.
81. عبد الله عبد الخالق، الأبعاد الحرجة: إتحاد دول الخليج بين الدوافع والصعوبات، ضمن أوراق ملحق مجلة السياسة الدولية (اتحاد دول الخليج العربي آفاق المستقبل)، السياسة الدولية، العدد 192، أبريل 2014.
82. عثمان محمد عادل، عندما لا تدوم المصالح: هل تخلت الولايات المتحدة عن الأكراد بسوريا؟، المركز الديمقراطي العربي، 26 ديسمبر 2018.
83. عثمان محمود، الأبعاد الإستراتيجية للعملية العسكرية التركية في شرق الفرات (تحليل)، الأناضول، إسطنبول، تركيا، 2018/12/19.
84. عكاشة سعيد، التوافقات الصعبة: هل تفقد القاهرة مبادرة لحل الأزمة السورية؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الجمعة، أبوظبي، 02 جانفي/يناير 2015.
85. عليوي حسين، الياسري يسر، الأزمة السورية: المواقف الإقليمية والدولية، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 1، العدد (17)، 2013/11/17.
86. العملية العسكرية في عفرين: الدلالات والمخاطر والخيارات، وحدة دراسة السياسات، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قطر 18 فيفري، 2018.
87. عملية شرق الفرات: المواقف الدولية والتحديات التركية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، وحدة الدراسات التركية، العراق، في 8 أكتوبر 2019.
88. عنتر غاندي، التدخل السعودي في سوريا: الدوافع والسيناريوهات (تقدير موقف)، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، إسطنبول، 23 فيفري 2016.
89. غريسون آدم ر. وبي. مولير كارل، القوة الجوية في عمليات مكافحة الإرهاب: تحقيق التوازن بين الأهداف والمخاطر، مؤسسة راند، متوفر بصيغة PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jKrvLj>
90. فاروق ياسمين، الطريق الطويل نحو تحالف الشرق الأوسط الإستراتيجي، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 25 آذار/مارس، 2019.
91. فخر علي، انعكاس التحركات العربية على البحرين، مجلة المستقبل العربي، العدد 390، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
92. فراس إلياس، العقيدة العسكرية الإيرانية، معهد واشنطن، 2018/11/15.
93. فراس إلياس، رؤية في قدرات إيران البحرية: تحديات غلق مضيق هرمز، مركز صنع السياسات للدراسات الإستراتيجية، 2018-07-15.

94. فريجة عبد الرحمن، رملي فهم، الخصائص الاقتصادية لإيران: الاقتصاد الإيراني بين العقوبات الخارجية والمقاومة الداخلية، مجلة مدارات إيرانية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية، برلين، ألمانيا، 2019.
95. فهمي نانيس عبد الرزاق، تأثير العقوبات الدولية على النظام الإقليمي في الشرق الأوسط، المركز القومي بدراسات الشرق الأوسط، وحدة الامن الإقليمي والأمن القومي، 2019/06/02.
96. الفيصل أيمن، القوة الناعمة وتوظيفها في الإستراتيجية الأمريكية الشاملة تجاه الشرق الأوسط، مركز البيان للدراسات والتخطيط، مقال نشر بتاريخ 2016/07/28.
97. القصاب عبد الوهاب، التأثير الجيوستراتيجي لسياسة التسليح الإيرانية، دراسات إستراتيجية، العدد 8، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2000.
98. قطريب عهد جبر، دوافع الموقف الروسي في الأزمة السورية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (40)، العدد (2)، معهد كلية العلوم السياسي، جامعة دمشق، 2018.
99. القواعد العسكرية الأمريكية في سورية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، وحدة دراسة السياسات، قطر وتركيا، 2018/4/07.
100. كافاريليا جنيفير وزاهو جيسون، هل وصلت دبلوماسية روسيا في سورية إلى طريق مسدود؟، معهد دراسات الحرب الأميركي ISW، ترجمة: مركز إدراك للدراسات والاستشارات، نوفمبر 2019.
101. كمال محمد، أمريكا والشرق الأوسط بين عامين، مركز المصري للدراسات والمعلومات، مقال منشور بتاريخ 2019/1/1، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/3gYCKrp>
102. كمال مصطفى، تحولات خريطة التوازن الإستراتيجي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 15 أبريل 2018.
103. كمال مصطفى، تحولات خريطة التوازن الإستراتيجي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، أبريل 2018.
104. لنج مارك، السياسة الأمريكية تجاه إيران ومتغيرات الشرق الأوسط، ترجمة، حسين شلوشي، آيات شحرور، مجلة حمورابي، العدد 1، بغداد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2011.
105. محمد صلاح مصطفى، حدود التأثير ومستقبل الدور: الدور الروسي في الشرق الأوسط، المركز العربي للبحوث والدراسات، 29 جانفي/يناير 2018.
106. محمد عباس، إقتصاد نفطي في عصر العولمة: إقتراح إستراتيجي لمنطقة الخليج الفارسي، مجلة العلاقات الإيرانية الدولية، العدد 3، معهد الدراسات السياسية والدولية، طهران، 2004.
107. محمد محسن، السلوك الإسرائيلي والثورات العربية، مجلة شؤون الأوسط، العدد 138، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، 2011.
108. محمد مدني مایسة، التدخل الروسي في الأزمة السورية، مجلة كلية الاقتصاد العلمية، العدد 4، يناير 2014.
109. محمد ناصر شحاتة، سياسات النظم الحاكمة في البحرين والكويت في التعامل مع المطالب الشعبية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
110. محمود دلال، التغيرات في توازن القوى الإقليمي، دورية آفاق عربية، العدد الثاني، ديسمبر 2017.
111. محمود دلال، متلازمة التدهور: بحثاً عن مقارنة نظرية لفشل الدولة في الشرق الأوسط، السياسة الدولية، ملحق تحولات إستراتيجية، أبريل 2017.
112. مركز الشام للبحوث والدراسات، إيران والأزمة السورية القنبلة ودور الحرب الإقليمية الطائفية، مركز الشام للبحوث والدراسات، سوريا، 2013.
113. مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، التدخل العسكري التركي شمال سوريا: دوافع الضرورة أم إستراتيجية،

114. مركز برق للدراسات والأبحاث، التدخل العسكري التركي في سورية: الأسباب والأهداف والتحديات، 2 سبتمبر 2016.
115. المطلق خالد، القواعد العسكرية الإيرانية: وبدايات تدخلها الأمني والعسكري في سورية، مركز حرمون لدراسات المعاصرة، 16 أيار/ ماي 2020.
116. معتمد عبد الحميد عاطف، روسيا والعرب: أوان البراغمية ونهاية الأيديولوجية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2014.
117. منى سليمان، تأثيرات استعادة "درعا" في توازن القوى الإقليمي بسوريا، السياسة الدولية، 2018/07/25.
118. موقف الصين من روسيا، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ النشر فبراير 2012.
119. ميخائيل شيري وميخائيل يونان، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية في ضوء إستراتيجية "الأمن القومي الأمريكي"، المركز الديمقراطي العربي، 20 أوت 2016.
120. ميرشامير جون ووالث ستيفن، التوازن خارج المجال: استراتيجية التفوق الأمريكية الكبرى، ترجمة خشيب جلال، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 10 مارس 2017.
121. نحاس فادي، "التحديات الأمنية والعسكرية (إسرائيل): أكثر وضوحاً وتحديداً وأقل مرونة"، تقرير "مدار" الإستراتيجي 2019: المشهد الإسرائيلي، 2018، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2019/4/23.
122. نور الدين محمود، الأقليات الدينية والعرقية في تركيا: المجتمع والكيان والتحديات، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 24، نيسان/أفريل 1998.
123. هانور لاري، مصالح (إسرائيل) وخياراتها في سوريا، (منظور تحليلي)، راند (RAND). متوفر PDF، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3h6faik>
124. هندي مسلم محمد، "المرجع" يرصد أبرز محطات التسوية السياسية للأزمة السورية، دراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، يصدر عن مركز سيمو -باريس، 07 نوفمبر 2018.
125. وحدة الرصد والتوثيق، خرائط القوى الداخلية في الجمهورية التركية: الجيش التركي خريطة معلوماتية أولية، ملفات إقليمية، المعهد المصري للدراسات والسياسات والإستراتيجية، 12 سبتمبر 2016.
126. وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، دوافع التدخل التركي في سورية وإحتمالات توسّعه، عن سلسلة: تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أوت 2016.
127. وليد عبد الحي، السياستين الروسية والصينية من الأزمة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، إبريل 2012.
128. ويربي فريدريك، الحسابات الخليجية في الصراع السوري، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 12 سبتمبر 2014.
129. ياس خضير محمد، أمن الخليج في ظل التحولات الإقليمية الجديدة، مجلة دراسات دولية، العدد 53، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2012.
130. يعقوب ماهر، العلاقة الجدلية بين الموقع الجغرافي والسلوك السياسي، دورية متابعات دولية، العدد 88، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، 2002.

مذكرات ورسائل:

1. الزناتي أمل إبراهيم، "علاقات المملكة العربية السعودية اتجاه دول الخليج"، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1981.

قائمة الملتقيات:

2. سلمى جلال، السياسة الإسرائيلية تجاه سوريا بعد عام 2011، منتدى السياسات العامة، 19 أكتوبر 2019. متوفر بصيغة PDF، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/357CMBb>

3. المطيري مطلق سعود، التوجهات السعودية لاستعادة إستقرار الأمن في الخليج، مداخلة مقدمة لندوة دولية بعنوان: "تحديات الامن الإقليمي ومستقبل الاستقرار في الشرق الأوسط -دراسة حالة إيران"، مركز الدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، في 2008/07/30.
4. ملكاوي عصام فاعور، تركيا والخيارات الإستراتيجية المتاحة، بحث مقدم في الملتقى العلمي، الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية، المنعقد في مدينة الخرطوم، الشبكة الدولية الأنترنات، ب:3-5/6/2016: <https://bit.ly/3bxcuiu>

قائمة الجرائد والصحف:

1. "سانا": الجيش التركي وحلفاؤه يحتلون مدينة رأس العين بعد انسحاب "قسد" RT ، 2019/10/20: <https://bit.ly/3i4vhyD>
2. "(إسرائيل) تشن هجمات داخل سوريا ردًا على قصف إيراني"، BBC، 10 ماي 2018، الرابط: <https://bbc.in/2Z9MtLK>
3. "اللواء تحرير الجولان" خدعة إيران الجديدة للبقاء بسوريا، العربية نت، 2017/3/31، الرابط: <https://bit.ly/3jITpqX>
4. "روسيا تبعد إيران عن مرتفعات الجولان السورية"، 3 أوت 2018، BBC NEWS، الرابط: <https://bbc.in/3jM8DeQ>
5. "البيرومان يحذر سوريا من منظومة إس 300"، الجزيرة نت، 24 أوت 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bt0lWe>
6. 1.73 ترليون دولار قيمة الإنفاق العسكري العالمي في 2019، جريدة الشرق الأوسط، رقم العدد 15055، بيروت، الأحد 16 فيفري 2020، متوفر بصيغة PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/358m195>
7. 10 قواعد عسكرية أمريكية في سوريا.. وغضب أمريكي من التسريب، وطن أف أم، على: <https://bit.ly/3IPzQ2c>
8. 3 اتفاقيات وقف إطلاق نار في أقل من عام.. الوسيط مصري والضامن روسي، ساسة بوست، 15 أكتوبر 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QZs47u>
9. إبراهيم محمد، رئيس الأركان: نجاح بدر 2019 يؤكد جاهزية الجيش في الدفاع عن مصر، جريدة البلد، الجمعة 12 أفريل 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/323zVHM>
10. أبو الفضل محمد، دور مصر يتصاعد في سوريا.. وسيط معترف به من قوى فاعلة في الأزمة، العرب، الجمعة 2017/8/4، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IPToU2>
11. الاتحاد الأوروبي يدعو تركيا لإيقاف العملية العسكرية في سوريا، الأناضول، 2019/10/10، <https://bit.ly/2F4Xgig>
12. أردوغان يهدد بعملية عسكرية شرق الفرات و"قسد" بحرب شاملة، دويتشه فيله، 2019/10/5، <https://bit.ly/358NLdl>
13. أردوغان: تركيا ستكون داخل عملية تحرير الموصل، الأناضول، إسطنبول، 17 أكتوبر 2016، على: <https://bit.ly/3jOulig>
14. إسقاط مقاتلة روسية في إدلب ومقتل الطيار، العربية نت، 2018/2/3، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jK18oS>
15. إسماعيل فتحي، تركيا-الصومال: مقديشو مقرا لأكبر قاعدة تركية في الخارج، الحصاد، تقرير لمركز الجزيرة، على: <https://bit.ly/3224lol>
16. آغا سامي، الدروز -خطر الإرهاب في سوريا وتحدي قنن الدولة اليهودية في (إسرائيل)، DW، بتاريخ 3 أوت 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2ZchCy5>
17. الأناضول، "المركزي المصري: ارتفاع الدين الخارجي إلى 106.2 مليارات دولار". مارس 2019، في 2019/08/26، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3i3auLU>

18. أورفة شانلي وألكان بهجت، "تبع السلام".. تركيا تواجه الإرهاب بأسلحتها محلية الصنع (تقرير)، الأناضول، نشر في 2019/10/20، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h2hlnA>
19. إيران توسع سيطرتها على دمشق عبر شراء العقارات، الخليج أونلاين، 2016/03/30، على: <https://bit.ly/2R5Jbob>
20. إيران تؤكد الإبقاء على الحرس الثوري في سوريا، العربية، 23 نوفمبر 2017، على الرابط: <https://bit.ly/3hWW7c7>
21. بعد انطلاقتها.. تعرّف إلى أهداف عملية "تبع السلام" التركية بشمال سوريا، الجزيرة نت، 2019/10/9، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h0uevy>
22. بعد تل أبيب.. الجيش التركي يسيطر على طريق سريع ويتوغل بمحور رأس العين، الجزيرة، 2019/10/13، على الرابط التالي: <https://bit.ly/320cM99>
23. بورنان يونس، مناورات بحرية بين الجزائر وروسيا لمواجهة الاخطار والتهديدات، العين الإخبارية، 2019/11/24، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QS1Unh>
24. بيومي يارا وجوناثان لانداي ووارين ستروبييل، ترامب يسعى لإحياء فكرة تشكيل "تاتو عربي" للتصدي لإيران، رويترز، 27 جوان 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2EUuSQU>
25. تحقيق أميركي: تحالف إيران العسكري مع الصين يهدد أمن الشرق الأوسط، جريدة الشرق الأوسط، 19 يوليو 2020، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z6Tcpl>
26. التدخل السعودي في سوريا، مستقلة، في 18 سبتمبر 2019، مقال تحليلي، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z8SdFz>
27. تركيا تنفذ طلعة جوية رابعة مع أمريكا في أجواء شمالي سوريا (فيديو)، 2019/9/12، على: <https://bit.ly/31ZReJH>
28. ترينين ديمتري، ترجمة إبراهيم نضال، ماذا تفعل روسيا في الشرق الأوسط، الخليج، 2018/3/03، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QTtEry>
29. تقرير صحيفة أبديلك "التركية، مشروع الشرق الأوسط الكبير في نسخته الروسية، 23 أيلول 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QViRNz>
30. تقرير: واشنطن تنشئ قواعد عسكرية جديدة لها بشمال شرق سوريا، روسيا اليوم، بتاريخ 2020/02/08، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h14pOG>
31. جوداه آري غروس، "الجيش الإسرائيلي يعلن أنه نفذ أكثر من 200 غارة في سوريا منذ عام 2017"، تايمز أوف (إسرائيل)، 4 سبتمبر 2018، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>
32. جوداه آري غروس، "جنرال إسرائيلي يحذر من أن إيران تقيم قواعد عسكرية في سوريا"، تايمز أوف (إسرائيل)، 15 جوان 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>
33. جوداه آري غروس، "جنرال إسرائيلي يحذر من أن إيران تقيم قواعد عسكرية في سوريا"، على الرابط: <https://bit.ly/2DxTSNp>
34. جوداه آري غروس، "روسيا تتهم الجيش الإسرائيلي بالخداع، وتلوم (إسرائيل) على إسقاط طائرة الاستطلاع"، تايمز أوف إسرائيل، 23 سبتمبر 2018، على الرابط: <https://bit.ly/2DxTSNp>
35. جوداه آري غروس، "روسيا تحذر من عواقب كارثية في حال دمرت (إسرائيل) نظام "إس-300" الروسي في سوريا"، تايمز أوف (إسرائيل)، 23 أبريل 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>
36. الجيش التركي يتوغل في شمال سوريا وقوات سوريا الديمقراطية تعلن التصدي له، فرانس 24، 2019/10/10، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jQC0Lo>
37. حامد محمد، مسؤول إسرائيلي: التحالف مع تركيا ضد إيران وحلفائها في سوريا، ترك برس، بتاريخ 28 جوان 2016، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QP2x0O>

38. حسن فؤاد، الوجود الأمريكي في سوريا: المقدرات العسكرية وتداعيات الانسحاب المرتقب، فرانس 24، مقال نشر في 2018/12/21، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DseG8Z>
39. خطوة غيرت مسار الأزمة السورية، روسيا اليوم بالعربي، بتاريخ 2019/09/30، على الرابط: <https://bit.ly/3hXPeqV>
40. خلف كمال، تحرك أمريكي سعودي لدعم المعارضة السورية ورفض عملية الجيش السوري في إدلب، صحيفة رأي اليوم، بيروت، 27 فيفري 2020، على الرابط التالي: <https://bit.ly/323rR9Y>
41. دبوبو يحي، مؤتمر أستانا: ما بعده.. تماما كما قبله، الأخبار، 2017 / 1/24، على الرابط: <https://bit.ly/31X8nDW>
42. دحمان غازي، السياسة الروسية تتصدع في سورية، العربي الجديد، 27 مارس 2020: <https://bit.ly/2F4ZLlm>
43. دروكمان يارون، "قبل عام 2019: يعيش حوالي 9 ملايين مواطن في (إسرائيل)"، موقع صحيفة يديعوت احرنوت، تاريخ النشر، 31-11-2018م، تاريخ الاطلاع 23-5-2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3IU0WVS>
44. الدور المصري في سوريا.. وساطة نزيهة أم بحث عن زعامة غائبة؟، DW، بتاريخ، 2017/08/07: <https://bit.ly/2F66vzy>
45. الدين نور، أبرز الصفقات العسكرية للمملكة العربية السعودية مع أمريكا التي ستغير موازين القوى في المنطقة، الدفاع العربي، في 20 مارس 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2F9MvvM>
46. دينغل خورشيد، تنافس القوى الكبرى في الشرق الأوسط واستراتيجيات الشراكة (تحليل)، الأناضول، 29.08.2020، إسطنبول، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Fymtmr>
47. روسيا مستعدة لدراسة مقترح أمريكي لتكثيف التعاون العسكري في سوريا، روسيا اليوم، بتاريخ 2016/06/30، على الرابط التالي: <https://bit.ly/31VntF1>
48. الزباني مساعد، دور السعودية العالمي ببرزها عضواً مؤثراً في مجموعة العشرين، جريدة الشرق الأوسط، العدد [14612]، الرياض، الجمعة - 21 شهر ربيع الأول 1440 هـ - 30 نوفمبر 2018، PDF على: <https://bit.ly/3jPcqZ0>
49. زيد المرهون عبد الجليل، سوريا في السياسة الأمريكية، مركز الجزيرة، 2015/11/17، على: <https://bit.ly/31SQTzc>
50. السعدي سمير، "اللواء 313" والتدخل الإيراني في درعا، جريدة المدن، 2017/11/11: <https://bit.ly/3IPABs4>
51. سليمان رفعت، تركيا تكشف معلومات سرية عن 10 قواعد أمريكية في سوريا (بالخارطة)، 2017/07/19، المصدر: الأناضول+ وكالات، روسيا اليوم، على الرابط: <https://bit.ly/2Gjb3TJ>
52. السهلي نبيل، "42 عاماً على احتلال الجولان"، الجزيرة نت، 29 جوان 2009، على الرابط: <https://bit.ly/3i62hqq>
53. السهلي نبيل، الإقتصاد الإسرائيلي وأزماته البنوية، مركز الجزيرة للدراسات، 2010/3/2، على: <https://bit.ly/3IV59sb>
54. سوريا نتلقى دعماً شهرياً بـ 500 مليون دولار من إيران وروسيا والصين، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 12632، 29 جوان 2013، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/33aoJsf>
55. شرق الفرات: اتفاق تركي أمريكي على المنطقة الآمنة بسوريا، الجزيرة نت، 2019/8/7، على: <https://bit.ly/3btwUUh>
56. صالح حنا، أربعة أعوام على التدخل الروسي في سوريا، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 3 أكتوبر 2019، العدد (14919)، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2EZfBOK>
57. صالح سمير، درع الفرات: الأهداف المعلنة والغير معلنة، ترك برس، 26 أوت 2016، على: <https://bit.ly/3bD8W8Q>
58. صحفيو رويترز، السيسي يشكّل قيادة موحدة لشرق القناة ومكافحة الإرهاب، Reuters الشرق الأوسط، 31 جانفي 2015، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3btrZT4>
59. عبد الجواد عادل، وزير اقتصاد إسرائيل: صادراتنا تجاوزت 110 مليارات دولار في 2018، (المال) جريدة مصرية اقتصادية يومية، الإثنين 19 أوت 2019، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3gZycxv>

60. عبد الله زلطة شادي، مدير مركز الشرق الأوسط بواشنطن: جاء الوقت الذي يجب أن تأخذ فيه كثر دور الريادة، بوابة الأهرام، نيويورك، 2019/9/25، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3h3Yj07>
61. عبد المنعم أحمد حاتم، شخصية مصر.. في عيون جمال حمدان، بوابة الأهرام، 2020/9/9، <https://bit.ly/3he7qvq>
62. عثمان داليا، قائد القوات الجوية: نحن الأقوى بالمنطقة.. ولا نعتمد على دولة واحدة في التسليح، جريدة المصري اليوم، الإثنين 2013/10/14، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Za0TeZ>
63. عثمان محمود، الأبعاد الاستراتيجية للعملية العسكرية التركية في شرق الفرات (تحليل)، الأناضول، إسطنبول، نشر في 2018/12/19، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jELpqQ>
64. عدنان كريمة، "الاستثمارات الإيرانية في سورية وأهمية "القلق الأمريكي"، أوريون نت، تاريخ النشر، 2017/10/12 عن صحيفة الحياة اللندنية، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3bDbELP>
65. علي عدنان، المليشيات في سورية.. الأذرع الضاربة للنظام، العربي الجديد، 2016/4/7: <https://bit.ly/2GJgb3S>
66. العملية العسكرية الروسية في سوريا حصاد 3 أعوام، الشرق الأوسط، 2018/10/01: <https://bit.ly/3gYywx8>
67. عويشاوي أمل، لاستمبا: المسلمون الإيغور جاءوا من الصين لمحاربة الأسد، نشر في 2016/03/05، مقال ترجمته "عربي 21" لتقرير صحيفة لاستمبا الإيطالية على الرابط التالي: <https://bit.ly/2GzcNZI>
68. غانم حسن، أردوغان يعرب عن أمله في صنع بلاده حاملة طائرات مستقبلاً، وكالة الأناضول، 2016/06/18. على الرابط التالي: <https://bit.ly/3jS3mTb>
69. غصن الزيتون.. معركة لاستعادة عفرين، موسوعة الجزيرة، 2018/1/22، على الرابط: <https://bit.ly/2R65xWX>
70. قائد قوات الدفاع الجوي لـ "الأهرام": تحديث المنظومة بأرقى الأسلحة في الترسانة العالمية، جريدة الأهرام، 10 جويلية 2016، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z6v5r1>
71. القلاب صلاح، بحجة "الإسلام الراديكالي" بوتين يشارك في الحرب الطائفية، جريدة الشرق الأوسط، يونيو 2013، العدد 12616، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/352mMAp>
72. القوات الأمريكية تخرج من سوريا إلى قاعدة بالعراق، سبوتنيك، 23 ديسمبر 2018، على: <https://bit.ly/31SLYaG>
73. كيف يمكن لإيران استنزاف الجيش الأمريكي حال الدخول في حرب عسكرية نظامية في الخليج؟، روسيا اليوم RT، بتاريخ 2019/06/10، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3dwzETE>
74. ما وراء الدور المصري في الأزمة السورية: السعودية والإمارات في الظل، ساسة بوست، 15/10/2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2QZs47u>
75. محمود فايد محمد، القوات البحرية المصرية السادسة عالمياً والأولى عربياً وإفريقيا، جريدة أخبار اليوم، الجمعة 22 سبتمبر 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/35886jj>
76. محمود فايد محمد، القوات الجوية المصرية: تعرف على أهم أنواع الطائرات التي تمتلكها القوات الجوية، أخبار اليوم، السبت 14 أكتوبر 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2R0fZz7>
77. مرتضى احسان، الدور الإسرائيلي في الأزمة السورية، مجلة الجيش اللبناني (قضايا إقليمية)، العدد 337، تموز 2013، على الرابط الإلكتروني التالي: <https://bit.ly/3LxNfr>
78. مساعدات روسية في سوريا.. مواقع النشاط "الإنساني" تكشف أهدافه، الحرة، ترجمات واشنطن، في 25 جوان 2020. على الرابط التالي: <https://arbne.ws/32QBW9g>
79. مستور محمد، قوباران عمر، كاكو أدهم، الجيش الأمريكي يعيد تموضع قولته في سوريا (انفوغرافيك)، وكالة الأناضول، أنقرة، 2019/11/09، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3215hjh>
80. مسعود رشدي، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الحرب السورية في عهد ترامب، ساسة بوست، 14 ديسمبر 2017، مقال متوفر على الرابط التالي: <https://bit.ly/3INfXc2>

81. مصر تعزز جاهزية جيشها لتأمين الحدود مع ليبيا المضطربة، meo، 2019/10/15: <https://bit.ly/2YVklvT>
82. المصري عبد الله، مصر تشتري الأسلحة من (إسرائيل).. هذه أبرز المخاطر، موقع عربي21، القاهرة، في 12 جوان 2019، على الرابط: <https://bit.ly/2QYX7k0>
83. ملوك إيمان، كنيب كريستين، تفوق الجيش المصري إقليمياً.. قوة تتزايد في وجه التهديدات؟، DW، 06 فيفري 2020، الرابط: <https://bit.ly/2ZchCy5>
84. المنشاوي خالد، الاقتصاد المصري الغارق يحقق معدل نمو استثنائي وسط تحديات الإصلاح، اندبنت عربية، 16 جويلية 2019، على الرابط: <https://bit.ly/3i7moV2>
85. المنير محمود، التحولات الاستراتيجية الكبرى في الشرق الأوسط من 2011 إلى 2017، نون بوست، نشر بتاريخ 31/10/2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z4kQn4>
86. المهدي بهاء، جلال عمر، تطوير إستراتيجية مصر العسكرية حولها لقوة إقليمية لا يستهان بها: بالأدلة والشواهد.. الجيش المصري الثقل الحقيقي بالمنطقة، جريدة أخبار اليوم، الإثنين 16 سبتمبر 2019: <https://bit.ly/3IW5KKc>
87. موقف مصر من الصراع السوري في صحف عربية، بي بي سي، 26/11/2016، على: <https://bbc.in/3i5Rv3a>
88. الناتج الروسي سيتراجع 5% عام 2020 بسبب وباء كوفيد-19، الشرق الأوسط، 22 ماي 2020: <https://bit.ly/2Z4f84C>
89. نائب أردوغان: نخطط لإعادة مليوني سوري إلى المنطقة الآمنة، الأناضول، 2019/10/21: <https://bit.ly/2QUibb9>
90. نتائج عملية القوات الجوية الفضائية الروسية ضد الإرهاب في سورية، وكالة سبوتنيك الروسية، 21 آذار 2016، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3briPXg>
91. نتنهاو يستعرض قوة (إسرائيل) أمام صحفيين عرب: لولانا لانهار الشرق الأوسط، CNN بالعربية، الثلاثاء 23 جويلية 2018، على الرابط التالي: <https://cnn.it/3IMOTJQ>
92. نتنهاو يندد بالعملية التركية في سوريا وجاهز للمساعدة، لندن-عربي21، نشر في 10/10/2019، على الرابط: <https://bit.ly/333DJYL>
93. النص الكامل لإتفاق "وقف التصعيد" بسوريا، مركز الجزيرة، 7/5/2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/32Ui05x>
94. النظام السوري يدخل عين العرب بموجب اتفاق مع الأكراد، العربية نت، 2019/10/16: <https://bit.ly/358F2bh>
95. النظام يستهدف جبهات القتال في الغوطة الشرقية بـ "غاز الكلور"، أورينت نيوز، 2018/2/3: <https://bit.ly/2GtaBm5>
96. نمر سليمان، السعودية وسياسية "القوة الناعمة"، صحيفة الشرق الأوسط، 2011/04/20: <https://bit.ly/2YVklvT>
97. نيومان، ماريسا، غلانت، يؤاف، "روسيا المتحالفة مع إيران ليست ضدنا، وهذا أمر مذهل"، تايمز أوف (إسرائيل)، 12 فيفري 2018، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2DxTSNp>
98. هكذا إنقلبت السعودية على موقفها من تدخل تركيا في سوريا، لندن-عربي21، 10/10/2019: <https://bit.ly/31ZEKlx>
99. هل ستصبح روسيا قوة اقتصادية عظمى، نقلا عن الجزيرة، 2019/12/20، على الرابط: <https://bit.ly/2QOAVZQ>
100. وفد المعارضة ينسحب من مؤتمر سوتشي، سكاى نيوز عربي، 2018/1/30: <https://bit.ly/2Z4GA2x>
101. الولايات المتحدة تطور سلاحاً نووياً جديداً لمواجهة تهديدات روسيا، CNN، 2020/2/5، على الرابط التالي: <https://cnn.it/3jGKUwA>
102. الولايات المتحدة تعلن عن أخطر سلاح في حوزتها، سبوتنيك، 2018/10/10، على: <https://bit.ly/33abE27>

103. الولايات المتحدة تنفي اعتزام تشكيل قوة حرس حدود كردية في سوريا، BBC عربي، 2018/1/18، على الرابط التالي: <https://bbc.in/32W511N>

قائمة المواقع الإلكترونية:

1. استراتيجية إيران وروسيا في سوريا، الدرر الشامية، 31 جانفي/يناير 2017، على الرابط: <https://bit.ly/3bCgCbE>
2. البريزات رايق، القوة الذكية والسياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، 2020/1/5، متوفر على بوابة المنهل للكتب والدراسات العلمية، PDF على الرابط التالي: <https://bit.ly/3hS1Lfr>
3. تعرف على مركز المصالحة الروسي بسوريا، موسوعة الجزيرة، 2018/04/01، على الرابط: <https://bit.ly/32smkcY>
4. حسام سويلم، التحليل الإستراتيجي للقوة العسكرية الإيرانية (4-4)، البوابة نيوز، بتاريخ 2013/04/13، على الرابط: <http://bit.ly/3duoDSH>
5. جمعة محمد، حدود الدور الإقليمي المستعاد لمصر، مصراوي، 13 فيفري 2019، على الرابط : <https://bit.ly/3gZASEX>
6. جمهورية مصر العربية: أحدث التطورات 2019، PDF على الرابط: <https://bit.ly/3bwyyo8>
7. دباغ باسم، تركيا تدخل حرب التسلح: جيش قوي وتصدير خارجي، 2014/11/18، على: <https://bit.ly/2F4ZLlm>
8. السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.. أهدافها ووسائل تنفيذها: العراق أنموذجاً، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2019/06/14. على الرابط التالي: <https://bit.ly/352FbNr>
9. الشيمي أحمد حسين، "الدور الإيراني في سوريا: الأهداف والدافع"، 2017/2/3، على الموقع: <https://bit.ly/2Zaco5V>
10. الصمادي فاطمة، عرض كتاب الأمن القومي والدبلوماسية النووية، موقع مركز الجزيرة للدراسات، على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، بتاريخ 2013/4/23، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Du7Ob1>
11. الصوراني أحمد، عملية غصن الزيتون: مالها وما عليها، تقرير نشر في: 2018/02/10: <https://bit.ly/2F2ZXls>
12. عاصي عبد الرحيم، روسيا والطاقة في الشرق الأوسط تعزيز الأمن القومي، موقع 180، 21 فبراير/ شباط 2020.
13. عبد الحي وليد، بنية القوة الإيرانية وآفاقها، مركز الجزيرة للدراسات، 2013/04/03، على: <https://bit.ly/3hsQDoa>
14. عبد الحي وليد، معارك الشرق الأوسط، الموسوعة الجزائرية للعلوم السياسية، 2020/01/25: <https://bit.ly/33tJ7ED>
15. عبد الحي وليد، منحى القوة وأزمة الاقتصاد السياسي الأمريكي، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2019/03/11، على الرابط التالي: <https://bit.ly/352FbNr>
16. عبد الصمد نجاة، هل تصمد روسيا أمام التكنولوجيا الأمريكية، جدة، 2020، نقلا عن: <https://bit.ly/3hX4iF3>
17. عثمان طارق، روسيا والثورة السورية: محددات الموقف، متاح على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z73ITj>
18. العشري رشا، القوة الذكية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.. هل تغيرت من "أوباما" إلى "ترامب"؟، كتابات، 16 أوت 2017، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z3BhL>
19. القوات الأمريكية تسحب من قواعدا العسكرية شمال سوريا وتدمر ما تبقى، ستاب نيوز، 17/ 10/ 2019، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3i3zgvv>
20. لماذا تخلت واشنطن عن مطلب رحيل الأسد؟، دام برس، 2017/03/31، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3213HNN>
21. مجموعة محررين، اتفاقية "سيسموا".. هل أصبح الجيش المصري تحت تصرف واشنطن؟، ميدان، 2018/4/2، على الرابط التالي: <https://bit.ly/2Z9zh9v>
22. المخابرات المصرية.. أذرع السيسي الناجحة في 5 دول عربية، 17 جانفي 2018: <https://bit.ly/3jHxYqm>
23. المقداد فيصل، "المبادرة الإيرانية لحل الأزمة السورية"، على الموقع الإلكتروني: <https://bit.ly/3IREWLj>
24. المنير محمود، المحاور الإقليمية في المنطقة إدارة الصراع وآفاق المستقبل، موقف مقال، 2018: <https://bit.ly/3bqoOil>

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1-Books

1. Ali Soufan, **Anatomy of Terror: From the Death of bin Laden to the Rise of the Islamic State**, New York: W.W. Norton and Company, 2017.
2. Bob Woodward, **Fear: Trump in the White House**, New York:2018.
3. **Country Profile : Iran**, Library of Congress-Federal Research Division, March 2006.
4. Fernand Braudel, **A History of Civilizations**, New York: Penguen 1993 .
5. George Friedman, “**The Geopolitics of Russia: Permanent Struggle**”, Stratfor Center, October 15, 2008.
6. Greg Austin & Alexey Muraviev, **The Armed Forces of Russia in Asia**, Tauris, 2000.
7. J. Q. Adams, Pearlle Strother-Adams, **Dealing With Diversity: The Anthology**, Publisher: Kendall Hunt Pub Co, Chicago, July 1, 2001.
8. Maria Sharmina & Others, **Climate Change Regional Review: Russia**, WIREs Clim Change, John Wiley & Sons Ltd., New Jersey, 2013.
9. Marjorie Mandelstam Balzer, **Religion and Politics in Russia: A Reader**, Routledge: Taylor & Francis, New York, 2015.
10. Marlène Laruelle ‘**Iran’s regional quagmire**, september 2012.

2- Enclopedias

1. **COUNTRY COMPARISON : OIL - PROVED RESERVES**, The World Factbook, Central Intelligence Agency (CIA), online at : <https://bit.ly/3bDhNrn>
2. **Economic Indicators, Egypt**, TRADING ECONOMICS, 2018-2019, at : <https://bit.ly/2DDIEYJ>
3. Global firepower (GFP), " **IRAN 2019 Military Strength Ranking**", 2019, Accessed ,26 May 2019, Available Online At: <https://bit.ly/2EZbYbL>
4. **IRAN Military Strength Ranking2019**", Global firepower (GFP), "2019, Accessed :26 May 2019, Available Online At: <https://bit.ly/2EZbYbL>
5. Janet Afary, Peter William Avery, Khosrow Mostofi (12-9-2016), "**Iran - People**" Britannica, Retrieved 27-1-2017.
6. Malcolm Edward Yapp, and John C. Dewdney (11-8-2016), **TURKEY**, britannica, Retrieved 18-1-2017.
7. Paul H.Oehser, Richard R.Beeman and others, **United States of America U.S.A**, BRITANNICA, last updated: Jun 21,2020.
8. Peter M.Holt, **Egypt, (land)**, Enclopedia Britannica, available online at : <https://bit.ly/2R7WPXV>
9. **Russia Military Strength (2020)**, Global Fire Power, Strength in Numbers, link : <https://bit.ly/2Z36N1p>
10. The World Factbook "**IRAN**", Central Intelligence Agency, Retrieved 27-1-2017.
11. **United States** ,Census 2020, <https://bit.ly/31TxA1M>
12. **United States population (Ethnic groups)**, CIA, July 2020, link: <https://bit.ly/3hY59FI>
13. World Factbook: **Area Country Comparison Table**, Central Intelligence Agency, Washington D.C, link: <https://bit.ly/2EVU4qj>
14. Yuri V.Medvedkov, **Russia**, Encyclopedia Britannica, Inc. last Updated, July 4, 2020, link : <https://bit.ly/3gXwhTN>

3- Official documents and reports

1. " Brian Katz, **Axis Rising: Iran’s Evolving Regional Strategy and Non-State Partnerships in the Middle East**, Report (CSIS), Centre For Strategic & International Studies, October 11,2018.
2. **Russia: The Long Journey to Recovery**”, **Russia Economic Report**, No.35, World Bank Group: Microeconomic & Fiscal Management, April 2016.
3. “**Russia Country Report**”, **BTI Report 2016**, The Bertelsmann Foundation, Gütersloh, Germany, 2016.
4. Anders Fogh Rasmussen, **Democracies to lead a new world order**, Report of Alliance of Democracies, link : <https://bit.ly/3gYMBDK>

5. Anna Maria Dyner, **The Importance of Foreign Military Bases for Russia**, BULLETIN N° 112 (1542), (PISM) « Polski Instytut Spraw Miedzynarodowych ». The Polish Institute of International Affairs, 25 May 2020.
6. **BP Statistical Review of World Energy June 2015**”, 46th edition, Pureprint Group Ltd., London, June 2015.
7. Bureau of Economic Analysis. “**National Income and Product Accounts Tables: Table 1.1.5. Gross Domestic Product**”, Accessed May 20,2020. Link: <https://bit.ly/2EZMdb4>
8. committees of congress, crs report:“**Iran’s Foreign And Defense Policies**”, U.S.A, Congressional Research Service(CRS), 11 december 2018.
9. committees of congress, crs report:“**Iran’s Foreign And Defense Policies**”, USA: Congressional Research Service(CRS), 16 january 2018.
10. **Economic Indicators, Egypt**, TRANDING ECONOMICS, 2011-2014, at : <https://bit.ly/327Y7J0>
11. **Economy of Israel**, Fanack, September 15th,2011/ march 24th,2020, online at: <https://bit.ly/2ZaJin1>
12. **Egypt Population (2019)**, worldometer, 9/5/2019, available online at: <https://bit.ly/2FbV49K>
13. Everycrsreport,” **Iran’S Foreign and Defense Policies**”, EveryCRSreport.com, 08 May 2019.
14. Federal Reserve Bank of Cleveland. “**Median CPI.**” Accessed May 20, 2020. Link: <https://bit.ly/3hZ46Fh>
15. Federal Reserve Bank of St. Louis. “**Gross Domestic Product Per Capita.**” Accessed June 1, 2020, link: <https://bit.ly/3brDU3D>
16. Jens Stoltenberg, **The General Secretary’s Annual Report 2015**, NATO Public Diplomacy Division, Brussels, 2016.
17. Klaus Schwab, **The Global Competitiveness Report 2019**, World Economic Forum, Switzerland, 2019.
18. Lederman, Daniel, and William Maloney, **Natural Resources: Neither Curse nor Destiny**, World Bank.
19. Letter dated 9 October 2019 from the Permanent Representative of Turkey to the United Nations addressed to the President of the Security Council, S/2019/804, <https://undocs.org/S/2019/804>; Kurdish-led health authority in northeast Syria says 218 civilians killed in Turkish offensive, Reuters, 17 October 2019, <https://reut.rs/320zT3m>
20. Mattew Budman, Abrar Khan, and Aparna Prusty, **United States Economic Forecast, 2nd Quarter 2020**, Deloitte Insights Contributors,2020. link: <https://bit.ly/2GtxENC>
21. MCKINSEY GLOBAL INSTITUTE, **Saudi Arabia Beyond Oil: The Investment and productivity transformation**, report, December 2015.
22. **Middle East Military Strength (2020)**, GFP Strength in Numbers, link: <https://bit.ly/35ad2Ew>
23. **Munich Security Report 2019**, Munich Security Conference (MAC),pdf available online at: <https://bit.ly/3jNCXFP>
24. Pieter, Wezeman and Alexandra Kulimova, **Military Spending and Arms imports by Iran, Saudi Arabia, Qatar and the UAE**, SIPRI YEARBOOK 2019: Armaments, Disarmament and International Security, SIPRI Fact Sheet, May 2019.
25. **Relations de la Turquie avec les pays du Moyen-Orient et de l’Afrique du Nord**, article publier au cite officiel du Ministère des Affaires étrangères de la République de Turquie, 2011, <https://bit.ly/2Dup5Rp>
26. Robert Istove, **Russian Geopolitics and Geopolitics of Russia- Phenomenon of Space**, European Journal of Geopolitics, 1, 2013.
27. **Russia Economic Outlook**, Focus Economics, May 12, 2020, Link : <https://bit.ly/3i0yLIC>
28. Site of **Russian International Affairs Council**, available online at: <https://bit.ly/323rDzD>
29. **Summary of the 2018 National Defense Strategy**, US Department of Defense, January 19, 2018.

30. **The Military Balance 2019**, The International Institute for Strategic Studies (IISS), PDF, online: <https://bit.ly/2ESkAB6>
31. The White House, **National Security Strategy of the United States of America**, December 2017.
32. The World Bank. "GNI, PPP (Current International \$)." Accessed May 20, 2020. link: <https://bit.ly/3h1It5T>
33. TransferWise. "**1 Euro to US Dollar.**" Accessed June 1, 2020. link: <https://bit.ly/3548GhS>
34. U.S. Bureau of Labor Statistics. "**Employment Situation Summary.**" Accessed June 5, 2020. Link: <https://bit.ly/2QRGFC1>
35. U.S. Department of Labor. "**Minimum Wage.**" Accessed May 20, 2020. link: <https://bit.ly/3i3rNww>
36. **U.S. Foreign Assistance to Egypt**, American Chamber of Commerce in Egypt: <https://bit.ly/3k1RNcf>
37. **United States of America, Military Strength 2020**, Global fire Power, link : <https://bit.ly/31UkvW0>
38. United States Senate. "**Constitution of the United States.**" Accessed May 20, 2020. <https://bit.ly/3hVFaP2>
39. **World Economic Outlook Database**, international Monetary Fund, October 2019, at: <https://bit.ly/2FdBmu6>

4- Periodicals & Articales

1. Abdou, Mahmoud, **Is Egypt a Regional Hegemon?** LSE Student Union – Politics and Forum Journal, May 2014.
2. Ali Ehilal Dessouki and Bahgat Korany, "A literature Survey and a Framework for Analysis", in Bahgat Korany and Ali Ehilal Dessouki (et al), **The Foreign Policies of Arab States**, Westview press, Boulder and London, the American University Cairo Press, Cairo, 1984.
3. Anna Borshchevskaya , **The Tactical Side of Russia's Arms Sales to the Middle East** , Washington Institute, 22 /12/2017.
4. Anton Barbashin and Hannah Thoburn, **Putin's Brain, Alexander Dugin and the Philosophy Behind Putin's Invasion of Crimea**, Foreign Affairs, March 31, 2014.
5. Centre for Economics and Business Research. "**World Economic League Table 2020**" Accessed May 20, 2020. Pdf, link: <https://bit.ly/3gXHy6s>
6. Daniel L. Byman, **Comparing Al Qaeda and ISIS: Different goals, different targets**, Brookings, at: <https://brook.gs/2EZ2ltF>
7. David vine, **Where in the World is the U.S Military ?**, Politico magazine, July / August 2015, link : <https://politi.co/2Z46ymq>
8. Dmitry Shlapentokh, **Dugin Eurasianism: A Window on the Minds of the Russian Elite or an Intellectual Ploy?** Studies in East European Thought, Vol. 59, No. 3 Sep., 2007.
9. Ekaterina Stepanova: **Russia in The Middle East back to a "Grand Strategy" or enforcing Multilateralism?**, Politique étrangère , Summer 2016.
10. Florence Gaub, **An Arab NATO in the Making, Middle East Military Cooperation Since 2011**, Strategic Studies Institute, September 2016, accessible pdf at : <https://bit.ly/2EVZhyn>
11. Gordon Lubold ; **U.S. Pulling Some Missile-Defense Systems Out of Mideast**, Wall Street Journal, September 26, 2018, accessible at : <https://on.wsj.com/2EZ3rFA>
12. Gregory L. Schulte, **Stopping Proliferation Before It Starts: How to Prevent the Next Nuclear Wave**, Foreign Affairs, July/August 2010 Issue, at: <https://fam.ag/3hXeOfr>
13. Hussein Ibish, "**Trump's Plan for Middle East Peace Could Actually Work: If only the president were willing to put some effort into it**", Foreign Policy, May 25, 2017.
14. Immerman R.H, Theoharis, A.G. **Security under Scrutiny U.S**, The Central Intelligence Agency, Greenwood Press, 2006.

15. **Israel Strategy In The Middle East**, by the Policy Analysis Unit, Asbar Center for Israel's Strategic Survey, issued by the Institute for National Security Studies, Israel, Summer 2019. Available in Pdf format at the following link: <https://bit.ly/2EZCEsM>
16. Jeffrey Goldberg, **The Obama Doctrine, R.I.P, The Atlantic Magazine**, April 7, 2016, accessible at: <https://bit.ly/2R5IP1b>
17. Joseph S. Ney, Jr, **Get Smart: Combining Hard and Soft Power**, Foreign Affairs, vol,88, no4, July-August 2009.
18. Jumma Qadir Hussein, Critical Discourse Analysis of Western Newspapers' Articles on **the Alleged arming of Syrian Rebels and the U.S. President Barack Obama's Speech on Syria**, Anbar University Journal of Language & Literature, No. 16, 2014.
19. Le billon, P, el khatib. F, **From free oil to freedom oil: terrorism, war and U.S Geopolitics in the Persian Gulf**, Geopolitics, volume 9, Issue 1, March 2004.
20. LEON HADAR, **Give Trump a Chance in the Middle East: Bush and Obama already helped destroy the region and damage U.S. interests there. How much worse could it get?** Foreign Policy, JUNE 27, 2017, at: <https://foreignpolicy.com>
21. Marcus Weisgerber and Carloline Houck, **Charted : Here sHoz the Cost of the F-35 is Changing**, Defence One, February 15, 2017.
22. Michael Millerman, **Alexander Dugin's Neo-Eurasianism and the Eurasian Union Project: A Critique of Recent Scholarship and an Attempt at a New Beginning and Reorientation**, Academia December 31, 2012.
23. Mira Rapp-Hooper, **Deciphering Trump's Asia Policy: What "America First" Will Mean for Regional Order**, Foreign Affairs, November 22, 2016, at: <https://fam.ag/3i0uhLO>
24. Mohamed Kamal & Khalid Hashim Mohammed, **Obama and transformation strategy from the Middle East to the Asia – Pacific Region**, Asian Social Science, 6 June 2017.
25. ÖZERTEM, H. Selim. **Russia's Shifting Strategy in Syria..Implications for Turkish Foreign Policy, case analysis**, Arab Center for Research and Policy Studies, Doha, Qatar, Aug 2015.
26. Pierre Guerlain, **Obama's Foreign Policy: "Smart Power", Realism and Cynicism**, The Society Journal, vol 51, no 5, October 2014.
27. Rafke Risseuw , **The Iranian footprint in Syria : An inventory of Iranian military; political and economic support to the Syrian government** , Brussels International Center, brussels , Belgium . pdf. For more details; please check: <https://bit.ly/3gYzmqQ>
28. Richard Bihar, **Inside Israel's Secret Startup Machine**, Contributing Editor of Investigations, Forbes magazine, May 11, 2016, on the link below: <https://bit.ly/2GpURjA>
29. **U.S. Economic Outlook**, Focus Economics, June 2, 2020, link: <https://bit.ly/3jDlBeQ>
30. Walter Russell Mead, **The Return of Geopolitics: The Revenge of the Revisionist Powers**, Foreign Affairs, Washington: the Council on Foreign Relations (CFR), Vol. 93, No. 3, May/June 2014.
31. Wiliam R.Polk, **Understanding Syria: From Pre-Civil War to Post-Assad**, The Atlantic, DEC 10, 2013.

5- Websites

1. Adam Entous, **Donald Trump's New World Order: How the President, Israel, and the Gulf States, plan to fight Iran—and leave the Palestinians and the Obama years behind.** June 18, 2018 Issue, at: <https://bit.ly/2F68JPF>
2. Ben Casselman, **Worst Economy in a decade. What's Next? Worst in Our Lifetime**, April 29, 2020, link: <https://nyti.ms/3bpo0Xw>
3. DW.COM, **"What Is Iran's Revolutionary Guard?", 25 May 2019**, at: <https://bit.ly/35acL4e>
4. Hassan Rouhani, **Why Iran seeks constructive engagement**, Published: September 20, access date: September 20-2013. Available online at: <https://wapo.st/2F0yQHJ>
5. Jhon Hannah, **Russia's Middle East Offensive**, September 13, 2016, Retrieved from : <https://bit.ly/3hYC3Wy>

6. Louis Jacobson, Amy Sherman, **Donald Trump's Pants on Fire claim that Barack Obama founded' ISIS, Hillary Clinton was 'cofounder'**, PolitiFact, 2016, at: <https://bit.ly/3gXohCv>
7. Michael R. Pompeo, **Confronting Iran: The Trump Administration's Strategy**, October 15, 2018, at: <https://bit.ly/2DsCA4f>
8. Selcan Hacaoglu, **Mapping the Turkish Military's Expanding Footprint**, 07/03/2019. <https://bloom.bg/2Z7KO9s>
9. **Statement by President Trump on Jerusalem**, December 6, 2017, at: <https://bit.ly/31WPtNb>
10. THOMAS GIBBONS-NEFF, JEREMY WHITE and DAVID BOTTI, **The U.S. Has Troops in Syria. So Do the Russians and Iranians. Here's Where**. APRIL 11, 2018, link: <https://nyti.ms/3553Zoi>
11. Tim Daiss, **How much does the U.S. spend on defending global oil supplies?**, 24 September 2018, at: <https://bit.ly/3jGc8n9>
12. **United States (Geography)**, Central Intelligence Agency (CIA), updated on June 14, 2020, link: <https://bit.ly/3hY59FI>
13. Z. Byron Wolf, **Trump keeps saying the US has spent \$7 trillion in the Middle East**, April 25, 2018, at: <https://cnn.it/2Gpva2F>

6- Newspapers

1. **'Containing Iran': Israel 'in talks' to join alliance with Saudi Arabia, Jordan, Turkey**, RT Question more, 5 May, 2013, online at: <https://bit.ly/2F4es8F>
2. Aaron Blake, **President Trump's full Washington Post interview transcript, annotated**, The Washington Post, November 27, 2018, at: <https://wapo.st/2F69Iip>
3. Dylan Berro, **The Russia's new role in Middle East**, Geopolitica.info, 23 June 2013, retrieved from: <https://bit.ly/2QZ0uqV>
4. Eric Schmitt, Maggie Haberman and Edward Wong, **President Endorses Turkish Military Operation in Syria Shifting U.S. Policy**, New York Times, Published 07/10/2019, link: <https://nyti.ms/2QTeFOx>
5. **From war room to boardroom. Military firms flourish in Sisi's Egypt**, Reuters, 16 May 2018, Visited on 22 January 2019: <https://reut.rs/3jN2b7o>
6. Ian S. Lustick, **The Red Thread of Israel's "Demographic Problem"**, site of Online Library, 25/3/2019, <https://bit.ly/3lUOuVW> ; and Yotam Berger, **Figures Presented by Army Show More Arabs Than Jews Live in Israel, West Bank and Gaza**, Haaretz newspaper, 26/3/2018, <https://bit.ly/3jLt5wv>
7. Ishaan Tharoor, **For Palestinians, Trump is all pain and no peace**, The Washington Post August 28, 2018, at: <https://wapo.st/2Dx8NYc>
8. **Israël wary but hopeful as Syrians revolt**, Middle East Online, 4/4/2011, <https://bit.ly/32XNcRn>
9. Jonathan Landay, Warren Strobel, **Trump counterterrorism strategy urges allies to do, more**, at: <https://reut.rs/3brdHTa>
10. Mark Landler, Helene Cooper and Eric Schmitt, **Trump Withdraws U.S. Forces From Syria, Declaring « We Have Won Against ISIS »**, New York Times, December 19, 2018, accessible at: <https://nyti.ms/2F4R4HK>
11. Moody's" **Egypt's credit profile reflects very large government financing needs**", New York, 29 August 2019. Link: <https://bit.ly/326j7zX>
12. Paul Pillar, **Russian Realism in the Middle East**, The National Interest, August 17, 2016, retrieved from: <https://bit.ly/2F53f7q>
13. Peter Beaumont, Saeed Kamali Dehghan, **Donald Trump focuses fire on Iran's support for 'terrorists and militias'**, The Guardian, at: <https://bit.ly/3bpy56P>
14. Ragip Soylu, **US and Turkey reach agreement to suspend military operation in Syria**, Middle East Eye, in Ankara, 17/10/2019, (Accessed on: 17/10/2019), link: <https://bit.ly/2QUhgaH>

15. Roberta Rampton, Steve Holland, **Trump seeks to ‘reboot’ U.S. relationship with Egypt in Monday talks**, Reuters, MARCH 31, 2017, at: <https://reut.rs/351v4sf>
16. Steve Holland, Yara Bayoumy, **Trump says he wants two-state solution for Middle East conflict**, Reuters, SEPTEMBER 26, 2018, at: <https://reut.rs/3bxcfyA>
17. **Turkey and Russia agree on deal over buffer zone in northern Syria**, The guardian, 22/10/2019, link: <https://bit.ly/3i0Pq8P>
18. Yara Bayoumy, Jonathan Landay, Warren Stobel, **Trump seek to revive ‘Arab NATO’ to confront Iran**, Reuters, JULY 28, 2018, at: <https://reut.rs/331zywG>
19. Yara Bayoumy, Jonathan Landay, Warren Stobel, **Trump seeks to revive < Arab NATO> to confront Iran**, Reuters, July 27, 2018, accessible at: <https://reut.rs/3btOcjR>

7- Documentary videos

1. **Copenhagen Democracy Summit-U.S. Secretary of State Micheal Pompeo**, on Youtube ; 23 juin 2020 ; link : <https://bit.ly/32PfnBo>
2. Virtual Series: **How Can Democracies Deal with China?– US and European perspectives**, on Youtube ; in the link bellow : <https://bit.ly/3522hnc>

قائمة الخرائط والجداول والأشكال

قائمة الخرائط والأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	خريطة توضح التوزيع العرقي والمذهبي في إيران	25
02	إنفوجرافيك يوضح معطيات وأرقام الاقتصاد الإيراني للاستيراد والتصدير	27
03	إنفوجرافيك تصنيف القدرات العسكرية: البرية، البحرية، والجوية الإيرانية لسنة 2019	37
04	إنفوجرافيك انتشار القوات التركية في الشرق الأوسط	73
05	خارطة توضح تموقع المحاور العسكرية لتدخل تركيا خلال عملية درع الفرات	78
06	خريطة توضح المحاور التي تقدّم منها الجيش التركي نحو عفرين	80
07	خريطة تفصيلية لتوزع السيطرة شرق الفرات بعد عملية نبع السلام	83
08	خريطة المنطقة الآمنة التي عرضتها تركيا في نيويورك	84
09	خريطة مواقع حقول النفط والغاز بالمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية	93
10	منحنى بياني يوضح نمو الناتج المحلي الإجمالي في (إسرائيل)	121
11	خريطة تموقع حقول النفط والغاز الطبيعي في شمال (إسرائيل) ولبنان ومصر	123
12	منحنى بياني يوضح معدل النمو الإسرائيلي منذ عام 2014 حتى عام 2019	124
13	شكل يوضح نسب القطاعات المساهمة في الناتج المحلي في مصر	159
14	منحنى بياني يوضح تطور الدين الداخلي والخارجي لمصر 2014-2019	162
15	خريطة توضح مواقع التواجد العسكري الأمريكي في العالم	187
16	خريطة توضح مناطق تموقع القواعد العسكرية الأمريكية في سورية	244
17	خريطة توضح أماكن القواعد الأمريكية التي مازالت في شمال سوريا أثناء عملية نبع السلام	235
18	خريطة قواعد ونقاط تواجد القوات الأمريكية في سورية في 2020/02/24	251
19	خريطة توضح دول التحالف السعودي ودول المحور الإيراني	319
20	خريطة توضيحية للمثلث الاستراتيجي العربي المقترح لإعادة التوازن في الشرق الأوسط	355

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	جدول يوضح قدرة المملكة العربية السعودية على مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي بحلول 2030	95
02	جدول يوضح أبرز الغارات الإسرائيلية على سورية	148
03	جدول المقارنة بين مقومات القوة للقوى الإقليمية المؤثرة في الشرق الأوسط	183
04	جدول يوضح المؤشرات الاقتصادية لروسيا الاتحادية 2015-2019	266
05	جدول يوضح إحصائيات توزع القوة النووية في العالم عام 2019	272
06	جدول التسلسل الزمني لاستخدامات روسيا لحق النقض في القضية السورية	283
07	جدول مقارنة بين مقومات القوة للقوى الدولية المؤثرة في الشرق الأوسط حسب إحصائيات 2020	300

فهرس

المحتويات

فهرسة

01.....	مقدمة.....
	الفصل الأول: مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى الإقليمية الفاعلة في التوازن الإستراتيجي الشرق الأوسطي.....
18.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الإيرانية.....
20.....	المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي الإيراني في سوريا والشرق الأوسط.....
21.....	المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي الإيراني في سوريا والشرق الأوسط.....
39.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية التركية.....
54.....	المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي لتركيا في سوريا والشرق الأوسط.....
56.....	المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي لتركيا في سوريا والشرق الأوسط.....
58.....	المبحث الثالث: دور الاستراتيجية السعودية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011.....
67.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية السعودية.....
85.....	المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي السعودي في سوريا والشرق الأوسط.....
88.....	المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي السعودي في سوريا والشرق الأوسط.....
90.....	المبحث الرابع: دور الاستراتيجية الإسرائيلية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011.....
100.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الإسرائيلية.....
114.....	المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي لإسرائيل في سوريا والشرق الأوسط.....
115.....	المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي لإسرائيل في سوريا والشرق الأوسط.....
116.....	المبحث الخامس: دور الاستراتيجية المصرية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011.....
130.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية المصرية.....
151.....	المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي المصري في سوريا والشرق الأوسط.....
153.....	المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي المصري في سوريا والشرق الأوسط.....
154.....	استنتاجات الفصل.....
171.....	الفصل الثاني: مضامين وآليات الأداء الاستراتيجي للقوى الدولية في التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي.....
181.....	المبحث الأول: دور استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011.....
185.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الأمريكية.....
190.....	المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط.....
191.....	المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط.....
192.....	المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الأمريكية.....

فهرسة

- المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي للولايات المتحدة في سوريا والشرق الأوسط.....199
- المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي الأمريكي في سوريا والشرق الأوسط.....252
- المبحث الثاني: دور استراتيجية روسيا الاتحادية في توازن الشرق الأوسط بعد 2011.....260**
- المطلب الأول: مقومات القوة الاستراتيجية الروسية.....261
- المطلب الثاني: الأداء الاستراتيجي الروسي في سوريا والشرق الأوسط.....273
- المطلب الثالث: تقييم الأداء الاستراتيجي لروسيا في سوريا والشرق الأوسط.....297
- استنتاجات.....302
- الفصل الثالث: تأثير الأزمة السورية على واقع ومستقبل التوازن الاستراتيجي الشرق الأوسطي.....304**
- المبحث الأول: أثر الأزمة السورية على التحولات الجيوسياسية والمتغيرات الإقليمية الشرق أوسطية.....305**
- المطلب الأول: التهديدات الأمنية على مستوى دول منطقة الشرق الأوسط.....305
- المطلب الثاني: فوضى التحالفات والصراعات بين القوى الإقليمية والدولية.....308
- المبحث الثاني: تداعيات الأزمة السورية على تحول بيئة وأنماط التحالفات والتفاعلات الجيواستراتيجية في الشرق الأوسط.....311**
- المطلب الأول: تراتبية التحالفات وخرطة التفاعلات والتوازنات الاستراتيجية لما بعد 2011.....312
- المطلب الثاني: تحولات خريطة التوازنات الاستراتيجية الإقليمية والدولية بعد 2011.....329
- المطلب الثالث: الاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة للمشكلة للتحولات الجيواستراتيجية الشرق أوسطية الجديدة.....330
- المطلب الرابع: تطبيقات استراتيجيات القوى الدولية لتحقيق التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط.....333
- المبحث الثالث: الأزمة السورية ومستقبل الشرق الأوسط في الميزان الاستراتيجي الجديد.....339**
- المطلب الأول: مستقبل التوازن الاستراتيجي الشرق أوسطي من حيث الفواعل المشكلة له.....339
- المطلب الثاني: الاحتمالات المستقبلية للتوازن الاستراتيجي من حيث التفاعلات الإقليمية فيه.....345
- خاتمة.....357**
- قائمة المراجع.....364**
- قائمة الجداول.....387**
- فهرسة.....389**